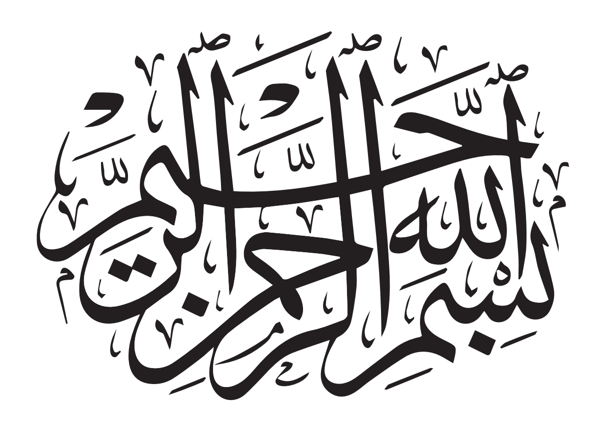

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة الأردنية الهاشمية

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية

(د/٢٢٦/٢٠١٦)

يتحمّل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنّفه ولا يعبّر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

ISSN 0258 - 1094





السنة الثالثة والأربعون
العدد الثامن والتسعون
شوال ١٤٤٠ هـ - محرم ١٤٤١ هـ
تموز - أيلول ٢٠١٩م

الهيئة الاستشارية للمجلة


هيئة التحرير

مجلة مجمع اللغة العربية الأردني

مجلة متخصصة محكمة

شروط النشر:

١ . تعنى المجلة بالبحوث التي تعالج قضايا اللغة العربية وآدابها.

٢ . يكـون البحث المقدم للمجلة مسـتوفياً شروط البحث العلمي مـن حيث الإحاطة والاستقصاء والإضافة المعرفية والمنهجية والتوثيق وسلامة اللغة ودقة التعبير.

٣ . يشـترط في البحث أن يكـون خاصاً بمجلة المجمع، وأن لا يكون قد نشر أو قدم لأي جهة أخرى لغايات النشر، ويقدم الباحث تعهداً خطياً بذلك.

٤ . أن تتسم البحوث النقدية بأسلوب النقد العلمي الموضوعي.

٥ . يصبح البحث بعد قبوله للنشر حقاً لمجلة المجمع، ولا يجوز النقل عنه إلا بالإشارة إلى مجلة المجمع.

٦ . لا يجـوز لصاحب البحـث أو لأي جهة أخرى إعادة نشر مـا نشر في المجلة أو ملخصـ عنـه في أي كتاب أو صحيفة أو دورية إلا بعد مـرور ستة أشهر على تاريخ نشره في المجلة، وأن يحصل على موافقة خطية من رئيس التحرير.

٧ . يرسـل الباحـث نسخـة إلكترونية مـن بحثه باستخـدام البرنامـج الحاسوبي (Ms word) بحجـم خـط (١٤) للمـتن و(١٢) للهوامش علـى وجه واحد من الورقة حجم (A 4).

٨ . لا تزيـد صفحـات البحث علـى (٢٥) خمس وعشرين صفحـة، بواقع (٢٥٠) مئتين وخمسين كلمة للصفحة الواحدة، أو من ٦٠٠٠ – ٨٠٠٠ كلمة للبحث.

٩ . يجب أن يشتمل البحث على ملخص باللغة العربية، مترجماً إلى اللغة الإنجليزية بما فيه العنوان.

١٠. إذا كان البحث جزءاً من رسالة علمية غير منشورة، فيجب أن يوضح الباحث أسماء كل من المشرف وأعضاء لجنة المناقشة، وتاريخها.

١١. يتولى تحكيم البحث محكمان أو أكثر حسب ما تراه هيئة التحرير، ويلتزم الباحث بدفع النفقات المالية المترتبة على إجراء التحكيم في حال سحبه بحثه أو الرغبة في عدم متابعة إجراءات التحكيم وفق ما يقدره رئيس التحرير.

١٢. يكون قرار هيئة التحرير بإجازة نشر البحث أو الاعتذار عن عدم نشره نهائياً، وتحتفظ هيئة التحرير بحق عدم إبداء الأسباب، ويجوز في حال الاعتذار أن يزود الباحث بالملاحظات والمقترحات التي يمكن أن يفيد منها في إعادة النظر ببحثه.

١٣. يلتزم الباحث بإجراء التعديلات التي يطلبها المحكمون إذا كان قرار هيئة التحرير بإجازة نشر البحث مشروطاً بذلك.

١٤. البحوث غير المجازة لا ترد لأصحابها.

١٥. البحوث المنشورة في المجلة تعبر عن آراء أصحابها، ولا تعبر عن هيئة التحرير أو المجمع.

١٦. يخضع ترتيب البحوث عند النشر في المجلة لمعايير فنية تراها هيئة التحرير.

١٧. يكون توثيق البحوث كما يأتي:

أ - المصادر:

يوثق المصدر عند ذكره لأول مرة على النحو الآتي:

يذكر اسم المؤلف كاملاً، وتاريخ وفاته بالهجري والميلادي بين قوسين، إن كان متوفى، واسم المصدر كاملاً بالحرف الغامق، إذا كان عربياً، وبحروف مائلة إن كان بلغة أجنبية، وعدد الأجزاء أو المجلدات وأقسامها، واسم المحقق، ودار

النشر، ورقم الطبعة، ومكان النشر، وسنة النشر، ورقم الصفحة أو الصفحات.

مثال:

أبو عثمان سعيد بن محمد السرقسطي (ت٤٠٠هـ، ١٠١٠م)، كتاب الأفعال، ٣ج، تحقيق د. حسن محمد محمد شرف، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٩٧٥م، ج١، ص ١٨٥.

ب - المراجع:

يذكر اسم المؤلف كاملاً، وتاريخ وفاته بالهجري والميلادي، إن كان متوفى، ثم اسم المرجع كاملاً بالحرف الغامق إن كان عربياً وبحروف مائلة إن كان بلغة أجنبية، وعدد الأجزاء أو المجلدات وأقسامها، إن وجدت، ودار النشر، ورقم الطبعة، ومكان النشر، وسنة النشر، ورقم الصفحة أو الصفحات.

مثال:

حسن سعيد الكرمي (ت ١٤٣٨هـ/٢٠٠٧م)، الهادي إلى لغة العرب، ٤ ج، دار لبنان للطباعة والنشر، ١٩٩١م، بيروت، ج١، ص٢٣٩.

ج - محاضرات المؤتمرات:

يذكر اسم المحاضر كاملاً، وعنوان بحثه أو مقالته بالحرف الغامق بين علامتي اقتباس، هكذا "   "ويذكر عنوان الكتاب كاملاً، واسم المحرر أو المحرِرَيْن ويضاف إليه/إليهما كلمة "رفاقه/ رفاقهما" إن كانوا أكثر من اثنين على أن تذكر أسماؤهم جميعاً في قائمة المراجع، واسم دار النشر، ومكان النشر، وسنة النشر، ورقم الصفحة أو الصفحات.

مثال:

شكران خربوطلي، "أوقاف دمشق وأثرها على الحركة العلمية فيها في العصر

الأمـوي"، المؤتمر الـدولي السابع لتاريخ بـلاد الشام: الأوقـاف في بلاد الشام، تحريـر الدكتور محمد عدنان البخيت، مطبعة الجامعـة الأردنية، منشورات لجنة تاريخ بلاد الشام، عمان، ٢٠٠٩م، ص ١٣–٢٧.

د - المجلات:

يذكـر اسم صاحب البحـث أو المقالة كاملاً، وعنوان بحثـه أو مقالته بالحرف الغامق بين علامتي تنصيص هكذا "   " ويذكر اسم المجلة بالحرف الغامق للمجلات العربية، وبحـروف مائلة للمجلات الأجنبية، ورقم المجلد والعدد، ورقم الصفحة أو الصفحات.

مثال:

حسن حمـزة، "الوضـع والاشتقـاق والدلالـــة"، مجلة المعجميّـة، تونس، ٢٠٠٢م، العدد ١٨، ص ٨١–٩٨.

١٨. يراعى عند الإشارة إلــى الصفحة أو الصفحات المقتبس منها في الحواشي، ما يأتي:

- يوضـع الرمز (ص) للدلالة على الصفحــة أو الصفحات المقتبس منها إذا كان المصــدر أو المرجع عربياً والحرف (p) للصفحة الواحدة، و(pp) لأكثر من صفحة إذا كان المصدر أو المرجع أجنبياً.
- يذكر اسم السورة ورقم الآية أو الآيات في متن البحث، وبرسمها القرآني.
- يذكـر الحديث النبوي الشريف ومظانه ومصــادر تخريجه من كتب الحديث النبوي الأصول، ويوثق كل مصدر منها توثيقاً كاملاً.
- عنـد ورود بيـت أو أبيات من الشعـر، يذكر اسم الشاعـر والبحر ومصادر تخريجه.

- يذكر اسم المؤلف كاملاً عند الاستشهاد بمخطوط، ويذكر عنوان المخطوط كاملاً، ومكان وجوده، وتاريخ النسخة، وعدد أوراقها، ورقم الورقة.

١٩. تكتب أسماء الأعلام الأجنبية في متن البحث بحروف عربية (ولاتينية بين قوسين) على أن يذكر الاسم كاملاً عند وروده لأول مرة.

٢٠. تكتب أسماء أعلام التراث العربي الإسلامي في متن البحث كاملة مع ذكر تاريخ الوفاة بالهجري والميلادي بين قوسين للأعلام، وتعرف المواقع في ضوء المراجع الحديثة.

٢١. توضع أرقام التوثيق بين قوسين، وتكون متسلسلة من أول البحث إلى آخره.

٢٢. يقدم كل صاحب بحث قبل النشر سيرته الذاتية في حدود (٥٠) خمسين كلمة تقريباً، تتضمن أعلى مؤهل علمي، والجامعة التي تخرج فيها، ومكان عمله، ومركزه الوظيفي واهتماماته العلمية، وعنوان بريده الإلكتروني.

٢٣. يقدم إلى صاحب البحث نسخة من العدد المنشور فيه بحثه و(٢٥) خمساً وعشرين مستلة من بحثه.

ترسل البحوث والمراسلات إلى المجلة على العنوان الآتي:

رئيس هيئة تحرير مجلة مجمع اللغة العربية الأردني

ص.ب (١٣٢٦٨) عمان (١١٩٤٢) الأردن

هاتف: ٠٠٩٦٢٦٥٣٤٣٥٠٠

ناسوخ (فاكس): ٠٠٩٦٢٦٥٣٥٣٨٩٧

البريد الإلكتروني: almajmajournal@ju.edu.jo

الفهرس

استدعاء الموروث الديني في شعر تميم البرغوثي ديوان (في القدس) أنموذجاً

د. هبة مصطفى جابر[١]

د. هناء عمر خليل[٢]

الملخص

تسعى هذه الدراسة إلى اكتناه أثر الموروث الديني في الشعر العربي المعاصر، متخذة من شعر تميم البرغوثي في ديوانه الموسوم بـ: "في القدس" نموذجاً. وتبيّن الدراسة وفرة قصص الأنبياء عليهم السلام ولا سيما الأنبياء: محمد، وعيسى، وآدم، ونوح، وإسماعيل، إذ كان الارتكاز مبنيّاً على استحضار أهم الأحداث التي مروا بها، وبعض المعجزات التي تميزوا بها، وكان للنص التميمي دوره في استلهام هذه الموروثات، وإسقاطها على الواقع الذي تعيشه الأمة العربية والإسلامية، والقضية الفلسطينية بوجه خاص.

وتنبثق أهمية هذه الدراسة من الكشف عن سعة اطلاع الشاعر على التراث الديني الذي استطاع من خلاله تقديم رؤية واضحة عن الوضع الذي يعيشه العرب في الوقت الحاضر للقارئ في رؤية جديدة، ووعي سديد، تاركاً له حرية التفاعل مع نصوصه، وإدراكها، في ضوء وعيه بهذا التراث من جهة، وصلته بالقضية من جهة أخرى.

---

(١) جامعة الحدود الشمالية.

(٢) جامعة الإسراء.

Abstract

Calling the religious heritage in the poetry of Tamim Al-Barghouthi/ as Al-Quds collection model

This study seeks to insight and taste the impact of religious heritage in the Modern Arabic Poetry, inspired by Tameem Barghouthy poetry in his collection titled by "In Jerusalem" a model. The study shows the abundance of the stories of the prophet, in particular: Mohammad, Eisa, Adam, Noah and Ismael, based on getting the most important events prophets through and passed by, some of miracles they were marked by, Tameem's script played role in inspiration of these heritages and reflect them on the Arab and Islamic nations reality and Palestinian cause in particular.

The importance of this study comes to reveal the poet knowledge of the religious heritage which enable to present him clear vision about the current situation Arab life that time of the reader present in new vision, with right conscious, leaving the freedom of interaction with his scripts and understand it in the light of his consciousness on heritage, on one hand, and relevance to the context of the cause on the other hand.

المقدمة

مما لا شك فيه أن التراث يدل على مجموعة من العادات والتقاليد، والقيم، والمنجزات الحضارية والفكرية والثقافية لأمة ما، تحدد ماهيته وتتبلور مفاهيمه وفق إطاريه المكاني والزماني، ثم تنتقل المحمولات الدلالية لهذه القيم في أذهان الأفراد معبرة عن ردود أفعالهم تجاه المواقف المتباينة التي يتعرضون لها في واقعهم المعيش. وعليه، فإن القيمتين: الفنية والأدبية لهذا الموروث تعمقان القيمة الإبداعية الفنية للمبدعين الذين يستترون خلفه بغية توصيل أفكارهم وعلاقاتهم بما حولهم بدرجات متفاوتة.

من هنا جاء الموروث في ذهن الشاعر العربي الحديث "ليكون متميزاً بحكم تطور وعي الشاعر: موقفه ومفهومه للثقافة، والثقافة في الشعر واختلاف أساليب التعبير والتشكيل الشعري"[١]؛ فينتج كينونة خاصة تمثل معادلة متكافئة بين الشاعر ونصه المرتكز على الموروث.

وانطلاقاً من ذلك، فإنَّ توظيف الموروث يُستحضَر في تجربة الشاعر المعاصر، بوصفه غذاءً رئيساً يمده بأسباب الاستمرار والبقاء، ويخلق عنده جواً من الإبداع الذي يتعالق فيما بعدُ بالنص الشعري، فيُظهر مهاراته الكامنة من خلال تعالق هذا النص بالموروث المرتبط فيه.

والمتتبع لفكرة الموروث عند الشعراء المعاصرين، يستطيع اكتناه الأثر الذي يتركه هذا الموروث في فكرهم أولاً وفي إنتاجهم الأدبي ثانياً، ذلك "أننا لا نعود إلى غائب أو مخزون، وإنما نعود إلى ذواتنا الثقافية والتاريخية بقصد تحليلها وتفسيرها

---

(١) طراد الكبيسي، **التراث العربي كمصدر في نظرية المعرفة والإبداع في الشعر العربي الحديث**، منشورات دار الثقافة والفنون، ط١، بغداد، ١٩٧٨م، ص١١.

لمعرفة مواطن الزلل والصواب في بنيتها"[١]. وهذا عينه ما يفعله الشاعر المعاصر الذي ينتقي بوعي وحرص كبيرين من هذا الموروث ما يشاء، ويسقطه على واقعه بغية تسليط الضوء على قضية ما منوهاً أو معرّضاً بها، داعياً القارئ ليشاركه في عالمه الخاص منتجاً نصاً أدبياً ذا معايير خلاقة وأبعاد عميقة وبنّاءة.

ويتجلى موقف الشاعر من التراث في إطار بعدين اثنين؛ الأول: الالتزام بقضية تهم الرأي العام في قالب تجريدي تعميمي.

والثاني: حمل هموم خاصة للمبدع نفسه استعصى عليه إبرازها دون الاتكاء على هذا الموروث لما يحمله من أهمية وحضور في فكره، استقاها من ذاكرة الشعب، وذاكرته الثقافية "فالموروثات لا تموت بل تظل في ذاكرة الجماعة وبالتالي في ذاكرة الأفراد بنسب مختلفة"[٢]، فتصبح هذه الموروثات بمثابة حل لشفرات النص التي يوجّهها الشاعر في نصه الأدبي، مشحونة بإشارات، وعلامات، تاركةً للقارئ فرصة ملء فراغات النص المتخلّقة في ذاته هو. ومع تعاظم القضايا والمشكلات في العصر الحديث، لا نجد غرابة في لجوء الشاعر إلى تمثيل الأحداث عامة، والسياسية خاصة، في نتاجه الأدبي، من غير فصلها عن الموروث الذي يمده –بدوره– بأسباب التألق الفكري، فيعمل على تكثيف الفكرة الملحة عليه، فيقدمها متناغمة مع وسائط التعبير الأخرى في نصه الشعري. ومنها نماذج ومعطيات "تستطيع أن تمنح القصيدة المعاصرة طاقات تعبيرية لا حدود لها؛... ولأن هذه المعطيات من التراث الذي يكتسب لوناً خاصاً من القداسة في نفوس الأمة، ونوعاً من اللصوق بوجدانها"[٣]،

(١) أحمد يوسف علي، **التراث ونقد الشعر**، دار النديم للنشر والتوزيع، ط١، ١٩٨٨م، ص١٨.

(٢) مدحت الجيار، **الشـــاعر والتراث دراســـة في علاقة الشـــاعر العربي بالتراث**، دار الوفاء للطباعة والنشر، ط١، مصر–الإسكندرية، ص١٩.

(٣) علي عشري زايد، **استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر**، الشركة العامة للنشر والتوزيع، ط١، طرابلس، ١٩٧٨م، ص١٨.

فإن الاقتباس من الموروث وسيلة ناجعة للكشف عن صراعه الداخلي، ورفضه المتكرر لواقعه المضطرب، داعياً أمته للإحساس بمعاناته.

ولا غرو أن يدخل الموروث في النصّ التميمي ليشكل روح القصيدة المستلهمة من فكر الشاعر، وهو يحيلنا بصورة أخرى إلى ظاهرة لغوية وهي التناص، إذ إنه يعتمد في تمييز آلياته على ثقافة المتلقي وسعة معرفته وقدرته على الكشف عن النصّ المرجعي والنص الشاهد الذي امتزج به، فالتناص بوصفه آلية من آليات النص اللغوية يوجهنا إلى الكشف عن النصّ المرجعي المندغم بروح القصيدة من خلال "التلاعب بأصوات الكلمة والتصريح بالمعارضة، واستعمال لغة وسط معين، والإحالة على جنس خطابي برمته"(١)، وهذه الوسائل ما هي إلا مؤشرات تجعل النصّ يقرأ الموروثات المبثوثة في جسم القصيدة ويعيد تشكيلها في بؤرة معينة واحدة.

ومن هنا تسلط الدراسة الضوء على واحدة من القضايا الفكرية والسياسية التي تختلج في أعماق الأمة العربية والإسلامية، وهي القضية الفلسطينية التي كانت وما زالت مثار نزاع أبدي بين الصهاينة بوصفهم محتلين غاصبين، والشعب الفلسطيني بوصفه صاحب حقّ مشروع لأرضه المسلوبة، وأنموذجَ صمودٍ وتحدٍّ أبدي أمام هذا الغاصب الدخيل؛ فكان لتميم البرغوثي تلك المساحة الواسعة في تمثيل قضية بلاده، وصوتٌ مدوٍّ في الساحة الفكرية والسياسية والأدبية.

وارتأت الدراسة استحضار فكره من خلال اعتماد ديوانه الموسوم بـ"في القدس" للكشف عن حجم الاعتماد على توظيف الموروث في الحديث عن قضية فلسطين ودلالاته.

---

(١) محمد مفتاح، **تحليل الخطاب الشـــعري (اســـتراتيجية التناص)**، المركز الثقافي العربي، ط٤، الدار البيضاء، المغرب، ٢٠٠٥، ص١٣١.

ومن مواجهة للنص التميمي، ومحاولة سبر أغواره، أمكن الكشف عن تجلي الموروث الديني الذي استحوذ على اهتمام الشاعر، فجعله الركيزة الأساسية في بناء نصه الإبداعي، وإحساسه بالخطر الجاثم على أكتاف أمته، فيدعو من خلاله إلى صحوة جماعية لمقاومة هذا الخطر المحدق بهم، مستنهضاً هممهم، وبين النص الحاضر والنص المرجعي المتمثل بالموروث الديني تتجلى للقارئ إمكانية التفاعل النصي بين جنسين مختلفين، وبما أنَّ عملية التفاعل النصي أمر متحقق في النص الحاضر "فلا مناص للباحث من الانكباب على إبراز مختلف مستويات التفاعل النصي وأشكاله، وهذا العمل علاوة على كونه يسمح لنا بالنظر إلى النص في ذاته، يتيح لنا إمكانية النظر إليه في مختلف علاقاته مع نصوص أخرى"(١)، آخذين بعين الاعتبار السياق الاجتماعي والثقافي الذي ظهر فيه. وهنا تبرز لنا الرؤية في نصّ البرغوثي بتوظيفه المرجعية الدينية؛ ليحمل بذلك رسالة إلى كلّ عربيّ يأبى الخضوع لقوّة العدوّ الغاشم، ويعتزّ بتراثه الأصيل الذي يتضمن انتصارات الأوّلين وأمجادهم الكبرى.

قصص الأنبياء

يزخر ديوان (في القدس) بدلالات دينية ترد قارئها إلى قصص الأنبياء، بوصفهم حملة رسالات الحق والخير للناس أجمعين، وتكشف هذه الدلالات عن مدى المعاناة التي تعرض لها هؤلاء الرسل في مواجهة قوى الظلم والبغي، غير أنَّ توظيف تلك القصص في صفحات الديوان لم يجرِ على نسق واحد، وإنما تعددت طرق تناول هذا الموروث القصصي، ليظهر النص متماسكاً لا تشتت فيه؛ وبتماسكه يساعد القارئ على اكتناه منظومة الموروث الديني الكامنة داخل النص الشعري ذاته، ومنها استناده إلى فكرة أنَّ الأنبياء بوصفهم علامة قداسة لا يمكن إنكارها.

---

(١) سعيد يقطين، **الكلام والخبر مقدمة للسرد العربي**، المركز الثقافي العربي، ط١، الدار البيضاء، ١٩٩٧، ص٥٠.

أولاً: محمد صلى الله عليه وسلم ومعجزاته

تتكاثف في ديوان تميم الإشارات والحوادث التي ارتبطت بشخصية محمد –عليه السلام– لما لهذه الشخصية من الأثر الكبير الذي تركته في نفوس المسلمين فيما بعد، وفي تأسيس قاعدة الدولة الإسلامية التي سار عليها المسلمون إلى يومنا هذا.

وأوّل ما يطالعنا في النصّ التميمي استحضار غزوة بدر التي شارك فيها الرسول الكريم ضدّ مشركي قريش، وانتصاره عليهم انتصاراً محققاً بقوّة الإيمان، وصدق العزيمة، فربط تلك الغزوة بمنطقة الجليل –شمالي فلسطين– التي شهدت بطولات، وأحداثاً بين شباب الانتفاضة والمحتل الغاصب:

"كأن الجليل هو الشعر في النثر محتجبٌ، كالخيول التي في السما

كالملائكة النازلين على هيئة الطير يوم القتال

وهو محتجبٌ مثل رعب العدوّ الحقيقيّ"(١)

أفاد الشاعر من تلك الغزوة بذكره المدد الإلهي الذي أرسله الله للمؤمنين، فالملائكة هبطت من السماء إلى الأرض؛ لتشارك في حرب الكفار، وهنا يتقاطع هذا الحدث المهم مع النصّ القرآني الذي أشار إلى العون الذي ما فتئ يلازم المؤمنين، فكان سبيلهم للفوز، وعاملاً مهما من عوامل النصر، قال تعالى: ﴿**إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ**﴾ الأنفال:٩، واستدعاء الشاعر لمشاركة الملائكة في قصيدته تلك تأكيد منه على فكرة المقاومة التي تبنّاها أبناء فلسطين صغيرهم وكبيرهم، فكأنه فعل تحدّ للعدو الذي يحيط بهم ويجثم على أنفاسهم، فهم على قلّة عددهم موفقون في مسيرتهم المظفرة تلك، وما توظيف مشاركة الملائكة التي جسدها النصّ التميمي بصورة الطير في القتال إلا رسالة حبّ وسلام سيعمّ مداه في أرجاء البلاد، وإن طالت المدة، وبعدت المسافة.

---

(١) تميم البرغوثي، **في القدس**، دار الشروق، ط٢، مصر، ٢٠١٥م، ص١٨.

فجاء اختيار تميم لهذه الغزوة مقصوداً، وإن لم يفصّل ما جرى فيها من ملابسات ومناورات، إلّا أنَّ استدعاء هذه الغزوة دون غيرها من الغزوات يردنا إلى القيمة التاريخية العظيمة التي حظيت بها، فهي مع كونها أولى الغزوات التي فتحت باب الصراع الحربي بين المسلمين والكفار، "عزّزت مكانة النبيّ في المدينة، وأعلت كلمة الإسلام، فدخل في الإسلام بعدها كثير من المشركين... أما قريش فقد عزَّ عليهم أن يهزموا ويقتل سادتهم ويؤسر أشرافهم"(١).

وتتبلور في النصّ فكرة استمرار الصمود والتحدّي التي نهض بها أبناء الأرض متمثلة في عدم خوفهم من طائرات العدوّ ليقينهم التام بأنَّ الروح المعنوية العالية التي تصطخب بها نفوسهم هي المحرِّك الأساسي للنصر القادم.

وأما في قصيدته الموسومة بـ: "تقول الحمامة للعنكبوت"، فيستحضر الشاعر حدث الهجرة النبوية الشريفة من مكة إلى المدينة، متحدّثاً بلسان الحمامة والعنكبوت في إطار حواري قصصيّ، ومفجراً طاقاته الإيحائية حول واقع المسلمين الذي آلوا إليه، ومقارناً حالهم الراهن بحال المسلمين في التاريخ الإسلامي الذي امتلأ بأخبار بطولاتهم، وتحمّلهم العنت، والمشقة من أجل رسالة الإسلام، ورفع راية الحق مشرقة في الآفاق.

ينهض النصّ التميمي هذا على تقنية الحوار الذي ينطلق بلسان الحمامة، فتتصدّر الإخبار عن هذه الحادثة للعنكبوت التي ظلت منصتةً لحديثها، مُصغيةً لمضمون كلامها الذي أفرزته في رحم النصّ الشعري، وفيه تسأل الحمامة العنكبوت عن حال الشيْخين –الرسول الكريم وأبي بكر– وهل بقيا في ذاكرتها مع تقادم الزمن

---

(١) السيد عبدالعزيز سالم، **تاريخ الدولة العربية_تاريخ العرب منذ عصر الجاهلية حتى سقوط الدولة الأموية**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٦م، ص٣٨٥.

وتوالي الأجيال، وتؤكد بذلك الحمامة أنها والعنكبوت قد حمتا الغريبين من بطش الكفار، وكأنها تفتح باب الأمل والتفاؤل في امتداد نصيّ يستغرق القصيدة بأكملها، حيث أفسحت المجال لنفسها كي تقصّ قصتها في الزمن الماضي:

"تقـول الحمامـــة للعنكبـــوت أخـــيّ تذكرتنـــي أم نســـيـت

عشـية ضاقـــت عليّ السـماء فقلت على الرحب في الغار بيتي

وفي الغـــار شيخان لا تعلميـن حميتهمـــا يومها أم حُميـــت

سنحمي الغريبيـن مـن كل سيف بريش الحَمـــام وأوهى البيـوت

سنبني المـآذن في المشـــرقين بخيــط رفيع وخبـز فتيـــت"[١]

ووصف الغريبين، الذي جاء ذكرهما في النصّ الشعريّ، فيه إلحاحٌ على معنى أثيل حاول الشاعر إسقاطه على وضع الأمة الراهن مؤكداً أنها ستبقى غريبة في بلادها ما لم تحاول بجهدها دفع الغاصب عن أرضها لتعود إليها حرية الرأي وتتذوق حلاوة النصر.

وتمضي الحمامة في حوارها هذا بنبرة تصاعدية من الهمة القوية، والإرادة الطموحة، لنيل المجد والرفعة، فتؤكد فكرة الصمود في الغار ليكون طريقاً للغريبين لإعلاء كلمة الحق في أرجاء العالم:

"لقد كان في الغار وعدٌ بأن السماء ستُنثر

مثل أرزّ العروس على العالمين

لقد كان في الغار دنيا من الصين حتى بلاد الفرنجة

---

(١) تميم البرغوثي، **في القدس**، ص٥٣.

أسواقها وميادينها وقوافلها وعساكرها وصياح المنادين"(١)

يتصدر المقطع الشعري السابق الفعل الماضي (كان) ليوحي بأن تلك الحادثة التي تعرّض لها سيدنا محمد –عليه السلام– مع صديقه أبي بكر بقيت في حافظة التاريخ حاملة في جعبتها أسمى معاني الإباء والقدرة على تحمّل المشاق، جاعلاً من هذه الهجرة بؤرة أمل تبعث ببصيص نورها في نافذة الحاضر؛ ليصل الشعب المناضل حاضره بماضيه، فتتبدى له نضارة الروح، ونقاء السريرة، وعزيمة العمل، فتبث في حناياه حميّة الإقدام باقتدائه بالسلف الصالح. وتمضي هذه البصمة المشرقة من حياة المسلمين في الماضي التليد لتصبّ تأثيرها الحيّ في فكر الشاعر وعاطفته، فنراه يعود إلى تأكيد تلك الفكرة ويجسّدها واقعاً حيّاً في كلماته التي نلمح من ورائها اعتزازاً بهذا الموروث الذي تجلت أصداؤه في شخص الرسول الكريم، فنجده في مقطع آخر من الديوان يخاطب الأمة الإسلامية موظفاً حدث الهجرة مرة أخرى، جاعلاً بؤرته النصية في غار ثور الذي كان نقطة استشراف حقيقية لنشر الإسلام بعد أن كان مستتراً:

"أرى أمّــة في الغار بعد محمّــد تعــود إليه حين يفدحهــا الأمــرُ

ألم تخرجي منــه إلى المُلك آنفــاً كأنك أنتِ الدهر لو أنصف الدهر

دخلــتِ إليــه اثنيـــن أوّل مــرة نبيّاً وصدّيقاً وشى بهما الوعر"(٢)

في هذه اللقطة النصية يرتبط الماضي بالحاضر عندما تتصدر دلالة الفعل المضارع (أرى) مساحة النصّ الشعري، فيلتحم الزمان بشقيه في علاقة تأثر وتأثير، تتذكر من خلاله الأمة الإسلامية الحاضرة ماضيها المشرّف، وكأنها بذلك تجعل من

---

(١) تميم البرغوثي، **في القدس**، ص٥٤

(٢) السابق، ص٥٩.

حدث الهجرة مقدّمة للتمكين والنصر الأكيد، وسبباً لضرورة الأخذ بالأسباب، ودافعاً قوياً للتضحية والتحرّك الجمعي في سبيل استعادة هذا المجد الزاهي. وقد تلامس هذا التوظيف النصيّ في دلالته بالنصّ القرآني الذي يظهر فيه خيط الأمل في ظل صعوبة الموقف، حيث يقول سبحانه: ﴿**إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾ التوبة:٤٠، وبارتداد نصيّ إلى الديوان يُلمح جانب الاستدعاء الديني عندما جعل كلاً من الحمامة والعنكبوت من الجنود التي أيّد فيها الله الغريبين بعلامات النصر، وهذا يعود بنا إلى حقيقة مؤداها أنَّ الأمة إذا أعلنت جهادها بالنفس من أجل العقيدة فإنها تأخذ بأسباب النصر بدعم إلهيّ، وتأييد رباني.

وما تلبث أن تتغير تلك النبرة الصوتية التي أفصحت عنها الحمامة؛ ليمتزج بها الشك والحيرة عندما تسأل عن حال الغريبين وما حلّ بهما، فتنتقل القارئ من الماضي إلى الحاضر الذي يعيشه جاعلة من ذلك السؤال المحيّر حلقة تصله بالواقع الأليم الذي يرزح تحته أبناء الأمة:

"يا أخيّة ضيفاك ما فعلا

أتُرى أسِرا أتُرى قُتلا

أتُرى بقيا صاحبين أم انفصلا

يا أخيّة ضيفاك ما فعلا"(١)

يُفتتح المشهد النصي هنا بهالة من الأساليب الإنشائية التي أفرزها حوار الحمامة للعنكبوت، لتترك دلالات شتى، ومعاني مبهمة، وعاطفة مضطربة، بمشاعر الشك

(١) تميم البرغوثي، **في القدس**، ص٥٥-٥٦.

والضيق، إلا أنها ترجو من خطابها وحدة العرب والمسلمين، وتأمل في إعادة شملهم لنصرة الدعوة الإسلامية التي ما برح أصحابها الأوائل محافظين عليها، متمسكين بعروتها. وهي رسالة خفيّة من الشاعر إلى الشعب عامة لاستنهاض هممهم وإعادة الأمل من جديد، جاعلاً من تكرار العبارة (يا أخية ضيفاك ما فعلا) إيذاناً بالسعي نحو قهر المحتل، ورفض الواقع، أو على الأقل محاولة تغييره.

ويعود النص التميمي في لقطته الأخيرة ليبث تداعي النبرة الصوتية في خطاب يسترجع حدث الهجرة وحوار الحمامة والعنكبوت، لتصل إلى حالة من اليأس شديدة، وفقدان من الأمل أكيد، عندما يمتد الصوت في إطار الحاضر المتهالك الذي ينخر فيه الضعف، وتفصح عن مأساوية الحياة التي تحياها أمة محمد، فيصل صوت الحمامة إلى الأمة مشوباً بتقرير مؤدّاه استحالة عودة الصفحة المشرقة الممزوجة بالعزة والفخار إذا بقي الوضع على ما هو عليه:

"فلـن تحرس الغار الجديد حمامــة ولا مـن خيوط العنكبوت لــه ســترُ

أيا أمة في الغـــار تبغي حمايـــة من الطير معذور إذا خانك الطيـر

وجبريـل يأتي الغـــار كـل عشية ويذهب والغافون في الغار لم يدروا

ويا من أمرتِ الناس بالصبـر إنني أرى الصبر لا يفنى وقد فني العمر"[١]

يعرّي المشهد السابق الحقيقة التي آل إليها المسلمون اليوم، فالحمامة والعنكبوت اللتان كانتا مصدر حماية الغريبين في الغار أضحتا تستنكران الواقع الأليم ملقيتين باللائمة على الأمة نفسها التي تخاذلت وضعفت في دينها ورضيت بهذا الهوان، لذلك فهي لا تستحق منهما حماية، كما أن الغار الذي كان بالأمس موضع أمن وحراسة، أضحى اليوم مصدر ضيق وسجن أليم يغشي الأمة بأسره القاهر، وجبريل

---

(١) تميم البرغوثي، **في القدس**، ص٥٩.

الذي كان مصدر أمل ورجاء بغد مشرق، أضحى اليوم مفقوداً في حاضر الأمة، وكأنَّ خيط المدد الإلهيّ قد انصرم وانقطع، فلم تعد تلك العلاقة الحميمة التي يستمد منها الإنسان المعاصر مصدر قوته وثباته.

إنَّ حدث الهجرة النبوية الذي وظفه النصّ التميمي يتضمن بحد ذاته قيمة مهمة إذ إنها كانت "تلبية لوازع الإيمان وبحثاً عن أرض صالحة للعمل، والتماساً لأسباب العزة والكرامة، فهي أثر واضح من آثار الإيمان الصادق، وثمرة من ثمار الحرص على العقيدة"[١]، ولأجل ذلك كانت كل من الحمامة والعنكبوت وسيلتين منّ الله بهما على المسلمين لشدّ أزرهم وتثبيتهم في دينهم، ليعودوا إلى أرضهم التي سُلبت منهم، وفيهم نور الحق ورمز الشموخ، يعودون فاتحين حاملين رسالة الحق، وهي رسالة كذلك إلى أجيال المسلمين اللاحقة ليتلمسوا خطى سلفهم الصالح الذي أكره على مغادرة وطنه، ليعود من جديد ملتئماً شمله، متطهراً من العار الذي لحق به، وهي الرسالة التي دعا فيها تميم أمته للنهوض من جديد:

"يا أمتي ارتبكي قليلاً، إنه أمر طبيعي

وقومي

إنه أمر طبيعي"[٢]

وتلك هي ومضة الأمل التي يُشيعها الاقتباس السابق ليبعث النداء إلى الجماعة طاقات كامنة من الإصرار لم تنفد بعد؛ فالصحوة وإن كانت مرتبكة متخلخلة في صفوف الأمة إلا أنها فاتحة خير وبشرى ستجد طريقها التي أضاعته في المستقبل القريب.

---

(١) محمد ذياب أبو صالح، **الهجرة النبوية، دروس وعبر**، الاعتصام للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، فلسطين الخليل، ١٩٩٤م، ص٧٩

(٢) تميم البرغوثي، **في القدس**، ص٦١.

من جانب آخر، يستدعي تميم حادثة الإسراء والمعراج، وهي إحدى المعجزات التي منّ الله بها على سيدنا محمد، عليه السلام، وكان لها أكبر الأثر في ترسيخ العقيدة الإسلامية في نفوس المسلمين الذين ازدادوا اطمئناناً وثقة بحامل الرسالة والرسالة نفسها، فما ساورهم الشك في مشاهدات الرسول الكريم، ولم تدخل فيهم الحيرة في تأكيد وصول دعواتهم وأمانيهم لربّ العزة والجلال، وهذا عينه ما نراه مبثوثاً في صفحات الديوان، إذ استمدّ النصّ الشعري فكرة وصول الدعاء والاطمئنان بالإجابة باعثاً في نفوس المسلمين أملاً بازغاً نحو تحقيق المنى مع صمود الدعوة، وثبات الموقف:

"هنالك يمشي الدعاء

كمن يعرف الدرب، مشيا عزيزا

من الأرض حتى السماء

كأن المسافة بينهما مستطاعة"[١]

في هذا المشهد النصيّ تأكيد لفكرة بثّ الأمل بالخلاص، وتفنيد لأي صعوبة أو تحدّ من شأنها أن تدخل القلق في قلوب أبناء فلسطين خاصة، والأمة العربية عامة، فإذا كانت تلك الحادثة بما صاحبها من مشاهد ومعجزات استطاعت أن تقوّي من نزعة الإيمان، وتثبت نداء الإسلام في قلوب المسلمين، فإنّ أمل النصر والحرية مغروس في أبناء هذا الوطن، ودعاؤهم في كل صلاة وفي كل أوان لا يمكن أن ينقطع؛ لأن المسافة أصبحت سهلة، وممكنة، بين الأرض ممثلة بتلك الأيادي الفتية، والقلوب الصابرة، والسماء ممثلة بعدالة الإله، وسماعه الدعوة خالصة من أي زيف، عارية من كل ما يشوبها من ملذات الحياة المادية، وفتنة السلطة والبغي، وعليه، فإنّ أمل الاستجابة قريب وتحقيق المنشود مؤكّد.

---

(١) تميم البرغوثي، **في القدس**، ص١٤.

لم تكن رحلة الإسراء والمعراج جسداً وروحاً بقدر ما هي "رحلة لمكنون علم الله في قلب الرسول الأعظم –صلى الله عليه وسلم– عبر رحلة الاستخلاف في الأرض من لدن آدم حتى آخر رسول سبقه، ولتلتقي في مضمونها عين البصيرة في الأرض بعين الحقيقة في السماء"(١)، وهي كذلك تأصيل جذري لفكرة الوجود التي جسّدتها قصص الأنبياء والمرسلين، الأمر الذي جعل النص التميمي يستدعي هذه الفكرة في قصيدة "قبّلي ما بين عينينا اعتذاراً يا سماء"، مخاطباً السماء التي صعد إليها الرسول الكريم، باثّاً خطابه النصي في شخصية محمد –عليه السلام– ومن سبقه من الأنبياء الذين أمَّهُم في المسجد الأقصى، فكان معه موسى، وعيسى، وإبراهيم، وإسماعيل، فيؤلف في حضورهم كلهم رسالة موحّدة تجمع أصوات الرسل والأنبياء كافة، وفي طيّاتها بوح بعظم الأمر، وفداحة الخطب الذي تردّى إليه المسلمون اليوم:

"يا سماء

أبلغي في ليلة الإسراء من بالمسجد الأقصى يُصلي

من نبيّ أو إمام

اسمعوا يا من عليهم صلوات الله سرب من حمام

وأذان في الأعالي يتردّد

بينكم من كلّم الله جهارا

والذي لم يَصْلَ نارا

والذي عن أمره عمّرت الجنان دارا"(٢)

---

(١) عصام يوسف، **الإسراء والمعراج المعجزة الكبرى**، دار مشارق للنشر والتوزيع، ط١، طالبية فيصل، ٢٠٠٨م، ص٦٦.

(٢) تميم البرغوثي، **في القدس**، ص١٠٤.

فيبدو هذا الصوت الخفيّ الذي استمد من حوادث الأنبياء مضمراً في كلمات النص الشعري، ليظهر الفرق الواضح بين همم هؤلاء الصالحين لنقاء سريرتهم وصمودهم إزاء أي مشكلة تواجههم بالمعجزة الربانية، وبين الصوت الآخر الذي يرفعه النص عالياً متحدثاً عن نفسه بضمير الأنا ليثبت على نفسه تهمة الخضوع، وضياع القيم، والتخلي عن المبادئ، وموت الضمائر:

"اسمعوا منا الكلام:

اعذرونا لو دخلنا في صفوف الخاشعين

بالتوابيت وبالأعلام فوضى!

نحن لسنا أولياء أو عباداً صالحين

غير أنا لم نجئكم مدّعين

كي ننال المجد في شركتكم هذا المقام"(١)

فيتقاطع هنا صوتان: صوت خفيّ استدعاه النص الشعري من قصة حادثة الإسراء والمعراج، وصوت ظاهر جليّ أُسقط على ألسنة الأمة التي تعاني واقعها اليوم، وما بين السماء والأرض يصطخب الصوتان، وتلتقي المتناقضات في صوت ماضويّ مشرق مقرّه السماء، وصوت واقعي مؤلم يقطنه سكان الأرض، فلا تظهر نتيجته إلا بكلمة اعتذار يختتمها النص الشعري للسماء الجليلة، وارتداد الصوت الثاني إلى فضائه الدنيويّ ورحلته الذاتية التي قدّر لأهل الأرض أن يحيوها في إطارهم الخاص، وحدودهم التي رُسمت لهم.

وفي موضع آخر من الديوان، يُكتفى بذكر لفظة الرسول الكريم، أو التصريح باسمه (محمد)؛ مستوحياً من مقومات شخصيته قوة وعزيمة يعوض بها الواقع

---

(١) تميم البرغوثي، **في القدس**، ص١٠٤-١٠٥.

المتردي الذي تعيشه الأمة، فقد استحضر تميم في قصيدته الموسومة بـ: "تخميس على قدر أهل العزم" رمزية اسم سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، فيقول:

"فيــا مُرْبِك الأيــام كهلاً ويافعــا ويــا غازلاً ضحك الوليد شـرائعا

محمـد أدركنا إذا كنــت ســامعا إذا كان ما تنويه فعلاً مضارعا"[١]

وفي موضع آخر من القصيدة يُشار إلى الرسول الكريم ومعاناته في سبيل الدعوة:

"وإن أُمّر العبدُ استطال بفُجره وكان رسول الله يكوى بجمـره

ولكنه ما كلّ عن حرب دهـره وإن فجعته بابنه وابن صهره"[٢]

فالخطاب الموجه لسيدنا محمد عليه الصلاة والسلام في المقتبس الأول فيه إلحاح أكيد من الشاعر على استنجاده بالرسول في عصر تكالبت فيه المحن على بيت المقدس، وتواترت الخطوب، والأسلوب التقريري الذي أفصح عنه المقتبس الثاني في حديثه عن الرسول الكريم يجسد دلالة واضحة على بث الحمية في نفوس الأبناء، حيث جعل من قصة الرسول واحتماله العنت دليلاً دامغاً على مواصلة الجهاد وعدم الخنوع للقوى الباغية، وفي كلتا الحالين، تبدو شخصية الرسول بوصفه نموذجاً دينياً مهماً في تاريخ الأمة الإسلامية حاملاً مقومات الشخصية الإنسانية المتكاملة التي ما فتئت تبث العزيمة والروح المعنوية العالية في نفوس كل من اقتدى بها، وسار على نهجها.

---

(١) تميم البرغوثي، **في القدس**، ص١١٤.

(٢) السابق، ص١١٨.

ثانياً: عيسى عليه السلام الفداء والخلاص

تُعدّ شخصية عيسى –عليه السلام– من الشخصيات التي تكرر استدعاؤها في الديوان، فكان حضورها بارزاً في غير قصيدة من قصائده، فقد استلهم الشاعر منها معاني الفداء الخلاص والأمل المرتقب؛ لتكون له قاعدة أساسية يبني عليها رموزه ومقاصده في الواقع الذي يعيشه. وقد حظيت فكرة الصلب باهتمام واضح في ذهن الشاعر، ومعلوم أنَّ قصة صلب المسيح تفجّر عن طريق الشعر طاقات إيحائية من الصبر والصمود، ومقاومة الغزاة للمحافظة على دعوة الدين التي حملت في طياتها فكرة الخلاص للإنسانية جمعاء.

يستحضر نص الديوان في القصيدة الموسومة بـ: "الجليل" لفظة الصليب الذي يحمله الطفل الناصريّ؛ ليشير إلى تلك المعاناة التي ينهض بها الفتيان واستماتتهم في الدفاع عن أرضهم، يقول:

"وجليل هو الولد الناصريّ الذي يرتقي كلّ يوم صليباً

فيحمله، لا أحدد من منهما يحمل الآن صاحبه،

ويسير إلى القدس مستشهداً حافياً

ويحسبه الناس جغرافيا"(١)

يربط النص التميمي السابق بين حادثة انتفاضة الشعب الفلسطيني ورمزية الصليب الذي حمله السيد المسيح، ليشكل من تلك العلاقة وحدة لا تنفصل عراها حول مصداقية الانتفاضة، من حيث أهدافها ووسائلها المشروعة في مواجهتها للقوى المتسلطة التي ما فتئت تقتل الروح المعنوية لأبنائها الثوار، فكما أنّ المسيح الذي

---

(١) تميم البرغوثي، **في القدس**، ص١٧.

صُلب أمام مرأى العالم من أجل دعوة الدين الذي نادى بها أبناء أمته يشكل رمزاً مهماً لقدرة الإنسان على الدفاع عن أرضه، حتى لو لقي في سبيل ذلك صلبه، فإن ثوار الانتفاضة الذين حملوا أرواحهم بين أكفهم، يشكلون رمزاً قوياً للإصرار على تحرير الأرض والدفاع عنها بما أوتوا من أسلحة ووسائل، وهذا الربط الواضح بين حادثة الانتفاضة وحادثة الصلب تتسامى في مدلولاتها وإيحاءاتها المكثفة لتتجاوز المساحة الجغرافية لمدينة الجليل، وترتقي بمدى أوسع، وروح عالية تطاول عنان السماء.

وبدا تأثر الشاعر بالإنجيل واضحاً أيّما وضوح عندما استدعى حادثة الصلب، والاضطهاد الذي لقيه المسيح جرّاء ذلك، فيكرر تلك الحادثة في موضع آخر من الديوان، معتمداً على قصة الصلب مع تحوير في دلالاتها الأصلية:

"لم نكن ندعو لدين أو إمامة

أو كتاب يزعج الكهّان يوم السبت

لم نطرد من الهيكل تجّار الفضيلة

نحن كنا ليلة الصلب ندقّ الكفّ فوق الكفّ

ما زدنا على ذلك شيّا

نحن من صاح عليه الديك ألفاً

لم نقل للروم حرفاً

وبكينا في مسيح الله إلفاً

لا نبيّاً

غير أنا في بطون الأسد بتنا

لم نحد عن دينه حين امتُحنا

وعرفنا دقة المسمار في الكفين مثله

ثم لا نطلب أن يأتي إلينا ملك

يخرجنا من ظلمة القبر بهالات الضياء"[١]

تتكاثف في المقتبس السابق دلالات الموروث الديني التي استمدّها الشاعر من الإنجيل؛ إذ يشير إلى حادثة الدعوة التي نهض بها المسيح ضد حكم القيصر الروماني، فيجده القارئ يُثير القلق والفوضى في صفوف الكهنة الذين يتعبدون يوم السبت، ليلهيهم عن عباداتهم، كما أنه أشار إلى حادثة طرد التجار من الهيكل التي وردت في الإنجيل: "واقترب عيد الفصح عند اليهود، فصعد يسوع إلى أورشليم، ورأى في الهيكل باعة البقر والغنم والحَمام، والصّيارفة جالسين إلى مناضدهم، فجدل سوطاً من حبال وطردهم كلهم من الهيكل مع الغنم والبقر، وبعثر نقود الصيارفة وقلب مناضدهم، وقال لباعة الحَمام: ارفعوا هذا من هنا، ولا تجعلوا من بيت أبي بيتاً للتجارة"[٢]. وبهذا الفعل يكون المسيح قد أثار بلبلة الكهان والتجار بإزعاجهم وطردهم من الهيكل؛ ذلك لأنهم حوّلوا الهيكل إلى مكان تُباع فيه السلع، والأولى أن يكون مكان عبادة وتقديس.

ويمضي المقتبس السابق إلى استدعاء حادثة اتفاق الكهّان على المسيح، وخيانتهم له من قبل يهوذا الإسخريوطي الذي فاوض بدوره رؤساء الكهنة كي يسلّم

---

(١) تميم البرغوثي، **في القدس**، ص١٠٢-١٠٣.

(٢) **الكتاب المقدس العهد الجديد**، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، النشرة الرابعة، بيروت لبنان، ص١٢٩

المسيح لهم مقابل مبلغ من المال يُدفع له: "فدخل الشيطان في يهوذا الملقب بالإسخريوطي، وهو من التلاميذ الاثني عشر، فذهب وفاوض رؤساء الكهنة وقادة حرس الهيكل كيف يسلمه إليهم، ففرحوا واتفقوا أن يعطوه شيئاً من المال، فرضي وأخذ يترقب الفرصة ليسلمه إليهم بالخفية عن الشعب"(١).

ويدرك بعدها المسيح باقتراب أجله، وإحساسه بالخيانة التي قوبل بها من لدن أحد تلاميذه، فيخبر تلاميذه بأنهم سينكرونه، وسيتخلون عنه، فطمأنه أحد تلامذته –وهو بطرس– بأنه لن يتخلى عنه، فاستلهم حادثة صياح الديك الذي يؤكد من خلالها إنكار تلامذته له قبل أن يتمم الديك صياحه: "وبعد قليل جاء الحاضرون وقالوا لبطرس: لا شك أنك أنت أيضاً واحد منهم، فلهجتك تدلّ عليك، فأخذ يلعن ويحلف أنا لا أعرف هذا الرجل، فصاح الديك في الحال، فتذكر بطرس قول يسوع: قبل أن يصيح الديك تنكرني ثلاث مرات، فخرج وبكى بكاءً مراً"(٢).

وتتعاظم تلك الحوادث التي ساقها الإنجيل ليصور بعدها المقتبس حادثة صلب المسيح، وإحكام دقّ المسامير على كفيه، ليشهد صلبه جمع كبير من الناس يضم الكهنة والتلاميذ، وينهي المقتبس حادثة الصلب بالقيامة التي أعقبت ظهور المسيح من قبره، مستلهماً من الإنجيل تفاصيل الحادثة وجزئياتها ومشيراً إليها بلفظ قيامة المسيح: "وجئن عند فجر الأحد إلى القبر، وهنّ يحملن الطيب الذي هيّأنه، فوجدن الحجر مدحرجاً عن القبر، فدخلن، فما وجدن جسد الرب يسوع، وبينما هنّ في حيرة، ظهر لهنّ رجلان عليهما ثياب برّاقة... فقال لهنّ الرجلان: لماذا تطلبن الحيّ بين الأموات؟ ما هو هنا، بل قام"(٣).

---

(١) **الكتاب المقدس العهد الجديد**، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، النشرة الرابعة، بيروت لبنان، ص١١٨–١١٩.

(٢) السابق، ص٤٧

(٣) السابق، ص١٢٣.

لقد استمدّ النصّ التميميّ حادثة الصلب التي تعرّض لها المسيح كما وردت في الإنجيل، وجعلها الإناء الذي يفرغ فيه رموزه في الحديث عن الشعب الفلسطيني، والقضية الفلسطينية، فوظف ضمير المتكلم الجمعي (نحن) للحديث عن الشعب الذي ما فتئ يعلن حقه، بل تمسكه بتلك الأرض وبراءته من أيّ ذنب ألحق به اعتماداً على قصة الصلب الإنجيلية، فالشعب الفلسطيني لم يطرد التجار من الهيكل كما فعل المسيح، وهو كذلك لم يناصب العدو العداء ومطالبتهم بحقهم في الأرض كما فعل المسيح عندما هاجم سلطة الروم القيصري وألّب عليه الناس، والشعب كذلك لم ينكر وجود العنصر اليهودي في أرض فلسطين قديماً كما أنكر بطرس المسيح قبل صياح الديك ثلاثاً، ومع كل ذلك يتعرّض الشعب الفلسطيني للتعذيب والصلب والقتل في جرائم لم يرتكبها، فكأنَّ حادثة الصلب التي ألحّ عليها النصّ التميمي هنا هي البؤرة النصية التي جعل منها الشاعر رمز المعاناة والاضطهاد الذي يتعرّض له الشعب الفلسطيني ومأساته التي يعيشها.

ويوظف النص التميميّ كذلك حادثة الصلب في القصيدة الموسومة بـ: "ابن مريم"، إذ صوّر تلك الحادثة بأسلوب خطابي موجّه إلى الأمة العربية التي رمز إليها بـ(مريم)، والمناضل الفلسطيني الذي رمز إليه بـ(المسيح)، وهذا الخطاب يحمل فكرة إقرار العنف الذي لحق بالإنسان الفلسطيني الذي يناضل من أجل الحرية، وفيه كذلك دعوة إلى الأمة العربية لتنهض من سباتها وتدرأ الظلم عن نفسها:

"لقد صلبوه فماذا بربك تنتظرين

لقد صلبوه وليس مسيحا ولا ابن إله

ولم يصلبوه لدعوى ودين

ويا أمّه لم يكن يبرئ الصمّ والبكم والعمي

وما رفّ من بين كفّيه طير

ولم يتحدّ المُرائين والكهنة

ولم يأته في لياليه روح أمين

فماذا بربّك تنتظرين"[١]

يستلهم الشاعر حادثة الصلب ليسقطها على واقع الشعب الفلسطيني، دالّاً بضمير الغائب على ذلك المناضل الذي شُرّد عن بلاده دونما جرم ارتكبه، فكانت أحداث الموروث الديني التي نهلها من الإنجيل والقرآن معيناً له ليعمق مأساة الإنسان الفلسطيني بسلبه أبسط حقوقه، محوّراً الكثير من تلك الدلالات وفق ما تقتضيه طبيعة الموقف، وتفصيل ذلك في ما يأتي:

– الإنسان الفلسطيني وتعذيبه واضطهاده دون دعوة منه، في مقابل المسيح وتعذيبه واضطهاده بدعوة منه ورسالة جاء بها، في استدعاء إنجيليّ لحادثة الصّلب.

– الإنسان الفلسطيني لم يحمل المعجزات والآيات العظيمة، في مقابل المسيح الذي حمل المعجزات الإلهية ليثبت صدق نبوّته، وهو استدعاء قرآني من قوله تعالى: **﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾** آل عمران: ٤٩.

– الإنسان الفلسطيني لم يتحدّ أحداً، في مقابل المسيح الذي تحدّى سلطة الرومان ورؤساء الكهنة، وهو استدعاء من الإنجيل.

وبدهيّ، أنَّ ربط خطاب المسيح النصيّ بأمه مريم من خلال العنوان الذي كشف

---

(١) تميم البرغوثي، **في القدس**، ص٩٣.

عن رمزية هذه العلاقة يوحي بعمق الدلالة وارتباط الدم والروح بين الإنسان الفلسطيني وأمته العربية التي نشأ منها، فكان هذا التوظيف الرمزي بمثابة شكل فنيّ أسّس فيه النصّ التميمي معناه الرمزيّ الذي يظل مستتراً في رحم النص الشعري على مستوى البناء العميق، ثم توزع مفرداته في المستوى السطحي من خلال العبارات والتراكيب الموحية، وبين اللفظ والمعنى ينشأ التأويل الذي يستفزّ القارئ استفزازاً داعياً أن "تنشط فيه ملكة القراءة والفهم والتأويل، وبذلك يطول أمد التلقي، فلا يتمّ استهلاك النصّ بسرعة، فطاقته التأويلية وقدرته على تخصيب المعاني... هي التي تشجع القارئ على المضيّ على دروب الكشف ومعاناة الفهم"(١).

فتأسيس المعنى الذي يريده المبدع من نصّه لا يظهر في حقيقة دلالته إلا بعمق الرؤية وإعمال الذهن لتقديمه مجرّداً من أي تحوير من شأنه أن يزيد من كمون المعنى خلف شريط الحوادث والإشارات التي يستدعيها من هذا الموروث.

ويوظف النصّ التميمي فكرة الخلاص والانتظار التي يأتي بها المسيح من الموروث الإنجيلي، فيلحّ على تلك الفكرة في القصيدة الموسومة بـ: "يا هيبة العرش الخليّ من الملوك"، حيث إنّ الخلاص سيكون بعد انتظار طويل تتبدى فيها قوى الشر والجبروت، وتطغى على الضعفاء، فيأتي الخلاص ومضة أمل يستقيها الشاعر من عودة المسيح ليحارب قوى الظلم وأهل السيادة والحكم:

"يا أيّها الأمل الحقيقيّ الذي

تركوك مصلوباً بقارعة الطريق

ومرّ عنك الناس لم يتأمّلوك

---

(١) الهادي العيادي، **الكتاب المقدس في المنجز الشعري العربي الحديث**، دار سحر للنشر، تونس، ٢٠٠٧م، ص٣١.

يا أيها الطفل الذي من بيت لحم

لا تظنّ بأنهم يبغون عودتك الجليلة ها هنا

والله لو علموا بأنك قادم حقّا

لخاضوا ألف حرب مُرّة

ليؤجّلوك

حتى إذا ما جئت تسألهم

عن العرش الذي قد كان عرشك

بعدما جلسوا عليه يا كريم الوجه فاعلم

أن جُلّ القوم لن يتحمّلوك"(١)

وظف البرغوثي فكرة الخلاص التي نادى بها المسيح، ووعد شعبه بالانتقام من قوى الشر والظلم ليحرّره من أسر الغاشم، والإلحاح هنا على سلطة الملوك التي دلل عليها بكلمة العرش ليشير إلى عنصر القوة والحكام الذين يستولون على خيرات الشعب وآماله، فاستدعى هذه الرسالة من الإنجيل الذي أكَّد من خلاله الشاعر فكرته تلك: "وختاماً أقول تقوّوا في الربّ، وفي قدرته العظيمة، تسلحوا بسلاح الله الكامل لتقدروا أن تقاوموا مكايد إبليس، فنحن لا نحارب أعداء من لحم ودم، بل أصحاب الرئاسة والسلطان والسيادة على هذا العالم، عالم الظلام والأرواح الشريرة في الأجواء السماوية"(٢).

---

(١) تميم البرغوثي، **في القدس**، ص٣٥.

(٢) **الكتاب المقدس العهد الجديد**، ص٢٦٤

وبتلك القوة التي جاء بها المسيح مُخلصاً البشرية من عذاب القهر، وجور الطغاة، تنهض مقاومة أخرى من قوى الشر التي تقطن الأرض فتخوض الحرب تلو الحرب لتمنع المسيح من عودته، وتناهض ثورته بكل ما أوتيت من قوة وجبروت.

ورمزية الخلاص التي أشار إليها النص تحمل دلالات السلطة التي يطمح أن يحدد الشاعر معالمها في واقعه الراهن الذي يعيشه وتعيشه أمته، سلطة تحمل معها مقوّمات العدل لتنعم ربوع الأرض بالخير والمحبة والسلام، ولذا جعل العنوان يتضمن دلالة السلطة الفارغة من الملوك ذوي الهيبة والسلطان، والمنوطة بهم الآمال ليخلصوا الأمة العربية من ليل الظلم الذي يحيط بها، فالأمة الآن في مرحلة انتظار لمن يستحق أن يحمل رسالتها خير قيام، ويخلصها من سيطرة المحتل الصهيوني.

ثالثاً: آدم عليه السلام ومحاكمة إبليس

ويوظف تميم البرغوثي من قصة سيدنا آدم ما يتناسب مع فكره السياسي الرافض للواقع الراهن؛ فيتخذ منها خلفية (Back ground) لنصه الشعري "أنا لي سماء كالسماء" بغية تحقيق رؤيته التي يدعو من خلالها إلى إعادة ترتيب الأحداث الحاضرة، يقول:

"فما تاريخنا إلا مرافعة أمام الله

والشيطان ليس كما توقعناه في قفص الإدانة واقفاً، لكن ممثل الادّعاء

ويحضِّر الناس الأدلة، والشهود ليثبتوا منها جدارة آدم بالسجدة الأولى،

تراهم يعرضون حوادث التاريخ مثل التاجر الشامي

يعرض ما لديه من حرير لم يفصله بكل حماسة"[١]

---

(١) تميم البرغوثي، **في القدس**، ص٢٣

يحوّر تميم الصورة المتعارف عليها عن إبليس وآدم؛ ذلك أن ما جاء في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ**﴾ البقرة: ٣٤، وما جاء في قصص الأنبياء يؤكد أن "إبليس كان من الجن فلما أفسدوا في الأرض بعث الله إليه جنداً من الملائكة فقتلوهم، وأجلوهم إلى جزائر البحار، وكان إبليس ممن أُسِر فأخذوه معهم إلى السماء فكان هناك، فلما أُمِرت الملائكة بالسجود امتنع إبليس منه"[١]، لكن النص التميمي هنا يفاجئ القارئ بتحويره أحداث القصة الحقيقية، فيُظهر إبليساً خارج قفص الاتهام الذي أشارت إليه قصة آدم في عبارة "ممن أُسِر"، بل ويركز على أنه هنا قد ظهر ممثلاً للادعاء، وصاحب حق مشروع لشيء لم يكن من حقه أصلاً، وهذا يعني أنَّ إبليسَ في أرض الواقع الراهن ليس إلا معادلاً رمزياً لصورة العدو المحتل الذي يحاول أن يدعي أمام تلك المرافعة بجدارته، واستحقاقه لملكية هذا الوطن السليب، وهذه الصورة المحوّرة للخلفية الدينية التي استند عليها البرغوثي قدمت بنية نصية منتجة دلالياً معتمدة على الواقع الذي يعيشه الشاعر، وتتجلى هذه الخلفية النصية على شكل "بنيات نصية يستوعبها النص، ويوظفها في سعيه إلى إنتاج الدلالة. إنها تبرز لتعزيز ما يرمي إليه الكاتب إمّا عن طريق معارضته إياها، أو نقده لها، أو استلهامها"[٢]، وهذا التفاعل النصي مع النص المرجعي أبرز فكرة جديدة في دلالة النص الجديد، فكأنّ المرافعة هنا بين الشعب الفلسطيني المتهم الذي أخذ الأرض في حين إنها له أصلاً، وبين العدو الذي يؤكد استحقاقه لأرض ليست له؛ فيأتي كسر التوقع ليفاجئ المتلقي بغير ما هو معروف لديه.

---

(١) الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، **قصص الأنبياء**، تحقيق: علي عبدالحميد أبو الخير ومحمد وهبي سليمان ومعروف مصطفى زريق، دار الخير للطباعة والنشر والتوزيع، ط٨، دمشق، ١٩٩٨م، ص١٩

(٢) سعيد يقطين، **انفتاح النص الروائي (النص–السياق)**، المركز الثقافي العربي، ط١، بيروت، ١٩٨٩، ص٣٣.

وفي مقطع آخر من القصيدة ذاتها، يعود تميم البرغوثي لتكرار لفظة آدم ليقرر من خلالها حقوق الشعب الفلسطيني بأرضه كحقوق آدم بالتكريم، ذلك أن التكرار هنا يساعد في ترسيخ الفكرة التي تحلق في فضاء الشاعر الفكري، وتسهم بإظهار رؤيته تجاه فكرة التكريم لبني البشر وتفضيلهم على إبليس، فالتكرارُ، بوصفه عاملاً فاعلاً في القصيدة، يؤدي إلى خلق ترابط بين الأبيات الشعرية:

"فأعيد تركيب البرية وفق رغباتي وإيماني

وأصبح آدم الثاني

أسمي كل غزو علة كالبرد

يأتي برؤها منها"(١)

وهنا تتكرر لفظة آدم لتؤدي دوراً فاعلاً في تماسك القصيدة، وبث روح التفاؤل فيها، وليبث تميم من خلالها فكرة إلحاحه على إصلاح الواقع، ورد الحق لصاحبه الحقيقي، وكأنه هنا يستلهم من فكرة آدم وجدارته بالسجدة الأولى –تكريماً له– فكرة رد الحقوق لأصحابها، مسقطاً ذلك على الواقع ليثبت حقوق الشعب الفلسطيني بأرضه منذ الأزل، بوصفه صاحب هذا الوطن الحقيقي.

وأما في المرة الثالثة، فإن تكرار لفظة آدم في القصيدة، تبث نبرة يقين عن الواقع وما فيه، يقول:

"فإن الحاكمين لهم يدان فقط، وأكثر ظلمهم، ظلم من المحكوم للمحكوم

بل إني أقول بأنه من عهد آدم لم يكن بين البرايا حاكم أبداً"(٢).

---

(١) تميم البرغوثي، **في القدس**، ص٢٤

(٢) السابق، ص٢٤.

يتجلى فكر الشاعر في الشاهد السابق بوضوح؛ مؤكداً بكل ثقة استحقاقية الشعب الفلسطيني لأرضه المغتصبة، مؤكداً أنها له منذ بدء الخليقة، وأن هذا الحق للشعب الفلسطيني لا يمكن إنكاره على مر العصور، حتى لو تكالبت عليه ظروف الظلم والقهر من قبل الحكام الذين وقفوا كالتماثيل التي لا روح فيها ولا عزيمة إزاء قضية نابضة بالحياة، تنتظر من أبنائها أن تخلصها من أسرها وقهرها المكبوت. فيضعنا البرغوثي أمام لوحة شعرية نابضة بالتفاؤل، وإصرار عجيب على التشبث بالحق الذي مهما طال به الأمد لا بد من عودته لأصحابه الأصليين. فيأتي توظيف الشاعر لآدم هنا بغية التركيز على فكرة النشأة الأولى التي بدأت به، إذ يوازيها في الواقع حق الشعب الفلسطيني بأرضه منذ الأزل، ملحّاً على تجذرهم في المكان رغم اغتصابه منهم، فكما عُرفت بداية الخلق بوجود سيدنا آدم، كذلك الأمر بوجود أرض فلسطين الذي اقترن لا محالة بوجود الشعب الفلسطيني، وصراع آدم مع إبليس ليس إلا تجسيداً للصراع بين الشعب الفلسطيني والعدو الغاصب لأرضه.

رابعاً: نوح عليه السلام وحادثة الطوفان

ويرصد الشاعر البرغوثي في قصيدته الموسومة بـ: "لا شيء جذرياً" بعضاً من ملامح قصة سيدنا نوح معتمداً في ذلك على تقنية التحوير في الأحداث؛ بغية إسقاط بعضٍ من ملامحها على الواقع الفلسطيني ومعاناته مع العدو الإسرائيلي، حيث يقول:

"لا شيء جذريّاً
يواصل الحمام كذبه على أسطول نوح
ويواصل الغراب تحذيره
وتواصل السفن رحلتها من محيط لمحيط
أصبح الطوفان روتينيّاً
كالمذهب في الموشح
وكذلك النجاة"(١)

---

(١) تميم البرغوثي، **في القدس**، ص٥١.

تعتمد قصة سيدنا نوح على فكرة النجاة ارتكازاً على بعض العناصر المساعدة؛ من مثل الغراب والحمام، لكن تميماً هنا حوّر في النص الشعري وجعل للحمام والغراب موقفاً مغايراً عمّا كان عليه في قصة النبي وأحداثها الحقيقية؛ فالقصة تروي أنه قد "حدث من بعد أربعين يوماً أن نوحاً فتح طاقة السفينة التي كان قد صنعها وأرسل الغراب، فخرج متردّداً حتى جفت المياه، ثم أرسل الحمامة من عنده ليرى هل قلت المياه عن وجه الأرض فلم تجد الحمامة مقراً لرجلها فرجعت إليه في الفلك لأن مياه الطوفان كانت على وجه الأرض كلها، فمدَّ يده وأخذها، وأدخلها إلى الفلك، فلبث أيضاً سبعة أيام أخر، وعاد فأرسل الحمامة من الفلك فأتت إليه الحمامة عند المساء، وإذا ورقة زيتون خضراء في فمها، فعلم نوح أنَّ المياه قد غاضت عن الأرض، فلبث أيضاً سبعة أيام أخر، وأرسل الحمامة، فلم ترجع إليه أيضاً"[١]

لكن النص الشعري يبيّن كذب الحمام على نوح؛ فلا سلام في المكان، والحقائق مزوّرة لا صدق فيها. فقد جعل الحمام هنا ممثلاً للعدو الإسرائيلي الذي يواصل هو الآخر ادعاءاته الكاذبة في تحقيق السلام والأمان الوهميّيْن، بينما يجيء الغراب عاملاً سياسيّاً آخر محذراً من مساوئ حقيقة السلام المزعومة. فيتخذ النص الشعري هنا موقفاً مخالفاً تماماً لما عهدته القصة الحقيقية لسيدنا نوح عليه السلام، وهذا التوليف بين الموروث الديني والنص الجديد تتمخض عنه مقاصد جديدة لم يكن لها أن تتشكل إلا باتكائها على الموروث الديني؛ ذلك أنَّ التفاعل بين النصوص السابقة في النص الجديد يعني "ممارسات دلالية متماسكة تتجاور وتتصارع فيه لتكون في نهاية المطاف ممارسة دالّة جديدة تنطوي على معانٍ ودلالات ما كان لها أن تنطوي عليها لولا تلك النصوص السابقة"[٢]. وهذا التغلغل الفكري في حاضر النص الشعري

---

(١) **الكتاب المقدس كتاب العهد القديم والعهد الجديد**، جمعية التوراة الأمريكية- جمعية التوراة البريطانية والأجنبية، القاهرة، ١٩٣٨م، ص١٣.

(٢) عبد النبي اصطيف، "**خيط التراث في نسيج الشعر العربي الحديث مدخل تناصي**"، **فصول**، مج١٥، ع٢، ١٩٩٦م، ص١٩٢.

أعان الشاعر على إثبات فكرة انعدام السلام مع العدو، والإلحاح على فكرة إنكار السلام المزيف مستفيداً من قصة الحمامة والغراب.

وفي نص شعري آخر، يعود الشاعر ثانية –بنبرة التفاؤل– مجدداً عهده في أبيات ديوانه إذ يقول في قصيدته الموسومة بـ: "أسطول نوح":

"حمام البروج يصلي عليك

تعلمه الجود يا ابن النبي

تناوله بيمينك قمحاً رطيباً

فيأخذه ويطير جنوباً

ولا يأكل الحَب

بل هو ينثره في الجبال"[١]

في المشهد الشعري السابق يُسقَط تميم المعنى الحقيقي للقصة المتعلقة بسيّدنا نوح عليه السلام، ولا يحوّر في خصائصها بل يجعل لها كياناً شعريّاً متكاملاً؛ فالحمام هنا تضمن معنى إيجابيّاً، ووسيلة للعون كما هو في القصة الحقيقية؛ فقد ألبسه الشاعر الرمز الحقيقي لمعاني السلام والأمان والمساعدة، فجاءت الدلالة هنا إيجابية تخلو من أي تحوير فيها، بل وتتضمن تفاؤلاً غير منقطع النظير، وكأنَّ الرسالة التي أداها نوح مع قومه، باشتمالها على خلاصهم من العذاب والهلاك، ومنحهم الأمن والطمأنينة، وثقتهم به التي أوصلتهم لبر الأمان، قد أسقطها الشاعر على الواقع العربي فخصَّ بها السيد حسن نصر الله[٢]، الذي اعتبره تميم رمز ثقة وقوة آمن به الناس، ووثقوا، بوصفه طوق نجاة، ومخلصاً لهم مما هم عليه من واقع مرير أيضاً، فنقل الشاعر خلجاته الشعورية إلى متلقيه، من خلال المعنى الإيجابي الذي تضمنته قصة

---

(١) عبد النبي اصطيف، "**خيط التراث في نسيج الشعر العربي الحديث مدخل تناصي**"، **فصول**، مج١٥، ع٢، ١٩٩٦م، ص٨٣.

(٢) ينظر السابق، ص٨٣، حيث أردف تميم عنوان القصيدة بإهداء إلى السيد حسن نصر الله.

سيدنا نوح عليه السلام، محاولاً إبراز الدلالة الإيجابية التي تضمَّنتها القصة الحقيقية.

وفي موضع آخر من القصيدة يؤكد الشاعر فكرة الخلاص بربطها بقصة الطوفان التي تضمنتها أحداث قصة سيدنا نوح عليه السلام مشيراً لها في قوله:

"تصلي عليك البحار إذا التأمت بعد سفر الخروج

فقد مرّ جمع الغزاة إلى التيه

والله يجمع شمل المياه

يعانق كل غريب من الموج أسرته

وأكاليل من زبد البحر طارت

تسبح من جمَّع الغرباء لديك

مياه البحار تصلي عليك"(١)

يتخذ الشاعر من قصة سيدنا نوح عليه السلام بعضاً من ملامح شخصيته الداعية للأمن والسلام ويحاول من خلالها تأكيد فكرة الخلاص بعد العذاب، ممثلاً ذلك بالطوفان الذي سبق الاستقرار والأمان، فكما حقق نوح الأمن والخلاص والسلام واستطاع لمّ شمل كل من اتبعه، كذلك هو حسن نصر الله في نظر تميم البرغوثي، فيظهر هنا كيف استعان بالموروث الديني المتمثل بالأنبياء ليسقطه على الحاضر الراهن المعيش ويلصقه بشخصية حاضرة تتمثل في فكره أولاً، وشعره ثانياً، مغلفاً ذلك بشيء من التفاؤل، فبعد الطوفان جاء الخلاص، وكذلك الأمر في مواجهة العدو التي مهما طالت سيكون النصر آخر مطافها.

وهكذا، فإن الشاعر استطاع أن يراوح بين فكرتي التحوير وتقديم الفكرة كما هي للنص ذاته، بغية دمج القارئ في ذلك النص الذي استلهمه مبدعه من واقعه، مدغماً إياه بشحنات شعورية ما انفكت تتوارى بين نبراته الشعرية.

---

(١) عبد النبي اصطيف، "**خيط التراث في نسيج الشعر العربي الحديث مدخل تناصي**"، **فصول**، مج١٥، ع٢، ١٩٩٦م، ص٨٤-٨٥.

خامساً: إسماعيل عليه السلام بين المعاناة والنجاة

ويوظف الشاعر قصّة سيدنا إسماعيل كاملة ويسردها على متلقيه بمعانٍ مكثفة ومختزلة، من خلال قصيدته الموسومة بـ: "نثر موزون، وشعر منثور في حديث الكساء ووحدة الأمة العربية". وكعادة الشاعر المعاصر الذي يستقطب المعنى المجرد ليقابله بالمعنى الذهني، محاولاً المواءمة بين الفكر المجرد والثقافة الراهنة التي يعيشها، فقد جاء التوظيف "أبلغ في التشخيص لأنه يعمّق مدارك الصورة عن طريق نقلها إلى نفسية المتلقي، إذ يدركها بفعالية عميقة"(١)، وهذا يعني أنَّ مستوى الإدراك أصبح مشتركاً بين المتلقي والمبدع في النص الشعري الذي يتيح توسعة الأفق الإدراكية للمتلقي نفسه، وإسقاطها على النص ذاته.

وفي سبيل تجسير الفجوة بين النص الشعري والمتلقي، يطرح الشاعر فكرته مستنداً على الموروث الديني، إذ يقول:

"يا كساء النبي ارتفع راية عالية

لبني الجارية

فلا ماء يخرج من تحت أقدامهم

لا ولا وفد يأتي إليهم

وإن أخذوا ليضحى بهم

لا فداء لهم يتنزل من جنة ما

ولا بيت تعلو قواعده فوقهم

فيجيء الحجيج إليهم بفاكهة الأربع النائية

يا كساء النبي ارتفع راية عالية

---

(١) عبدالقادر فيدوح، **الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي دراسة**، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ط١، دمشق، ١٩٩٢م، ص٣٢٥.

لبني الجارية"[١]

يقدّم الشاعر لقصيدته تلك بنص نثريّ يبيّن فيه دلالة توظيف كساء النبي التي جعلها متقاربة مع فكره الشخصي، مازجاً بين الأحداث التاريخية التي طابقت في دلالاتها مستجدات العصر الحاضر. يقول في معرض حديثه عن الكساء وعن الفئة التي أُدخِلت في إطاره من منظور الشاعر: "أقول بأني سأدخل فيه الذين أبوا أن يذلوا لغازٍ أتاهم، وأُخرِج منه الذين على العكس منهم أباحوا لحاهم، فمن ردَّ كيد اليهود عن المسلمين بلبنان عندي سيدخل تحت الكساء، ومن ردَّ كيد التحالف عن شارع في العراق سيدخل تحت الكساء"[٢]، فكأن الشاعر يلحُّ على فكرة التحالف بين الأمة العربية من غير تدخل عناصر أجنبية خارجة عن إطاره، وهي الرؤية المثالية التي تبلورت في ذهنه، وسعى جاهداً إلى تحقيقها على أرض الواقع.

ويفاجأ القارئ –باستقراء الديوان– بمدى المفارقة بين الرؤية المثالية التي تشكلت في ذهن الشاعر والحقيقة المؤلمة التي يرزح تحتها العرب؛ إذ اتكأ تميم في نصه السابق على الفكر الإنجيلي في مَعرِض حديثه عن الجارية وبنيها؛ ليؤكد من خلالها سخريته المريرة من الواقع العربي، وكأنه هنا يؤصل حقيقة العرب التي جاءت مبثوثة في ثنايا صفحات الإنجيل إذ جاء فيه: "كان لإبراهيم إبنان، أحدهما من الجارية والآخر من الحرة... وفي ذلك رمز، لأن هاتين المرأتين تمثلان العهدين، فإحداهما هاجر من جبل سيناء تلد للعبودية... أما أورشليم السماوية فحرة وهي أمنا"[٣]. وهذا يعني أنَّ تأكيد فكرة الطبقية ووجود السيد والعبد موجودة منذ القدم عند اليهود والنصارى وحدهم، وهي ذاتها الفكرة التي استحضرها تميم في نصه السابق ليعلن مدى التردي الذي أصاب العرب وجعلهم مستسلمين لواقعهم المقيت، دون أدنى محاولة منهم لتغييره.

---

(١) تميم البرغوثي، **في القدس**، ص٤٣.

(٢) السابق، ص٣٨.

(٣) **الكتاب المقدس العهد الجديد**، ص٢٥٦.

يستند الشاعر في قصيدته على الموروث الديني، فتجيء الأحداث مختزلة من خلال سرده لما مر به النبي إسماعيل عليه السلام، وكأنه هنا يسخر من واقعه الذي لم يحمل من عراقته وتاريخه إلا الاسم، بل إنه يشفق عليه؛ لأنه لم يعد يحمل من ذلك الإرث الديني إلا بعض ملامح منه، فيحاول متوسلاً بفكرة كساء النبي الكريم، أن يخلع على الواقع بعض صفات القداسة التي تتلخص بفكرة الخلاص، فهو يتمنى تغيير الحال، فالحاضر الراهن لم يعد ينتظر عصر المعجزات تلك، ولم يعد يرجو إلا رحمة واسعة من رب العباد ممثلة بكساء النبي الكريم الذي يرفع عنهم الألم ويبث في نفوسهم الراحة والطمأنينة، فيسلط الشاعر الضوء على الأحداث التي مر بها سيدنا إسماعيل؛ من تفجير لماء زمزم الذي يرمز به للمساندة، والمواساة، وتقديم العون لأهل المقاومة، إلى حادثة الكبش التي يرمز بها للفداء والتضحية، وتمثلت بجعل أهل المقاومة كبشاً للمستعمر، إلى بناء الكعبة الذي يعني الواقع العربي الذي يتجلى في التقاعس، والانفضاض من حول المقاومة، تاركاً إياها تواجه مصيرها منفردة، وانتهاءً بالحج ووجود الحجيج ممثلاً بتقديم المعاونة التي باتت مفقودة أيام المقاومة أيضاً، فيبين من خلالها أن واقعه لم يتغير، ولم تتحقق المعجزات التي تنزلت على الرسل منذ القدم، فلن تحدث من أجل الأمة المتفرقة أي معجزة كما هي الحال في عصر النبوءات، فيقدم البرغوثي نصه الشعري ممزوجاً بالتحسر والسخرية على واقعه الحاضر.

الخاتمة:

وبعد هذه الجولة في ديوان تميم البرغوثي، يمكن الإشارة إلى النتائج الآتية:

- يظهر لقارئ الديوان سعة اطلاع الشاعر البرغوثي على الموروث الديني، الذي استلهم منه قصص الأنبياء عليهم السلام، وتضمينه لها في قصائده الشعرية وجعلها متكأً لسبر أغوار فكره، وقضية شعبه الماثلة بالقضية الفلسطينية خاصة، والأمة العربية الإسلامية عامة.
- راوح تميم في استدعائه لشخصيات الأنبياء بين التقيد بالنص تارة، والتحوير تارة أخرى، جاعلاً منه في الحالين رمزاً دالّاً على قضية أراد إقناع القارئ بها، ونبراساً يضيء فكر المتلقي خلال تطوافه بالديوان.
- نوّع تميم في الأساليب الفنية التي ساق من خلالها قصص الأنبياء، فكان منها: الأسلوب الحواري الذي شهده القارئ في حوار الحمامة والعنكبوت، وبدهي أن هذا النوع من الأساليب يسهم في استعادة الحدث الذي استدعاه كحدث الهجرة النبوية وتشبيهه بالأحداث التي واكبت القضية الفلسطينية، والأسلوب السردي القصصي، وهو أسلوب أظهر فيه جزئيات القصة الدينية ليدمج الأحداث بالوصف الدقيق للواقع الراهن الذي يعيشه الشعب الفلسطيني.
- جاءت ألفاظ الشاعر البرغوثي متأثرة تأثراً واضحاً بالكتب السماوية الثلاث: القرآن الكريم، والإنجيل، والتوراة، مع تفاوت في هذا التأثر بحسب الرؤية التي أراد الشاعر توضيحها في نصوصه الشعرية فكان للقرآن الكريم والإنجيل (العهد الجديد) نصيب الأسد في هذا التأثر، بينما اقتصر الاستدعاء من التوراة (العهد القديم) على قصة سيدنا نوح عليه السلام.

ثبت المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم.**

- اصطيف، عبد النبي، "**خيط التراث في نسيج الشعر العربي الحديث مدخل تناصي**"، **فصول**، مج١٥، ع٢، ١٩٩٦م.

- البرغوثي، تميم، **في القدس**، دار الشروق، ط٢، مصر، ٢٠١٥.

- الجيار، مدحت، **الشاعر والتراث دراسة في علاقة الشاعر العربي بالتراث**، دار الوفاء للطباعة والنشر، ط١، مصر-الإسكندرية.

- زايد، علي عشري، **استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر**، الشركة العامة للنشر والتوزيع، ط١، طرابلس، ١٩٧٨.

- سالم، السيد عبدالعزيز، **تاريخ الدولة العربية_تاريخ العرب منذ عصر الجاهلية حتى سقوط الدولة الأموية**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٦م.

- أبو صالح، محمد ذياب، **الهجرة النبوية، دروس وعبر**، الاعتصام للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، فلسطين-الخليل، ١٩٩٤م.

- علي، أحمد يوسف، **التراث ونقد الشعر**، دار النديم للنشر والتوزيع، ط١، ١٩٨٨م.

- العيادي، الهادي، **الكتاب المقدس في المنجز الشعري العربي الحديث**، دار سحر للنشر، تونس، ٢٠٠٧م.

- فيدوح، عبدالقادر، **الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي دراسة**، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ط١، دمشق، ١٩٩٢م.

- الكبيسي، طراد **التراث العربي كمصدر في نظرية المعرفة والإبداع في الشعر العربي الحديث**، منشورات دار الثقافة والفنون، ط١، بغداد، ١٩٧٨.

- **الكتاب المقدس العهد الجديد**، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، النشرة الرابعة، بيروت لبنان.

- **الكتاب المقدس كتاب العهد القديم والعهد الجديد**، جمعية التوراة الأمريكية – جمعية التوراة البريطانية والأجنبية، القاهرة، ١٩٣٨م.

- ابن كثير، الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل القرشي الدمشقي، **قصص الأنبياء**، تحقيق: علي عبدالحميد أبو الخير ومحمد وهبي سليمان ومعروف مصطفى زريق، دار الخير للطباعة والنشر والتوزيع، ط٨، دمشق، ١٩٩٨م.

- مفتاح، محمد، **تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)**، المركز الثقافي العربي، ط٤، الدار البيضاء، المغرب، ٢٠٠٥.

- يقطين، سعيد، **انفتاح النص الروائي (النص– السياق)**، المركز الثقافي العربي، ط١، بيروت، ١٩٨٩.

- يقطين، سعيد، **الكلام والخبر مقدمة للسرد العربي**، المركز الثقافي العربي، ط١، الدار البيضاء، ١٩٩٧.

- يوسف، عصام، **الإسراء والمعراج المعجزة الكبرى**، دار مشارق للنشر والتوزيع، ط١، طالبية فيصل، مصر، ٢٠٠٨م.

References:

- Holy Qura'an
- Isteef, Abdul Al-Nabi, "Heritage Thread in the Fabric of Modern Arabic Poetry", Fosool, Vol.15, issue2, 1996.
- Al-Barghouthi, Tameem, In Jerusalem, Dar Al-Shourouq, 2nd ed, Egypt, 2015.
- Al-Jayyar, Medhat, The poet and the heritage study in the relationship of the Arab poet with the heritage, Dar Al-Wafa'a, 1st edition, Egypt-Alexandria.
- Zayed, Ali Ashri, Calling heritage Characteristics in contemporary Arabic poetry, Al-Shareka Al-Amah, 1st edition, Tripoli, 1978.
- Salem, AL-Sayed Abdul Al-Azeez, History of the Arab State - History of the Arabs since the era before Islam until the fall of the Umayyad State, Dar Al-Nahda, Beirut, 1986.
- Abu Saleh, Mohammad Theyab, The Prophetic Migration, Lessons and tuition, Al-Etesam for publishing, 1st edition, Palestine-Hebron, 1994.
- Ali, Ahmad Yousef, Heritage and Poetry Criticism, Dar Al-Nadeem for publishing, 1st edition, 1988.
- Al-Eyadi, Al-Hadi, The Bible in Modern Arabic Poetry, Dar Sahar for publishing, Tunisia, 2007.
- Feedouh, Abdel Qader, The Psychological Trend in Criticizing Arabic Poetry

Study, Publications of the Arab Writers Union, 1st edition, Damascus, 1992.

- Al-Kabesi, Tarad, The Arab Heritage as a Source in the Theory of Knowledge and Creativity in Modern Arabic Poetry, Publications of the House of Culture and Arts, 1st edition, Baghdad, 1978.
- The New Testament Bible, Dar Al-Ketab in the Middle East, 4th edition, Beirut-Lebanon.
- The Bible the book of the Old Testament and the New Testament, American Torah Society, British and Foreign Torah Society, Cairo, 1938.
- Ibin Katheer, Al-Hafeth Imad Al-Deen Abi Al-Feda'a Ismail Al-Qurashi Al-Demashqi, Prophets' Stories, ed. Ali Abdul Al-Hameed Abu Al-Khair and Mohammad Wahbi Suliman and Ma'roof Mustafa Zureiq, Dar Al-Kheer for publishing, 8th edition, Damascus, 1998.
- Muftah, Mohammad, Poetic Discourse Analysis (Intertextuality Strategy), The Arab Cultural Center, 4th edition, Dar Al-Bayda'a, Morocco, 2005.
- Yaqteen, Saed, The Openness of Narrative Text (text-context), The Arab Cultural Center, 1st edition, Beirut, 1989.
- Yaqteen, Saed, The Speech and the Tale is an introduction to the Arab Narrative, The Arab Cultural Center, 1st edition, Casablanca, 1997.
- Yousef, Esam, Al-Esraa w Al-Mearaj The Great Miracle, Dar Mashareq for publishing, 1st edition, Talbyt Faisal, Egypt, 2008.

دِلالةُ الحَمَامِ في شعرِ المعرّي

إبراهيم مصطفى الدهون[١]

مُلخّص

تَعكفُ هذهِ الدِّراسةُ على تبيان جمالية دِلالة الحَمَام في شعرِ المعرّي، الذي غدا الحَمَامُ عندَهُ وسيلةً مهمّةً من وسائل تعبير النّفس الإنسانيّة عمّا يتحرّكُ في دخيلتِهَا من؛ مثيرات الحزن واللوعة، والشَّوق والحنين والشّجون التي تبدّت بأشكال متنوعة.

ونظراً إلى أنَّ الحَمَامَ عُدَّ حَقلاً دلالياً غنياً في شعرِ المعرّي، فقد عُنيتُ بدراسةِ توظيفات ملفوظاته ومتعلقاته وتحليلِها، صوتاً ومظهراً وسلوكاً، ورمزاً، وتصريحاً بما يهدفُ إعادة قراءة شعر المعرّي انطلاقاً من كونه موضوعاً أكثر تواشجاً مع النّفسِ البشريّةِ، وأقرب التّصاقاً بالوجدانِ الإنساني، متكئاً في ذلك كلّه على شعرِهِ المبثوث في ديوانيه: سقط الزَّند، واللّزومِيَّات. ويجلي الدَّارس في هذه الدراسة مبحثينِ اثنينِ، هما:

١- الحَمَامُ مثيرٌ للبكاءِ والحزنِ والحنينِ إلى الأوطانِ.

٢- الحَمَامُ مَدْعاةٌ للذكريات والشّوقِ إلى الحبيبِ والأحبةِ والأهلِ.

الكلماتُ الدالةُ: المعرّي، الحَمَامُ، الحزن، الشّوق، الزَّند، اللّزومِيَّات.

---

(١) أستاذ مساعد–قسم اللغة العربية وآدابها– الجامعة الهاشمية–الزرقاء.

The indication of the pigeons bird Almarry's pomes

Done by: Ibrahim Mustafa Aldhoon

Assistant professor

Department of Arabic Language and literature

The Hashemite university- zarga'a- Jordan.

Ibrahimdhoon@yahoo.com

Summary:

The objective of this study is to denote the beauty of the " pigeons" in Almarry's pomes, THE pigeons were an important means of expressing about What was inside of a human soul such as grief , sadness, longing, yearning and a lot of emotions that a human may not be able to express.

So, The focus of my interested was the study of the effect of" pigeons pronunciations" in Almarry's pomes, what it's significances and does it's voice affect the human feeling and emotion ? depend on poet's works like " Allozumyat" and" sagt alzand".

1- The pigeons is an thrilling of sadness and longing to the homelands.

2- The pigeons reminds us of darling and parents.

Keywords: pigeons, sadness, longing , Allozumyat, alzand.

نبذة عن حياة المعرّي:

هو أحمد بن عبدالله بن سليمان بن محمّد بن سليمان بن أحمد بن سليمان بن داوود بن المطهر بن زياد بن ربيعة بن قضاعة التنوخي المعرّي، والتنوخي نسبة إلى تنوخ، وهم قبائل اجتمعتْ وتحالفتْ واستقرَّتْ بهم الحال بالبحرين[١].

وُلِدَ المعرّي في عام (٣٦٣هـ) في مدينةِ المعرّة بالشَّام[٢]. وكنّاه والدُهُ بأبي العلاءِ، غير أنَّه كره اسمَهُ عندما عرف نفسَهُ، فرأى من الكذبِ اشتقاق اسمه من الحمدِ وإنَّما ينبغي أن يشتق من الذَّمِ، وجُدّر في أوَّل عمره، فُعمّي من الجدري، ففرضت عليه هذه العاصفة جداراً منيعاً نحو الحياةِ، فاشتغل بالعلمِ طوال حياته، وسَاعده على ذلك ذكاءٌ حادٌ، وملاحظةٌ دقيقةٌ، واستنباطٌ بارعٌ، وذاكرةٌ قويةٌ[٣].

والمتصفحُ لحياةِ المعرّي يقف على عوامل عديدة تعهدتْ في تنميةِ شخصيته وإنضاج موهبته، وساعدتْ على تحريك قرائحه الأدبيّة والفكريّة، بل يبدو أنَّه في معظمِ إبداعاته معلِّماً للإنسان. فمن هذه العواملِ أنَّه خَرجَ من بيت رياسة وعلم وفضل. وتفنن ياقوت في رسمِ لوحة العلم والسّمو للمعرّي في قوله: "كَانَ في آبائهِ وأعمامه ومن تقدمه من أهله وتأخر عنهما من ولد أبيه ونسله فضل وقضاة وشعراء"[٤].

---

(١) أبو العبّاس شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان (ت٦٨١هـــ، ١٢٨٢م)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان**، ٧ج، تحقيق د. إحسان عبّاس، دار الثّقافة، بيروت، د.ت، ج١، ص١١٣.

(٢) كمال الدين بن عبدالرحمن محمّد بن القاسم الأنباري (ت٥٧٧هـ، ١١٨١م)، **نزهة الألباء في طبقات الأدباء**،١م، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٨م، ص١١٩.

(٣) للاستزادة انظر: صلاح الدين خليل الصّفدي (ت٧٦٤هـ، ١٣٦٢م)، **الوافي بالوفيات**، ٢٩ج، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ٢٠٠٠م، ج١، ص٢٧٥.

(٤) ياقوت بن عبدالله الحموي (ت٦٢٦هـــ، ١٢٢٩م)، **معجم الأدباء، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب**، ٧ج، تحقيق د. إحسان عبّاس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٣م، ج٢، ص١٠٨.

وطوّفَ في بلادٍ مختلفةٍ طلباً للعلمِ، وطمعاً في الاطلاعِ على مدن شامية، فزارَ حلب وأنطاكية واللاذقية وطرابلس(١)، ثُمَّ حطّتْ ركائبه في بغداد سنة ونصف السّنة رغبةً بالنهلِ من خزائنها الوفيرة، والممتلئة بالأسفارِ والمخطوطات.

ذكرَ المؤرخونَ والباحثونَ أسماءَ مؤلفات غير قليلة للمعرّي في تواليفهم، وبطون كتبهم، فقسم وصلَ إلينا اسماً ومحتوى، وقسم آخر لم يصل منه إلا الاسم دون المحتوى، فمن عناوين تلك التّصانيف:

١- ديوان سقط الزّند مع الدرعيات. ٢- ديوان اللّزوميّات. ٣- ضوء السقط.

٤- زجر النابح. ٥- الفصول والغايات. ٦- رسالة الغفران، ورسائل أخرى...(٢).

لَزِمَ أبو العلاء في أواخر حياته بيته معتزلاً النَّاس، وظلَّ على هذه الحال نحو أربعين عاماً إلى أن اعتلَّ في أواخر حياته، فلبثَ ثلاثة أيام مريضاً، ثمَّ مَاتَ سنة تسع وأربعين وأربعمائة للهجرة.

الدّراسات السَّابقة:

اعتنَى الباحثونَ بشؤونِ الطيرِ بالحَمَامِ، تعريفاً ونوعاً، ودلالةً، ورمزاً، فنالَ إعجابهم، واحتلَّ مكانةً مرموقةً في دراساتهم، لا تقلّ قيمة عن غيرِهَا من الدّراساتِ التي تناولتِ الطير.

غير أننا إذا نظرنا في البحوثِ الأدبيّةِ، والدّراسات النّقديّة التي وقفتْ عندَ

---

(١) محمّد سليم الجندي، **الجامعُ في أخبارِ أبي العلاء المَعَرّي وآثاره**، ٣ج، علّق عليه: عبدالهادي هاشم، مطبوعات المَجْمَع العلميّ العربيّ، دمشق، ١٩٦٢م، ج١، ص١٨٨.

(٢) ياقوت الحموي (ت٦٢٦هـ، ١٢٢٩م)، **معجم الأدباء**، ج٢، ص١٤٧.

الحَمَامِ، لا نجد إلا تواليف وبحوثاً غير كثيرة أسهمتْ في كشفِ دلالات الحَمَام ورمزه في الشِّعرِ العربي مع التّأكيدِ على أنَّ معظمَهَا جاءَ عابراً، أو عامّاً[1]. وفي حدودِ اطلاع الباحث على مَا كتبه الدّارسونَ عن الطيرِ لا نقرأ بحثاً مستقلاً عن الحَمَامِ عند شَاعرٍ بعينه، ولا يقتصر الأمر على هذا الحدِّ، بل يتعدّى إلى أنَّ قِسماً كبيراً منها اكتفى بالتّحليلِ دون اعتبارها ظواهر فنّيّة وأسلوبيّة، وصفها الشّاعرُ بطريقةٍ إبداعيّةٍ تتطلب ثقافة وعمقاً واسعينِ.

وعلى هذا، فإنَّ للحَمَامِ أبعاداً دلاليّةً، ومعاني متوارية تحملُ الدَّارس مع الوقوفِ عليها من خلال الكشفِ عن ستار النّصوص الشّعريّة والغوص في أغوارِ الأساليب الفنّيّة التي استندَ عليها الشَّاعرُ واتّخذها أداةً للتعبيرِ عن مرامٍ يقصدُها أو أهداف يتغياها.

الحمام لغة:

والحَمَامُ في اللّغةِ: الواحدة حَمَامة، وهي لفظ يطلقُ على الذَّكرِ والأنثى[2]، والجمع حَمَامٌ، وحمائم، وحمامات[3]. ويذكرُ الأصمعي أنَّ الحَمَامَ يطلقُ على كلِّ

---

(١) انظر: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت٢٥٥هـ، ٨٦٩م)، **كتاب الحيوان**، ٨ج، تحقيق عبدالسَّلام هارون، دار إحياء التُّراث العربي، ط٣، القاهرة، ١٩٦٩م، ج٣، ص١٩٥، وسليمان سليم البوّاب، **غرائب الحيوان**، دار الحكمة، دمشق، ١٩٨٤م، ص٤٥، وعلي إبراهيم أبو زيد، **الحَمَامُ في الشِّعر العربي**، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٦م، ص٥٦، وعبدالقادر الرّباعي، **الطير في الشِّعرِ الجاهلي**، المؤسسة العربيّة للدراسات والنّشر، ط٢، بيروت، ١٩٩٧م، ص٤٣. وكامل الجبوريّ، **الطير ودلالاته في البِنْية الفنّيّة والموضوعيّة للشِّعر العربي قبل الإسلام**، دار الينابيع، دمشق، ٢٠١٠م، ص٢٣٩.

(٢) جمال الدِّين بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري (ت٧١١هـ، ١٣١١م)، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، ١٩٥٦م، مادة: (حمم).

(٣) أبو الحسن علي بن إسماعيل الأندلسي ابن سيده (ت٤٥٨هـ، ١٠٦٦م)، **المُخصَّص**، ٥ج، تقديم خليل إبراهيم جفّال، تحقيق مكتب التَّحقيق بدارِ إحياء التُّراث العربي، دار إحياء التُّراث العربي، ط١، بيروت، ١٩٩٦م، ج١٦، ص١٠٧.

ذات طوق، كالفواخت والقماري وأمثالها، ونقلَ أبو عبيدة عن الكسائي أنَّ الحَمَام هو البري الذي لا يألف البيوت، وأنَّ اليَمَامَ هو الذي يألف البيوتَ[١].

الحمام اصطلاحاً:

ومِن الملاحظِ أنَّ الكسائي يميّزُ بين نوعينِ مِن الحَمَامِ، منه مَا يعيشُ بعيداً عَنْ أنظارِ الإنسانِ في البَرِّ، والفيافي، وقسم آخر يدجّنه الإنسان، وربما يفضل أن يشاطره البيت، والقوت.

وَقَدْ جَاءَ في الحيوانِ للجاحظِ عَن صاحبِ الحَمَامِ قوله: "وكلُّ طائر يُعرف بالزّواجِ وبحسن الصّوت، والهديل، والدُّعاء، والتّرجيع فهو حَمَامٌ، وإن خالف بعضُه بعضاً في بعضِ الصّوت واللّون، وفي بعضِ القدّ ولحن الهديل، والقُمريّ حَمَام، والفاختة حَمَام، والورشان حَمَام، والشّفنين حَمَام، وكذلك الحَمَام واليعقوب، وضروب أخرى كلّها حَمَام، ومفاخرها التي فيها ترجع إلى الحَمَامِ التي لا تعرف إلا بهذا الاسمِ"[٢].

وليس غريباً أنْ نلمحَ هذهِ الأسماءَ تتردد عندَ العربِ، وتحتلّ مساحةً كبيرةً من أشعارِهم؛ لتعبّرَ عن خلجات نفوسهم، وما تعتمل به من حنين ودفقات شعوريّة.

لقد كَثُرَ ذكر الحمام عند الشُّعراء، ولم يكتفوا في حديثِهم أن جعلوه اسماً حاضراً في نصوصِهم لامتلاكه رمزاً دلاليّاً، فقد أصبحَ صوتُهُ يمثل نقطة التقاء وسياقاً

---

(١) أبو العبّاس أحمد بن علي الفزاري القلقشندي (ت٨٢١هـ، ١٤١٨م)، **صبح الأعشى في كتابةِ الإنشا**، ١٤ج، دار الكتب المصريّة، القاهرة، ١٩٢٢م، ج٢، ص٩٦.

(٢) الجاحظ، **كتاب الحيوان**، ج٢، ص١٤٤. وانظر: محمّد بن محمّد بن عبدالرزاق المرتضى الزّبيدي (ت١٢٠٥هـ، ١٧٩١م)، **تاج العروس من جواهرِ القاموس**، ٤٠ج، تحقيق عبدالعليم الطحاوي، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، ١٩٨٤م، مادة: (رَعَبَ)، وقد جَاءَ في معنى الراعبية: الحَمَامة التي ترعب في صوتها ترعيباً. والشّفنين: ضرب من الحَمَامِ حسن الصّوت. والفقيع: ضرب من الحَمَامِ أبيض. والدّبّاس: ضرب من الحَمَامِ الوحشي.

عبورياً ملائماً لما تمتلئ به صدورهم من جذوةِ الأشواق، ولوعة الحنين، وحرارة الجوى، وألم الفراق، وبهاء الأمن واستقرار الذّات، بالإضافةِ إلى أنَّهم وجدوا في صوتِهِ حقلاً من الدّلالاتِ استطاعوا من خلالها بلورة مفاهيمهم وفلسفتهم في الحياةِ. لذلك لا غرو أن نجدَ ذكر أصوات الحَمَام في شعرِنا القديم، نحو: السَّجع والهديل، والهدير، والهدهدة[١].

والمعرّي واحدٌ من الشُّعراءِ الذين توكؤوا عَلَى الحَمَامِ –اسماً وصوتاً– وأكثر من توظيفه واستخدامه في نصوصهِ الشّعريّة؛ لينفذ من خلالها إلى مَا تختلجُ به ذاته من شعورٍ وأحاسيس مختلفة. ولعلَّ كلامَ طه حسين يؤكد هذا من خلال قوله: "ما أظن أحداً فهم عن ذوات الأطواق مثل ما فهم عنها المعري، وما أظن أحداً رحمها من عدوان النَّاس، وعدوان سباع الطير وعدوان حوادث الأيام كما رحمها!"[٢].

ويلاحظُ أنَّ للحَمَامِ في نصوص المعرّي حضوراً لافتاً للانتباه، إذ لم يكن توظيفه أمراً عارضاً، أو نزوة عجلى أرادَ منها حشد المفردات واكتمال الصّورة فحسب، بل نلمس أنَّ استدعاء الحَمَام في سياقاتها كانتْ من العناصرِ المساهمة في رسمِ جماليّة الصّورة الدَّالة على مَا يرمي إليه أو مَا يصبو للتّعبيرِ عنه لا سيما نسيج الإطار التّشاؤمي الذي أحاطَ بسياق شعره عامّة واللّزوميَّات على وجه الخصوص.

واقتضت سلامة الدِّراسة أنْ نتناولَ دلالة الحَمَام في شعرِ المعرّي ونجعله في قسمينِ اثنينِ، هما:

---

(١) انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة: (سَجَعَ، وهَدَلَ، وهَدَرَ، وهَدْهَدَ). فالسَّجع: موالاة صوت الحَمَام على طريقٍ واحد. والهَدِيل: صوت الحَمَامِ، وقيل ذَكَر الحَمَامِ، أو فرخ الحَمَامِ، فقد كَانَ عَلَى عهد نوح عليه السَّلام، ضَاعَ عطشاً، فارتبط الهديلُ به؛ ليعبّر عن البكاءِ والحزنِ والأسف والفقد. وهَدْهَدَةُ الحَمَامِ: إذا سمعت هديره، والهَديرُ: صوتُ الحَمَامِ كلّه.

(٢) طه حسين، **مع أبي العلاء في سجنه**، دار المعارف، ط١٤، القاهرة، ١٩٨٩م، ص٣٠.

٣- الحَمَامُ مثيرٌ للبكاءِ والحزنِ والحنينِ إلى الأوطانِ.

٤- الحَمَامُ مَدْعاةٌ للذكريات والشّوق إلى الحبيبِ والأحبةِ والأهلِ.

١- الحَمَامُ مثيرٌ للبكاءِ والحزنِ والحنينِ إلى الأوطان.

وجدَ المعرّي في الحَمَامِ مجالاً خصباً لأفكارِهِ، فبثَّ من خلاله أحزانَه الحارّةَ، وأطلقَ زفراته الملتهبة، وآلامه المريرة، فكلما ذكر الحَمَام في شعرِهِ ازدادتْ نفسه أسى وحرقة، وبدت لغته مصبوغة بمظاهرِ التّحسرِ والتّفجعِ، وغدت دموعه همولاً، وذلك لما في الحَمَامِ من مدلولات الأحزان والفراق والبعد، وارتباطها "بأسطورةٍ قديمةٍ تزعم أنَّ أبا الحَمَامِ في عهدِ نوح، واسمه الهديل، صاده جارحٌ من جوارحِ الطيرِ، فكلُّ غناء الحَمَام حتّى اليوم ليس إلا بكاء عليه، لهذا السّبب أطلقَ العربُ على صوت الحَمَام هديلاً"[(١)]. ومن شدة تعلق الإنسان بالحمام ربطته بعض المورثات الدّينيّة بالسّلام، وذلك من خلال استذكارِ أنَّ الحَمَامةَ كانت ممسكة بمنقارِهَا غصناً من الزيتونِ في عهدِ نوح عليه السَّلام، فظلَّ سَمْتُ السَّلام والأمن ملاحقاً لَهَا إلى وقتنا الحاضر[(٢)].

ولعلَّ الرَّحلةَ البعيدةَ التي كانَ يقومُ بها الحَمَامُ بعيداً عن رفاقهِ، من الأسبابِ التي سَاعدتْ على اقتران ذكر الحَمَام عند الشُّعراءِ بالآلامِ والتّباريحِ والبكاءِ والدّموع، فأطلقوا على هديله وترجيعه الحزين بكاءً ونواحاً، خاصّة عندما يكون منفرداً على غصنِ شجرة[(٣)].

---

(١) يوسف خليف، **في الشِّعرِ العبّاسي؛ نحو منهج جديد**، دار قُباء للطباعة، القاهرة، د.ت، ص١٦٨.

(٢) أبو القاسم الحسين بن محمّد بن المفضّل المعروف بالرَّاغِب الأَصْفَهَاني (ت٥٠٢هـ، ١١٠٨م)، **محاضرات الأدباء ومحاورات الشُّعراء**، ٥ج، تحقيق رياض عبدالحميد مراد، دار صادر، ط١، بيروت، ٢٠٠٤م، ج٤، ص٧٣٨.

(٣) أنور عليان أبو سويلم، **الطبيعةُ في شعر العصر العبّاسي الأوّل**، دار العلوم للطباعة والنَّشر، الرّياض، ١٩٨٣م، ص١٩٢.

اتّخذَ المعرّي الحَمَامَ متنفساً لمشاعرِهِ الدَّفينة، وأحاسيسه العميقة نحو الحياةِ، فهو يرى أنَّ صوتَ الحَمَائم ليس غناءً أو سروراً تردده لتنتشي وتطير فرحاً؛ وإنَّما في رؤيته مَا هو إلا ندب وعويل وتلظي على هذا الواقعِ المعيش، وإثارة للأشجانِ والدّفقات الشّعوريّة الممزوجة بالأسى، فاستدعاؤه للحَمَامِ تعبيرٌ عن الجانبِ الحزينِ من جوانب حياته، وتجلّى مثل هذا في قوله[١]:

لعمــرُكَ مَـــا بِي نُجْعــةٌ فأرومُهَــا وإني على طولِ الزَّمانِ لَمُجْدِبُ[٢]

حملتُ عَلَى الأوْلَى الحَمَامَ فَلَمْ أقُلْ: يُغَنّي، ولكنْ قُلتُ: يَبْكِي ويَنْدُبُ[٣]

وذلــك أنَّ الحادِثـــــاتِ كثيـــرةٌ وغالِبُهُـــنَّ الفَــظُّ لا المُتَحــدِّبُ[٤]

يستحضرُ المعرّي هنا صوتَ الحَمَامِ؛ ليعبّرَ عن غربته النّفسيّةِ، ومَا يقاسيه من ويلات وهموم إذْ بَاتَ واضحاً أنَّ صورةَ الحَمَامِ تمثيلٌ لمعاناته في الانفصالِ بينه وبينَ المجتمعِ، ومَا يؤكد انفصاله حثّه على التّفرّدِ والانعزالِ عن النّاسِ في أكثر من موضع بشعره.

ويجسّدُ أبو العلاء المعرّي الأبعادَ السّلبيّةَ لسجعِ الحَمَام، فقد ارتبطَ بسياقاتِ الفقدِ والآلام والأحزان، ولشدّة لصوق الأحداث بالعنفِ والقسوةِ على الإنسانِ، سَاقه إلى أنْ يحوّلَ هديلَ الحَمَامِ إلى بكاءٍ وندبٍ، بالإضافةِ إلى أن تكثيف الشّاعر لصوت الحَمَام الشّجي في النَّصِّ السّابقِ، يكشف عن رغبةٍ ملحةٍ في نفسهِ، يَهدفُ من ورائها

---

(١) أحمد بن عبدالله بن سليمان أبي العلاء المعرّي (ت٤٤٩هـــــ، ١٠٥٧م)، **ديوان اللّزوميّات**، ٢ج، تحقيق أمين عبدالعزيز الخانجي، مكتبة القاهرة، القاهرة، ١٩٢٤م، ج١، ص٧١.

(٢) النُّجعة: طلب المرعى للمواشي. مجدب: محروم.

(٣) الأوْلَى: الأجدر والأحرى.

(٤) الفظ: القاسي. المتحدِّب: حدبَ عليه يحدب حدباً إذ عطف عليه، المُتعطِّف، الرَّقيق.

إبراز توحده الذي يقيه الاختلاط المفسد للأفكارِ والرُّؤى؛ لأنّه يرى في العزلةِ راحةً نفسيّةً، واستجماماً للذاتِ الشَّاعرةِ، فنراه يقولُ[1]:

فِي الوَحْدَةِ الرَّاحَةُ العُظْمَى، فأَحْيِ بِهَا   قَلْباً، وفي الكَوْنِ بيـنَ النَّاسِ أثْقَـالُ[2]

ويمضي أبو العلاءِ المعرّي على نهجِ الشُّعراءِ فيستدعي نوحَ الحَمَامِ ليقترن عندَهُ البكاء والدّموع بمرثيته الإنسانيّة[3]، التي يرثي فيها فقيهاً حنفياً، إذْ يقولُ[4]:

غَيْـرُ مُجْدٍ فِـي مِلَّتِـي وَاعْتِقَـادِي   نَـوْحُ بَـاكٍ وَلا تَرَنُّـمُ شَـادِ[5]

وَشَـبِيهٌ صَـوْتُ النَّعِـيّ إِذَا قِيـ   سَ بِصَوْتِ البَشِيرِ في كُلِّ نـادِ[6]

أبَكَـتْ تِلْكُـمُ الحَمامَـةُ أَمْ غَنَّـ   تْ عَلـى فَـرْعِ غُصْنِهـا المَيَّـادِ[7]

يَقِفُ نَوْحُ الحَمَامِ عندَ المعرّي حافزاً مثيراً للتعبيرِ عنْ مشاعرِهِ وأحاسيسه الحزينة، فمَا تعتمل به ذاته مشابه لحالة الحَمَامِ في بكائه الأبدي، ولمَّا كَانَ المعرّي يرى أنَّ غِنَاءَ الحَمَامة صنو بكائه الشّجي، فقد وصلَ إلى رؤيةٍ مفادها امتناع السّعادة في هذهِ الحياةِ، فهو يعلن نبأ حتمية الفَناء، واستحالة إدراك السّعادة، فإذا نلحظه

(١) أبو العلاء المعرّي، **ديوان اللّزومِيَّات**، ج٢، ص٦١٩.

(٢) المُجدي: النَّافع والمغني.

(٣) انظر: إبراهيم الدّهون، "**التَّناص بين التَّنظير والتَّطبيق؛ مرثيةِ المعرّي الإنسانيّة أنموذجاً**"، مجلّة العلوم العربيّة والإنسانيّة، جامعة القصيم، السّعودية، ٢٠١٤م، مج٧، ع٤، ص١٤٦٣.

(٤) أحمد بن عبدالله بن سليمان أبي العلاء المعرّي (ت٤٤٩هـ، ١٠٥٧م)، **ديوان سقط الزَّند**، شرحه وضبط نصوصه عمر الطبّاع، دار الأرقم بن أبي الأرقم، ط١، بيروت، ١٩٩٨م، ص٤٩.

(٥) التَّرنّم: الغناء. الشَّادي: المتغنّي المطرب.

(٦) النَّعِيّ: المبكّى عليه.

(٧) فَرْع غُصْنِها: أعلاه. المَيَّادُ: المنعطف.

يستبدلُ البكاءَ بالغناءِ، والتّلاشي بالحياةِ، والهجران بالتّداني، وهذا يؤكد مَا جَاء عندَ العربِ، فتجعل صوت الحَمَام مرّة غناء ومرّة نواحاً، فمن الذين جعلوه غناء تَوبة بن الحُمَيّر، في قوله[1]:

حَمَامَــةَ بَطْــنِ الْوَادِيَيْــنِ تَرَنَّمِــي سَقَاكِ مِنَ الْغُــرِّ الْغَـوَادِي مَطِيرُهَــا

وممّن جعله نوحاً وحزناً عوف بن محلَّم الشّيباني، حيثُ قَالَ[2]:

وأَرَّقَنِــي بــالـــرَّيِّ نَـــوْحُ حَمامَـــةٍ فنُحْـتُ، وذُو الشَّجْوِ الغَرِيـبُ يَنُـوحُ

على أَنَّهــا نَاحَـتْ ولَـمْ تُـذْرِ دمعــة ونُحْـــتُ وأَسْـرابُ الدُّمُـــوعِ سُـفُوحُ

وناحَــتْ وفَرْخاهــا بحيــثُ تَراهُمــا ومِـــنْ دُونِ أَفْراخِــي مَهامِــهُ فِيــحُ

أَلا يَـا حَمَـامَ الأَيْـكِ إِلْفُـكَ حَاضِــرٌ وَغُـصْـنُـكَ مَيَّـادٌ فَـفِيـمَ تَـنُــوحُ؟

ولا يخفى على قَارئِ الشِّعرِ العربي القديم، أنَّ فكرةَ الرّبط بينَ سَجعِ الحَمَامِ والإحساس بالفقدِ والنُّواح الأليم نهجٌ قديمٌ سَلكه الشُّعراء؛ ليعبّروا من خلالِهِ عن مشاعرِهم الدَّفينةِ، وكوامن نفوسهم الملتاعة التي أرهقها الكمد والأسى نتيجة الحزن والفراق والشّوق، فهذا امرؤ القيس يقولُ[3]:

---

(١) أبو علي إسماعيل القالي البغدادي (ت٣٥٦هـ، ٩٦٧م)، **الأمالي**، ٤ج، دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٩٧٨م، ج١، ص١٣١.

(٢) أبو علي إسماعيل القالي البغدادي (ت٣٥٦هـ، ٩٦٧م)، **الأمالي**، ج١، ص١٣١.

(٣) امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكِنْدِي (ت٥٦٥م)، **الديوان**، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط٤، القاهرة، ١٩٨٤م، ص٢٨٨.

أمِـنْ طَلَـلٍ لأُمِّ الجَهْـمِ عَــافٍ يَلُـوحُ كَرَقْـمِ أجْنِحَـةِ الجَــرَادِ[1]

بِخَيْــفِ مِـنىً فأبْكَـاني عَلَيْــهِ بُكَــاءٌ مِــنْ حَمَامَــة بَطْــنِ وَادِ

تُنـادِي فَـوْقَ سَـاقٍ سَـاقَ حُــرٍّ وَحُــرٌّ غَيْـرُ مُسْمِعَةِ المُنَـادِي[2]

ذَكَـرْتُ بِهَجْــرَ وَادِيَ أُمِّ جَهْــمٍ فَجُــنَّ لِذِكْـرِ وَادِيهَــا فُــؤَادِي[3]

وَدُونَ لِقَــاءِ وَادِيهَــــا عُمَــانٌ وَنجْـرَانٌ فَمَهْيَــعُ نَجْـدِ هَــادِ[4]

فَقَــدْ جَاوَزْتَهَـا تَرْجُـو رَجَــاءً فَرُحْـتَ مِـنْ الرَّجـاءِ بِغَيْــرِ زَادِ

والواقعُ أنَّ حيرةَ المعرّي في الحياةِ، وانفرادَهُ في عزلتهِ وحيداً لا صديق له ولا أنيس ولا زوجة، لم يكنْ غريباً بأنْ يجعلَ صوتَ الحَمَامةِ بكاءً وغناءً في الوقتِ نفسه، لاستواء الاثنين لديه، فالمعرّي يذكرُ صوت الحَمَامِ كما يسمعه، ويصورُها كما تبدو له، ويستخدمُ دلالاتها، لذلك يستدعي صورتها ليجعلها ناطقةً بدفائن ذاته، وصيحات لسانه، فيقولُ[5]:

---

(١) الرّقم: النقش.

(٢) سَاق حُرٍّ: ذَكَرُ الحَمَام.

(٣) فجنَّ: من الجنون، ويروى فحنَّ من الحنين، وهو صوت فيه رقّة ولين.

(٤) المَهيعُ: الطريق الواسع. النجد: مَا ارتفع من الأرض. هاد: موضع.

(٥) أبو العلاء المعرّي، **اللّزوميّات**، ج١، ص٢٤٣. وانظر: أحمد بن عبدالله بن سـليمان أبي العلاء المعرّي (ت٤٤٩هـ، ١٠٥٧م)، **شرح اللزوميّات**، ٣ج، تحقيق منير المدني، وزينب القومي، ووفاء الأعصر، وسيد حامد، إشراف حسين نصّار، الهيئة المصرية العامّة للكتّاب، القاهرة، ١٩٩٢م، ج١، ص٣٦٧.

أهــاتِــفَــةَ الأيــكِ خَلِّــي الأنَــامَ، ولا تَــثْــلــبِــيــهِ ولا تَــمْــدَحِــي[١]

وإنْ كُنْـــتِ شَــادِيــةً، فاصْمُتِــي؛ وإنْ كُنْــتِ بــاكيــةً، فَاصْدَحــي[٢]

وإنْ حَمَلَـــتْ رَاحَتـــي راحَهـــا، بأَقْداحِهـــا، لـــم تَفُـــزْ أقْدُحِـــي[٣]

كَــدَحْنَـــا لِفَــانــيـــةٍ حُــلْـــوَةٍ؛ فَكيــفَ نَلُومُـــكِ أنْ تَكْــدَحِــي[٤]

ومَــا يُضْحِــكُ الســنَّ في دَهْرِهــا كــأنّ المصــائــبَ لــم تَقْـــدَحِ[٥]

ويكرّرُ المعرّي فكرةَ التَّعادليّة بينَ البكاءِ والغناءِ في صوتِ الحَمَامِ في مواضع عديدة، فيعودُ إلى الحَمَامِ مرّة ثانية بعد أن لفته تأثير هتفها ونواحها على أذنيه، فيقولُ[٦]:

مــا سُرَّ غاويَنَــا الجَهُــولُ، وإنَّمــا هتــفَ الحَمَامُ بــه، ونــاحَ العُــودُ

كَاسَاتُهُ المَــلْأى، وعَــزْفُ قِيانِــهِ، للحادِثـــاتِ بَـــوَارِقٌ ورُعُـــودُ

وهذا التّأكيدُ عندَ المعرّي يفسّرُ اتّحاد البكاء والغناء معاً، فإذا طَرَقَ منظرُ الحياةِ والفناءِ ذاكرته، تجلّت له صورةِ الحَمَامة الباكية الشّادية، فالأمرانِ أصبحا سيان لا فرق بينهما أو تمايز أحدهما على الآخر؛ لأنّه فَقَدَ مشاعرَ الإنسانيّة النبيلة، وطعم الحياة السّعيد، فانتشرتْ في شعرهِ تلك المسحة الحزينة، المختلطة بمرارةٍ عميقةٍ، وأسىً شفيفٍ، بدأنا نلمسها في أكثر نصوصه الشِّعريّة.

---

(١) الأيك: الشَّجر الكثير، الواحدة أيكة. خلي الأنام: دعيه وشأنه. ثلب: عاب.

(٢) شادية: منشدة. باكية: نائحة. اصدحي: صيحي.

(٣) راحتي: كفي. راحها: خمرها. أقداح: جمع قدح. القدح: السّهم، وقِدح الميسر، والجمع أقداح، وأقْدُح.

(٤) الفانية: الدُّنيا. الكدح: العمل والسَّعي والكسب.

(٥) تقدح: تعظم.

(٦) أبو العلاء المعري، **اللّزومِيّات**، ج١، ص٢٨٠.

وينبري المعرّي مرةً ثانيةً يوظفُ الورقاءَ، وهو لون من الحَمَامِ يختصُّ بالحزنِ والبكاءِ[١]، ليطل من خلاله عَلَى الأشياءِ حوله من منظورٍ تشاؤمي مغلف بالآلامِ والأحزانِ؛ لأنّه استقرَّ في نفسه أنَّ أُمَّ دَفرٍ مرتعٌ لكلِّ فعلٍ مؤلمٍ، ومصدر للأوهام والسّراب، لذلك يعزمُ على عزوبيته وانفراديته، حيثُ الرّاحةُ والسّلامُ، فيعقد حواريّةً بينَ الحَمَامةِ والدُّنيا، فيقولُ[٢]:

إنْ كُنْـتِ يَـا وَرْقَـاءُ مَهْدِيَّـةً، فَـلا تُبَنِّي الوَكْـرَ للأَفْـرُخِ[٣]

ولا تـكُونِـي مِـثْـلَ إنْسِـيَّة، متى يَنُبْهَـا حَـادثٌ تَصْـرُخِ[٤]

وانفَـرِدي فِـي بَلَـدٍ عَـازِبٍ عنّا، وعِيشي ذاتَ بَالٍ رَخِي[٥]

مَضَى المعرّي يُمازحُ النَّاسَ ويشاركهم في أفراحِهم وأتراحهم أوّل حياته، فجرّبَ أهلَهُ، وخالط أبناءَ عصره ومجتمعه، وخبر طبائعهم، وأحوالهم مَا خبر، فرأى قربَهُم مرضاً عضالاً يستعصي إبراؤه، ولا سبيل إلى النّجاةِ من شركِ شروره إلا باعتزالهم وهجرانهم[٦].

واللافتَ للنظرِ من النَّصِّ السَّابقِ أنَّ المعرّي وجدَ في الورقاءِ صورةً مشابهةً لرسمِ حالة المرأة الغبية التي تنجب وتجهد نفسها في تربيةِ أبنائها، فإذا فقدتْ أحدَهُم ملأت الدُّنيا صُراخاً وعويلاً. وتتسعُ المسافةُ الفاصلةُ بينَ الحَمَامةِ والمرأةِ عندما

---

(١) **الحَمَامُ في الشّعرِ العربي**، مرجع سابق، ص٩٣.

(٢) أبو العلاء المعرّي، **اللّزوميّات**، ج١، ص٢٥٠. وانظر: أبو العلاء المعرّي (ت٤٤٩هـ، ١٠٥٧م)، **شرح اللّزوميّات**، ج١، ص٢٠٦.

(٣) الورقاء: حمامة فيها بياض إلى سـواد كلون الرَّماد ومنه قيل للحمامة والذئبة ورقاء. مهديّة: رشـيدة، عاقلة. وكر الطائر: عشّه، وجمعه وكور أوكار.

(٤) إنْسِيَّة: المرأة، الأنثى من النَّاس. نابها: أصابها.

(٥) بلد عازب: بعيد، منعزل. بال رخي: مطمئن.

(٦) محمّد سليم الجندي، **الجامعُ في أخبارِ أبي العلاء المَعَرّي وآثاره**، ج٣، ص١٦٠٠.

ينصّب من ذاته ناصحاً ومرشداً لَهَا بأَنْ تختارَ العزلةَ والانفرادَ حيثُ الهدوءُ والاستقرارُ، وهذه الرّسالةُ يبثُّ فيها مشاعرَه وأحاسيسَه الدّاخليّةَ، فهو يقبلُ على العزلةِ بفرحٍ كبيرٍ، وتبع منقاد لإرادتها بلا مجابهة أو تردد.

الواضحُ أنَّ المعرّي اختارَ الورقاءَ معادلاً لنفسه، ومعلومٌ أنَّ نوحَ الحَمَامِ يرمزُ إلى الفقدِ والألمِ، ودلالته موحية بالأبديّةِ والاستمراريّةِ، فاستحضارُ جنس الورقاء على وجه الخصوص ومداومته على الحزنِ والنّحيبِ على أفراخٍ فُقدت جعلتِ المعرّي يفزعُ إلى ذلك المظهرِ الطبيعي؛ ليشير إلى مَا أوجدته ملفوظات النأي والبعد عَنِ البشرِ من راحةِ البالِ وصفاءِ النّفسِ(١).

وَغَرفَ أبو العلاء المعرّي من معينِ مظاهر الطبيعة وانعكستْ هذه المظاهر بدورها على صورهِ الشِّعريّةِ، بوصفها وسيلةً للتعبيرِ عن الأفكارِ والمشاعرِ، فكانتْ لوحةُ عويل الحَمَامة مجسّدة لحالته الذّهنيّة التي يعيشها، أو فكرة الحزن التي لا تفارقه، كاشفاً لنا مكنون نفسه، وهاتكاً لأسرارِ قلبه، فيمضي يخاطبُ الحَمَامَ قائلاً(٢):

وَغَنَّتْ لَنَا، فِي دَارِ سَابُورَ قَيْنَةٌ، مِنَ الْوُرْقِ، مِطْرَابُ الأَصائِلِ، مِهيَالُ(٣)

رَأَتْ زَهَرًا غَضّاً، فَهَاجَتْ بِمِزْهَرٍ، مَثَانِيهِ أَحْشَاءٌ لَطُفْنَ، وَأَوْصَـــالُ(٤)

---

(١) ريمة إبراهيم مسعود، **توظيف الحيوان في شعرِ البحتري ودلالته النّفسيّة والاجتماعيّة والرّمزيّة**، دار الشّرق، ط١، دمشق، ٢٠١٠م، ص٣٣٤.

(٢) **سقط الزَّند**، ص٢٧٦. وانظر: التبريزي والبطليوسي والخوارزمي، **شروح سقط الزَّند**، ٥ج، مصطفى السقا وعبدالرحيم محمود وعبدالسلام هارون وإبراهيم الأبياري وحامد عبدالمجيد، إشراف طه حسين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٣، القاهرة، ١٩٨٧م، ج٣، ص١٢٣٨-١٢٤١.

(٣) دار سابور: الدّار التي بناها الوزير سابور لأهل العلم ببغداد. القينة: حمامة ورقاء تطرب بالعشيات. مهيال: من الوَهل أي الفزع.

(٤) الغضّ: النّاعم. هَاجتْ: أي بادرت لتغني. الأوصال: جمع وصل، وهي الأعضاء.

فَقُلْتُ: تَغَنَّيْ، كَيْفَ شِئْتِ، فَإِنَّمَا غِنَاؤُكِ عِنْدِي، يَا حَمَامَةُ، إِعْوَالُ[١]

وَجَدَ المعرّي في غناءِ الحَمَام إثارةً للواعجه، وتهيجاً لأحزانه، فاستمدَّ من هديلِها صوراً تبعثُ في النَّفسِ زفرات الحزن، وارتفاعاً للكمدِ، والشّجى. ثمَّ رأى أنَّ صوتَ الحَمَامة، وإن كَانَ غناءً في رؤيةِ الآخرين، فإنّه عندَهُ ليس إلا عويلاً ونواحاً، يثيرُ الشّجونَ ويبعثُ على فكرةِ القلقِ والّتوترِ الوجودي، وما يؤكد ذلك قول الشريشيّ: "ولم تزلِ العربُ تستحسن تسجيع الحَمَام وتغريد البلبل والوِرْشان، وقد ذكرتْ العربُ من رقة تسجيعه مَا يبعثُ التّذكّر، ويولّد الأحزان، ويهيّج الأسى، ويجدد رقة القلب، حتّى يجعل البكاءَ فرضاً معها، والتّصابي لازماً لأجلها"[٢].

وثمّةَ إشارةٌ خفيّةٌ عندَ المعرّي في توظيفه للحَمَامِ تجلّت في النَّصِ السَّابقِ، إذْ أخذتْ تلامس خصوصيته وتفرده، فضلاً عن أنَّها تعكس الوجعَ الدّائمَ والخوف المبهم ممّا تقذف به الحياة من الحسّادِ ورغبتهم في الإحراقِ الكاملِ لكلّ جميلٍ، وتدمير كلّ حسن مثلما حَدَثَ مع الحَمَامةِ لمّا حُسِدَتْ على قلادتها أو أطواقها من البيضِ الحسان اللواتي يتمنين مثل تلك الأنوار والأطواق.

والظاهرُ أنَّ صورةَ الحَمَامةِ وعالمها عندَ المعرّي هيمنَ على أشكالِ التّعابير الأدبيّة والفنّيّة في معظم خطوط اللوحة السَّابقة وألوانها، مع إدراكنا أنَّ سيطرتها على النَّصِ الأدبيّ لم يكن انعكاساً تسجيلياً راصداً للواقعِ بحذافيره بقدر مَا كانت تُتخذ رموز ومعادلات نفسيّة تسقط عليها قضايا النّفس ومشاعر الذّات[٣].

---

(١) الإعوال: العويل وهو رفع الصّوت بالبكاءِ.

(٢) أحمد بن عبدالمؤمن بن موسى بن عيسى القيْسي الشَريشي (ت٦١٩هـ،١٢٢٣م)، **شرح مقامات الحريري**، ٥ج، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصريَّة، بيروت، ١٩٩٢م، ج١، ص٣٦. والوِرْشان: طائر من الفصيلة الحمامية، أكبر قليلاً من الحمامة المعروفة، يستوطن أوروبا ويهاجر في جماعات إلى العراق والشام، للاستزادة: انظر: لسان العرب، مادة: ورش.

(٣) ثناء أنس الوجود، **تجلياتُ الطبيعة والحيوان في الشِّعرِ الأُموي**، دار نوبار للطباعة، القاهرة، ١٩٩٨م، ص١٠٣.

يَطرحُ المعرّي في استدعائه نواح الحَمَام مجموعة من القضايا المتصلة بمشكلة مصير الإنسان وحياته الدّنيويّة، "فأبو العلاء لم يعد خليةً حيّةً تنتمي لجسد الحياة الكلّ، وإنّما انفصل تماماً عَنْهَا، وَعَكَفَ على رصدِ التّلاشي والإحساس الرّهيب به ممزوجاً بمعاناة الأسر"(١). غير أنَّ أبا العلاء شاعر مُفلق، يحكم صنعته، ويجيد نظم شعره، فنراه يخاطبُ الإنسانَ قائلاً(٢):

أنُحْتَ جَهْــلاً، وَقَدْ نَاحَــتْ مُطوَّقَــةٌ، مِن الحَمَـامِ، على خَضْـراءَ مَقْلُودَهْ(٣)

قامَتْ عَلَى النَّاعِـمِ الأُمْلُودِ، هاتِفَــةً، ومَــا تُشَاقُ إلى بَيْضَــاءَ أُمْلُــودَهْ(٤)

وأُمُّ دَفْــرٍ، لَعَمْــري، شــرٌّ والــدةٍ، وَبِنْتُهَـــا أُمُّ لَيْـلَى شـــرُّ مولُــودَهْ(٥)

فاجْلُدْ أخــاكَ عليهــا، إنْ أَلَمَّ بِهَــا، فَإنّهَــا أخَـذَتْ، واللُّـــبَّ، مَجْلـــودَهْ

عَكَفَ المعرّي على توجيه خطابه الشِّعري إلى الإنسانِ البكّاءِ، متسائلاً ومستغرباً كيفَ يَسْكبُ عبراته، وتنهمرُ دمعاته، ويرفعُ من عويله، ويطلق زفراته على أموات هم في حقيقةِ الأمرِ سعدوا بموتهم، فرقدوا واستراحوا من معاناة الحياةِ، فباتَ الموتُ منقذاً لهم من وطأةِ العيش، وصراعه الملازم للنّفس البشريّة. لذا كَانَ لا بدَّ عليك أيّها الإنسانُ أنْ لا تنوحَ كمَا ناحَ الحَمَامُ في حياتهِ، على فَقْدٍ ورَحيلٍ، وفراقٍ،

---

(١) صالح حسن النطي، **الفكرُ والفنُّ في شعرِ أبي العلاء المعرّي؛ رؤية نقديّة عصريّة**، دار المعارف، منطقة الإسكندرية، ١٩٨١م، ص٢٩٦.

(٢) أبو العلاء المعري، **اللزوميّات**، ج١، ص٢٩١. وانظر: أبو العلاء المعري، **شــرح اللّزوميّات**، ج١، ص٤٥١.

(٣) أنحت: أبكيت. مطوقة: حمامة ذات طوق من الرّيش. مقلودة: ريّانة من المطر.

(٤) الأملود: الغصن. النَّاعم: الغض.

(٥) أمّ دَفر: كنية الدُّنيا، والدَّفر الفساد. أم ليلى: كنية الخمر.

فالحياةُ أجدرُ ببكائك وحزنك المستمرينِ؛ "لأنَّ الموتَ الذي يتطلعُ إليه أبو العلاء المعرّي، ولا يدركه لامتداد العمر به، أشبه بالمجدِ الذي لا ينال بغير المشقة والمعاناة، إنّه بالفعلِ مجدُ راحة الإنسان وتخليصه أثقال الحياة ومخازيها وصراعاتها، ولو لم يكنْ ذلك الميت المشار إليه في النَّصِّ قَدْ ثَوى فاستراح بحفرته، لكانَ الآن نهباً للصراعاتِ وأحوال المسؤوليات والأطماع والرَّغبات"[١].

لا شكَّ في أنَّ استخدامِ الشَّاعر لصورةِ الحَمَامِ واندماجه بالطبيعةِ –كَمَا لاحظنا في الأبياتِ السّابقةِ– ما يؤدي فكرة البكاء والحزن، فهما تصدران عن قلبٍ جريحٍ، وتعكسان آهات حقيقية، مختلطة بأسىً شفيفٍ، وأنين شديد، عَلَى صورةِ الإنسان الجاهل لكينونة الوجود، ثُمَّ إنَّ الشَّاعرَ يستثمرُ من مظاهرِ الطبيعة الحيّة أصواتها وسلوكها كثيراً من جوانب الشّقاء والتَّشاؤم بما يخدمُ آراءه الذّاتيّة ويدعمها.

طوّفَ أبو العلاء بعيداً عن مسقطِ رأسه معرّة النُّعمان[٢]، إلى بغداد طلباً للعلمِ والمعرفةِ واتّساع الفكر، فأقامَ فيها سنة (٣٩٨هـ)، لمدة سنة وسبعة أشهر، فبالرغم من قلّةِ الفترة الزّمنيّة وقصرها إلّا أنَّ حنيناً جارفاً، وتوقاً ظلَّ يرافقه بغداد[٣].

فبالرغم من مشاهد عديدة تلقاها، وأحداثٍ مريرةٍ عاشَها في بغداد، إلّا أنَّ بغدادَ رسختْ في قلبه كَمَا رسختْ في الرَّاحتينِ الأصابعُ، فَغلبَ عليه الحنين العارم لتلك الأماكن. فلا غرابة عندئذ يتكئ عَلَى الحَمَامِ ويتخذه معادلاً موضوعياً يُسقط عليه لوعاته وحرقاته، ويظهرُ شوقَه نحو أصدقائه وديار حطّت فيها ركائبه يوماً مَا، وسيطرتْ على كلِّ كيانه وأحاسيسه. عَلَى هذا النحو راحَ أبو العلاء المعرّي في

---

(١) **الفكر والفّنّ في شعرِ أبي العلاء المعرّي**، مرجع سابق، ص٣٠٥.

(٢) معرّة النعمان: مدينة كبيرة قديمة مشـــــهورة من أعمال حمص، بينَ حلب وحماة، ماؤهم من الآبارِ، وعندهم الزّيتون الكثير والتّين.

(٣) ياقوت بن عبدالله الحموي (ت٦٢٦هـ، ١٢٢٩م)، **معجم الأدباء**، ج٥، ص١٥٦.

عينيته التي قَالَهَا في وداعِ بغداد يضفي كثيراً معاني الاشتياق، واستعمل ألفاظاً حزينةً تلائمُ سياق حديثه عن معاني فراقه بغداد رغماً، ومنها هذه الأبيات[١]:

وَشَـكْلَيْنِ: مَـا بَيْـنَ الآثَـافِيّ وَاحِـدٌ، وَآخَرُ مُوفٍ، مِـنْ أَرَاكٍ، عَلَى فَـرْعِ[٢]

أَتَى، وَهْوَ طَيَّـارُ الْجَنَـاحِ، وَإِنْ مَشَـى أَشَاحَ، بِمَا أَعْيَا سَطِيحًا، مِنَ السَّجْعِ[٣]

يُجِيـبُ سَـمَاوِيَّـاتِ لَـوْنٍ، كَـأَنَّمَـا شَـكِرْنَ بِشَوْقٍ، أَوْ سَكِرْنَ مِنَ البِتْـعِ[٤]

تَرَى كُـلَّ خَطْبَـاءِ الْقَمِيـصِ، كَأَنَّهَـا خَطِيبٌ، تَنَمَّى فِي الْغَضِيضِ، مِنَ الْيَنْعِ[٥]

إِذَا وَطِئَـتْ عُـودًا، بِرِجْـلٍ، حَسِـبْتَهَا ثَقِيلَةَ حِجْلٍ تَلْمِـسُ الْعُودَ ذَا الشِّـرْعِ[٦]

مَتَى ذَنَّ أَنْـفُ الْبَـرْدِ سِـرْتُمْ، فَلَيْتَـهُ، عَقِيبَ التَّنَائِي، كَانَ عُوقِبَ بِالْجَـدْعِ[٧]

وَمَـا أَوْرَقَـتْ أَوْتَـادُ دَارِكَ، بِاللِّـوَى وَدَارَةَ، حَتَّى أُسْـقِيَـتْ سَـبَلَ الدَّمْـعِ[٨]

إنَّ ارتباطَ ذكر الحَمَامِ النَّائح بآلامِ الشُّعراءِ وذكرياتهم أكسبه عمقاً فتجاوبوا مع نواحِهِ وسجعِهِ وحنينه[٩]، فالمعرّي عندما يستعيدُ ذكرياتِه الجميلة في بغداد، وأنَّه تركَ فيها معاهدَ العلمِ، وفارق أحباباً له إلى غير رجعة تخلّف في نفسه ترنيمات

(١) أبو العلاء المعري، **سقط الزَّند**، ص٢٧٠، ٢٧١.

(٢) أراد بالشـكلين: الحَمَام والرّماد. الأثافي: جمع أُثْفِيَة، وهي أحجار ثلاثة تُوضـع عليها القدر فوق الموقد.

(٣) سطيح: الكاهن وهو ربيعة بن عدي بن مسعود، وَعَاشَ ثلاثمائة سنة.

(٤) سماويات لونٍ: حمائم خضر. البتع: النبيذ من العسل.

(٥) خَطْبَاءُ القميص: أي الضَّارب لونها إلى الخضرة. تنمّى: تعالى. الغضيض: الغض. الينع: جمع يانع ويانع الثَّمر النَّاضج منه.

(٦) العود الأوّل: من عيدان الشَّجر، وثاني الذي يُغنى به. الشِّرع: الوتر. الحِجْل: القينة.

(٧) أنف البرد: أوله. ذَنَّ أَنْفِ البرد: سالتْ من الرّطوبة. التّنائي: التّباعد. الجدع: القطع.

(٨) اللّوى: المنعطف الرمل، وهو اسم موضع. دارة: اسم موضع. سبل الدّمع: مطر الدّمع.

(٩) أنور أبو سويلم، **الطبيعةُ في شعرِ العصرِ العبّاسي الأوّل**، ص١٩٥.

حزينة، وشجناً مرتبطاً بعاطفةِ الحنين لهذا المكانِ.

ولعلَّه ليس من مجانبة الصّواب القول: إنَّ استحضارَ المعرّي للحَمَامةِ هنا لتكون مركباً له في إصرارهِ عَلَى التَّعبيرِ عن النّحيبِ والفقد بسبب مَا أضناه رحيله عن بغداد والأحباب والخلّان فيها.

وإذا كَانَ المعرّي قَدْ جسّدَ مفهومَ الفقد والحرمان عندما رَبَطَ الحَمَام بأسطورةٍ قديمةٍ سَبقَ أن أشرنا إليها "تحكي أنَّ فرخ حَمَام يُدعى هديلاً قد فُقِدَ على عهد طوفان نوح عليه السَّلام، فكلُّ الحَمَامِ يبكي عليه[1]. فإنَّه يَرى أنَّ أحداً لا يجذب الأسماع، ولا يأسر الألباب عمَّا يلم به من حزن وفقد، كترنّمِ حَمَامةٍ فصيحةٍ أجادتْ فنون السّجع والنّوح، وفَاقتْ في ذلك سجع الكهان ورائده سطيح.

ولم يكن المعرّي وحدَهُ من أشجاه وحرّك مشاعره سجعُ الحَمَامِ، بل نقرأ رأياً للثعالبي يؤكد مَا ذهبنا إليه، إذ يقول: "والعربُ تجعل صوت الحَمَام مرّة سجعاً، ومرّة غناءً، وأخرى نواحاً، وتضرب به المثل في الإطراب والشّجى، وبجميعه جاءَ الشِّعرُ"[2].

والواقعُ أنَّ الحَمَامَ منبثُ كلّ مَا أقلق المعرّي وأحزنه وحفّزه على الحنينِ، بوصفه مجمع كلّ شعور، ومنطلق كلّ فجيعة ورحيل، فمَا زالَ يحتلّ ركناً مهماً في نصّهِ الشِّعري، فثمّة أشعار لدى المعرّي يستدعي فيها عناصر الحنين إلى المكانِ، مستنداً على لوحةِ الحَمَامِ ليصل من خلالها إلى الإفصاحِ عن مشاعره وعواطفه التي لم يستطعْ كتمانها لحظة الفراق، فإذا دخلتِ الحَمَامةُ معتركَ الحنين إلى الوطنِ غدتْ أداته وآلته، فلنا أنْ نتوقفَ عند حنينه لمنطقة تسمّى ذات الأمعز تقعُ بين الصّراةِ

---

(١) للاستزادة انظر: علي البطل، **الصّورةُ الفنّيّة في الشِّعرِ العربي حتّى آخر القرن الثّاني الهجري**، دار حِراء للنشرِ والتّوزيع، القاهرة، ١٩٨١م، ص٦١.

(٢) أبو منصور عبدالملك بن محمّد الثَّعالبي النّيسابوري (ت٤٢٩هـ، ١٠٣٨م)، **ثمار القلوب في المضاف والمنسوب**، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٥م، ص٤٦٧.

والفراتِ لكي نلمس توقه، وتعلقه الشّديدينِ، وهي صورة لا تخلو من تعبيرٍ عن الانتماءِ الحقيقي والارتباط بالوطنِ والمكانِ معاً، ومن ذلك قوله[١]:

أَهَاجَكَ البَــرْقُ، بــذاتِ الأمْعَــزِ، بَيْنَ الصَّــرَاةِ والفُـرَاتِ يَجْتَـزِي[٢]

فِـي بَلْـدَةٍ نَهَارُهَـــا لَيْـــلٌ، سِـــوَى كَوَاكِــبٍ إلى النَّهــارِ تَعْتَـزِي[٣]

كَأَنَّهَـــا سِـــرْبُ حَمَــــامٍ وَاقِـــعٌ، في شَبَكٍ، مِنْ الظَّـلَامِ، يَنْتَـزِي[٤]

تطالعنا في هذا النَّصِّ الشّعري صورةُ الشَّاعرِ الوادعة المسالمة، إذ رَاحَ يبثُّ أحزانَه وشجونَه لرحيله عن ذات الأمعز تَاركاً خلفه ذكرياته السَّعيدة، وأهلها الطيبين، فأوّلُ مَا يلفتُ النّظر حول المكان فكرة البرق، فهي مزعجة مثيرة لدى المعرّي، محفزة لمعان باكية، وألفاظ آسية، تفيضُ بنبعٍ لا ينضب من الأسى الشّفيفِ، والاشتياقِ اللطيفِ.

فالمعرّي متعجبٌ من انتشارِ الضياء في مفازةٍ انسحب الظلام على نهارِهَا، كناية على طولِ الليل، وثقله على الذّاتِ الشَّاعرةِ، فها هو يذمُّ الظلامَ الذي أوصله إلى طريقٍ مسدودٍ، وحياة بائسة، ويجدُ الشَّاعرُ في سربِ الحَمَامِ الأبيضِ وسقوطِهِ في شركِ الصّائدِ: (الظلام) رمزاً دالاً على ضياء الكواكب اللامعة في ظلامِ الليل. وممَّا تجدرُ الإشارة إليه أنَّ المعرّي وظَّف صورةَ الحَمَامِ المشرقةَ البيضاءَ، التي سقطتْ في قبضةِ الأسرِ، وقيود السَّواد، في إطارِ حديثه عن حنينهِ لذات الأمعز رابطاً حالة الانكسار النّفسي وسوء حالها وتألمها بالبعدِ المكاني بحالةِ الحَمَامِ الضَّعيفةِ، والعاجزة عن الخروجِ من حالةِ الانزلاقِ ومَا حَاطَ بِهَا من مشاعرِ القلقِ والاضطرابِ.

---

(١) أبو العلاء المعرّي، **سقط الزَّند**، ص٢٤٤. وانظر: **شروح سقط الزَّند**، ج١، ص٤١٤–٤١٧.

(٢) ذات الأمعز: موضع، والأمعز الأرض الغليظة المرتفعة كثيرة الحصى. الصَّراة والفرات: نهران في العراق. يجتزي: الاكتفاء.

(٣) تعتزي: تنتسب وتنتمي.

(٤) تنتزي: تضطرب وتثب إلى فوق.

واستناداً إلى نظرةِ المعرّي للشّعرِ بأنّه لا يقتصرُ على عنصرِ الإيقاع وحده، ندركُ بأنَّ الشِّعرَ عنده استجابة للحسِّ والغريزةِ، فهو طبع لصيق، وعلوق بالإنسان لا يفارقه. وتجسّدَ ذلك في نقلهِ صورة الحنين الإنسانيّة للمكانِ التي تعدّ من جوهرِ الإنسانِ الأساسيّة في هذهِ الحياةِ، إضافة إلى دمجه تلك القضايا الإنسانيّة بالموضوعاتِ الذاتيّة في بنية نصيّة مركبة، اضطرتِ الشَّاعر إلى ارتيادِ تقنيات أسلوبيّة من مثل البيت المدمج في النَّصِّ، الذي يكونُ متصلاً بالآخر غير منفصل عنه، فضلاً عن الاعتمادِ على صورٍ جماليّةٍ مشحونة بدلالاتٍ ومعانٍ جديدةٍ لم يكنْ حضورها في القصيدةِ القديمةِ متناغماً أو مقبولاً نحو صورةِ إخفاق الحَمَامِ وخيبته في شركِ الظلامِ(١).

وممَّا تقدّم يتّضحُ أنَّ للحَمَامِ حضوراً واضحاً عند المعرّي يتلون في نصوصه الشِّعريّة بناء على غرضه الشِّعري، وحالته النّفسيّة آنذاك، ويلحظُ أنّه اتَّخذها وسيلةً فنّيّةً تعينه على كشفِ آرائه وحقائق الكون، وتحقيق رسائله الفلسفيّة، ومعتقداته الفكريّة في رؤيته للحياةِ.

٢- الحَمَامُ مَدْعاةٌ للذكريات والشّوق إلى الحبيبِ والأحبة والأهل.

لَقي طائُر الحَمَامِ وصوتُهُ احتفاءً ملحوظاً لدى الشُّعراءِ القدماء عندَ حديثِهم عنْ حبِّهم وعلاقاتهم بمحبوباتهم وأحبتهم، فأثرن بأصواتهن ذكريات، وأوردن بوحاً وأشواقاً وحرقة كامنة في صدورِ محبين، اكتووا بنار الحبّ، وذاقوا جذوةَ الهوى، فكانتْ تلك الأصواتُ ترديداً لزفراتهم، واشتياقاتهم.

فهذا قيس بن الملّوح يشيرُ إلى صورةِ الحَمَامةِ الباكية على إلفها، متخذاً منها وعاءً يسكبُ من خلاله مشاعره وأحاسيسه الطّافحة باللوعةِ والألمِ إبان رحيل

---

(١) حميد سـمير، **النَّصُّ وتفاعل المتلقي في الخطابِ الأدبي المَعَرّي**، منشـورات اتّحاد الكُتَّاب، ط١، دمشق، ٢٠٠٥م، ص١٣٦.

محبوبته الصّروم، فقالَ[1]:

دَعَـانِي الْهَـوَى والشَّوْقُ لَمَّـا تَرَنَّمَـتْ هَتُوْفُ الضُّحَى بَيْنَ الْغُصُوْنِ طَـرُوْبُ

تُجَـاوِبُ وُرْقـاً إِذْ أَصَخْـنَ لِصَوْتِهَـا فَكُـلٌّ لِكُـلٍّ مُسْـعِدٌ وَمُجِيْـبُ

فَقُلْـتُ: حَمَـامَ الأَيْـكِ مَـالَكَ بَاكِيـاً أَفارَقْـتَ إِلْفـاً أَمْ جَفَـاكَ حَبِيْـبُ

فَقَـالَ: رَمَـانِي الدَّهـرُ مِنْـهُ بِقَوْسِـهِ وَأَعْـرَضَ إِلْفِـي فَـالفُـؤادُ يَـذوْبُ

تُـذَكِّرُنِي لَيْـلَى عَـلَى بُعْـدِ دَارِهَـا وَلَيْـلَى قَتُـوْلٌ لِلرِّجَـالِ خَلُـوْبُ[2]

ولَحِقَ جريرُ بشعراءِ الغزل إذْ يَجدُ في هديلِ الحَمَامِ وسيلةً للمشاركةِ الوجدانيّةِ، ومجالاً واسعاً للتنفيسِ عن الأحاسيسِ الدّاخليّة، فيقرن بكاءه بهديلِ الحَمَامِ وفاءً لمحبوبته: (أُمَامَة) بمَا يوحي بالمكانةِ التي احتلّتها في قلبهِ ولمْ تفارقه، فقالَ يمدح عبدالملك ويهجو الأخطل[3]:

وَدِّعْ أُمَامَـةَ حَـانَ مِنْـكَ رَحِيـلُ، إِنَّ الـوَدَاعَ إِلىَ الحَبيـبِ قَليـلُ

تِـلْكَ القُلُـوبُ صَوَادِيـاً تَيَّمْنَهَـا وَأَرَى الشِّـفَاءَ وَمَـا إِلَيْـهِ سَـبِيلُ[4]

---

(١) قيس بن الملوح بن مزاحم العامري (ت٦٨هـ، ٦٨٨م)، **ديوان مجنون ليلى**، تحقيق عبدالسّتار أحمد فرّاج، دار مصر للطباعة، القاهرة، ١٩٧٩م، ص٤٧.

(٢) الخَلُوب من النّساء: الخدّاعة، اللعوب.

(٣) جرير بن عطية الكلبي اليربوعي التميمي (ت١١٠هـ، ٧٢٨م) **ديوان جرير**، شرح محمّد بن حبيب، مجلدان، تحقيق نعمان محمّد أمين طه، دار المعارف، ط٣، القاهرة، د.ت، المجلد الأول، ص٩٢.

(٤) صَوَادِي: صَدًى، اشتدَّ عطشُه. فهو صادٍ. جمع صُدَاة. وهي صادية. جمع صَوَادٍ. وهو صَدٍ، وهي صَديَة.

أمّـــا الفُـؤادُ فَلَيْـسَ يَنْسَى ذِكْرَكُــمْ   مَـــا دَامَ يَهْتِـفُ فِـي الأرَاكِ هَدِيـلُ

بَقِيَـتْ طُلُولُـكِ يَـا أُمَيْـمَ عَلَى البِلَى   لا مِثْـــلَ مَـا بَقِيَـتْ عَلَيْـهِ طُلُـولُ

ولَمْ يغبْ عن أسماعِ بشَّار بن برد مشهدُ هديل الحَمَامَةِ، ومَا يهيّجُ عواطف الشّوق والالتياع، فتذكر هواه مع محبوبته: (صفراء) فقالَ[1]:

وقــد زادني شـوقاً هديلُ حَمَامــةٍ   على إلفِهـا تبكـي لـــهُ وتُطَـــرِّبُ

وَقالَ أيضاً يُعبّرُ عن ترنيمات غرامهِ الحزينةِ، وجوانب حياته العاطفيّة، فالحَمَامُ إذا طَرِبَ أثارَ شجونه، وحرّك ذكرياتِه المريرة، وأحيا جروحه المكلومة، وأيقظَ قلبه المُعنّى[2]:

طَـرِبَ الحَمَـامُ فَهَــاجَ لي طَرَبَــا   رُبَمَـا يكُــونُ تذكُّـــري نَصَبَــا[3]

إِذْ لاَمَنِــي "عمْـــروٌ" فَقُلْـتُ لَـــهُ:   غُلِـــبَ العـــزاءُ ورُبَّمـــا غَلَبَــا[4]

إنَّ الحَبِيــبَ –فـــلا أُكــافئُـــــهُ–   بَعَـــثَ الخَيَـــالُ عـلي واحْتَجَبَــــا

فاعْـــذِرْ أخـــاكَ ودَعْ مَلاَمَتَـــهُ   إنَّ المَـــلامَ يَـــزِيْـــدُهُ تَعَبَــــــا

لـــوْلا الحَمَـــامُ وطَيْـــفُ جاريَـــةٍ   مَـا شَـفَّنِي حُـــبٌّ ولا كَرَبَـــــا[5]

---

(١) بشَّار بن برد (ت١٦٨هـ، ٧٨٥م)، **ديوان بشار بن برد**، ٢ج، جمع وتحقيق وشرح محمّد الطاهر بن عاشـور، تعليق محمّد رفعت فتح الله ومحمّد شـوقي أمين، مطبعة لجنة التّأليف والتّرجمة والنّشـر، القاهرة، ١٩٥٤م، ج١، ص٣٥٤.

(٢) **ديوان بشّار بن برد**، ج١، ص١٧٥-١٧٦.

(٣) الطرب: استحسان أو إساءة فهو من الأضداد.

(٤) غلب العزاء: ضعف الصّبر.

(٥) هذه شنشنة غراميّة في التّذكرِ بالحَمَامِ.

وللمعرّي في هذا الشّأنِ وقفاتٌ كثيرةٌ، فَقَدْ وظّفَ الحَمَامَ في سياقِ الحديثِ عَن المحبوبةِ بصورةٍ لافتةٍ للانتباه، ومغايرة لتوظيفات الحَمَام الحزينة في شعرهِ. فَكَشَفَ عَنْ طوقٍ ذي ألوان برّاقة زاهية، الأمرُ الذي قَادَ إلى أن ائتلفتِ الصّورةُ في تناغمِهَا مع صورةِ الظباء الفاتنة، ويجسّد ذلك في قولِهِ من الكاملِ[١]:

زَارَتْ، عَلَيْهَـــا، لِلظّــــلَامِ، رُوَاقُ، وَمـــِنَ النَّجـومِ قَلَائِـدٌ ونِطَـــاقُ[٢]

والطَّوْقُ مِــنْ لُبْسِ الحَمَــامِ عَهِدْتُــهُ، وَظِبَـاءُ وَجْـرَةَ مَـــا لَهَـا أطْـوَاقُ[٣]

وللمكانةِ الأثيرةِ التي حَظيتْ بِهَا الحَمَامَةُ نرَى المعرّي يصفُ محبوبتَهُ حين قرعت بابَهُ ليلاً بحَمَامةٍ مطوقةٍ رُصّع جيدها بدررَ النّجومَ، وتشبه ظبية امتلأت حسناً وزهواً.

وَحِرصاً من المعرّي على توثيق صلته بمظاهرِ الطبيعةِ ومكوناتها، فإنَّه كَانَ يفزعُ إلى صورةِ الحَمَامِ ليستعير منها هيئاتها الجميلة، مستذكراً طوقها الذي التفّ حولَ عنقها كأنَّه قلادةٌ اجتمعتْ فيها كلّ رموز الجمال والحسن، وواضح أنَّ استدعاءَ المعرّي لطوق الحَمَامِ لَمْ تنأ في توظيفها ومدلولاتها عمّا نُسبَ إلى نوحِ عليه السَّلام، وفي زعمهم أنَّ نوحاً دَعَا للحَمَامةِ بالطوقِ وخضاب الرّجلينِ؛ لأنَّها كانتْ رائدةً ومتحفزةً للاستكشافِ فأرسلها لتبحث في الأرضِ عن موضعٍ يصلحُ مرفأً لسفينته؛ لذلك ضربوا بِها المثل في الهدايةِ والرّشادِ[٤].

---

(١) أبو العلاء المعرّي، **سقط الزَّند**، ص٢٤٨. وانظر: **شروح سقط الزند**: ج٢، ص٧٦٢، ٧٦٣.

(٢) الرُّوَاق: ما سترَ من الظلام. النِّطاق: مَا يُشدّ به الخصر. القلائد: جمع قلادة. وَجرَة: فلاة قليلة الماء، وحوشها تجزأ بالعشبِ عن الماء.

(٣) وَجرَة: عَلَمٌ لموضع بعينه.

(٤) أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، **كتاب الحيوان**، ج١، ص١٩٤.

بهذهِ الصّورةِ البديعةِ نسجَ المعرّي لوحةَ زيارة محبوبته، فإذا كَانتِ الظباءُ هي المعادل الجمالي الذي يستحضره الشَّاعرُ ليسرد ملامح الجمال والنّعومة وذبول أجفان محبوبته فإنَّ الحَمَامَةَ هي المعادل الأبرز والطائر الوديع الذي تجاوب معه وشاركه عواطفه وأحاسيسه الوجدانيّة الدّاخليّة.

لم تكنْ صورةُ الطوق وحدَهَا التي استعانَ بها الشَّاعرُ من عَالَمِ الحَمَامِ للحديثِ عن جمالِ محبوبته ورقتها، التي غدتْ ذكريات، أَعادَ طرقها في نصّهِ الشِّعري، وإنّما توكأ على هديِلِه الذي ألهبَ فؤاده، وأجّج عواطفه؛ ليعبّرَ عن حالتهِ النّفسيّةِ الحزينةِ القلقةِ البائسةِ عندَ استرجاعِ محبوبة غالية -وهي أمّه- رحلت، كريمة النّفس، عزيزة المحلّ، رفيعة الشّرف، منكرة هذه الدُّنيا البائسة القاسية، فَشَعرَ عندَ فقدانِهَا بغربةٍ ووحشةٍ كبيرتينِ، وهَذَا مَا يَدعو المعرّي إلى أنْ يستنفرَ عناصرَ الطبيعةِ المتحركة لتسهم في بناءِ الصّورةِ الحزينة ورفع حرارة توقدها، فقالَ[(١)]:

أَلَا نَبِّهْنَنِي قَيْنَاتِ بَثٍّ، بَشَمْنَ غَضىً فَمِلْنَ إلَى بَشَامِ[(٢)]

وَحَمَّاءَ العِلَاطِ، يَضِيقُ فُوهَا بِمَا في الصَّدْرِ مِنْ صِفَةِ الغَرَامِ[(٣)]

تَدَاعَى مُصْعِداً فِي الجِيدِ وَجْداً فَغَالَ الطَّوْقَ مِنْهَا بِانْفِصَامِ[(٤)]

أَشَاعَتْ قَيْلَهَا، وَبَكَتْ أخاهَا، فَأَضْحَتْ، وَهْيَ خَنْسَاءُ الحَمَامِ[(٥)]

---

(١) أبو العلاء المعرّي، **سقط الزَّند**، ص٨٧، ٨٨. وانظر: **شروح سقط الزند**، ج٤، ص١٤٢٢-١٤٢٥.

(٢) نَبِّهْنَني: أي أخبرنني كي لا أغفل عن الوجد كي لا ينقطع شجوي. قينات بث: الحمائم النائحة على الهديل.

(٣) الحمّاء: السواد. العِلاط: طوق الحمامة، وأصل العِلاط سمة في العنق.

(٤) المصعد: المرتفع. الجيد: العنق. الانفصام: الانكسار.

(٥) أشَاعت قيلها: جهرت به.

شَـــجَتْكَ بِظَاهِـــرٍ كَقَرِيـــضِ لَيْـــلَى وَبَاطِنُـــهُ عَوِيْـــــصُ أَبِي حِـــزَامِ[١]

وليسَ غريباً أنْ يتّجه المعرّي بنظرِهِ إلى الحَمَائمِ النّائحةِ على الهديلِ كي يُنَبْهنَه بأنْ لا يغفل عن الوجدِ والشّوقِ لرحيل والدته وقَدْ فاقتْ مكانة المحبوبة، والتي توفيت قبل قدومه العراق لمدة قصيرة. ثُمَّ يمضي في رسمِ صورة الحَمَائمِ المائلات إلى شجرةِ البشّامِ ويتعجبُ من إفراطِ شبعهن منه، فيسأل كلّ واحدة منهن بِمَ يضيق طوقها بِمَا في صدورهن؟ فيجبنه بما يمثّل من اشتدّ الوجد وتزاحم أطواقهن وانقطاعه.

ولا يقف إعجابُ المعرّي عندَ هذا الحدِّ، بل نلحظ عجباً من المعرّي عندَمَا يتحولُ إلى سخريةٍ دقيقةٍ هامسةٍ جادةٍ من تلك الحَمَائمِ؛ لأنّهن يرفلن في وشي النّعيم، وفي صدورهن أطواق السُّرور[٢]. غير أنَّ أبا العلاء المعرّي فنّانٌ صاحب "نظام دقيق في تركيب عناصر العبارة وربط بعضها ببعض، وتنسيقها بحيثُ لا يُتعب القارئ عقله من الوصولِ إلى المعنى"[٣].

وإنَّ فرطَ إحساس المعرّي بجسامةِ الحدث، وحرارة وداع والدته، ليدعوه ذلك إلى أنْ يستدعي شخصيات تراثيّة لها رسائل دلاليّة، ومقاصد شعوريّة تتواءم ومواقفه النّفسيّة، فنراه يستعينُ بالخنساءِ لتدعيم إحساسه بمحنتي الرّحيل والفقد، وشعوره القاتل

---

(١) شجت: أحزنت. القريض: الشِّعر. العويص: مَا صعب فهمه من الشِّعر أو النّثر. ليلى: هي الشَّاعرة ليلى الأخيلية، صاحبة توبة بن الحميّر. أبو حزام: هو أبو حزام العُكليّ، واسمه غالب بن الحارث كَانَ يمدح وزير المهدي عبيد الله، وشعره عويص مليء بالغريبِ، فلا يفهمه إلَّا العلماء، وكانت تؤخذ عنه اللّغة، أدركه الكسائي. للمزيد انظر: ياقوت بن عبدالله الحموي (ت٦٢٦هـ، ١٢٢٩م)، **معجم الأدباء؛ إرشـــاد الأريب إلى معرفة الأديب**، ٧ج، تحقيق د. إحســـان عبّاس، دار الغرب الإســـلامي، بيروت، ١٩٩٣م, ٢١٨/١٨.

(٢) علي شلق، **أبو العلاء المعرّي والضّـبابية المشرقة**، المؤسسة الجامعيّة للدراسات والنَّشر والتَّوزيع، ط١، بيروت، ١٩٨١م، ص٥٨.

(٣) محمّد مصطفى بالحاج، **شاعريّة أبي العلاء المعرّي في نظرِ القدامى**، الدَّار العربيّة للكتاب، تونس، ١٩٨٤م، ص١٧٢.

بالفَناءِ والزّوالِ، فمَا تلك الحَمَامة في نوحِهِا إلّا الخنساء في بكائها وتشظيها على أخيها صخر. وإنّه ليعجب من هذا السَّجعِ المألوف الظاهر ولكنّه عويصُ الباطن، فظاهرُهُ شبيه بشعرِ ليلى الأخيلية وباطنه يستوي أمام شعر العُكليّ وَمَا فيه من فسادٍ وعبثٍ تركيبي وأسلوبي.

وممّا لا شكَّ فيه أنَّ الإحالةَ على نصوصٍ بعينِهَا واستدعاء رموز حكائيّة وشخصيات تاريخيّة وأدبيّة يضفي على النّصِ الشِّعري طابعاً حوارياً وسجالياً يجعله يتعالقُ مع خطاباتٍ أخرى طلباً للتعاضدِ واتّساعِ الرّؤية، ومن ثمّ إقحام الشِّعر في الانشغالِ بالقضايا الإنسانيّةِ الكبرى لتصبح القصيدةُ إيقونةً لظل بشري، تتمتع بخصوبةٍ وإنتاجيّة امتلكتها من تجارب صاحبها وخبراته في الانفتاحِ على الحياةِ والوجود[١].

ولإعزاز أسباب بكاء الحَمَامِ لفقد إلفه واتّخاذه وسيلة فنّيّة لتخفيف المعاناة والألم نجد أنَّ المعرّي جعلَ الحَمَامَ يحمد ربَّه على أنَّه لم يكنْ من الطيورِ الجارحةِ تجسيداً للأحاسيسِ المرهفةِ وتهيجاً لأشجان المحبين، وتقاطعها معهم في التّجربةِ الوجدانيّةِ، فقالَ:[٢]

ولئـــن يُعـــدُّ حَمَامَـــة، خيـرٌ لـــه		مـن أنْ يُضـافَ إلى ذواتِ المَنْسِـرِ

وتستمرُّ رمزيّةُ الحَمَامِ مثيرةً للشجونِ، واستدعاء للانفعالات الدَّاخليّة للمعرّي، ويبدو ذلك أكثر وضوحاً ومباشرة في مشهدٍ قامَتْ فيه الحَمَامةُ الثّكلى بدورِ المحفّز لإيقاظ ذكريات الشَّاعر الدَّفينّة والملتاعة، إذْ يقولُ[٣]:

---

(١) حميد سمير، **النَّصُّ وتفاعل المتلقي في الخطابِ الأدبيّ عند المعرّي**، مرجع سابق، ص١٤٤.

(٢) أبو العلاء المعرّي، **سقط الزَّند**، ص٣٧٧.

(٣) أبو العلاء المعرّي، **اللّزوميّات**، ج١، ص٢٣٠.

لَقَــدْ سَـنَحَتْ لِـي فِكــرةٌ بَارِحيَّــةٌ، ومَــا زَادنــي، إلّا اعتبــاراً، سُنُوحُهَا[١]

بِرَبَّــةِ طَـوْقٍ، مَــا أَقَـلَّ جَنَـاحُهــا جُنَاحاً، وفي خُضْرِ الغُصُونِ جُنُوحُها[٢]

وَهَــاجَ، حُمَيَّــاها، أصِيــلٌ مُذكّــرٌ، تُغَنّيْــهِ شَـجْواً، أو غَـداةٌ تَنُوحُهــا[٣]

وتلــكَ، لَعَمْــرِي، شِـيْمَةٌ أَوّلِيَّــــةٌ، تَوارثَهَــا شِـيثُ الحَمَـامِ ونُوحُهــا[٤]

أولعَ المعرّي بفكرةِ الطوقِ عندَ الحَمَامِ، وأسهبَ الحديثَ فيها، وأشارَ إليها في مواضع مختلفة، غير أنَّه لم يغفلْ عن شجوها، ونوحها فقيدها أو حبيبها منذُ زمنِ نوحِ عليه السَّلام وابنه شيث. ولعلَّ ذلك راجع إلى مزية طُبع عليها المعرّي في لزومياته، "فهي صوته المكتمل النّبرات والنّغمات، إنَّه نشيدُ الوجعِ والحيرةِ والنّغمةِ، والعدمِ، أطلقه وهو أنضج مَا يكون تجربة، وأعمق مَا أوغل حسّاً وتأمّلاً"[٥].

ويمكننا أنْ نربطَ بينَ الحَمَامِ وفقدانه زوجه أو صاحبه وبينَ حالِ الشَّاعر وفقدانه أهله وأحبته، وعلى أساس ذلك جعلَ الشَّاعرُ للحَمَام مهمةً واضحةً في نصِّهِ الشِّعري تتمثلُ في قدراتِهِ على التَّعبيرِ عن هواجس النَّفس، وكوامن العقل الدّاخليّة، وهذا يتّضحُ بقولِهِ: (وَهَاجَ، حُمَيَّاها، أصِيلٌ مُذكِّرٌ) فقدْ أعَادَ علينا الشَّاعرُ معنى نطقت به ذاته، وتألمتْ له كثيراً.

شغلتْ قضيةُ مصيرِ الإنسان فكر المعرّي، وأنهكتْ عقله، وتغلغلتْ في أغلبِ نصوصه الشِّعريّة، فالمتأمّلُ لتجربته الإبداعيّة قلماً لا تقع عيناه على حدثٍ أو عبارةٍ

---

(١) سنحت: خطرت وعرضت. بارحية: مشؤومة وأصلها من الطيرِ الذي يطير عن اليسار إذا زجر، تتشاءم به العرب. السَّانح من الطير: مَا جرى من ناحية اليمين. البارح: ما جرى من ناحية الشّمال.

(٢) ربة الطوق: حمامة مطوقة. الجَنَاح: مَا يطير به الطير. الجُناح: الإثم. جنوحها: انعطافها، استقرارها.

(٣) حُمَيَّاها: حُميا الكأس: أوّل سورتها.الأصِيل: الوقت من بعدِ العصرِ إلى المغربِ. الشجو: الهمّ والحزن.

(٤) شيمة أولية: صفة قديمة، ورثتها من حمام نوح وابنه شيث.

(٥) علي شلق، **أبو العلاء المعرّي والضّبابية المشرقة**، ص٢٨.

أو تركيبٍ يتعلق بتلك الجائحة أو هذا الإعصار العاتي، فالمعرّي له نسقُهُ ولغتُهُ الخاصّة بالإضافةِ إلى دلالاته ومعانيه المستقلة بمَا يتصلُ بهذهِ القضيةِ. ولهذا عهدناه لا يفتأ جاهداً أنْ يعقد مقارنةً بينَ أقوالِ الشُّعراءِ واجترارتهم وسجع الحَمَام، ويجعلهم وجهاً واحداً في عدمِ الفائدة أو الجدوى، فكتاباتهم وأقوالهم أضحت شائحةً، ومحاولة تنتهي دائماً بالإخفاقِ أو اليبابِ، فسجعُهم أضحى بلا معنىً كهديلِ حَمَامٍ، إذ يقولُ[1]:

بِئْسَ المَعَاشِرُ، إنْ ناموا فلا انْتَبِهُوا   مِـن الرَّمادِ، وإنْ غَابُوا فـلا رَجَعُـوا

قريضُهُـمْ كقريـضِ البَارِكـاتِ، ومـا   سَجْعُ الحَمَائمِ إلَّا مثلُ مـا سَجَعُوا[2]

يَشْـجو الفِـراقُ، فلـولا إلـفُ مُفْتَقِـدٍ   للظّاعنيـنَ، لمـا أُبْكُـوْا ولا فُجِعُـوا[3]

ومَنْ ينعمِ النَّظر جيداً في النَّصِّ الشِّعري السَّابق، ولغة الذَّم والقدح الموجهة نحو أصحابه وأصدقائه ينفذ إلى أغوارِ الذّائقة العلائيّة بالنسبةِ للحياةِ وصروفها، فلا قيمة لها عنده، ولا فائدة مرجوة منها، فالموتُ خيرٌ من الحياةِ لما يجلب من راحةٍ وسعادةٍ وهناء.

ومع إيمانه المطلق بالقُدرةِ الخالقةِ في إيمانٍ عميقٍ، لا يخامره شك بأنَّه حاصل لا خلاف عليه، نقرأ عنده لغة التَّهكم والسّخريّة اللاذعة من ذينك أحاديث وإبداعات الشُّعراء الفانيّة، ويشتدُّ الأمرُ عنده حين يعقد مقارنةً بينَ شعرِهم وسجعِ الحَمَامِ ويتيقن من حتميةِ الأسى والمرارةِ والحزن.

---

(١) أبو العلاء المعرّي، **اللّزوميَّات**، ٢ج٢، ص٢٢، ٢٣. وانظر: **شرح اللّزوميَّات**، ج٣، ص٣٤٦.

(٢) القريض: الشِّعر. الباركات: الجمال وقريضها: مَا تجتره من طعامها. سجع الحَمَام: هديله وسجع النَّاس كلامهم المسجّع. يشجو: يحزن.

(٣) الفِراق: هنا الموت. الظاعن: المسافر، ويقصد به الشَّاعر الفقيد.

وممَّا لا شك فيه أنَّ المعرّي "يرقى بالتّهكمِ والنّقدِ ممَّا يجعله أقرب إلى الأدباءِ منه إلى الفلاسفةِ ويكادُ يكونُ هذا التّهكمُ في أكثرِ لزومياته. على أنَّ هذا التّهكم ليس من الهزلِ والتّعريضِ بل من الإصابةِ في المقارنةِ مع الصّحيحِ وبينَ المعقولِ وغير المعقول وتهكمه لا يبعث على الضّحكِ بل على التّفكيرِ، إنَّه الحقيقةُ المرّة نفسها، مسوقة في قالبٍ شعري جميل"[١].

ارتحلَ المعرّي من المعرّةِ إلى حلب وقلبه ينزفُ شوقاً إلى حلب وأهلها، وهو صبي، وقرأَ على محمّد بن عبدالله بن سعد راوية ديوان المتنبي[٢]، ومكثَ فيها فترة غير طويلة من الزّمنِ، يتحصّل العلم ويطّلع على خزائن الكتب فيها، ليغادرها بعدئذٍ بحزن عارم لأهلِها ولرجلٍ من العلويين مدحه بلاميّةٍ صَادقةٍ، صوّر فيها وداعَه الحزين، وحبَّه الدَّفين، لممدوحه وأهل حلب الكرام، وعلى هذا النحو نلحظ أنَّ المعرّي يحنّ إلى حلب، ويشتاقُ بلهفٍ لأحبةٍ وأصدقاء فيها، فهم لم يضنوا عليه بعلم أو مساعدة، وواضحٌ ذلك فيما نراه من حرارةِ ألفاظه، وتلظي قلبه بنار الفراق، والبعد، حيثُ قالَ[٣]:

لَيْـتَ التَّحمُّـلَ عَــنْ ذُرَاكَ حُلُــولُ، والسَّيْرَ عَـنْ حَلَـبٍ إِلَيْكَ رَحِيْــلُ[٤]

في القَلْـبِ ذِكْـرٌ لا يَزُولُ، وإنْ أَتَى، دُونَ اللِّقَـاءِ، سَبَاسِـــبٌ وهُجُــولُ[٥]

---

(١) عمر فروخ، **حكيم المعرّة**، مطبعة الكشاف، بيروت، ١٩٤٤م، ص١٨، ١٩.

(٢) مجموعة من العلماء، **تعريف القدماء بأبي العلاء المعرّي**، سفران، تحقيق مصطفى السّقا وآخرين، إشراف طه حسين، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٥، السِّفر الأول، ص٥٥٥.

(٣) أبو العلاء المعري، **سَقْط الزَنْد**، ص١٧٦، ١٧٨. وانظر: **شروح سقط الزَنْد**، ج٢، ص٨٦٧-٨٧١.

(٤) التّحمل: الرَّحيل. الحلول: النزول. الذرا: النَّاحية والكنف.

(٥) السباسب: جمع سبسب وهو القفر الذي لا نبات به. الهجول: جمع هجل، وهي أرض مطمئنة تكون صلبة وسهلة.

إِنَّ العَوائـــقَ عُقْـــنَ عَنْـكَ رَكَائِبِي، فَلَهُـنَّ، مـِنْ طَـرَبٍ إِلَيْـكَ، هَدِيـلُ[1]

أَشْـبَهْنَ، في الشَّوْقِ، الحَمَامَ، وإِنَّمَـا طَيَرانُهُـــنَّ تَوَقُّـــصٌ وَذَميـــلُ[2]

إذا تأمّلنا النَّصَّ الشِّعري–آنف الذكر– جيداً، نلمس أنَّ حياةَ المعرّي اقترنت بعد رحيله عن أرض ممدوحه بحلب، بالضّيقِ، والتّوجعِ، والتحسّر الذي فطرَ قلبَهُ حزناً، كونه غادرَ عزيزاً، فنراه يتجاوز عالم البشر إلى عالمِ الحيوان والطير في استحضارهِ هديل الحَمَامِ ليصف أثر ذلك الفقد على نفسه، وهذه إشارةٌ صارخةُ الدِّلالة تكشفُ عن مكانةِ الممدوحِ، وعلو شأنه عندَ المعرّي.

ثمّ لا يلبثُ أنْ يتحولَ هديلُ الحَمَامِ إلى سببٍ من أسبابِ ديمومة الذّكرى وشفاء القلب والرّوح، لهذا استعارَ الشَّاعرُ الهديلَ هنا للإبل ليصف شدّة حنين هذا الحيوان إلى ممدوحه، فالمعرّي يستعينُ بعالمِ الطير الحَمَام–كمعادل جمالي– ليؤكد مشاعرَ الاشتياق الملتهبة، وزفراتِ الحبّ والالتياع لممدوحه.

وإذا كَانَ المعرّي تخيّرَ هديل الحَمَامِ مرّة والإبل مرّة ثانية أسلوباً تأكيدياً على تجربتِهِ الذّاتيةِ المتساوقة مع رمزيتهما الدّلاليّة للواعجِ الحبّ وأشجان الغربة وألم الفراق. فإنَّ المعرّي قد أثبتَ أنَّ ممدوحَهُ نسيجُ عصره وفريدُ زمانه في الصِّفاتِ التي امتازَ بها، وأنَّ هذه الصّفات سبب رئيس تجذبه كي يمدحه، ويثني على خصاله وفضائله الكثيرة.

وهكذا، استطاعتْ ذائقةُ المعرّي الشِّعريّة أن توظفَ طائرَ الحَمَامِ وصوته ومتعلقاته في رسمِ أطر الصّورة الفنّيّة، وجعلها أداة طيعة التّشكيل والاستعمال في النَّصِّ الأدبيّ، وهذا لا يتأتى إلا لشاعرٍ متمرسٍ خبير.

---

(١) العوائق: مصـــائب الدَّهر. الرّكائب: الإبل التي يتخذها الإنســـان للركوب. الطرب: حالة من الخفة تعتري النَّاس في الفرحِ أو الحزنِ. الهديل: صوت الحَمَام، وقد استعير الهديل هنا للإبل؛ ليصف شدة حنينها إلى ممدوحه.

(٢) التوقّص: ضرب من سير الإبل فيه اضطراب. الذميل: السَّير السَّريع.

ويمكن القول بعد قراءةِ نصوصِه الشِّعريّةِ السَّابقةِ: إنَّ المعرّي بحسّهِ المرهفِ، ومعايشته مضمار الحيوان والطير نقلنا بواقعيةٍ ومصداقيةٍ لسجايا ذلك العَالَم وطبائعه، ويتجلّى الأمرُ في غير موضع عند استحضارهِ لطائرِ الحَمَامِ، فبعدَ أن فزع لهديله ليعبّر من خلالِهِ عن وفائه لمحبوبته نجده شغوفاً في توظيفِهِ مرّة ثانية في الإفصاحِ عن شوقهِ تجاه عزيزٍ أو حبيبٍ قَدْ غادرَ المكانَ والدِّيارَ.

خاتمة:

حَضرَ طائرُ الحَمَامِ في شعرِ المعرّي حضوراً قوياً ولافتاً للانتباه، وتباينتْ طريقةُ توظيفه في حقولِ الشِّعرِ دِلالة ولفظاً، فأنماطُ الدِّلالةِ توزعتْ بين محاور متعددة كالبكاءِ والحزنِ والفقدِ والحرمانِ، والملحوظُ أنَّها لم تخرجْ عن دائرةٍ واحدةٍ وهي هياج الشّوق والجدب والخواء والفقد واتّصالها اتّصالاً وثيقاً باستعدادِ الشَّاعر النّفسي والمضمار الوجداني المحيط به الذي لم يتجاوز التّعبير عن حزنه، وترتب على هذا تركيزه بأن جعلَ الحَمَامَ معادلاً موضوعياً لذاته.

أمّا الأداءُ اللّفظي لاستخدام أشكال الحَمَام وأسمائه وهيئته فتراوحت بينَ اللّونِ والرّيشِ والصّوت، وأدّى كلّ شكل منهما وظيفةً بارزةً حققت هدفاً وغايةً يطمحُ الشَّاعرُ إلى تأكيدها.

وفي إعادةِ تأمّل دراسة دِلالة الحَمَام في شعرِ المعرّي نتوصل إلى النتائجِ الآتية:

١- إنَّ اختيارَ المعرّي طائر الحَمَام متكأً للتعبيرِ عن شحناته النّفسيّة، وطاقات أثقلتْ ذاته عن حملها لم يكن لولا أنَّ الحَمَامَ ارتبط بأبعادِ الشّوق والحنين والانقطاع والضّياع.

٢- حرّكَ غِناءُ الحَمَامِ اشتياق المحبّ الولهان، وأعادَ حيويةَ ذكريات الحبّ الماضي عندَ الشَّاعرِ لأحبته، وأهله، وأصدقائه. فأصبح الحَمَامُ رمزاً حاضراً يُلبسه همومه وأحزانه وأشجانه وتأوهاته للبعد عنهم.

٣- التصقَ هديلُ الحَمَامِ عندَ المعرّي بسياقاتٍ دلاليّةٍ طافحة بمفهومِ الحزن والألم والتّحسر لارتباطه بأسطورةٍ قديمةٍ، امتازتْ بديمومةِ البكاء وذرف الدّموع، وحُفّت باليأسِ والمرارةِ.

٤- استطاعَ المعرّي أنْ يتقاطعَ مع الحَمَامِ عاطفياً، فلمْ يجدْ طائراً يعبّرُ من خلاله عمّا تئنُ به ذاته من عواطف ورؤى كالهوى والأسى والتّأزمِ والألمِ كطائرِ الحَمَامِ.

٥- لكثرة تعلق المعرّي بالحَمَامِ بدأ يراقبه ويصفه وصفاً دقيقاً، فأطلقَ عليه مسميات مختلفة وعلى بعضِ الأماكن التي يحطّ عليها.

٦- لم يقصر الشَّاعرُ توظيفَ الحَمَامِ على سياق الحديث على علاقته بمن أحبّ أو انصرم تواصله وما أحاطَ تلك العلاقة من تبرّم وفتور وقطع حبل الوصال والصّرم والصّبر، بل تأتي دلالةُ الحَمَام لامعةً مشرقةً في موضوعِ المدح فضلاً عن جماليات اللّون الخارجي لأطواق الحَمَامِ باعتبارها مظهراً طبيعياً مثيراً للتفكير والنّظر.

٧- في تتبع دلالات الحَمَام ورموزه واستثمارها في النَّصِّ الشِّعري عندَ المعرّي نجد تقاطعاً كبيراً مع أصوات شعراء العصر الجاهلي والأموي والعبّاسي، حيثُ بقيت نظرةُ الشَّاعرِ إلى الحَمَامِ قائمةً على تسعير أشجان العاشقين، مثيرةً أشواقهم، مرهقةً فكرهم، تعكسُ حديث الذَّات عن مكابدة مرارة الغربة ولقاء الأحبة والحنين إليهم.

٨- تناغمَ مشهدُ الحَمَامِ وما قُصَّ حوله من أخبار في المنظور التُّراثي كثيراً مع سياقات المعرّي الشِّعريّة، وتلون الحالة الشّعوريّة التي يعيشها، لذا لا غرو أنْ نجدَ الحَمَامَ معادلاً موضوعياً لفقده وألمه وحرقة وجده ولوعات بعده عن الأهلِ والأصحابِ والأوطانِ.

٩- إنَّ القارئَ للأحوالِ السّياسيّة والفكريّة في القرنينِ الرَّابع والخامس الهجريينِ يلمس الاضطراب والقلق المتلازمين لصورة الحَمَامِ عندَ المعرّي، فلم يرسم حالة الطمأنينة والأمان والسّكون، وهذا انعكاس دقيق للواقع الذي يعيشه المعرّي، ومَا يموج فيه من صِراعات ومؤامرات وتقلبات افتقدَ بسببها إلى الرَّاحة والاستقرار.

١٠- لمّا كانَ الحَمَامُ مظهراً طبيعياً في الواقعِ، فإنَّ من البدهي أنْ نجد مدلولات

متنوعة لتوظيفها أو استخدامها في النَّصِّ الشِّعري، ومن ذلك التّنوع الذي غلب على الصّورةِ المرسومة لذلك الطائر في شعرِ المعرّي وتضمينه رسائل ذاتية تكشف عن نفسٍ متوثبة، ديدنها التّأمّل، والتَّمحيص والتَّوجس والتَّبرّم من أمّ دَفر. وبوقوف الشَّاعر على المعاني السَّابقة إشارة إلى قلق الإنسان ومخاوفه من الحياة وصروفها.

١١- بالغَ المعرّي-أحياناً- في وصف ارتفاع وتيرة الحزن الجاثمة في نفسِ الإنسان، واتَّضح الأمرُ بأن شكّلَ صورةً قاتمةً للحَمَامِ اعتمدَ في رسمِ أبعادها وأطرها على مورثات سابقة وإسقاطات داخليّة ونفسيّة تجاهل فيها صفات حسنة، ورموزاً إيجابيّة تبعث على السُّرورِ والفرحِ، نحو: الوفاء والسَّلام والأمان، والحبّ والائتلاف، والأمانة، والاهتداء.

المصادر والمراجع:

١- إبراهيم الدّهون، "**التَّناص بين التَّنظير والتَّطبيق؛ مرثيةِ المعرّي الإنسانيّة أنموذجاً**"، مجلّة العلوم العربيّة والإنسانيّة، جامعة القصيم، السّعودية، ٢٠١٤م، مج٧، ع٤.

٢- أحمد بن عبدالله بن سليمان أبي العلاء المعرّي (ت٤٤٩هـ، ١٠٥٧م)، **ديوان اللّزوميَّات**، ٢ج، تحقيق أمين عبدالعزيز الخانجي، مكتبة القاهرة، ١٩٢٤م.

٣- أحمد بن عبدالله بن سليمان أبي العلاء المعرّي (ت٤٤٩هـ، ١٠٥٧م)، **ديوان سقط الزَّند**، شرحه وضبط نصوصه عمر الطبّاع، دار الأرقم بن أبي الأرقم، ط١، بيروت، ١٩٩٨م.

٤- أحمد بن عبدالله بن سليمان أبي العلاء المعرّي (ت٤٤٩هـ، ١٠٥٧م)، **شرح اللزوميَّات**، ٣ج، تحقيق منير المدني، وزينب القومي، ووفاء الأعصر، وسيد حامد، إشراف حسين نصّار، الهيئة المصرية العامّة للكتّاب، القاهرة، ١٩٩٢م.

٥- أحمد بن عبدالمؤمن بن موسى بن عيسى القَيْسي الشَريشي (ت٦١٩هـ، ١٢٢٣م)، **شرح مقامات الحريري**، ٥ج، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصريَّة، بيروت ١٩٩٢م.

٦- أبو العبّاس أحمد بن علي الفزاري القلقشندي (ت٨٢١هـ، ١٤١٨م)، **صبح الأعشى في كتابةِ الإنشاِ**، ١٤ج، دار الكتب المصريّة، القاهرة، ١٩٢٢م.

٧- أبو علي إسماعيل القالي البغدادي (ت٣٥٦هـ، ٩٦٧م)، **الأمالي**، ٤ج، دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٩٧٨م.

٨- امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكِنْدِي (ت٥٦٥م)، **الديوان**، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط٤، القاهرة، ١٩٨٤م.

٩- أنور عليان أبو سويلم، **الطبيعةُ في شعرِ العصر العبّاسي الأوّل**، دار العلوم

للطباعة والنَّشر، الرّياض، ١٩٨٣م.

١٠- بشَّار بن برد (ت١٦٨هـ، ٧٨٥م)، **ديوان بشار بن برد**، ٢ج، جمع وتحقيق وشرح محمّد الطاهر بن عاشور، تعليق محمّد رفعت فتح الله ومحمّد شوقي أمين، مطبعة لجنة التّأليف والتّرجمة والنّشر، القاهرة، ١٩٥٤م.

١١-التبريزي والبطليوسي والخوارزمي، **شروح سقط الزَّند**، ٥ج، مصطفى السقا وعبدالرحيم محمود وعبدالسَّلام هارون وإبراهيم الأبياري وحامد عبدالمجيد، إشراف طه حسين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٣، القاهرة، ١٩٨٧م.

١٢- ثناء أنس الوجود، **تجلياتُ الطبيعة والحيوان في الشِّعرِ الأُموي**، دار نوبار للطباعة، القاهرة، ١٩٩٨م.

١٣- جرير بن عطية الكلبي اليربوعي التميمي (ت١١٠هـ، ٧٢٨م) **ديوان جرير**، شرح محمّد بن حبيب، مجلدان، تحقيق نعمان محمّد أمين طه، دار المعارف، ط٣، القاهرة، د.ت.

١٤- جمال الدِّين بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري (ت٧١١هـ، ١٣١١م)، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، ١٩٥٦م.

١٥- أبو القاسم الحسين بن محمّد بن المفضّل المعروف بالرَّاغِب الأَصْفَهَاني (ت٥٠٢هـ، ١١٠٨م)، **محاضرات الأدباء ومحاورات الشُّعراء**، ٥ج، تحقيق رياض عبدالحميد مراد، دار صادر، ط١، بيروت، ٢٠٠٤م.

١٦- حميد سمير، **النَّصُّ وتفاعل المتلقي في الخطابِ الأدبي المَعَرِّي**، منشورات اتّحاد الكُتَّاب، دمشق، ٢٠٠٥م.

١٧- ريمة إبراهيم مسعود، **توظيف الحيوان في شعرِ البحتري ودلالته النّفسيّة والاجتماعيّة والرّمزيّة**، دار الشّرق، ط١، دمشق، ٢٠١٠م.

١٨- سليمان سليم البوّاب، **غرائب الحيوان**، دار الحكمة، دمشق، ١٩٨٤م.

١٩- أبو العبّاس شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان (ت٦٨١هـ، ١٢٨٢م)،

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان، ٧ج، تحقيق د. إحسان عبّاس، دار الثّقافة، بيروت، د.ت.

٢٠- صالح حسن النطي، **الفكرُ والفنُّ في شعرِ أبي العلاء المعرّي؛ رؤية نقديّة عصريّة**، دار المعارف، منطقة الإسكندرية، ١٩٨١م.

٢١- صلاح الدين خليل الصّفدي (ت٧٦٤هـ، ١٣٦٢م)، **الوافي بالوفيات**، ٢٩ج، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ٢٠٠٠م.

٢٢- طه حسين، **مع أبي العلاء في سجنه**، دار المعارف، ط١٤، القاهرة، ١٩٨٩م.

٢٣- عبدالقادر الرّباعي، **الطير في الشِّعرِ الجاهلي**، المؤسسة العربيّة للدراسات والنّشر، ط٢، بيروت، ١٩٩٧م.

٢٤- أبو منصور عبدالملك بن محمّد الثَّعالبي النّيسابوري (ت٤٢٩هـ، ١٠٣٨م)، **ثمار القلوب في المضاف والمنسوب**، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٥م.

٢٥- علي إبراهيم أبو زيد، **الحَمَامُ في الشِّعر العربي**، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٦م.

٢٦- أبو الحسن علي بن إسماعيل الأندلسي ابن سيده (ت٤٥٨هـ، ١٠٦٦م)، **المُخصَّص**، ٥ج، تقديم خليل إبراهيم جفّال، تحقيق مكتب التَّحقيق بدارِ إحياء التُّراث العربي، دار إحياء التُّراث العربي، ط١، بيروت، ١٩٩٦م.

٢٧- علي البطل، **الصّورةُ الفنّيّة في الشِّعرِ العربي حتىّ آخر القرن الثّاني الهجري**، دار حِراء للنشرِ والتّوزيع، القاهرة، ١٩٨١م.

٢٨- علي شلق، **أبو العلاء المعرّي والضّبابية المشرقة**، المؤسسة الجامعيّة للدراسات والنَّشر والتَّوزيع، ط١، بيروت، ١٩٨١م.

٢٩- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت٢٥٥هـ، ٨٦٩م)، **كتاب الحيوان**، ٨ج، تحقيق عبدالسَّلام هارون، دار إحياء التُّراث العربي، ط٣، القاهرة، ١٩٦٩م.

٣٠- قيس بن الملوح بن مزاحم العامري (ت٦٨هـ، ٦٨٨م)، **ديوان مجنون ليلى**، تحقيق عبدالسّتار أحمد فرّاج، دار مصر للطباعة، القاهرة، ١٩٧٩م.

٣١- كامل الجبوريّ، **الطير ودلالاته في البِنْية الفنّيّة والموضوعيّة للشّعر العربي قبل الإسلام**، دار الينابيع، دمشق، ٢٠١٠م.

٣٢- كمال الدين بن عبدالرحمن محمّد بن القاسم الأنباري (ت٥٧٧هـ،١١٨١م)، **نزهة الألباء في طبقات الأدباء**، ١م، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٨م.

٣٣- محمّد سليم الجندي، **الجامعُ في أخبارِ أبي العلاء المَعَرّي وآثاره**، ٣ج، علّق عليه: عبدالهادي هاشم، مطبوعات المَجْمَع العلميّ العربيّ، دمشق، ١٩٦٢م.

٣٤- محمّد بن محمّد بن عبدالرزاق المرتضى الزّبيدي (ت١٢٠٥هـ، ١٧٩١م)، **تاج العروس من جواهرِ القاموس**، ٤٠ج، تحقيق عبدالعليم الطحاوي، مطبعة حكومة الكويت، ١٩٨٤م.

٣٥- محمّد مصطفى بالحاج، **شاعريّة أبي العلاء المعرّي في نظرِ القدامى**، الدَّار العربيّة للكتاب، تونس، ١٩٨٤م.

٣٦- مجموعة من العلماء، **تعريف القدماء بأبي العلاء المعرّي**، سفران، تحقيق مصطفى السّقا وآخرين، إشراف طه حسين، الدَّار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٥م.

٣٧- ياقوت بن عبدالله الحموي (ت٦٢٦هـ، ١٢٢٩م)، **معجم الأدباء؛ إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب**، ٧ج، تحقيق د. إحسان عبّاس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٣م.

٣٨- يوسف خليف، **في الشّعرِ العبّاسي؛ نحو منهج جديد**، دار قُباء للطباعة، القاهرة، د.ت.

Sources and references:

1. Ibrahim Al-dhoon, "The Relationship Between Endoscopy and Application; The Human Resource Model of Murray", Journal of Arab and Human Sciences, Qassim University, Saudi Arabia, 2014, Vol. 7, p.4.
2. Ahmed bin Abdullah bin Sulaiman Abi Ala al-Ma'ari (d. 449 e, 1057 m), Diwan Al-Lzoumiyat, 2 C, the realization of Amin Abdul Aziz al-Khanji, Cairo Library, 1924.
3. Ahmed bin Abdullah bin Sulaiman Abi Ala al-Maarri (d. 449 e, 1057 m), the office of the fall of the Zend, his explanation and the seizure of texts Omar Taba, Dar al-Arqam ibn Abi Arqam, 1, Beirut, 1998.
4. Ahmed bin Abdullah bin Sulaiman Abi Ala al-Maarri (d. 449 e, 1057 m), explanation of the lazumiyat, 3 c, the investigation of Munir al-Madani, Zineb National, Wafaa al-Aasar, and Sayed Hamid, supervision of Hussein Nassar, Egyptian General Book Authority, Cairo, 1992.
5. Ahmed bin Abdul Mu'min bin Musa bin Isa al-Qaisi al-Shuraishi (619 AH, 1223), Explanation Makamat Hariri, 5 C, investigation Mohammed Abu Fadl Ibrahim, Modern Library, Beirut 1992.
6. Abu Abbas Ahmed bin Ali al-Fazari al-Qalqashandi (v. 821 AH, 1418 AD), Sobh al-A'shi in writing al-Anshah, 14 C, Egyptian Book House, Cairo, 1922.
7. Abu Ali Ismail al-Qali al-Baghdadi (356 AH, 967 AD), Amali, 4 C, the House of Scientific Books, Beirut, 1978.
8. Amer Qais bin Hajar bin Harith Canadian (T. 565 m), Diwan, investigation Mohammed Abu Fadl Ibrahim, Dar Maaref, 4, Cairo, 1984.
9. Anwar Alian Abu Swailam, Nature in the First Abbasid Poetry, Dar Al-Ulum for Printing and Publishing, Riyadh, 1983.
10. Bashar bin Bard (T 168 H, 785 m), Diwan Bashar bin Bard, 2 c, collection and investigation and explanation of Mohammed al - Taher bin Ashour, the suspension of Mohamed Refaat Fathallah and Mohammed Shawki Amin, Press Committee of the authoring, translation and publishing, Cairo,

11. Tabrizi, Al-Battleousi and Al-Khwarizmi, annotations of Sut al-Zand, 5 C, Mustafa al-Sakka, Abdel-Rahim Mahmoud, Abdel-Salam Haroun, Ibrahim El-Abiari and Hamed Abdel-Meguid, supervision by Taha Hussein.
12. Acknowledgment of Anas the presence, manifestations of nature and animal in Umayyad poetry, Dar Nubar for printing, Cairo, 1998.
13. Jarir bin Atiyya al-Kalbi Yirboubi al-Tamimi (1101 AH, 728 CE) Diwan Jarir, Explanation of Mohammed bin Habib, two volumes, investigation Nauman Mohamed Amin Taha, Dar Maaref, 3, Cairo,
14. Gamal al-Din ibn Makram bin of the African-Egyptian perspective (v. 711 AH, 1311), the tongue of the Arabs, Dar Sader, Beirut, 1956.
15. Abu al-Qasim al-Husayn ibn Muhammad bin preferred known as Ragheb al-Asfahani (502 AH, 1108 AD), lectures of writers and dialogue poets, 5 C, the investigation of Riad Abdul Hamid Murad, Dar Sader, 1, Beirut,
16. Hamid Samir, The Text and Reciprocal Interaction in the Literary Literary Discourse, Writers Union Publications, Damascus, 2005.
17. Rima Ibrahim Masoud, the employment of animals in the poetry of the poet and its psychological and social and symbolic, Dar Al Sharq, 1, Damascus, 2010.
18. Suleiman Salim Al-Bawab, Strange Things to Do, Dar al-Hikma, Damascus, 1984.
19. Abu Abbas Shams al-Din Ahmed bin Mohammed bin Khalkan (d. 681 e, 1282), mortality of the eyes and news of children of time, 7 c, investigation d. Ihsan Abbas, House of Culture, Beirut,
20. Saleh Hassan Al-Nati, Thought and Art in the Poetry of Abu Ala Al-Ma'ari; Modern Critical Perspective, Dar Al-Ma'arif, Alexandria, 1981.
21. Salah al-Din Khalil al-Safadi (d. 764 AH, 1362 AD), Al-Wafi in Baloufiyat, 29 C, the investigation of Ahmed Al-Arnaout and Turki Mustafa, House of Heritage Revival, Beirut, 2000.
22. Taha Hussein, with Abi Ala in his prison, Dar Al Ma'arif, I 14, Cairo, 1989.

23. -٢٣Abdul Qadir Al-Rubaie, The Bird in Pre-Islamic Poetry, The Arab Institution for Studies and Publishing, II, Beirut, 1997.
24. Abu Mansour Abdul Malik bin Mohammed Thaalabi Nisabouri (T 429 AH, 1038 AD), the fruits of hearts in Almdav and Almnsub, investigation Mohammed Abu Fadl Ibrahim, Dar Maarif, Cairo, 1985.
25. Ali Ibrahim Abu Zeid, Pigeons in Arabic poetry, Dar al-Ma'aref, Cairo, 1996.
26. Abu Hassan Ali bin Ismail Andalusian son of his master (T 458 AH, 1066 AD), assigned, 5 C, the presentation of Khalil Ibrahim Jafal, investigation of the Office of Investigation at the House of Revival of Arab Heritage, the House of Revival of Arab Heritage, 1, Beirut, 1996.
27. Ali Al-Batal, the artistic image in Arabic poetry until the end of the second century AH, Dar Hira Publishing and Distribution, Cairo, 1981.
28. Ali Shalq, Abu al-Ala al-Ma'arri and the foggy bright, University Institution for Studies, Publishing and Distribution, 1 st, Beirut, 1981.
29. Abu Osman Amr ibn Bahr al-Jahz (255, 869 AD), the book of the animal, 8 C, the investigation of Abdel Salam Haroun, House of Revival of the Arab heritage, I 3, Cairo, 1969.
30. Qais ibn al-Maluh bin Mazaham al-Amiri (686, 688), Diwan Majnoon Leila, investigation of Abdul Sattar Ahmed Farraj, Misr Printing House, Cairo, 1979.
31. Kamel Jubouri, the bird and its implications in the technical and objective structure of Arabic poetry before Islam, Spring House, Damascus, 2010.
32. Kamal al-Din bin Abdul Rahman bin Mohammed al-Qasim al-Anbari (d 577 AH, 1181 AD), a walk in the layers of literature, 1 m, investigation Mohammed Abu Fadl Ibrahim, Dar al-Fikr al-Arabi, Cairo, 1998.
33. Mohammed Salim al-Jundi, the mosque in the news of Abu al-'Ala al-Ma'ari and its traces, 3c, commented by: Abdel Hadi Hashem, publications of the Arab Scientific Academy, Damascus, 1962.

34. Mohammed bin Mohammed bin Abdul Razzaq al-Mortadha al-Zubaidi (t. 1205 AH, 1791), the crown of the bride by Jawahar al-Maawal, 40 c, investigation by Abdul-Alim al-Tahawi, Kuwait Government Press, 1984.
35. Mohamed Mustafa Belhaj, Poet of Abu Ala al-Maari in the eyes of the old, the Arab Book House, Tunisia, 1984.
36. A group of scholars, the definition of the ancients of Abu Ala al-Ma'ari, Safran, the investigation of Mustafa al-Sakka and others, supervision Taha Hussein, National House of Printing and Publishing, Cairo, 1965.
37. Yacout ibn Abdullah al-Hamwi (d. 626 AH, 1229 AD), the Dictionary of Writers; guidance of the Ariab to the knowledge of the writer, 7 c, the investigation of d. Ihsan Abbas, Dar al-Gharb al-Islami, Beirut, 1993.
38. Youssef Khalif, in the Abbasid poetry; Towards a New Approach, Dar Qab'a for Printing, Cairo,

توظيف مفهوم الإسناد في تعليم اللغة العربيّة للطلبة الناطقين بغيرها لطلبة المستوى المتوسط

رانــيــة أبــو خــلــــف[1]

د. فاطمة محمد أمين العمري[2]

ملخّص

يهدف هذا البحث إلى الوقوف على مفهوم الإسـناد في بناء الجملتين الاسـمية والفعلية، وحصـر أنماطهما في مناهج تعليم العربية للناطقين بغيرها للمسـتوى المتوسـط، وإظهار الكيفية التي قُدّمت من خلالها أنماط الجملة بتحليل عينة دراسـية للمناهج تقوم على تحليل النصـوص، وتصـنيف الجمل فيها؛ وعلى الرغم من اختلاف النسـب وتفاوتها في عدد الجمل إلا أنها تتشـابه في الأنماط الموظّفة في نصوصها، وقد اعتمدت هذه المناهج توجيه النصوص من مبدأ وظيفي يلبي حاجة الطالب، ويرفع مسـتوى الرّصـيد اللغوي لديه. ومن خلال هذه الدراسـة وتحليلها للنصـوص وجدنا أن هذه المناهج يجب أن تعطي مبدأ الوظيفية مزيداً من الأولوية والمدارسة في محتواها ونصوصـها وعدم التعرض إلى تكثيفها وكأنها توجه إلى ابن العربية، وقد أظهرت النتائج أن هذه الكتب عرضـت لنمطي الجملة العربية بشقيها الاسمي والفعلي من خلال النصوص، وقد وفّقت في هذا الجانب حيث كان عرضاً متنامياً مع إعطاء الجملة الفعلية الأولوية في التقديم والتكثيف والتركيز على

---

(١) الجامعة الأردنية.

(٢) الجامعة الأردنية.

عرض أنماطها المتراوحة بين البسيط والمركب، غير أن بعضها أخفق في تكثيف المادة النحوية واعتماد النصوص الأصلية التي لم تلتفت إلى هذه الفئة ولا إلى المستوى الذي تقدم له هذه النصوص. وفي ضوء النتائج أوصت هذه الدراسة بضرورة اهتمام هذه المناهج بمحتواها ومراعاة مبدأ الوظيفية مع التدرج والتسلسل والتنظيم والبعد عن العشوائية في المادة النحوية، وأن يتناسب المحتوى مع مستوى الطالب وهدفه وحاجته لدراسة اللغة الهدف، وانتخاب المعلمين المختصين لتدريس هذه الفئة من الطلاب.

الكلمات المفتاحيّة: الإسناد، الجملة، تعليم، العربيّة، الناطقون بغيرها.

Attribution in teaching Arabic to non- native speakers

Abstract

The aim of this study is to understand the concept of attribution in the construction of both noun and verb phrases, identifying their patterns in the intermediate level of teaching Arabic for non speakers curriculums, demonstrating the manner these patterns have been presented in, through analyzing samples and scripts of the materials related, categorizing its phrases. Despite the variety of the phrases categories and numbers, they are similar in patterns.

These materials based on presenting texts in a functional perspective, which meets the student's requirements uttering his language capacity and knowledge. The researcher concluded that, these materials should focus on the functional use of the text and the studying of the context, avoiding complexity as if targeting native speakers.

Though some researches shows positive results regarding the ability of these materials in demonstrating Arabic sentence patterns, giving the verb phrase the priority in the text, yet some of it has failed in improving and enriching grammatical materials and in considering original Arabic texts which not targeting this class of students and level of study.

This study strongly recommends the necessity of considering functional principles, sequence, gradation and organizing. Avoiding syntax randomization, also creating harmony between the context and the student's level, needs and his goal of studying the target language, in addition selecting qualified instructors specialized in this level of students.

key words: Attribution, sentence, teaching, non- native speakers

مقدّمة

يبدو توظيف مفهوم الإسناد في تعليم الجمل أمراً ممكناً بالنظر إلى أنّ هذا التقديم يتسق مع وظيفية المحتوى ووظيفية التقديم التي توجه من خلال النصوص. والطريقة الأنسب لهذا التوظيف تكون من خلال تعريض الطالب بأنماط الجمل البسيطة والمركبة التي تحمل بين طياتها ضمنياً مفهوم هذه العلاقة.

لقد بات معلوماً أنّ الشكوى من النحو متشعبة؛ ولها جوانب مختلفة منها ما يتعلق بالمادة النحويّة ومنها ما يتعلق بالمنهج وما فيه من موضـــوعات غير وظيفية، ومنها الشــكوى من طرق تدريس النحو، ومنها الاضـــطراب في تقديم المباحث النحوية في المنهج، وعدم مراعاة حاجات الدارســين من الناطقين بها وبغيرها.

هذا فضــلاً عن قصــور –عند بعضــهم– في فهم النحو نفســه ونأيهم عن نظام تأليف الجمل، وحصره في الإعراب فقط. وقد تحدّث القدماء في ذلك وأسهبوا، ولعلّ الكثيرين من قدماء ومحدثين اشتركوا في الشكوى من صعوبة النحو واستغلاقه –أحياناً– على الدارسين بسبب فروعه، وتشعباته، وكثرة التخاريج والعلل.

وتأتي أهمية الدراســة من أهمية فكرة الإســناد ودورها في توضــيح بناء الجُمْلتين: الاســمية والفعلية في اللغة العربية، ذلك أن بناء الجُمْلة وإنتاجها على النحو الصحيح يعدّ من أهم الصعوبات والمشكلات التي تواجه دارسي العربية من الناطقين بغيرها –كما تواجه الطلبة العرب– ذلك أنّ الجملة الاســمية لها قوانينها الخاصّــة، كما للجملة الفعلية قوانينها الخاصّــة أيضــاً وهذه القوانين التي يعتورها التغيير في نظام الجملة العربية الحرّ قد تكون شائكةً وعصيةً على الفهم عند بعض الطلبة.

المبحث الأول: الجُمْلَة

لقد تعددت تعريفات الجُمْلَة واقترنت بمفهوم الكلام؛ إذ قرنهما بعض العلماء معاً فَجُعلا شيئاً واحداً، ولم يُفصَل بينهما، ويدلُّ على ذلك قول ابن جنّي[1]: "الكلام هو الجمل المستقلة بأنفسها الغانية عن غيرها". فنظرته للجُمْلة كانت من مبدأ استقلالها بنفسها وعدم احتياجها لغيرها لتمام معناها؛ فهذا هو التركيب التام وذلك لاستيفاء الجُمْلة معناها التام فهما متلازمان شرط حصول الفائدة.

وقد عدّ بعض العلماء الكلام مستقلاً عن الجُمْلَة مفصولاً عنها. فكلٌ منهما له معنى خاص ودلالة مستقلة. وبما أن اللغة "أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"[2] فهي كلام والكلام عنصره المفردة، والمفردة هي الكلمة التي تحمل في طياتها اللفظ والمعنى، وهي تتضافر مع غيرها من الكلمات لتشكّل الجُمْلَةُ التي يمكن السكوت عندها لحصول الفائدة وتمام المعنى المراد. وقد رُبطت الجملة بالنص –فيما بعد– فصار النص[3] "وحدة بنيوية من وحدات الخطاب باعتبارها مجموعة جُمل". فيُعدُّ النص –من خلال وحداته البنائية– جُملاً شرط أن تكون هذه الجُمل تامة المعنى متسقةً مع الموقع المناسب لها أو ضمن الترتيب المخصص لها في النص كي تسهم في بناء النّصّ ونمائه.

والباحث المستقصي لمعنى الجُمْلَة في كتب النحاة يجد أن دراستهم انصبت من حيث ارتباطها بالمفرد والعناصر التي تخدمه، أكثر من التركيب، إلى أن جاء ابن هشام فأحسَّ بتلك الهُوَّة، وحاول تدارك من سبقه من النحاة، فعقد باباً للجُمْلة في مصنفاته ملماً فيه بكل ما يتعلق بالجملة العربية وتقسيماتها. أما من سبق من

---

(١) أبو الفتح عثمان بن جني، (ت٣٩٢هـ)، **الخصائص**، تحقيق محمد علي النجار، المكتبة العلمية، بيروت، ١٩٩٩، ج١، ص١٩.

(٢) السابق، نفسه، ص٣٣.

(٣) أحمد المتوكل، **قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية**، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط، ٢٠٠١م، ص٨١.

النحاة فقد كان الحديث عندهم حول الكلام بنوعيه المفيد وغير المفيد. وقد أفرد سيبوبه باباً مستقلاً أسماه باب المسند والمسند إليه، وفيه يقول[1]: "وهما ما لا يغنى واحد منهما عن الآخر ولا يجد المتكلم منه بداً، وسيبويه في هذا وإن ولم يتطرق للجُمْلة باسمها الصريح، إلا أنّه تحدث عنها بوضوح تام؛ وبين أن العربية تقوم على جملتين أساسيتين تترابط عناصر كل منهما بالأخرى بحكم علاقة الإسناد (المسند والمسند إليه) فإسناد كلمة إلى أخرى عنده يعني الكلام، والغاية منه الإفادة.

وإذا بحثنا في مفهوم الجُمْلَة من حيث المصطلح نجد أنّ الحديث فيها قد كَثُر، وأن تعريفاتها قد تعددت وتنوعت حتى ضاعت الحدود فيها بين الجُمْلَة والكلام، وممن استبدل مصطلح الكلام بمصطلح الجملة ابن يعيش[2] في شرح المفصل وبهذا يكون قد اتفق مع ابن جني في النظرة الكلية للجُمْلَة وارتباطها بالكلام الذي يشكل الوحدة البنيوية للغة.

غير أن المحدثين ابتعدوا قليلاً عن قرن مصطلح الكلام بالجُمْلة، فعرفها المنصف عاشور بقوله[3]: "مجموعة مكونات مباشرة تنعقد حسب سمات تركيبية متماثلة متكاملة محكمة تقع في صورة متواليات من الوحدات البنيوية والعلاقات النحوية".

وبهذا القول تكون الجُمْلة قد أخذت منحنًى آخر في حدها تبعاً للسِّمات التي تحملها وخصائص تركيبها والعناصر التي تحكم سياقها شريطةَ أن يكون المبنى النّحوي والمعنى الدلالي على وفاق كي تعد جُمْلة. وهو ما ذهب إليه عباس

---

(١) سيبويه، أبو بشر عمر بن عثمان بن قنبر، (ت١٨٠هـ)، **الكتاب**، تحقيق عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٨م، ج١، ص٢٣.

(٢) ينظر: ابن يعيش، موفق الدين أبو البقاء يعيش، علي بن يعيش، (ت٦٤٣هـ)، **شرح المفصل**، تحقيق إميل بديع يعقوب، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م، ج١، ص٧٠.

(٣) المنصف عاشور، **بنية الجملة العربية بين التحليل والنظرية**، منشورات كلية الآداب بمنوبة، تونس، ١٩٩١م، ص١٣.

حسن[١] حيث كانت نظرته من حيث اتساقها مع العلاقات السياقية في تراكيبها إلا أنه زاد على ذلك الفائدة المستقلة وتمام المعنى.

ولما كان للعربية نظامها الخاص الذي يحكم تضـام العناصـر اللغوية معاً لتشـكل التراكيب والمكونات، ولما كانت الإفادة حاصـلة من جراء ترابط المفردات وفق قوانين ثابتة تتشـكل تلقائياً من اتصـال المفردات اتصـالاً وثيقاً يقبله العقل فالجُمْلة "كالعقد الذي يجمع بين حباته سـلك وثيق ولا بد أن يبقى ذلك السـلك متصلاً"[٢]. وهذا ما يسمى برابطة الإسناد في الجُمْلة فهو الوحدة العميقة التي تعمل على ترابط الجملة وتماسك أجزائها .

المطلب الأول: أقسام الجملة

بقيام هيكل الجُمْلة وعدّها جزءاً لتصـنيف النصـوص وهيئة مفيدة لاعتبار الكلام، كان لا بد من تحديد أقسـامها. وبهذا قامت شـروحات وتصـنيفات عدة، تناولت هذه الأنواع. لكنها تركزت حول منظومة الإسناد شريطة أن تستوفي معناها سـواء احتاجت للقيود في تركيبها أم اكتفت واغتنت بنفسـها عن لوازمها وتأتي هيئة الجملة الأولى، وبتعبير أدق النمط الأول للجملة على النحو الذي اتفق عليه علماء النحو في حدودهم، وإن كان هذا الحد لم يذكر تحت مصـنف النوع، فسـيبويه[٣]، والزمخشري[٤]، عبّرا عنه ضمن قانون الإسناد وصدارة الاسم للجملة أو الفعل وسار

---

(١) عباس حسـن، **النحو الوافي مع ربطه بالأسـاليب الرفيعة والحياة اللغوية المتجددة**، دار المعارف للنشر، مصر، ١٩٦٩م، ج١، ص١٥.

(٢) مصطفى حميدة، **نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية**، الشركة المصرية العالمية للنشر، لبنان، ١٩٩٧م، ص١٣١.

(٣) ينظر: سيبويه، **الكتاب**، ص٢٣.

(٤) ينظر: الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر، (ت٥٣٨هـ)، **المفصل في علم اللغة العربية**، دار الجيل، بيروت، ص٦.

على نهجهم من ســار، إلى أن جاء ابن هشــام[١]، فدرس الجملة من رؤية مختلفة ومنظور آخر تعدى الدراسـات والشـروحات السـابقة فقعّد أصـولها واسـتدرك القطع الذي حدث في تلك الشـــروحات وغاب مفهومه عمّن ســـبقه وســـار على نهجه السـيوطي[٢]، في تقسـيم الجملة والنمط الأولي لهذا التقسـيم يتمركز على عنصــر إسـنادي واحد في نواته، فهي بسـيطة التركيب يبدأ ركنها الأول عند المســند إليه وينتهي عند المســند في الاسـمية ويبدأ عند المســند وينتهي عند المســند إليه في الفعلية، فهو تركيب يجمع بين كلمتين، فلا قصــرها أفقدها قيد الإســناد، ولا طولها أضـاف إليها هذه الخاصـية. ويرى الراجحي أن الجملة "نوعان لا ثالث لهما، جملة اسمية وجملة فعلية"[٣]، وبهذا يكون قد استثنى الجمل الظرفية والشرطية، وبتقسيمه هذا يكون قد عارض ابن هشــام في نظرته لتقســيم الجملة، ولربما مردُّ رأيه مبني على نظرته للمســـانيد التي مهما اختلف موقعها في الجملة ومهما اختلفت الهيئة التركيبية لها في الجملة، لا ينتج عنها سوى جملة اسمية أو جملة فعلية لا غير.

أما نحن فنميل في تقسـيم الجمل إلى ما ذهب إليه ابن هشــام "فالاســمية: التي صــدرها اســم، والفعلية: التي صــدرها فعل، والظرفية: المصـــدرة بظرف أو مجرور"[٤]، وأضـاف إليها صـاحب المفصل "الشرطية"[٥] .

وســـبب ميلنا هذا لأننا نرى أن الجُمل الظرفية المصـــــدرة بالظروف، أو المصـــــدرة بالجار والمجرور تأخذ حكم المســـند في الحيز الذي تحتله في الجُملة

---

(١) ينظر: ابن هشام الأنصاري، جمال الدين بن عبدالله، (ت٧٦١هـ)، **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب،** تحقيق بركات يوسف هبود، دار الأرقم للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٩م، ج١، ص١٣.

(٢) ينظر: جلال الدين السيوطي، (ت٩١١هـ)، **همع الهوامع في شرح جمع الجوامع،** تحقيق عبدالسلام هارون، وعبدالعال سالم مكرم، دار البحوث العلمية للنشر، الكويت، ج١، ص٣٧.

(٣) عبده الراجحي، **التطبيق النحوي،** دار المعرفة الجامعيّة، بيروت، ٢٠٠٠م، ص٨٣.

(٤) ابن هشام الأنصاري، **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب،** ج٢، ص٦، ٧.

(٥) ابن يعيش، **شرح المفصل،** ج١، ص٢٢٩.

وكذلك الجُملة الشـرطية، التي تضـم بين شـطريها تركيبين إسـناديين يجمعهما أداة الشــرط فكيف يمكن لهذا الازدواج الذي يحمل فعل شــرط إســنادي وجواب شــرط إســنادي أن لا يعتبر جملة، فلا يمكن إهمال عناصــر الإســناد مهما كان مســمى جُملته وهذا ما رآه علي أبو المكارم[1] حين وجد أن اقتصـــــار البعض على اعتبار الجُمل: جُملة فعلية وجُملة اسميه تقسيم غير صـحيح في حال أردت حصـر أنماط الجُمل لكن في حال نظرت إلى شيوع الجُمل من حيث التركيب، فإنه يصح تقسيمها إلى اسـميه وفعلية وكل هذه التقسـيمات تندرج تحت باب الجُمل الخبرية التي تعتمد على التصديق والتكذيب.

فالجُمل بجميع مســـتوياتها، بســـيطة ومركبة ما يربط بين تراكيبها علاقة ذهنية، هي الإسناد فـ"الكبرى والصغرى"[2]، إما اسمية الصدر فعلية العجُز أو فعلية الصـدر اسمية العجُز، وتصـنف الكبرى من حيث التركيب جُملة ذات تركيب حملي واحد وجُملة ذات وجهين حمليين، فإن أخذت مظهر الازدواج والامتداد فالعلاقات البنائية في تركيبها تستند على إسنادين، وكل تركيب لا يؤثر ولا يتأثر بالآخر فهو تركيب متصـــل ومنفصـــل بالوقت ذاته، ولا بد من وجود رابط بينهما كالحروف أو الضمائر، أو الأدوات، أو المتعلقات بشبه الجملة.

والصغرى البسيطة حُكِم على تركيب مسنديها حكم التجاور بالروابط الداخلة عليهما، فالعمدة فيها يجاور مرفوعاً وهذا المرفوع يجاوره فروع ترتبط فيه رباطاً معنوياً أو لفظياً، وقد يزدوج هذا الرابط فيجمع بين اللفظي والمعنوي، فيكون أحدهما ســـبباً محدثاً للآخر أو محققاً له، أو غير محقق فالأصـــــل في تركيب الجمل وتصنيفها هو إسنادية التركيب التي تعطي مع المعنى تركيباً تاماً.

---

(١) ينظر: علي أبو المكارم، **التراكيب الإسنادية الجمل: الظرفية، الوصفية، الشرطية**، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٧م، ص٩.

(٢) ابن هشام الأنصاري، **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، ج٥، ص٢٩.

ومن حيث المعنى يكون تصـــنيف الجُمل في قســمين: الجُمل الخبرية، والجُمل الإنشـائية، والخبرية اتكأت على احتمالية التصـديق والتكذيب؛ كونها تتركز على الخبر وذلك حسـب حالة المتلقي من جراء تأثير الخبر عليه، وهنا يكمن سّـر استخدام أسلوب التوكيد في الجُمل.

المطلب الثاني: الجُمل الإنشائية

وتقسم الجُمل الإنشائية إلى: "إنشاء طلبي، وإنشاء غير طلبي"[١]، فالإنشاء الطلبي ينتظر تحقق حدوث مطلوب وقت عدم تحقق هذا الطلب أي وقت طلبه، والقصـــد فيها التحقق والثبوت لكن لا علاقة لها بالتصـــديق والتكذيب؛ لأنها تركز على العامل النفسـي في حالة توجيه الأمر على نفسـية المتلقي، وكيفية تنفيذه لهذا الأمر، وغير الطلبي فلا انتظار لحدوث مطلوب فيه وإنما تدخل الجملة في باب المعاني النحوية.

ويتضـح لنا أن مدلول الجُملة الخبرية الاسـمية والفعلية من جهة، والجُملة الإنشائية من جهة أخرى يندرج تحت دواعي الاستعمال ونسبة المصداقية التامة في الجُمل لتصـنيف أقسامها، فالجُمل تشـترك في مدلول الإنشـاء والإخبار والاختلاف فيها يحده مصداقية الخبر في الخبرية وتحقق الطلب في الإنشائية وموقع المسانيد في البسيطة وغير الإنشـائية التي لا تحقق للطلب فيها وإنما تحمل معاني كالدعاء والتعجب... وغيره من تلك الأساليب.

لكن في الإنشـــائية غير الطلبية من حيث تركيبها ونمطيتها فإن "معاني الجمل والعبارات تظهر وتحدد بأدائها أداء موسـيقياً أو تنغيمياً معيناً"[٢]، فنجد أننا

---

(١) عبدالســلام هارون، **الأســاليب الإنشــائية في النحو العربي**، مكتبة الخانجي المصــرية، القاهرة، ١٩٩٧م، ص١٣.

(٢) محي الدين الألوائي، **وقائع ندوات اللغة العربية لغير الناطقين بها**، مكتب التربية العربي لدول الخليج للنشر، ١٩٨٥م، ص٥٨.

نعقد علاقة بين النبر والتنغيم والنحو في تعليمها لغير الناطقين بالعربية، فهما صنوان لعملية واحدة فلا نبر يتحقق في المقاطع بدون تنغيمها وهذا ما يتطلبه السياق والمعنى المراد من الجملة تحقيقه فلكل "كلمة جرس"[١] موسيقي يجعلنا نلفظها بشكلٍ نبري وتنغيمي لتبرز الوظيفة الدلالية للجملة عند الضغط على المقطع المراد إبرازه للسامع ليستدل على المعنى وهذا ما دعمه رشدي طعيمة في قوله: "إن نغمة إلقاء الجملة عامل رئيسي في تحديد المقصود منها، استفهاماً، أو تمنياً، أو تعجباً"[٢].

فالعربية حالها حال اللغات الأخرى في تركيبها الصرفي تعتمد النبر والتنغيم؛ إذ المستوى النحوي لا ينفصل عن المستوى الصرفي، وتعليم الطالب للنطق السليم في نبر الصوت وتلوينه يؤدي إلى فهمه هذا النمط من التراكيب.

الجمل التي يحتاجها غير الناطق بالعربية تبعاً للمستوى:

وبما أن الدراسة تركز في هذا البحث على المستوى المتوسط كان من الأولى الاعتماد على الجمل التي تتناسب مع هذا المستوى، ففي هذا المستوى يكون الطالب قد وصل إلى مستوى يمكنه من تخطي العناصر الجزئية ووظائفها إلى فهم أنماط الجُمل والتفريق بين كل نمط، فالطالب يكون قد وصل إلى الحد الذي يمكنه من فهم ما يرى وما يسمع من هذه اللغة واستيعابها، وبما أن العملية التدريسية يجب أن لا "تتوقف عند حدود الجُملة الواحدة أو عند حدود الشكل الظاهري للجملة في تعاملنا مع اللغة"[٣]، فالتفاوت في عرض مستويات من الجمل

(١) تمام حسان، **التمهيد في اكتساب اللغة العربية لغير الناطقين بها**، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٩٨٤م، ص٩٦.

(٢) رشدي أحمد طعيمة، **المهارات اللغوية مستوياتها، تدريسها، صعوباتها**، دار الفكر العربي للنشر، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص٢٢٨.

(٣) نايف خرما، علي حجاج، **اللغات الأجنبية، تعليمها وتعلمها**، عالم المعرفة للنشر، الكويت، ١٩٨٨م، ص١٠٣.

على الطالب يزيد من قابليته لفهمها واستيعابها وإدراكها ومحاولة التعرف عليها والتفريق بين أنماطها؛ لأن "الدارس في هذا المستوى يخطو خطوة نحو أمر مهم في اللغة وهو ما تعلمه عن اللغة بعد أن قضى وقته في المستوى الابتدائي في تعلمها"(١)، ففي هذه المرحلة يدرس اللغة على أسس ويجب أن تقدم له التراكيب الصحيحة حتى يتمكن من "توجيه اللغة وظيفياً"(٢)، في المواقف التي يحتاج إلى استخدامها فيها فهو يأخذ منها ما هو ضروري للحد الذي يحتاجه ويرفع سقف الكلمات والجمل لديه للتعبير عن نفسه وأفكاره وتعلم العربية في مبادئ تعلمها كتعلم أية لغة أخرى يمر بسلسلة من المراحل "الابتدائي، المتوسط، المتقدم"(٣)، فكل مستوى يدعم المستوى السابق ويأخذ الطالب فيه ما يلزمه لتنامي الرصيد اللغوي لديه فلا "يجوز أن نتوسع في عملية تدريس القواعد بشكل مقصود ومحدود في المستويات الابتدائية وينبغي التركيز على بناء علاقات قوية مبنية على العادة بين عناصر ضرورية في مجموعة من أنماط الجُمل الأساسية"(٤) ففي المستوى المبتدئ تقدّم الجملة له بدون تفصيل وإنما يكون التركيز منصبّاً على تميز الطالب لها ولشكلها ومسماها وعلى العلاقات البسيطة التي تربط هذه الجُمل في تراكيبها وعند تمكنه من هذه اللغة يصبح إدراكه أعمق وأوسع فبعد أن يكون قد حصل على القاعدة استنباطاً واستنتاجاً يصبح من الممكن بعد ذلك أن تصرح بها، شرط عدم

---

(١) رشدي أحمد طعيمة، **الأسس المعجمية والثقافية لغير الناطقين بها**، جامعة أم القرى، معهد اللغة العربية، مكة المكرمة، ١٩٨٢م، ص٨.

(٢) داود عبده، **نحو تعليم اللغة العربية وظيفياً**، دار الكرمل للنشر، عمان، الطبعة الثانية، ١٩٩٠م، ص٩.

(٣) رشدي أحمد طعيمة، **الأسس المعجمية والثقافية لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها**، مكة المكرمة، جامعة أم القرى، معهد اللغة العربية، ١٩٨٢م، ص٣٥.

(٤) محمود كامل الناقة، **"تدريس القواعد في برامج تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها"**، المجلة العربية للدراسات اللغوية، المجلد الثالث، العدد الثاني، ١٩٨٥م، ص١٥.

الخوض في التفصيلات والشروحات العقيمة التي تعقد اللغة ونحوها. وبما أن الجُملة هي وحدة النص وأساس التركيب في اللغة فمن المنطق أن تُعنى فيها كتب الناطقين بغير العربية وفي كيفية تقديهما وعدم تغليب نمط على آخر فلا "نستطيع أن نقول إن الجُمل الاسمية أفضل من الفعلية أو الخبرية أفضل من الإنشائية"[1].

على الرغم من أن الطالب لديه تصور مسبق عن الجُملة الاسمية في ذهنه لأن لغته الأم تحتوي هذا النمط، والفعلية والإنشائية حديثة العهد لديه، إلا أنها كلها تنضوي تحت مفهوم الجُمل في كل اللغات وبالعربية على وجه الخصوص، فلا شك في أنه بحاجة لها جمعياً غير أن التدرج مطلوب في عرض هذه النماذج من الجُمل فهذه النماذج يجب أن تعرض بطريقه وظيفية لا بطريقة قوالب نحوية جامدة جافة، وإن كان للطالب عهد سابق بالجُملة الاسمية غير أنه من المحال أن تتشابه نظام تركيب الجُملة الاسمية في لغته وفي اللغة الهدف المراد تعلمها فحقيقة أن نظام اختلاف تراكيب الجُمل بين لغة وأخرى أمر بدهي، حتى الجُمل الخاصّة باللغة الواحدة نجد اختلافاً نسبيّاً في تراكيبها. وبما أن المستوى المتوسط "يستهدف توسيع نطاق الثروة اللغوية عند الطالب"[2]، فإن التركيز على هذا المستوى أمرٌ في بالغ الأهمية فهو بمثابة مرحلة انطلاق وجسر عبور نحو الضفة الأخرى للمستوى الذي يليه، فقد أصبح أكثر تخصصاً ونظرته أكثر دقة، ومعرفته أشمل وأعم بأنظمة هذه اللغة والمادة النحوية التي تعرض على طلبتنا في هذا المستوى. ذكرنا في هذا المقام ما يخص هذه الدراسة على وجه التحديد لا على وجه الحصر "المبتدأ والخبر، الفعل اللازم والمتعدي، أنواع الخبر، إنّ وأخواتها، المعلوم والمجهول، كان

---

(١) ناصر عبدالله الغالي، عبدالحميد عبدالله، **أسس إعداد الكتب التعليمية لغير الناطقين بالعربية**، دار الغالي للطباعة والنشر، الرياض، ١٩٩١م، ص٩١.

(٢) رشدي أحمد طعيمه، **المهارات اللغوية، مستوياتها، تدريسها صعوباتها**، دار الفكر العربي للنشر، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص٣١.

وأخواتها، المفاعيل الخمســـة، النكرة والمعرفة، والإضــافة"[١]، غير أن هناك أبواباً لكنها لم تذكر في هذا الموضع كما أسلفنا.

أما "حالات تقديم الخبر ورتبة المبتدأ ورتبة الخبر، وأفعال المقاربة والشروع والرجاء، وجزم المضــارع في أسـلوب الطلب، والاسـم الموصـول، والأفعال التي تنصب مفعولين وثلاثة مفاعيل، والمدح والذم... إلخ"[٢]، فهي من الأبواب المنتخبة للمستوى المتقدم.

ونخلص إلى القول هنا إن جميع تراكيب الجُملة وأنماطها يحتاجها الطالب ولا يجوز الاقتصـــار على نمط على حســاب نمط آخر فهذا أمر يعاب على اللغة وأهلها، فأنماط الجُملة محدودة لكن جُملها ليســت محدودة، فحاجة الطالب هنا في معرفة الخصـــوص والعموم من هذه اللغة أمر مُلَحٌّ في الأهمية لأن ركوز هذه الأنماط لديه يُســهّل عليه تعلّم هذه اللغة، الأمر الذي يُنهي عند الطالب مفهوم ازدواجية اللغة فقد "يتعلم الطالب عدداً كبيراً من الأنماط اللغوية ولكنه لا يعرف كيف يســتخدمها اســتخداماً مناســباً "[٣]، وهنا تتجلى أهمية الوظيفية في التعليم والوظيفية في استخدام هذه الأنماط حياتياً فطريقة تلقيه لهذه الأنماط مسؤولية تقع على عاتق المعلم الذي يقدم المادة النحوية بالطريقة المناســبة فالتوازن في عرض المادة النحوية والتدرج في عرضــها وطريقة تقديمها وانتخاب المواد التي يحتاجها الطالب مطلبٌ مهم في تعليم العربية لغير أبنائها.

---

(١) رشدي طعيمة، **المهارات اللغوية، مستوياتها، تدريسها صعوباتها**، ص١٠١

(٢) السابق نفسه، ص١٠٩، ١١٠، ١١١.

(٣) نايف خرما، وعلي الحجاج، **اللغات الأجنبية، تعليمها وتعلمها**، عالم المعرفة للنشـــر والتوزيع، الكويت، ١٩٨٨م، ص٢٠٤.

المطلب الثاني: الإسناد

لم تحمل قضــية الإســناد بوصــفها علاقة تقوم على الدمج والتفاعل بين عناصر التركيب اللغوي التي نستشعرها من خلال تتابع الكلمات في تركيب الجمل أية إشــكالية في هذا المفهوم، غير أنها لم تنل حيزاً من الذكر أو المدارســة لتبيان مفهوم هذه العلاقة، واقتضـــى تقديمها من خلال النصـــوص التي تقوم على ترابط الجمل بأنماطها المختلفة في مناهج تعليم العربية للناطقين بغيرها، بوصــفها علاقة تربط بين هذه الجمل والتراكيب، ولا يتم التصريح فيها، وتوالي الكلمات ضمن نسق قالبي وانتظامها في تراكيب جملية لبناء النصـــوص واعتبارها وحدة كلامية متكاملة العناصر ومتحدة في المعنى والدلالة.

فكان لزاماً أن تنحى هذه القضية منحًى جديراً بالتأمل في إطار عرض بنية التراكيب اللغوية التي تحمل المسمى العام للنصوص، فالجمل العربية لا تحتاج إلى ما يفسـر هذا الترابط بين جملها خاصــة إذا خلت تلك النصــوص من أدوات الربط التي تعبر عنها اللغات الأخرى بمصطلح الأفعال المساعدة، وهذه مسؤولية الإسناد الذي يقوم على تصـــميم البنية الهيكلية الداخلية للجُملة العربية وترابطها، والطالب الأجنبي يصـــل لمفهوم هذه العلاقة بعد أن يتقدم في مســـتواه ويتعرض لجميع مستويات الجملة العربية وأنماطها التي تقدّم من خلال هذا التنوع النمطي في نظام تركيب اللغة التي تقوم على نماء تراكيبها وانتظامها في سياقات لغوية تفصح عنها رابطة ذهنية؛ إذ "العلاقة النحوية بين كلمة وأخرى تتوقف على موقع الكلمة في الجملة"[(١)]، ذلك أنّ عملية ترتيب العناصر في الجملة تحكم مسماها الدلالي والحكم الإعرابي الذي ستأخذه والإسناد أحد عناصر مكونات الجمل، ففي عملية الإسناد نطلب شيئاً لتحقق شيء "والمسند ما حكمت به على شيء والمسند إليه ما حكمت

---

(١) أنيس فريحة، **نظريات في اللغة**، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ص٢٨.

به عليه لشيء"[١]، فكل من المسند والمسند إليه يستندان على بعضهما وأحدهما يعطي حكمه للآخر ويتشارك معه فيه لتمام المعنى، وهذا تماماً ما نص عليه الجرجاني في قوله: "نسبة أحد الجزأين إلى الآخر"[٢]، ولم يخرج أحدٌ عن هذه الدائرة في تعريف الإسناد الذي يشكل رابطة معنوية في الجُملة العربية لتألف التراكيب مع بعضها.

المبحث الثاني: إمكانية توظيف الإسناد في تعليم الجمل للناطقين بغيرها في المستوى المتوسّط:

الإسناد سمة من سمات تركيب اللغات كافة وهذه حقيقة تكاد تكون جلية. والإسنادُ يُقيّد مدلول الجملة، ويربط بين أركانها أو بين مفردتين لإقامة الجملة، فالنمط الجملي هو صفوة البناء اللغوي وخليته الأساسية في بناء اللغة وهذا البناء يخضع "لقوانين تحكم ترتيب تلك الكلمات وعلاقتها ببعضها البعض"[٣]، فالكلام الإنساني المنطوق والمكتوب تتحكم به قوانين التركيب هو الذي يجعل العقل البشري يميز بين تلك الأنماط الجملية والوظيفة النحوية التي تؤديها من خلال بروز دلالتها في المعنى داخل السياق؛ "لأن البنية الداخلية للكلمة تؤثر على علاقاتها مع الكلمات الأخرى"[٤]، فهذه العلاقة هي التي تبرز رتبة المسانيد في جملتها فالبنية الفعلية تنتج عن كون المكون الذي "يتصدرها فعل تام أو ناقص"[٥]، فهي صيغة

---

(١) الشيخ مصطفى الغلاييني، **جامع الدروس العربية**، تحقيق عبدالمنعم خفاجه، منشورات المكتبة، العصرية، لبنان، ١٩٩٣م، ج١، ص١٣.

(٢) علي بن محمد، الشريف الجرجاني، (ت٨١٦هـ)، **كتاب التعريفات**، الناشر الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية، لبنان، ١٩٨٥م، ص٣٣.

(٣) نايف خرما، **أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة**، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الكويت، ١٩٧٨م، ص٢٠٩.

(٤) السابق، ص٢٢٣.

(٥) خليل أحمد عمايرة، **في نحو اللغة وتراكيبها**، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، السعودية، ١٩٨٤م، ص٨٠.

تحمل صبغة الفعل التواصلي للإنسان بارتباطه بالأزمنة الثلاثة لتحقق فعلاً كلامياً لهدف معين أما البنية الإخبارية المحكومة بمخبر به ومخبر عنه فتنتج كون المكون في "صدرها اسم صريح أو مؤول"[1]، وانسجام هذه العناصر وترابطها في سياق التركيب يحتم عليها تلقائياً وجود "قرينة معنوية"[2]، بين هذه التراكيب فالضوابط التي تحكم الإسناد في الجملتين الاسمية والفعلية تتشابه إلى حدٍّ ما من حيث الإفراد والتثنية والتذكير والتأنيث والتنوع في شكل المسند إليه لا يؤثر على المسند فعلاقتهما أكثر من علاقة تضام وتجاور فهي علاقة لصيقة خفية مهما حاولت أن تفككها وجدت نفسك تحاول جمعها من جديد إما بتقدير المحذوف أو بتقدير (كائن أو موجود)، لإيضاح المبهم وإزالة اللبس والغموض.

فالعملية الإسنادية في الجمل البسيطة مقتصرة على ترتيب المسانيد، غير أن مسانيد الجملة الفعلية غالباً ما تكون نمطية بمعزل عن الزمن وحالات التقديم والتأخير فيها، لكن هذا الترتيب غير ثابت فقد يتواجد في وحدات كلامية وقد ينعدم ليتعدى إلى تراكيب أخرى و"التركيب الإسنادي هو الذي يكوّن عنصراً أو أكثر من عناصره الأساسية"[3]، وهذا هو الإسناد المركب الذي لا ينفصل عن مفهوم بنيان الجُملة، وبهذا يخلص كلامنا إلى أن الجُملة والإسناد مركب متحد لا انفصال بين أجزائه فإمكانية توظيف مفهوم الإسناد في تعليم الجمل يكاد لا ينفصل عن المفهوم الحدّي لتعريف الجمل فهما رفيقان لعملية واحدة وهي تركيب الجُمل وبناؤها وبما أن النحاة قسّموا موضوعات النحو وأبوابه في ضوء مفهوم الإسناد فلا مجال للفصل

---

(١)خليل أحمد عمايرة، **في نحو اللغة وتراكيبها**، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، السعودية، ١٩٨٤م، ص٨٠.

(٢) تمام حسان، **اللغة العربية معناها ومبناها**، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، ١٩٩٤م، ص١٩٢، ١٩٣.

(٣) رابح أبو معزة، **الجملة والوحدة الإسنادية الوظيفية في النحو العربي**، ٢٠٠٨، دار مؤسسة رسلان للطباعة والنشر، سوريا، ص١١٩.

بينهما غير أن استخدام مصطلح الإسناد غير مدرج في الكتب التعليمية للناطقين بها أو للناطقين بغيرها لكنه لم يغب عن الجُمل تركيباً وبناء فهو أساس العلاقة بين المركبات وهذه العلاقة يجب أن يدركها الناطق بغير العربية تماماً كرسوخ مفهوم احتياج اللغة الإنجليزية "فعل الكينونة"[١]، في ذهنه لربط عناصر الجُملة والعلاقات التي تربطها بعضها ببعض "ليست الكلمات وحدها هي التي تؤثر في تفكيرنا بل يؤثر تركيب الجملة"[٢]، وبما أن تركيب الجُملة يحدده الإسناد فلا سبيل إلا لترسيخ مفهومه في أذهان متلقي هذه اللغة.

الجملة الاسمية:

منظومة هذه الجملة الأساسية تقوم على المسند إليه والمسند، فهما ميسم هذه الجملة، فالمسند إليه بمثابة مغناطيس هذه الجملة الذي يجذب خلفه أو أمامه بقية العناصر فيسند الحدث إلى مسنده في البناء ومن هنا يأتي ارتكاز جملته عليه "فللاسم أهمية كبيرة في عملية الإسناد مقارنة بالأفعال والحروف"[٣] وأهميته هذه تنبع من كونه العنصر الذي يوزع على بقية العناصر مهامها في الجملة.

وقد نال هذا البناء مجالاً واسعاً من الدراسات والشروح، لما يعترض بنيته من تقديم وتأخير وهذا بدوره له تأويل، لكن هذا النمط الجملي في إسناده يخلو من الزمن فإن "للجملة الاسمية إسناداً لا على معنى الزمن فهي نسبة الخبر إلى المبتدأ"[٤]، فهي معزولة عن الزمن في تركيبها وإسنادها، فأصل العلاقة بين أركانها

(١) علي الحديدي، **مشكلة تعليم اللغة العربية لغير العرب**، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٩م، ص٦١.

(٢) دوغلاس براون، **أسس تعلم اللغة وتعليمها**، ترجمة عبده الراجحي، علي علي أحمد شعبان، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٤م، ص١٦٦.

(٣) علي أحمد مدكور، إيمان أحمد هريدي، **تعليم العربية لغير الناطقين بها، النظرية والتطبيق**، دار الفكر العربي للنشر، مصر، ٢٠٠٦م، ص٢٣.

(٤) تمام حسان، **اللغة العربية معناها ومبناها**، دار الثقافة للنشر، المغرب، ١٩٩٤م، ص١٣٠.

أن تنسب ركناً إلى الآخر فيكسبه الحركة ويلزمه الموقع، ولم يخرج أحدٌ عن هذا الحد في تعريف هذا النمط الجملي، وقد عدّها الجميع "التي تبدأ باسم أو ضمير"[1]، فصدارتها للاسم ما يحدد مسماها فهو السبيل إلى تمايزها عن نظيرتها الفعلية وكذلك خلوها من معنى الزمن وإسنادها قائم على علاقة معنوية تربط بين ملازميها.

والمسند تقع عليه مسؤولية تمام بناء هذا التركيب فوقوع الأمر عليه استجابةً لمطلب العملية الإسنادية ككل وعدا هذان العنصران في الجملة اعتبره النحاة متمماً للجملة أو عنصراً قوياً مؤثراً ورابطاً لسياقها، وهذا ما قصده تمام حسان في قوله: "من الأدوات ما يدخل على الجملة فيكون مسلطاً على علاقة الإسناد بين طرفيها"[2] وهذا التسلط هو الذي يمنح هذه الجملة بقعة من الضوء ويجعلها تحمل معنى للزمن في تركيبها الذي تفتقر إليه فتنتقل من الثبات والخلو إلى التغير والإشباع بتلك الأدوات التي تأخذ من الجملة وتعطيها.

العامل في الإسناد الاسمي:

أولاً:

معلوم أن الجملة الاسمية تمتاز بالثبوت داخل تركيبها، فهي في تركيبها البسيط نمطية ولا تحمل طور التجدد، والتنقل إلا إذا حركنا عناصرها. وقد احتاجت هذه الجملة أن تكسر هذا الجمود وتخرج منه بدخول "الأفعال الناسخة، فهذه النواسخ في دلالتها على الزمن تشبه الأفعال المساعدة في اللغة الإنجليزية"[3] إذ تتسلط على المعنى وتغير البنية وتحتل موقعاً في الجملة وتسقط حركتها الإعرابية

---

(١) خليل العمايرة، **المسافة بين التنظير النحوي والتطبيق اللغوي**، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٤م، ص١٠٩.

(٢) تمام حسان، **الخلاصة النحوية**، عالم الكتب للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص٧٠.

(٣) تمام حسان، **اللغة العربية معناها ومبناها**، ص١٩٣.

على الأسـانيد مثل: "كان وأخواتها"[١]، وهذا الفعل الرابط يعطي الجُملة مسـاحة ويغير مسماها ويُحدث تغييراً في العملية الإسنادية داخل الجُمْلة.

ثانياً:

"كاد وأخواتها أفعال ناسـخة ووظيفتها ليسـت الإسـناد"[٢] والمعنى الوظيفي الذي تضـفيه على الجُملة هو التغير والتجدد في المعنى غير أن خبر هذه الأفعال بجميع مسـمياتها من أفعال المقاربة، إلى الشـروع أو الرجاء يجب أن يكون خبرها جُمْلة فعلية وبهذا تختلف عن كان وأخواتها.

ثالثاً:

وهذا النوع من العوامل يدخل على التركيب الاسـمي ويجري تغييراً كاملاً عليها فتكون في بناء وتصبح في بناء آخر، وتحتاج مسندين من العماد ليصيرا من الفضلات الضرورية لتمام معناها وتسمى أفعال القلوب، وسميت بذلك لأنها "إدراك بالحس الباطن"[٣] لمعرفة معانيها المتعددة من الرجحان إلى اليقين والترجيح، وهذا اليقين يكون بالعقل والقلب وإذا حذفت من الجملة هي وفاعلها عاد التركيب الأسـاسـي للجملة إلى طبيعته وقد اعتبرها سـيبويه[٤] من الأفعال التي تسـتعمل وتلغى، أما عن تأثيرها في الإسناد فيقوم على شاكلتين، تغير بشكل مباشر وغير مباشـر، والتغير المباشـر يكمن في تحويل الجُملة تلقائياً من الاسـمية إلى الفعلية وغير المباشـر يكون مرتكزاً على بناء الجملة الأصـلي الذي كانت عليه، ودارت

---

(١) ابن هشام الأنصاري، (ت٧٦١هـ)، **شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب**، تحقيق عبدالمغني الدقر، الشركة المتحدة للنشر والتوزيع، سوريا، ١٩٨٤م، ص٢٣٩.

(٢) محمد إبراهيم عبادة، **الجملة العربية دراسـة لغوية نحوية**، منشـأة المعارف للنشـر والتوزيع، القاهرة، ص٧٧.

(٣) مصطفى الغلاييني، **جامع الدروس العربية**، ج١، ص٣٦.

(٤) **الكتاب**، الجزء الأول، ص١١٨.

نقاشـــات شـــتى حول هذه الأفعال وإعمالها وإســـقاطه وممّن ذكر ذلك ســـيبويه[١] والســـيوطي[٢]، حيث اعتبروا أن هذه الأفعال إن كانت في معناها الظاهر عكس المعنى الحقيقي لها فإنها تتعدى إلى مفعول به واحد فقط.

الإسناد الاسمي والنّواسخ:

تغير النّواســـخ الحركة الإعرابية للجُملة الاســـمية وهذا ما جعلها شـــبيهة بالأفعال؛ فالتغير الذي تحدثه تغير دلالي عائد إلى معنى الناســـخ "فمعنى إنّ وأنّ حقّقت، ومعنى كأن شـــبهت، ومعنى لكن اســـتدركت، ومعنى لعل ترجيت، ومعنى ليت تمنيت"[٣] والوظيفة العاملة لهذه الأدوات تكمن في تغير حكم المســـند إليه والمسند في الجُملة.

المبحث الثالث: أسس إعداد المناهج لتعليم العربية للناطقين بغيرها

تباينت المناهج في محتوياتها التي أُعِدّت لتعليم العربية للناطقين بغيرها، وربما يكون هذا التباين في "تحديد الأساسيات النحوية اللازمة لمتعلم العربية يقوم إلى الآن على تصـــور تقريبي يختلف إلى حد كبير من شـــخص إلى آخر"[٤] فكل مؤلف يقدم مادته حسب تصوره ومن منظوره الشخصـي وتبعاً لتجاربه الشخصية متناســـياً بذلك أهمية التبســـيط، والترتيب، والغاية، والحاجة، والرغبة، والأســـس المنهجية لإعداد تلك المناهج.

---

(١) **الكتاب**، الجزء الأول، ص١١٨ وما بعدها.

(٢) ينظر: جلال الدين السيوطي، (ت٩١١هـ)، **الأشباه والنظائر في النحو**، دار الكتب العليمة للنشر، لبنان، ١٩٧٩م، ج٢، ص ٨١، ص ٨٢.

(٣) أبو البركات عبدالرحمن بن سعيد الأنباري، (ت٥٧٧هـ)، **أسرار العربية**، تحقيق محمد بهجت البيطار، مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق، ١٩٧٠م، ص١٤٨.

(٤) علي فودة نيل، **أساسيات النحو العربي لغير الناطقين بالعربية**، مجلة كلية الآداب، المجلد الخامس، جامعة الرياض، ١٩٧٧م، ١٩٧٨م، ص ١٦٢.

أما القضـــية الجدلية في هذا الحقل التي طُرحت ولا تزال تطرح في تعليم العربية للناطقين بغيرها فهي المادة النحوية وماذا يدرس منها؟ وكيف؟ ولا سبيل إلى جوابٍ شـافٍ، فالعربية لغة لا تسـتطيع أخذ جزء منها وترك الآخر لأنك سـتشـوبه بعيب لا يمكن تداركه أو التغافل عنه ومن القضـايا التي لا مجال للنقاش فيها هي البعد عن التفصـيلات والتعليلات والشـروحات التي خاض بها النحويون واسـتغلق النحو بسببها "فبالنسبة للقواعد فينبغي جمع عناصرها طبقاً لصفاتها الوظيفية وليس تبعاً لنوعها"(١) فانتخاب الأبواب النحوية المناسـبة للطالب حسـب مسـتواه وحسـب الحاجة التي دعته لدراسة هذه اللغة ليس بالأمر الصعب باتساقٍ مع طريقة وظيفية لعرض تلك القواعد "إن الغاية من تدريس النحو إرســاء النظام اللغوي في الذهن وإقامة اللسان وتجنب اللحن"(٢) فالعربية تركيب ونظام كأي لغة أخرى بصرف النظر عن الاختلافات، فليس من المنطق أن تتشــابه أنظمة بناء لغات العالم لكن تميز النظام اللغوي في بناء اللغة هو الأساس فكل مفردة تشغل حيزاً ومعنى خاصاً في لغتها، ومن الصعب أن تشغله نفسه في لغة أخرى، فلا المعنى يتطابق، ولا الموقع، ولا الحكم الإعرابي، وهذا ما يوقع متعلم العربية بالخلط بين لغته الأم واللغة التي يدرســها وقد تنبه إلى ذلك منذ القدم ابن خلدون في مقدمته فقال: "إن الملكة إذا سبقتها ملكة أخرى في المحل فلا تحصل إلا ناقصة مخدوشة"(٣) فالأنماط اللغوية تتداخل؛ لأن هذا الطالب لم يتوصــل إلى الكفاية الاتصــالية لفهم هذه اللغة واســتعمالها وظيفياً في مجالات الحياة التي يحتاجها "اســتعمال المتعلم اللغة التي

---

(١) حمادة إبراهيم، **الاتجاهات المعاصــرة في تدريس اللغة العربية واللغات الأخرى الحية لغير الناطقين بها**، دار الفكر العربي للنشر، القاهرة، ١٩٨٧م، ص١٥.

(٢) علي أحمد مدكور، **إيمان أحمد هريدي**، **تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، النظرية والتطبيق**، دار الفكر العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٦م، ص١٨

(٣) عبدالرحمن بن محمد بن خلدون، (ت٨٠٨هـ)، **مقدمة ابن خلدون**، تحقيق أحمد الزعبي، دار المعرفة الجامعية للنشر، بيروت، ٢٠٠١م، ص٦٤٢.

يدرسـها اسـتعمالاً حراً في ظروف حقيقيّة"[١] فالاتصـال الوظيفي الذي يحتاجه الطالب يقوده إلى الحد الذي يُمكّنِه من استخدام هذه اللغة في سياقاتها الصحيحة من جرّاء استخدامه للرصيد اللغوي الذي اكتسبه تلقائياً من الاحتكاك والتواصل مع اللغة وأهل اللغة في المواقف الحياتية الطبيعية، وهذا المقصود باستعمالها استعمالاً حراً شـرط أن يكون هذا الاسـتعمال مقبولاً على المسـتوى الدلالي والنحوي بحيث يكون الشكل والمعنى متحداً بمعنى "معرفة ترتيب عناصر الجملة بالنسبة لبعضها البعض"[٢] فجملة "الولد عض الكلب"[٣] مقبولة من حيث الحكم النحوي وترتيب العناصر لكن على مستوى المعنى والدلالة، فهي مرفوضة قطعاً لأنه من المحال أن يكون الولد قد قام بفعل العضّ، وجملة "هذا الأعزب متزوج"[٤] إذا قيسـت على المعيار النحوي فهي صحيحة، وإذا قيست على المستوى الدلالي فهي غير مقبولة.

وبما أن عملية تعلم اللغة الثانية "عملية مركبة تتضـمن عدداً لا حد له من المتغيرات"[٥] فيجب أن تكون العملية التعليمية كاملة متكاملة من حيث أسس إعداد المناهج، وانتخاب الطريقة المثلى في عرض المادة النحوية، مع معرفة مسـبقة بأسـباب ودوافع تعلّم هذه اللغة وما يتبعه من اختيار المنهج المناسـب لكل طالب ومسـتواه ودافعيته من جراء تعلم هذه اللغة، فهي التي تحدد المنهج المقترح لسـير هذه العملية التعليمية، وضـمان تحقيق الحدّ الأعلى للطالب ليتمكن من الاتصـال

---

(١) محمد صـالح بن عمر، **كيف نعلم العربية لغة حية، بحث في إشـكاليات المنهج**، الخدمات العامة للنشر، تونس، ١٩٩٨م، ص٣٩.

(٢) سـوزان جاس، لاري سـلينكر، **تعلم اللغة الثانية**، ترجمة محمد الشـرقاوي، المجلس الأعلى للثقافة والنشر، الكويت، ٢٠٠٣م، ص١٢.

(٣) السابق، ص١٦.

(٤) السابق، ص١٥ .

(٥) دوغلاس بروان، **أسـس تعلم اللغة وتعليمها**، ترجمة عبده الراجحي، علي علي أحمد شـعبان، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٤م، ص١٩.

والتواصــل مع هذه اللغة وأهلها مع مراعاة ضــرورة من هم أهل لهذه العملية، حيث إن "تمكين المعلمين من السيطرة على كثير من المسائل والمشكلات المتعلقة بتعليم اللغة العربية"(١).

فإعداد المعلم الكُفء من أهم أســـس تعليم هذه اللغة حتى يتحقق النتاج المأمول عند كل من الطالب والمعلم؛ فالطالب حين يقوم على تدريســـه أســـتاذ متخصّـص يقدّم له المعلومات الصـحيحة التي تشـبع فضـوله وتسـاؤلاته حول هذه اللغة يمنح الطالب شـــيئاً من الثقة والعزم على المتابعة، الأمر الذي يحقق تقدماً أسرع في العملية التعليمية، وبما أن تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها "مستمد من أساسيات تعليم اللغات الأجنبية وطرائق تدريسها"(٢). فإنّ اختيار الطريقة المثلى في التدريس أمر بالغ الأهمية، (ولكل طريقة نظريتها وأهدافها ووظائفها ومحاســـنها وعيوبها)، واختيار الطريقة المناســبة مســؤولية تقع على عاتق المعلم الذي ينبغي عليه اختيار الطريقة الوظيفية التي تؤمّن طالبه وتكســـبه الكفاية اللغوية كجســـر عبور لفهم هذه اللغة وإنتاجها ضـمن سـياقاتها التي يحتاجها حتى ناطق هذه اللغة من أبنائها لديه مشـكلة في بنيته اللغوية، حيث إن جوهر هذه المشـكلة الأسـاسـية "الفهم الناقص للغة العربية ذلك الفهم الذي انعكس على أساليب تدريسها"(٣) فضعف ابن اللغة وقصـــوره عن فهم لغته ليس مســـؤوليته وحده فهي مســـؤولية المناهج والطريقة العقيمة التي تلقى فيها هذه اللغة من جراء الشـــروحات والمفاضـــلات،

(١) فتحي علي يونس، محمد سـعيد يونس، **دليل المعلم للكتاب الأسـاسـي في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها**، منشورات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ١٩٨٣م، ص٤.

(٢) عبدالعزيز إبراهيم العصـيلي، **طرائق تدريس اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى**، الرياض، ٢٠٠٢م، ص٩.

(٣) عبدالعزيز إبراهيم العصـيلي، **النظريات اللغوية والنفسـية وتعليم اللغة العربية**، الرياض، ١٩٩٠م، ص١٨٣.

وترجيح رأي، والرد على آخر، فضـــلاً عن الإكســـاد الذهني الذي يقع فيه الطالب نتيجة تعدّد القضـــايا النحوية في الدرس الواحد مما أوقع الطالب في شـــبكة النفور والبعد عن لغته ســواء للدراســة أو لغة للتواصــل وهذا ما خلق (عربية الشــارع) أو العامية في مجتمعنا العربي.

أما هذه الدراســة فمعنيّة على وجه الخصــوص بالمادة النحوية المقدمة في المناهج حيث إنّه ينبغي علينا مراعاة أن لا "نصــدمه في أول الطريق بالحديث عن قواعد النحو أو تقديم اصطلاحاته مما يصرفه عن اللغة وتعلمها"[١].

وهذا ما يجب مراعاته عند إعداد المناهج، فحسـن اختيار المنهج وعناصـره أمر في بالغ الأهمية فيجب مراعاة "الأســـس الثقافية والاجتماعية، والأســـس الســـيكولوجية، والأســـس اللغوية والتربوية"[٢] للطالب مع مراعاة مســـتويات اللغة وأنظمتها مثل "النظام الصـــوتي، النظام التركيبي، النظام المعجمي"[٣] وتعليم المهارات مع مراعاة الأهداف في تعليم كل مهارة واســـتخدام الوســـائل المعينة في العملية التعليمية يجب أن يكون ضـــمن مخطط آلية إعداد المناهج مع مراعاة "نوع المدخل، نوع الطريقة، نوع التدريبات، كيفية إعداد الدروس وتقديمها"[٤] ولا نغفل "الإجراءات والتقويم"[٥].

---

(١) رشـدي طعيمة، **تعليم العربية لغير الناطقين بها مناهجه وأسـاليبه**، منشـورات المنظمة الإسـلامية للتربية والعلوم والثقافة، إيسسكو، ١٩٨٩م، ص٧٦ .

(٢) ناصــر عبدالله الغالي وعبدالحميد عبدالله، **أســس إعداد الكتب التعليمية لغير الناطقين بالعربية**، ص١٩-٣٥.

(٣) فتحي علي يونس ومحمد سعيد يونس، **دليل المعلم للكتاب الأساسي في تعليم العربية لغير الناطقين بها**، ص٢١.

(٤) السابق، ص٢١.

(٥) السابق، ص٣٤، ٣٥.

فإذا ما اكتملت هذه العناصـــر في عملية إعداد المناهج وأخذت بعين الاعتبار، فإن العملية التعليمية ستسير في نطاق الخط المستقيم الذي رسم لها لكن هناك أمر محتوم يجب مراعاته، ولا ســيما عند اختيار آلية المناهج ومحتواها فالمناهج التي تُدرس للناطق بالعربية الذي عاش في أحضـــان هذه اللغة وأَلِف ســماعها اكتســب معظم أنظمتها بالفطرة تختلف عن تلك التي تعدّ للناطق بغيرها فالمناهج التي تصــمم من أجله تلقائياً ســتختلف، في الكم والنوع "فالكتب التي تعد للعرب يجب ألا تدرس لغيرهم"(١).

وهذه وجهة نظرٍ ســليمة لكل من تعامل مع طلاب ناطقين بغير العربية، كذلك الحرص في البعد عن العشوائية والإرهاصات في تقديم النصوص والمعاني، مع مراعاة انتقاء مادة لهذا الطالب تساعده على اكتساب اللغة مع الحد الأدنى من الأخطاء التي يسهل تداركها، والتي تكون متوقعة مسبقاً بحسب الخبرة والتجربة.

ومن هنا جاء اختيار هذه الدراســة تطبيقاً على المســتوى المتوســط بعينه بمعزلٍ عن المستويين الأول والمتقدم، فنقول في رأينا: إنّ الطالب في مستواه الأول لا فرق بينه وبين ابن اللغة في عملية التدرج في عرض تركيب بنية هذه اللغة في نمطها العادي المألوف الذي يُعد كمدخل أساسي للتعمق أكثر في تفصيلات بناء الجمل، مع اختلاف العمر والبيئة التي عاش كل منهما فيها، أما المستوى المتوسط الذي تســعى هذه الدراســة لملامســة واقعها وتقديم أنموذج مقترح لطلبتها فقواعده "تكون أكثر عمقاً والمصــطلحات النحوية أكثر وروداً، والتطبيقات أكثر اتســاعاً وخصــائص اللغة أكثر ظهوراً "(٢) فهي بمثابة مرحلة انطلاق نحو تعلّم العربية

---

(١) ناصــر عبدالله الغالي وعبدالحميد عبدالله، **أســس إعداد الكتب التعليمية لغير الناطقين بالعربية،** ص١٠١.

(٢) رشدي أحمد طعيمة، **الأسس المعجمية والثقافية، لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها،** ص٨.

بأنظمتها وتراكيبها وخصائصها فهذه المرحلة تُعد بمثابة "خطوة نحو عبور المسافة بين مواد تعليمية أكسبته المهارات الأساسية في تعلم اللغة إلى مواد تعليمية أخرى تكسبه مهارات أكثر تعقيداً، وتوظيف ما يتعلمه في مواقف أكثر وأغزر مفردات وأعمق فكراً"[١] وهذا بالضبط ما نعمل على إيضاحه وتبيانه.

وفي المبحث التالي سنحلل بعضاً من مناهج تعليم العربية للناطقين بغيرها للمستوى المتوسط ونتتبّع كيفية تقديم مفهوم الإسناد وتوظيفه فيها وهو الذي لا ينفصل عن مفهوم تركيب الجمل الاسمية والفعلية في العربية.

تحليل مناهج تعليم العربية للناطقين بغيرها (المستوى المتوسط)

اعتمدت الدراسة خمسة كتب، وقد اخترنا من كل كتاب خمس وحدات دراسية لتكون عينة للدراسة، واستهدف التحليل النصوص اللغوية دون التّدريبات، وسُلِّطَ الضوء في التحليل على توظيف مفهوم الإسناد في تقديم أنماط وتراكيب الجمل الاسمية والفعلية.

الكتاب الأول: العربية للناطقين بغيرها (الجامعة الأردنية)

يستهدف هذا الكتاب المستوى المتوسط ضمن سلسلة تعليمية في المعهد الدولي لتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها في الجامعة الأردنية. ويتكوّن من خمسة عشر درساً، قامت دروسه على تقديم أفكار ومفردات، وبوابات حوارية يستثمرها الطالب في تطوير مهاراته اللغوية مع ما يتناسب ومستواه، أما تدريبات الكتاب فقد ركزت على إعادة ترتيب الجمل الأمر الذي يوصل الطالب مباشرة إلى فهم الجمل وتميز أنماطها وتراكيبها، وقد اختار البحث (خمسة نصوص) بناءً على أنماط الجمل وتنوع تراكيب الجملة الواحدة وقد بلغ عدد الجمل الإجمالي في عينة الدراسة

---

(١) رشدي أحمد طعيمة، **الأسس المعجمية والثقافية، لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها**، ص٧، ٨.

لهذا الكتاب (٢٨٧ جملة) تراوحت بين النمطين الاسـمي والفعلي، والدروس التي مثّلت عينة البحث والتحليل هي: العودة إلى الصـف، الرياضـة، تاج محل رمز الحب، أم كلثوم سيدة الغناء العربي، مسابقات ملكات جمال العالم.

وقد جاءت منها ٨٢ جملة اسمية أي ما نسبته ٢٨,٥٧١%، و٢٠٥ جملة فعلية أي ما نسبته ٧١,٤٢٨%.

الكتاب الثاني: العربية للناطقين بغيرها (الجامعة الأردنية)

يستهدف هذا الكتاب المستوى المتوسط ضمن سلسلة تعليمية في المعهد الدولي لتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها في الجامعة الأردنية. ويقوم على ثلاث عشـرة وحدة دراسـية بحيث يلبي حاجة الطلبة في إكسـابهم مهارات اللغة الأربعة، ورفع أداء الطـالـب اللغوي، وقد تم التركيز فيه على المـادة النحويـة من خلال التدريبات النحوية القائمة على تركيب الجمل، وقد اختار البحث (خمسة نصوص) بوصـفها عينة للتحليل، بناءً على تعدد الأنماط والتراكيب الجملية، وقد بلغ عدد الجمل في عينة الدراسـة لهذا الكتاب (٣٦٢ جملة). والدروس التي مثّلت عينة البحث والتحليل هي: تقاليد الزواج في المجتمع العربي، التعليم في الأردن، حكاية ألف ليلة وليلة، البطالة، سوق عمان المالي.

وقد جاءت منها ٦٤ جملة اسمية أي ما نسبته ١٧,٦٧٩%. و٢٩٨ جملة فعلية أي ما نسبته ٨٢,٣٢٠%.

الكتاب الثالث: أهلاً وسهلاً (جامعة ولاية أوهايو)

يستهدف هذا الكتاب المستوى المتوسط ضمن سلسلة تعليمية في جامعة ولاية أوهايو كولومبس في أمريكا. ويقوم على خمس وحدات دراسـية كل وحدة تقوم على عدة نصـوص، وقد اختار البحثُ نصّـاً من كل وحدة أي (خمسـة نصـوص)

كعينة للدراسة والتحليل. وقد بنى المؤلف نصوصه على مبادئ وظيفية، حيث ركّز على المعنى أكثر من الشكل اللغوي، وقد اختار اللغة المستخدمة من قبل المثقفين ولغة الصحافة، وفي كل وحدة دراسية وجهت النصوص وأهدافها بشكل وظيفي بحيث ترتبط مع الهدف الأساسي الذي أعد من أجله الكتاب، وهو مساعدة الطالب لاكتساب القدرة على الأداء اللغوي بمهاراته الأربعة دون تكلف، وقد تم التنويع في اختيار النصوص الحوارية، والرسالة، والنصوص السردية، والقصص لتمكن من حصر أكبر عدد ممكن من أنماط الجمل وتراكيبها، وقد بلغ عدد الجمل في عينة الدراسة لهذا الكتاب (٣٧٦ جملة). والدروس التي مثّلت عينة البحث والتحليل هي: رسالة من عدنان إلى صديقه بشار، مع الناس، غادة تزور ملهًى ليلياً، مع أم وليد، رحلة ابن جبير. وجاءت منها ١١٨ جملة اسمية أي ما نسبنه ٢٣,١٥٢%. و٢٤٩ جملة فعلية أي ما نسبته ٦٧,٨٤٧ %.

الكتاب الرابع : كتاب الأساس في تعليم العربية للناطقين بغيرها

يوجه هذا الكتاب لطلبة المستوى المتوسط ويُعد هذا الكتاب الجزء الثالث من سلسلته.

يتألّف الكتابُ من ثلاثة وعشرين درساً ركزت على أكثر المجالات في العالم العربي كالثقافة العربية، وعادات المجتمع العربي وتقاليده، أما التدريبات فكانت كثيرة متنوعة الهدف منها زيادة الثروة اللغوية للدارس، وقد اختار البحث (خمسة دروس) كعينة للدراسة والتحليل والنصوص المختارة متتابعة والسبب في هذا أنّ المؤلفة ركزت في الوحدات الأولى على الدروس الحوارية، وخصصت دروس لتعريف الدارس باللغة العربية والصعوبات التي تواجهه؛ لذلك عمدنا إلى اختيار هذه النصوص كي نتمكن من حصر أكبر عدد ممكن من أنماط الجمل المستخدمة في مثل هذه الدروس، وكان عدد جمل عينة الدراسة في النصوص المختارة (٢٤٧

جملة). والدروس التي مثّلت عينة البحث والتحليل هي: في مركز اللغات، اللغة العربية، كيف أتعلم العربية بسرعة؟ الصعوبات التي تواجه الدارس الأجنبي، العالم العربي الموقع.

وقد جاءت منها ١٣١ جملة اسمية أي ما نسبته ٤٧,٨١٠%. و١٤٣ جملة فعلية أي ما نسبته ٥٢,١٨٩%.

الكتاب الخامس: العربية الوظيفية (جامعة آل البيت)

يستهدف هذا الكتاب المستوى المتوسط ضمن سلسلة تعليمية لجامعة آل البيت لتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها. وقد قام على إحدى وعشرين وحدة دراسية ضمن نصوص تحمل لغتها معنى قريباً من اللغة الطبيعية التي تدرّس لابن العربية، وقد تنوّعت النّصوص بين القصة، والسرد، والحوار، والرسالة، بطريقة وظيفية تتسق من وجهة نظر المؤلفين مع حاجات الطالب لاستعمال اللغة مع أن النصوص كانت أصلية ولم تصمم لهذا الطالب، وقد وجهت التدريبات من خلال النصوص لخدمة المادة النحوية ليتعلمها الطالب بطريقة وظيفية وقد تم اختيار (خمسة نصوص) بناءً على المادة النحوية في التدريبات لنتمكن من حصر أنماط الجمل وتراكيبها في هذه الدروس، وكان عدد جمل عينة الدراسة المختارة (٤٩٠ جملة). والدروس التي مثّلت عينة البحث والتحليل هي: جحا مع تاجر القماش وجحا وبائع الفول، الصدفة العجيبة، رسالة إلى ولدي، الحاج الصغير، أدب الأطفال.

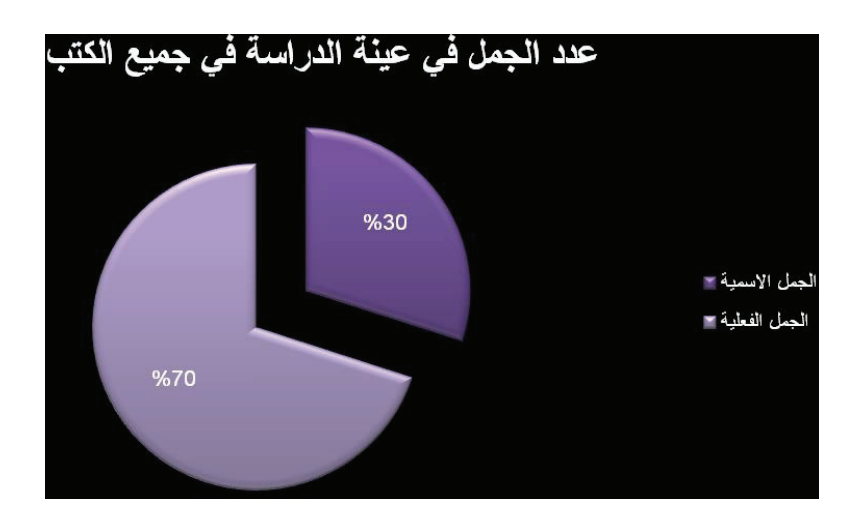
وقد جاءت منها ١٣٩ جملة اسمية أي ما نسبته ٢٨,٣٦٧%. و٣٥١ جملة فعلية أي ما نسبته ٧١,٦٣٢%.

وبهذا يكون عدد الجمل الكلي في نصوص عينة الدراسة في جميع الكتب ١٧٨٠جملة.

جاءت الاسمية منها ٥٣٤ جملة بنسبة ٣٠%.

وجاءت الفعلية منها ١٢٤٦ جملة بنسبة ٧٠%.

ويمكن توضيح ذلك بالرّسم الآتي:



أما ما يتعلّق بصور المبتدأ والخبر في جمل عينة الدراسة فجاءت النتائج على النحو الآتي:

جاء المبتدأ اسماً مفرداً، واسماً ناسخاً مفرداً، في جمل عينة الدراسة في جميع الكتب ٢٢١ مرة بنسبة ٤١,٣٩%.

جاء المبتدأ مصدراً مؤولاً في جمل عينة الدراسة في جميع الكتب ٣ مرات بنسبة ٠,٥٦%.

جاء المبتدأ ضميراً بجميع أشكاله متصلاً، ومنفصلاً، ومستتراً، ١١٧ مرة بنسبة ٣٣,١٥%.

جاء المبتدأ اسم إشارة في جمل عينة الدراسة في جميع الكتب ٤٨ مرة بنسبة ٨,٩٩%.

حذف المبتدأ من جمل عينة الدراسة في جميع الكتب ٧٣ مرة بنسبة ١٣,٦٧%.

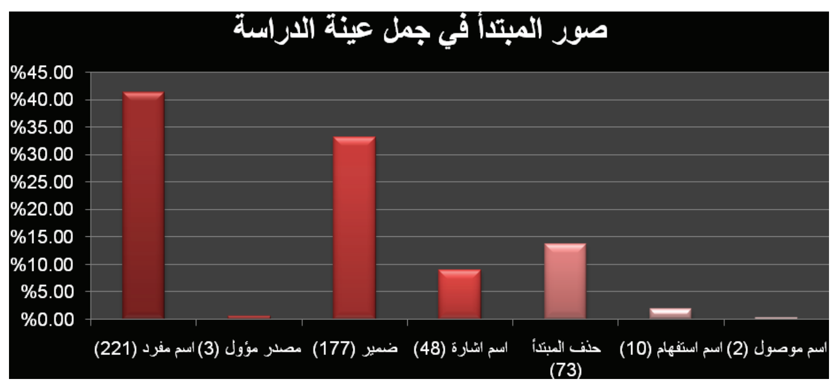
جاء المبتدأ اسم استفهام في جمل عينة الدراسة في جميع الكتب ١٠ مرات بنسبة ١,٨٧%.

جاء المبتدأ اسماً موصولاً في جمل عينة الدراسة في جميع الكتب مرتين بنسبة ٠,٣٧%.

ولو قمنا بجمع الأرقام نجدها تتساوى مع عدد الجمل الاسمية في عينة الدراسة ٥٣٤ جملة أي ٥٣٤ مبتدأ.



ويوضح الرّسم الآتي صور المبتدأ بالرسم البياني.



ورد الخبر اسماً مفرداً، وخبراً لناسخ مفرد، في جمل عينة الدراسة في جميع الكتب ١٩٤ مرة بنسبة ٣٦,٤٠%.

ورد الخبر شبه جملة جار ومجرور، وشبه جملة ظرفية، في جمل عينة الدراسة في جميع الكتب ١٢٠ مرة بنسبة ٢٢,٥١%.

ورد الخبر جملة فعلية، وجملة خبرية للأفعال الناسخة، وجملة خبرية للحروف الناسخة، في جمل عينة الدراسة في جميع الكتب ١٦٥ مرة بنسبة ٣٠,٩٦%.

ورد الخبر جملة اسمية في جمل عينة الدراسة في جميع الكتب ٢٣ مرة بنسبة ٤,٣٢%.

حُذف الخبر في جمل عينة الدراسة في جميع الكتب ١٥ مرة بنسبة ٢,٨١%.

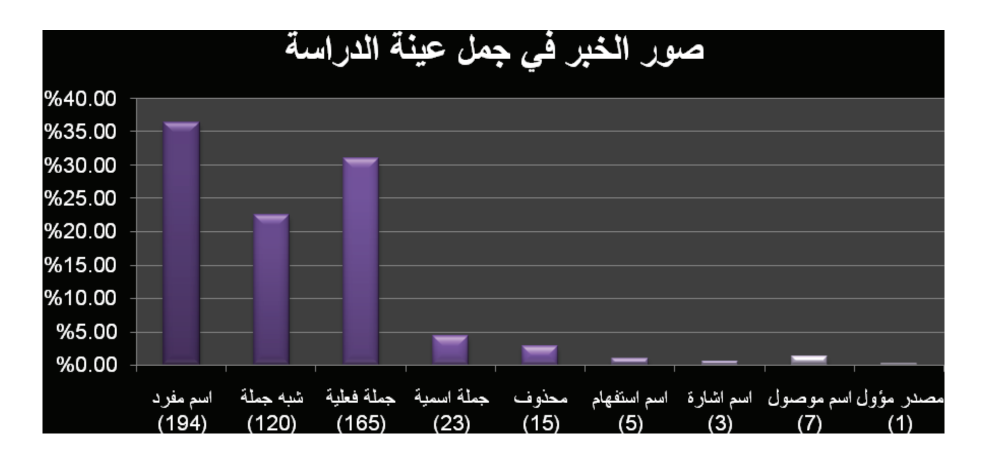
ورد الخبر اسم استفهام في جمل عينة الدراسة في جميع الكتب ٥ مرات بنسبة ٠,٩٤%.

ورد الخبر اسم إشارة في جمل عينة الدراسة في جميع الكتب ٣ مرات بنسبة ٠,٥٦%.

ورد الخبر اسماً موصولاً في جمل عينة الدراسة في جميع الكتب ٧ مرات بنسبة ١,٣١%.

ورد الخبر مصدراً مؤولاً في جمل عينة الدراسة مرتين في جميع الكتب بنسبة ٠,٣٧%.

ولو قمنا بجمع الأرقام نجدها تتساوى مع عدد الجمل الاسمية في عينة الدراسة ٥٣٤ جملة أي ٥٣٤ خبر ويوضح الرّسم البياني الآتي صور الخبر.



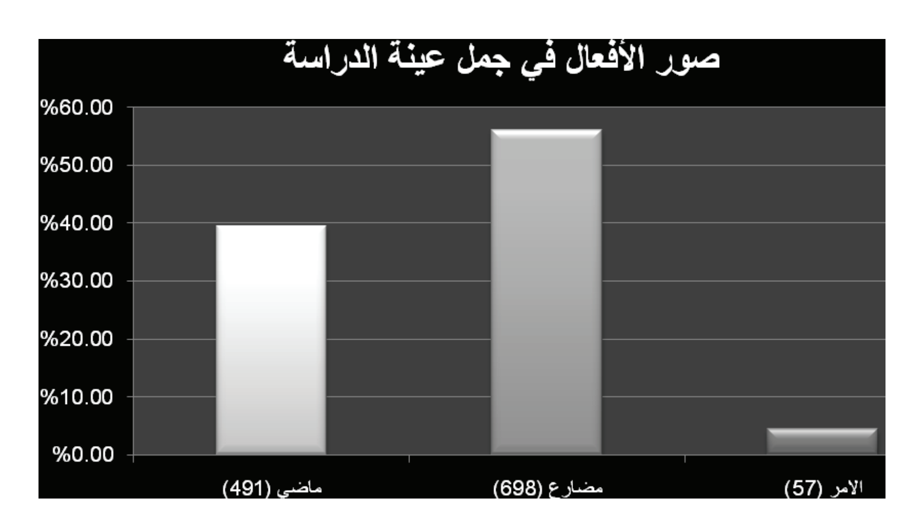
وفي عينة الدراسة للجمل الفعلية في جميع الكتب جاءت النتائج بالنسبة لزمن الأفعال واللزوم والتعدي على النحو الآتي:

ورد الفعل الماضي في جمل عينة الدراسة في جميع الكتب ٤٩١ فعلاً بنسبة ٣٩,٤١%.

ورد الفعل المضارع في جمل عينة الدراسة في جميع الكتب ٦٩٨ فعلاً بنسبة ٥٦,٠٢%.

ورد فعل الأمر في جمل عينة الدراسة في جميع الكتب ٥٧ فعلاً بنسبة ٤,٥٧% .

ويوضـح الشـكل (٩) ص٦٨ بالرسـم البياني نسـبة ورود الأفعال في جمل عينة الدراسة من حيث الزمن .



أما من حيث اللزوم والتعدي فوردت الأفعال كالآتي:

ورد الفعل الماضـــي اللازم في جمل عينة الدراســـة في جميع الكتب ١٨٦ فعلاً بنسبة ١٤,٩٣%.

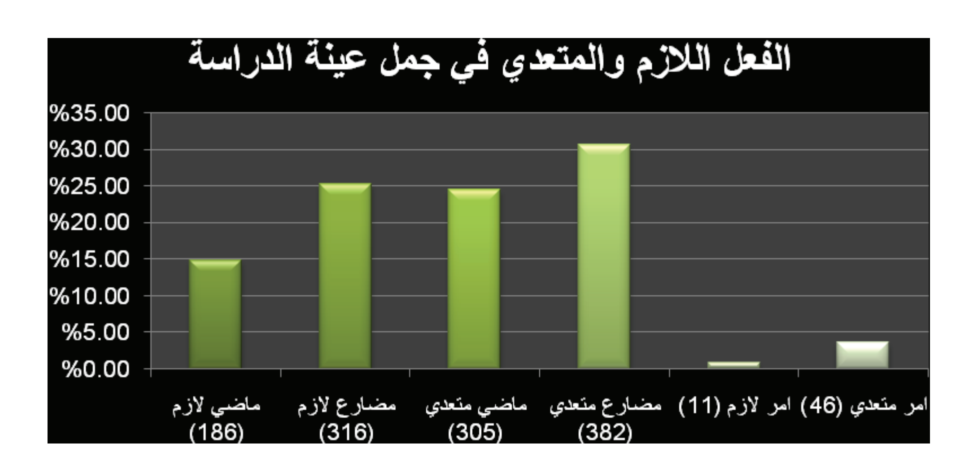
ورد الفعل المضـــارع اللازم في جمل عينة الدراســـة في جميع الكتب ٣١٦ فعلاً بنسبة ٢٥,٣٦%.

ورد فعل الأمر اللازم في جمل عينـة الدراســـــة في جميع الكتب ١١ فعلاً بنسبة ٠,٨٨%.

ورد الفعل الماضـي المتعدي في جمل عينة الدراسـة في جميع الكتب ٣٠٥ فعلاً بنسبة ٢٤,٤٨%.

ورد الفعل المضـارع المتعدي في جمل عينة الدراسة في جميع الكتب ٣٨٢ فعلاً بنسبة ٣٠,٦٦%.

ورد فعل الأمر المتعدي في جمل عينة الدراســة في جميع الكتب ٤٦ فعلاً بنسبة ٣,٦٩%.



ولو قمنا بجمع الأرقام نجدها تتســاوى مع عدد الجمل الفعلية في عينة الدراسـة ١٢٤٦ جملة ويوضـح الشكل (١٠) ص٦٩ بالرسم البياني صـور الأفعال من حيث الزمن واللزوم والتعدي في جمل عينة الدراسة.

أما بالنسبة لصور الفاعل فوردت كالآتي :

ورد الفاعل اسـماً ظاهراً في جمل عينة الدراسـة في جميع الكتب ٢٨٥ مرة بنسبة ٢٣,٧١%.

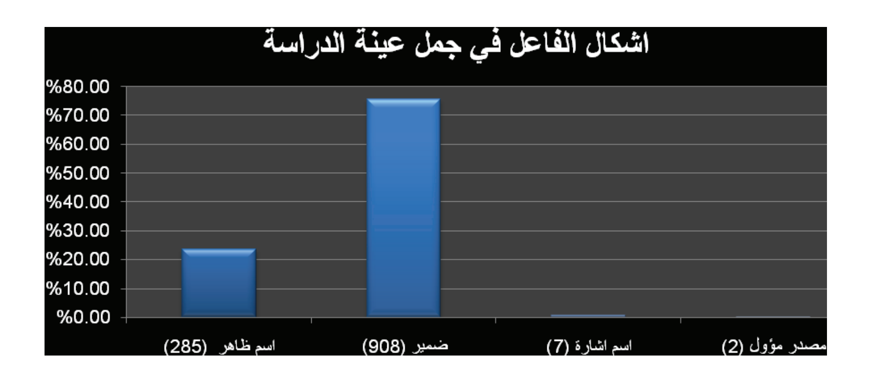
ورد الفاعل ضـميراً بجميع أشكاله في جمل عينة الدراسـة في جميع الكتب ٩٠٨ مرة بنسبة ٧٥,٥٤%.

ورد الفاعل اسـم إشـارة في جمل عينة الدراسـة في جمل عينة الدراسـة في جميع الكتب ٧ مرات بنسبة ٠,٥٨%.

ورد الفاعل مصدراً مؤولاً في جمل عينة الدراسة في جميع الكتب مرتين بنسبة ٠,١٧%.

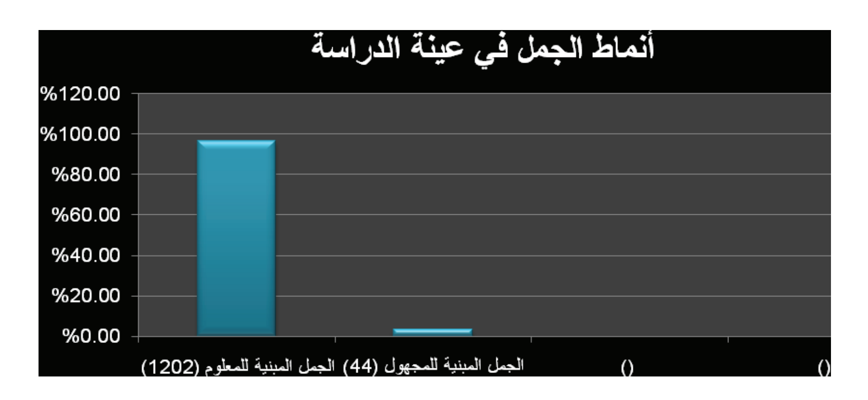
ويوضح الشكل (١١) ص٧٠ بالرسم البياني صور الفاعل في جمل عينة الدراسة.


أما نمط الجمل من حيث المعلوم والمجهول فكانت كالآتي:



جاءت الجمل الفعلية في جميع الكتب المبنية للمجهول في جمل عينة الدراسة في جميع الكتب ٤٤ جملة بنسبة ٣,٥٣%.

وجاءت الجمل المبنية للمعلوم في جمل عينة الدراسة في جميع الكتب ١٢٠٢ جملة بنسبة ٩٦,٤٧% ويوضح الشكل الآتي بالرسم البياني هذين النمطين من الجمل.

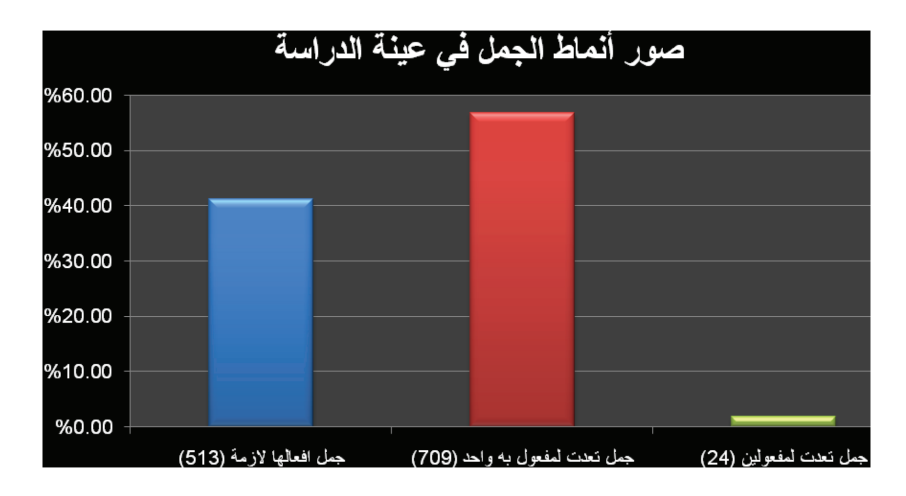


أما عدد الجمل من حيث اللزوم والتعدي فكانت النتائج كالآتي:

وفي عينة الدراســة للجمل الفعلية في جميع الكتب جاءت النتائج بالنسـبة لعدد الجمل التي تعدت إلى مفعولين في جمل عينة الدراســة في جميع الكتب ٢٤ جملة بنسبة ١,٩٣٠%.

وفي عينة الدراســة للجمل الفعلية في جميع الكتب جاءت النتائج بالنسـبة لعدد الجمل التي تعدت إلى مفعول به واحد في جمل عينة الدراسة في جميع الكتب ٧٠٩ جملة بنسبة ٥٦,٩٠%.

وفي عينة الدراســة للجمل الفعلية في جميع الكتب جاءت النتائج بالنسـبة لعدد الجمل ذات الفعل اللازم في جميع الكتب كانت ٥١٣ جملة بنسـبة ٤١,١٧% ويوضـح الشكل الآتي الرسم البياني صـور الجمل وأنماطها في عينة الدراسـة في جميع الكتب.



نتائج التحليل لمناهج تعليم العربية للناطقين بغيرها:

عند عقد المقارنة بين الكتب تبيّن أن جامعة آل البيت في كتابها العربية الوظيفية قد قدمت أكبر عدد من الجمل للتراكيب الاسمية والفعلية، لكنها تتقدم على جميع المناهج في تقديم نمط الجملة الفعلية، ويعود سبب ذلك إلى أن نصوص الكتاب أصيلة مكثفة غير أنها عميقة من حيث المعنى والتركيب ولا تلبي احتياج الطالب الأجنبي، وربما تتناسب هذه النصوص للطلبة ذوي المستويات العليا والذين يريدون التخصص لدراسة هذه اللغة وليس لهدف أو غاية مؤقتة.

جاء كتاب (أهلاً وسهلاً) بالمرتبة الثانية من حيث عدد الجمل على الرغم من أن نصوصه تميل إلى النصوص المترجمة من الإنجليزية إلى العربية، وربما يكون سبب ذلك طبيعة الدارسين لهذا الكتاب فضلاً عن البيئة التي يدرّس فيها.

يأتي الكتاب الرابع (العربية للناطقين بغيرها) للجامعة الأردنية بالمرتبة الثالثة من حيث احتواء تراكيبه في عينة الدراسة على عدد أنماط الجمل الفعلية والاسمية، أما نصوصه فقد كانت سهلة بسيطة على الرغم من أن نصوص الكتاب أصيلة وغير مصنوعة، إلا أنّها وجهت إلى الطلبة بشكل وظيفي تناسب مستوى الطالب واحتياجاته مع بساطة المعاني والمفردات، ويليه الكتاب الثالث للجامعة الأردنية من حيث عدد الجمل، أما كتاب الأساس فقد كان آخر الكتب في التصنيف من حيث عدد الجمل في عينة الدراسة على الرغم من أن نصوصه تحمل صبغة النصوص المترجمة إلى العربية، حيث إن العربية المستخدمة في الكتاب غير سليمة أو غير صحيحة في بعض الأحيان مثل: وأنت لماذا تدرسين العربية؟ فعدم وجود الفاصلة والتركيب الخاطئ ووجود الضمير أنتِ لا داعي له أو أن مكانه في الاستخدام كان خاطئاً.

الدروس الحوارية التي اتبعتها معظم الكتب أسهل على الطالب في توظيف أنماط الجمل الاسمية والفعلية.

وظفت هذه الكتب ما يخدم الإسناد بطريقة مقصودة أو غير مقصودة من خلال كثرة وجود المصدر المؤول، والسبب في هذا أن العربية أخضعت الأداة (أن) للظهور في صدر الإسناد التام حيث إن المسند فيه يدل على حدث متحقق مع اشتراط أن يبدأ الإسناد بالمسند إليه.

كثرة استخدام التعليل (لكي، لأني)، وهذا الأمر يدفع متعلم هذه اللغة إلى أن يفكر ذهنياً، ويستنتج السبب والتعليل في الجملة لأن الاسم الموصول في الإنجليزية يعني في العربية الذي من أجله فهو تلقائياً حين يرى ما يحمل معنى التعليل يفهم نمط الجملة ومعناها.

كثرة استخدام الجار والمجرور في العملية الإسنادية في الجمل الفعلية لتوظيف الزمان والمكان، وكثرة ورود الفاعل على هيئة ضمير مستتر، والتنويع في صور المبتدأ وصور الخبر، وتقديم الخبر على المبتدأ بصوره المختلفة خاصةً شبه الجملة، وتنوع الأفعال بين الماضي والمضارع وندرة الأمر، وندرة الأفعال المتعدية لمفعولين، وندرة استخدام الفعل المبني للمجهول. وكثرة الفعل المتعدي في الجمل الفعلية.

خاتمة

تناولت هذه الدراسة قضية الإسناد في الجملة العربية: دراسة تحليلية تطبيقية لمناهج تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها (المستوى المتوسط)

وقد توصلت هذه الدراسة إلى مجموعة من النتائج تتمثل في:

- الإطار التعريفي لمفهوم هيكل الجملة تعدد عند القدماء والمحدثين، لكنه لم ينفصل عن مفهوم الإسناد.
- الرابط بين الجمل وعناصر تراكيبها هو علاقة ذهنية لا يصرح بها وتفهم ضمنياً من خلال السياق اللغوي تسمى بالعلاقة الإسنادية.
- يحتاج الطالب غير الناطق بالعربية لأن يتعرض لجميع أنماط الجملة العربية فلا أفضلية لنمط على آخر لكن يجب مراعاة التدرج في العرض.
- الجملة البسيطة في تركيبها أسهل على الطالب من الجمل المركبة.
- المناهج التعليمية متباينة في محتواها والسبب في ذلك أنها تؤلف –غالباً– من منظور فردي وليس حسب حاجة الطالب.
- الدروس الحوارية تسهل وتثبت نمط الجمل العربية عند الطالب.
- الحاجة إلى مراعاة الأسس اللازمة عند تأليف مناهج العربية للناطقين بغيرها.
- تأليف المناهج يجب أن تؤخذ برؤية جديدة ومنظور مختلف فالاهتمام بالأنشطة والألعاب اللغوية وقيام الدروس على شكل مسرحيات وعروض وألعاب للتدريبات النحوية والصرفية مع الاهتمام بمهارة القراءة والكتابة يساعد الطالب كثيراً في تعلم أنماط الجمل.
- عدد الجمل الفعلية في عينة الدراسة كان وروده وتقديمه من خلال النصوص أكثر من الجملة الاسمية.

- الكتب التي وردت في عينة الدراسة بحاجة أن يعاد النظر فيها من حيث الجوانب الآتية:
  - توزيع المادة النحوية فيها فقد كان في بعض الكتب العرض غير منطقي للمادة النحوية فعرض أكثر من قضية نحوية في الدرس الواحد يشتت ذهن الطالب.
  - لم تراعِ هذه الكتب الفروق الفردية بين الطلبة فقد جاءت كلها بمستوى الطالب المتقن للغة.
- انفراد كتاب العربية الوظيفية سلسلة آل البيت في عرض نصوص مكثفة تقدم للأجنبي بنفس المستوى الذي تقدم فيه لابن العربية وهذا أمر يعاب على المنهج.

وفي ضوء هذه النتائج توصي الباحثتان بما يلي:

- الكتب بحاجة أن تراعي مبدأ الوظيفية التي توجه النصوص لاختيار وانتخاب المادة النحوية.
- يجب انتخاب المعلمين المتخصصين في عرض القضايا النحوية لهذه الفئة من الطلبة.
- تناسب المحتوى مع حاجة الطالب ومستواه مطلب في غاية الأهمية.
- يجب الابتعاد عن عرض الجمل ذات التركيب المزدوج المعقد فطول الجمل في بعض الكتب يوقع الطالب في دائرة التشتت الذهني وعدم التركيز على المعنى وعدم المقدرة على تحديد النمط الذي تنتمي إليه الجمل.

المصادر والمراجع

- أبو البركات عبدالرحمن بن سعيد الأنباري، (ت٥٧٧هـ)، **أسرار العربية**، تحقيق محمد بهجت البيطار، مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق، ١٩٧٠م.
- ابن هشام الأنصاري، (ت٧٦١هـ)، **شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب**، تحقيق عبدالمغني الدقر، الشركة المتحدة للنشر والتوزيع، سوريا، ١٩٨٤م.
- ابن هشام الأنصاري، جمال الدين بن عبدالله، (ت٧٦١هـ)، **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، تحقيق بركات يوسف هبود، دار الأرقم للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٩م.
- ابن يعيش، موفق الدين أبو البقاء يعيش، علي بن يعيش، (ت٦٤٣هـ)، **شرح المفصل**، تحقيق إميل بديع يعقوب، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م.
- أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، (ت١٨٠هـ)، **الكتاب**، تحقيق عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٨م.
- أبو الفتح عثمان بن جني، (ت٣٩٢هـ)، **الخصائص**، تحقيق محمد علي النجار، المكتبة العلمية، بيروت، ١٩٩٩م.
- أحمد المتوكل، **قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية**، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط، ٢٠٠١م.
- أنيس فريحة، **نظريات في اللغة**، دار الكتاب اللبناني، بيروت.
- تمام حسان، **التمهيد في اكتساب اللغة العربية لغير الناطقين بها**، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٩٨٤م.

- تمام حسان، **الخلاصة النحوية**، عالم الكتب للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٠م.

- تمام حسان، **اللغة العربية معناها ومبناها**، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، ١٩٩٤م.

- جلال الدين السيوطي، (ت٩١١هـ)، **الأشباه والنظائر في النحو**، دار الكتب العليمة للنشر، لبنان، ١٩٧٩م.

- جلال الدين السيوطي، (ت٩١١هـ)، **همع الهوامع في شرح جمع الجوامع**، تحقيق عبدالسلام هارون، وعبدالعال سالم مكرم، دار البحوث العلمية للنشر، الكويت.

- حمادة إبراهيم، **الاتجاهات المعاصرة في تدريس اللغة العربية واللغات الأخرى الحية لغير الناطقين بها**، دار الفكر العربي للنشر، القاهرة، ١٩٨٧م.

- خليل أحمد العمايرة، **المسافة بين التنظير النحوي والتطبيق اللغوي**، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٤م.

- خليل أحمد عمايرة، **في نحو اللغة وتراكيبها**، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، السعودية، ١٩٨٤م.

- داود عبده، **نحو تعليم اللغة العربية وظيفياً**، دار الكرمل للنشر، عمان، الطبعة الثانية، ١٩٩٠م.

- دوغلاس بروان، **أسس تعلم اللغة وتعليمها**، ترجمة عبده الراجحي، علي علي أحمد شعبان، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٤م.

- رابح أبو معزة، **الجملة والوحدة الإسنادية الوظيفية في النحو العربي**، دار مؤسسة رسلان للطباعة والنشر، سوريا، ٢٠٠٨م.

- رشـــدي أحمد طعيمة، **الأســـس المعجمية والثقافية لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها**، مكة المكرمة، جامعة أم القرى، معهد اللغة العربية، ١٩٨٢م.

- رشـدي أحمد طعيمة، **المهارات اللغوية مسـتوياتها، تدريسـها، صـعوباتها**، دار الفكر العربي للنشر، القاهرة، ٢٠٠٤م.

- رشـدي طعيمة، **تعليم العربية لغير الناطقين بها مناهجه وأسـاليبه**، منشـورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، إيسسكو، ١٩٨٩م.

- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر، (ت٥٣٨هـــ)، **المفصل في علم اللغة العربية**، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٠م.

- سوزان جاس، لاري سلينكر، **تعلم اللغة الثانية**، ترجمة محمد الشرقاوي، المجلس الأعلى للثقافة والنشر، الكويت، ٢٠٠٣م.

- عباس حســـن، **النحو الوافي مع ربطه بالأســـاليب الرفيعة والحياة اللغويـة المتجددة**، دار المعارف للنشر، مصر، ج١، ١٩٦٩م.

- عبدالرحمن بن محمد بن خلدون، (ت٨٠٨هـ)، **مقدمة ابن خلدون**، تحقيق أحمد الزعبي، دار المعرفة الجامعية للنشر، بيروت، ٢٠٠١م.

- عبدالســلام هارون، **الأســاليب الإنشــائية في النحو العربي**، مكتبة الخانجي المصرية، القاهرة، ١٩٩٧م.

- عبدالعزيز إبراهيم العصيلي، **طرائق تدريس اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى**، الرياض، ٢٠٠٢م.

- عبدالعزيز إبراهيم العصـيلي، **النظريات اللغوية والنفسـية وتعليم اللغة العربية**، الرياض، ١٩٩٠م.

- عبده الراجحي، **التطبيق النحوي**، دار المعرفة الجامعيّة، بيروت، ٢٠٠٠م.
- علي أبو المكارم، **التراكيب الإسـنادية الجمل: الظرفية، الوصـفية، الشـرطية،** مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٧م.
- علي أحمد مدكور، إيمان أحمد هريدي، **تعليم العربيـة لغير النـاطقين بهـا، النظرية والتطبيق**، دار الفكر العربي للنشر، مصر، ٢٠٠٦م.
- علي الحديدي، **مشـــكلـة تعليم اللغـة العربيـة لغير العرب**، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٩م.
- علي بن محمد، الشريف الجرجاني، (ت٨١٦هـ)، **كتاب التعريفات**، الناشر الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية، لبنان، ١٩٨٥م.
- علي فودة نيل، **أســاســيات النحو العربي لغير الناطقين بالعربية**، مجلة كلية الآداب، المجلد الخامس، جامعة الرياض، ١٩٧٧م، ١٩٧٨م.
- فتحي علي يونس، محمد سعيد يونس، **دليل المعلم للكتاب الأسـاسـي في تعليم اللغـة العربيـة لغير النـاطقين بهـا**، منشـــورات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ١٩٨٣م.
- محمد إبراهيم عبادة، **الجملة العربية دراسـة لغوية نحوية**، منشأة المعارف للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٤م.
- محمد صالح بن عمر، **كيف نعلم العربية لغة حية، بحث في إشكاليات المنهج،** الخدمات العامة للنشر، تونس، ١٩٩٨م.
- محمود كامل الناقة، **تدريس القواعد في برامج تعليم اللغـة العربيـة للنـاطقين بغيرها**، المجلة العربية للدراسات اللغوية، المجلد الثالث، العدد الثاني، ١٩٨٥م.

- محي الدين الألوائي، **وقائع ندوات اللغة العربية لغير الناطقين بها**، مكتب التربية العربي لدول الخليج للنشر، ١٩٨٥م.

- مصطفى حميدة، **نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية**، الشركة المصرية العالمية للنشر، لبنان، ١٩٩٧م.

- الشيخ مصطفى الغلاييني، **جامع الدروس العربية**، تحقيق عبدالمنعم خفاجه، منشورات المكتبة، العصرية، لبنان، ١٩٩٣م.

- المنصف عاشور، **بنية الجملة العربية بين التحليل والنظرية**، منشورات كلية الآداب بمنوبة، تونس، ١٩٩١م.

- ناصر عبدالله الغالي، عبدالحميد عبدالله، **أسس إعداد الكتب التعليمية لغير الناطقين بالعربية**، دار الغالي للطباعة والنشر، الرياض،١٩٩١م.

- نايف خرما، **أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة**، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الكويت، ١٩٧٨م.

- نايف خرما، وعلي الحجاج، **اللغات الأجنبية، تعليمها وتعلمها**، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الكويت، ١٩٨٨م.

Almasader & Almaraje

- Abu albarakat abd alrahman bin saeed alanbari, (577h), asrar alarabia, tahqeeq mohammad bhjat albeetar, matboat almajma alelmi alarabi, demashq,1970.
- Ibn hisham alansari,(761h), sharh shouthur althahab fi marefat kalam alarab, tahqeeq abd algani addeger, ashareka almutaheda llnasher wa atawzeea, suria, 1984.
- Ibn hisham alansari,(761h),mugni al-labeeb an kutub alaareeb, tahqeeq barakat yousf hanood, dar alarqam lltebaa wa annasher, bairout, 1999.
- Ibn yaesh mouafq addeen abu albaqa, (643h), sharh almufassal, tahqeeq ameel badeea, manshurat mohammad ali baidun, dar alkotob alelmeia, bairut, 2001.
- Abu bisher omar bin othman sebaoeh,(180h), alketab, tahqeeq abd assalam harun,maktabat al khanji, 1988.
- Abu alfath othman bin jenni,(392h), alkhasais, tahqeeq mohammad ali annajjar, almaktaba alelmeia, bairut,1999.
- Ahmad almutawakel, qadaya alluga alarabia fi allesanyat aleathefia, dar alaman llnasher wa attawzeea, alrebat, 2001.
- Anees friaha, nathareat fi alluga, dar alketab allubnani, bairut.
- Tmam hassan, atamheed fi iktesab alluga alarabia ligaer annateqeen bha, jameat um alqura, makkah almukarama, 1984.
- Tmam hassan, alkulasa annahuea, alam alkutub llnasher wa attauzeea, alqahera, 2000.
- Tmam hassan, alluga alarabia lanaha wa mabnaha, dar athaqafa llnasher wa attawzeea, addar albaida, 1994.
- Jalal addeen asueoti,(911h), al ashbah waannazaer fi alnhu, dar alkutub alelmea llnasher, lubnan, 1979.
- Jalal Addeen Asueoti,(911h), Hama Alhwamea fi Sharh Jama al-Jwamea, tahqeeq abd assalam harun& abd alal salem, Dar al- buhuth

alelmia llnasher, Kuwait.

- Hamada Ibrahem, al -Itejahat al-Muasera fi Tadrees Alluga al- Arabia & al-lugat al-Haia Lgeir Annateqeen bha, Dar al-Fkr al-Arabi, qahera, 1987.
- Khalel Amaera, al-Masafa baen al-Tantheer al-Nahui& al-Tadbeeq al-Lugaui, Dar wael, Amman, 2004.
- Khalel Amaera,Fi Nhw Alluga & Trakebuha,Alam Almarefa , saudia, 1984.
- Daoud Abdu, Nhwa Talem Alluga Alarabia Wazefian, Dar Alkarmel.Amman, 1990.
- Duglas Brown, Uss Talum Alluga & Talemuha, Trjamat Abdu Alrajehi&Ali Shaban, Dar Annhda Alarabia, Beruit, 1994.
- Rabeh Abu Meza, Aljumla & Alwehda Alisnadia Alwazefia Fi Anhw Alarabi, Dar Reslan,Syria, 2008.
- Rushdi Tuaema, Alusus Almujamya &Athagafia Li Taleem Alluga Alarabia Lgair Annateqeen Biha, Makah Almukarama, Jameat Um Alqura, 1982.
- Rushdi Tuaema, Almaharat Allugawia Mustawayatuha, Tadresuha, soubatuha, Dar Alfkr Alarabi, Qairo,2004.
- Rushdi Tuaema,Taleem Alarabia Lgair Annateqeen BihaMnahijuhu &Asalibuhu, ASSCO,1989.
- Azzamakhshari, Almufassal Fi Elm Alluga Alarabia, Dar Aljeel, Beruit,1980.
- Suzan Jas,TalumAlluga Athania, Tarjamat Muhammad Asharqawi,Almajli Alala Llthaqafa & Annashr, Kuwait, 2003.
- Abass Hassan, Annahw Alwafi ma Rabtihi bAlasaleeb Arrafea & Alhyat Allugauia Almutajadeda, Dar Almaref, Eygept,1969.
- Ibn Khaldoun, Almuqadema, Tahqeeq Ahmad Azoubi, Dar Almarefa, Beruit,2001.

- Abd Assalam Haroun, Alasaleeb Alinshaeh Fi Annhw Alarabi, Mktbat Alkhanji, Qairo,1997.
- Adb Alaziz Alusaili, Traik Tdrees Alluga Alarabia Llnatigeen Blugat Ukhra, Riyad,2002.
- Adb Alaziz Alusaili, Annadariyat Allugawia & Annafsia & Taleem Aluga Alarabia, Riyad,1990.
- Abdo Arrajihi, Attabeeq Annahwi, Dar Almarefa, Beruit, 2000.
- Ali Abu Almakarem,Attrakeeb Alisnadia lljumal Atharfia, Alwasfia, Ashartia, Muassasat Almukhtar, Qairo, 2007.
- Ali Mdkour, Taleem Alarabia Lgair Annatqeen Bha, Dar Alfikr Alarabi, Qairo, 2006
- Ali Alhadidi. Mushkilat Taleem Alluga Alarabia Lgair Alarab, Dar Alkitab Alarabi, Qairo,1969
- Ashareef Aljurjani, Kitab Atarefat, Alhaia Alamma Lmktabat Aliskandaria,1985.
- Ali Fouda Neel, Asasiat Annhu Alarabi Lgair Annatiqeen Blarabia, Majallat Kuliat Aladab,Mujalad5, Jameat Riyad, 1977-1978.
- Fathi Younis, Daleel Almualem Llkitab Alasasi fi Taleem Alluga Alarabia Lgair Annatiqeen bha, ASSCO, Tunis, 1983.
- Mohammad Obada, Aljumla Alarabia Dirasa Lugauia Nahwia, Dar Almaarif, Qairo,1984.
- Mohammad Saleh, Kaif Nualem Alarabia Luga Haia, Tunis, 1998.
- Mahmoud Annaqa, Tadrees Alqawaed fi Bramig Taleem Alluga Alarabia Llnatiqeen Bgaireha,Almajalla Alarabia Lddirasat Allugawia, Mujallad3, Adad2,1985.
- Muhi Adeen Alalwai, Wagaei Nadwat Alluga Alarabia Lgair Annatiqeen bha, Mktab Attarbia AlarabiLdwal Alkhaleej, 1985.
- Mustafa Hameda, Nizam Alirtibat & Arrabt fi Trkeeb Aljumla Alarabia, Asharika Almisria Alalamia Llnasher, Lebanon, 1997.

- Ashaikh Mustafa Algalaeeni, Jamea Addurous Alarabia, Tahqeq Abd Almunem Khafaja, Maktaba Asria, beruit,1993.
- Almunsif Ashour, Buniat Aljumla Alarabia Bain Attahleel & Annatharia, Tunis,1991.
- Naser Abdullah & Abdulhamid Abdullah, Usus Idad Alkutub Atalemia Lgair Annatigeen Blarabia, Dar Algali, Riyad, 1991.
- Naief Khurma, Adwa Ala Addirasat Allugawia Almuasera, Alam Almarefa, Alkwait, 1978.
- Naief Khurma&Ali Hjaj, Allugat Alajnabia Taleemuha & Talumuha, Alam Almarefa,Alkwait,1988.

جدل الصامت المزيد في الأبنية الرباعية والخماسية

أ د. خالد محمّد المساعفة[١]

الملخص

زيادة أحد الصوامت اللغوية وسيلة من وسائل بناء الأبنية الرباعية والخماسية من أصولها الاستعماليّة في التأصيل اللغويّ، ولكنّ زائد هذه الأبنية لم يكن محلّ اتّفاق بين اللغويين، بل صار الحديث عنه ذا طابع جدليّ في كثير من الأمثلة، خلافاً لما توصّل إليه هؤلاء اللغويون من قياس يعيّنُ الزائدَ في المزيدات الصرفية، ويقيده بأحد حروف (سألتمونيها) دون خلاف.

فالجدلُ في الصّامت المزيد تأتّى من عدم الاتفاق على نوعه وموقعه، وتحكيمِ فكرة النحت فيما دلّت الدلائل على نشأته بالزيادة، وتردّدِ كثير من اللغويينَ القدماء والمحدثين بين أصالة هذه الأبنية واشتمالها على صوامت مزيدة، فضلاً عن الخلط بين الزيادات الصّرفيّة والزيادات اللغويّة (التأصيليّة).

ومن المفارقات التي وقفنا عليها أنّه حين وصلت الزيادة في التأصيل الموروث إلى طريق مسدود فإنّ هذا التّأصيل قد وضع –منذ نشأته– بذوراً أولية، ومقدماتٍ منهجيةً فيها ما يُعين على بناء نظرية تأصيليّة في نشأة الأبنية وتطوّرها نسعى إلى إبرازها في هذه الدراسة.

---

(١) أستاذ النحو والصرف/ جامعة الحسين بن طلال/ الأردن، معان.

Controversy Over the Added Consonant in the Quadri- and Penta-Radical Structures

Prof. Khaled M. Masa'feh
Al-Hussein Bin Talal University

Abstract

Consonant addition is a means to form quadri- and penta-radical structures from of their original forms. However, unlike their consensus on the morphological additions, which is restricted to the letters in "saltomoniha", there has never been a consensus on such addition among linguists. Rather, this issue has remained controversial over centuries. The controversy over the consonant addition stems from the lack of agreement on its kind and position in addition to the hesitancy of most traditional and contemporary linguists regarding the genuinity of these forms, their containment of additional consonants, the belief in the coinage idea concerning what has been proven as an addition, and the mixing between the morphological and linguistic additions. Among the paradoxes arrived at was that when this rooting tradition reached a dead end, this rooting has planted the seeds for future methodological studies that help build a rooting theory regarding the initiation and evolvement of the forms this study seeks to explore.

المقدمة

في العربية نمطان من الصوامت المزيدة، أحدهما الزيادة الصرفية المحصورة في عشرة حروف (صوامت) هي مجموع ما يتألف منه تركيب (سألتمونيها)، وهذه الزيادات لم يجر فيها اختلاف بين التصـــريفيين على اختلاف مذاهبهم. والثاني الزيادات اللغويّة (التأصيليّة) التي لم تثبت بالإجماع، ولم يجرِ فيها قياس قائم على الاســتقراء، بل صـــار البحث في ضــبط نوعها وموقعها خاضــعاً لاجتهاد بعض اللّغويين وأصـــحاب المعجمات؛ فكان من نتاج هذا الاجتهاد اختلافُ النظر بين كون المثال الرباعيّ أو الخماســـيّ مجرداً أو مزيداً زيادةً لغويةً على غير منهاج حروف (سألتمونيها) وضوابطها، وهذا النوع هو ما نتوفّر على درسه.

وقد بقي هذا النوع من التأصيل يراوح في المعجمات وفي بعض مُؤلّفات اللغة القديمة والحديثة بين نفي الصـــامت الزائد وإثباته، وبين كون زيادته اعتباطاً غير مقيّدة بكونها من حروف سألتموينها[١].

والدراسات الحديثة التي توفّرت على دراسة نشأة الأبنية غير الثلاثية بوسائل مختلفة كثيرة، نذكر منها: "تربيع الفعل الثلاثي في العربية وأخواتها من اللغات السامية" و"نشأة الفعل الرباعي" وكلتاهما لمراد كامل، و"الصيغ الرباعية والخماسية اشتقاقاً ودلالة" لمزيد إسماعيل نعيم، و"نشوء الفعل الرباعي في اللغة العربية" لأحمد عبدالمجيد هريدي، و"الفعل الرباعي في لسان العرب دراسة تأصيليّة" لعمر يوسف عكاشـــة... وجاء الحديث عن نشـــأة هذه الأبنية في بعض المؤلَّفات الحديثة، على نحو ما يطالع في مؤلّفَي إسماعيل عمايرة: "تطبيقات في المناهج اللغوية المعاصرة" و"الأقيسة الفعلية المهجورة"، وكتاب إبراهيم السامرائي "الفعل زمانه وأبنيته"، ومعجم أنيس فريحة "معجم الألفاظ العامية"، وكتاب تمام حسان "مناهج البحث في اللغة".

---

(١) حسان، تمام، **مناهج البحث في اللغة**، ٢١٩، ٢٢٠، نعيم، مزيد إسماعيل، **الصيغ الرباعية والخماسية، اشتقاقاً ودلالة**، ١٥١.

وكان لبعض الباحثين المحدثين الذين درسوا نشأة الأبنية العربية من أصول ثنائية آراء مختلفة تدور في محور نشأة الأبنية الرباعية والخماسية بالزيادة، وفي مقدمة هؤلاء: أحمد فارس الشّدياق، مؤلِّف "سر الليال" وجُرجي زيدان، مؤلِّف "الفلسفة اللغوية" وأنستانس الكرملي، صاحب كتاب "نشوء اللغة العربية ونموها واكتهالها"، ومرمرجي الدُّومنكيّ، صاحب كتاب "المعجمية العربية على ضوء الثنائية والألسنية السامية".

والدراسات السابقة فيها مستخلصاتٌ كثيرة تفيد في عموم درس التأصيل اللغوي؛ ولكنها لا تكاد تتّفق على نوع المزيد وموضعه، ومنهج استخلاصه وضوابطه المختلفة، وفي بعضها من نقص الاستقراء، وتجاهلِ أراء اللغويين القدماء ما لا يخفى.

وقد رأينا أن نشأة الأبنية الرباعية والخماسية بالزيادة كانت تنزع إلى القياس بتدرُّج يضبط نوع المزيد؛ فالتطور اللغويّ لا يسير بألفاظ اللغة على نحو عشوائيّ غامض، بل فيه منطق لغويّ معيّن يهدينا إلى مسالكه المختلفة في أبنية اللغة. وكذا توصّلنا إلى أنَّ تأصيل هذه الأبنية لا يستقيم على منهج واضح إلا برجع النظر في تطور هذه الأبنية من أصولها الثنائية، وموالاة البحث في تطورها الذي أفضى إلى نشأة الأبنية الثلاثية والرباعية والخماسية؛ فبهذا النظر والمنهج يمكن لنا تجاوز كثير من مشكلات التأصيل القديمة والحديثة، وفي مقدمتها نوع المزيد.

وارتأينا أن يكون هذا الموضوع في ثلاثة مباحث، تناول الأوّل مشكل تأصيل الزائد في الأبنية الرباعية والخماسية، وأمّا الثاني فتناول نشأة الأبنية غير الثلاثية بالصوامت الخفيفة، وفي المبحث الثالث صرنا إلى دراسة الصامت الزائد من منظور الثنائية اللغوية.

وقد قامت هذه الدراسة على منهج يعتمد على الاستقراء والتحليل؛ للوصول إلى النتائج.

المبحث الأول: مُشكل تأصيل الزائد في الأبنية الرباعية والخماسية

١. تاريخ المشكل

الاختلاف في الزيادة بين كونها من حروف (سألتمونيها) أو من غيرها كان معروفاً قبل الخليل (ت١٧٠هـ)، فقد نقل الخليل نفسُه اختلافَهم في زيادة الدّال أو الميم عندما عقّب على قولهم: جمل صِلَّخْم وصِلَّخْد وصَلَخْدَم بمعنى: الماضي القوي، يقول: "وقالوا: الصَّلَخْدَم أخِذَ من الصِّلَّخْم. الدال زائدة أم الميم"[١]. ونقل خلافاً آخر في زيادة العين صدراً بقوله:" العِجْلِزَة: الفرسُ الشَّديدة الخَلْق، ويُقالُ: أُخذ هذا من النَّعْت من جَلْزِ الخَلْقِ"[٢].

فالخلاف الذي ينقله في هذه الأمثلة يدلّ على أنَّ ثمّة مَن يرى –ممّن عاصره أو سبقه– أنَّ الأبنية الرباعية والخماسية في العربية ليست مجردةً من الزوائد التي لا تنتمي إلى حروف (سألتمونيها)، كالدال والعين، إذا دلّ الاشتقاق على هذه الزيادة ونوعها. وقد توسّع الخلاف في زائد الأبنية بعد الخليل، فالكوفيون –كما يذكر أبو البركات الأنباريّ (ت٥٧٧هـ)– يرون أنّ ما زاد على الثلاثي من الأبنية ليس أصلاً، خلافاً للبصريين الذين ذهبوا إلى أصالة هذه الأبنية[٣].

وسنرى أنّ من غير الدقيق ما نسب إلى الكوفيين على إطلاقه؛ لأنّ الخليل من أوائل الذين أجازوا نشأة الأبنية الرباعية والخماسية من أصولها بالزيادة، وأنَّ الكوفيين أفادوا من آرائه. بل إنَّ أبا زيد الأنصاري (ت٢١٥هـ) –وهو من مُتقدمي اللغويين البصريين– يرى أنَّ ما زاد على ثلاثة من الأبنية ليس أصلاً، وقد نقل هذا الرأي ابن دُرَيد (ت٣٢١هـ) بقوله: "أملى علينا أبو حاتم قال: قال أبو زيد: ما بني عليه الكلام ثلاثة أحرف؛ فما زاد ردّوه إلى ثلاثة، وما نقص رفعوه إلى ثلاثة؛ مثل:

---

(١) الخليل، **العين**، (صلخم)، ٤/ ٣٢٩.

(٢) السابق، (عجلز)، ٢/ ٣١٦.

(٣) الأنباري، أبو البركات، **الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين**، ٢/ ١١٤.

أَبٍ، وأخٍ، ودمٍ، وفمٍ، ويدٍ" وعقّب ابن دريد على هذا الرأي بقوله: "لا أَدري ما معنى قوله: فما زاد ردّوه إلى ثلاثة، وهكذا أملاه علينا أَبو حاتِم عن أبي زيد ولا أغيّره"[١].

٢. ضوابط الزائد الموقعية وغيرها: (زيادة النون أنموذجاً)

من الأمثلة القليلة التي نصَّ الخليل على الزيادة فيها نلحظ أنه لم يقيّد الصامت الزائد بموقع معيّن، فقد رأيناه ينقل زيادة العين صدراً في الاسم الرباعي (العِجْلِزَة)، وزيادة الميم كسعاً أو الدال حشواً في الاسم الخماسي (الصَّلَخْدَم). ويصرّح بجواز زيادة الباء كسعاً في الاسم الرباعي الوارد في قوله: "الزَّغْدَبُ: الهَديرُ الشّديد ... أصله الزّغْد، فربما زادوا الباء"[٢]. وأصل ردّه إلى ثلاثيه –كما ذكرَ– هو الاشتقاق؛ لأنَّ (الزَّغْد) جاء بمعنى الهَدير الشّديد[٣].

وزيادةُ النون لدى القدماء تُظهر مسائل الخلاف في موقع الزائد ونوعه على نحو واضح، فالخليل وقف على أمثلة قليلة من زيادتها حشواً، دون أن يذكر شيئاً من ضوابط زيادتها الصرفية، ممّا يتعلّق بكونها ثانيةً ساكنة، يقول: "وبعيرٌ حَظِل، إذا كان يأكُلُ الحَنْظَل، يحذِفون النون، ويُقال هي زائدة، ويُقال هي أصلية، والبناء رُباعيّ... وهم الذين يقولون: قد أسبَلَ الزَّرْع، بطرح النون، من السُّنْبُل، ولغة أخرى: سَنْبَلَ الزَّرْع"[٤].

وذهب ابن سيده (ت٤٥٨هـ) إلى أنّ (الحَنْظَل) بناء رباعيّ مجرّد، وأمّا استعمالُهم (حَظِل) –كما يذكر– فلا: "يشهد بأَنَّه ثلاثي، أَلا ترى إلى قول الأعرابية لصاحبتها: وإِن ذكرت الضَّغابيس فإِنّي ضَغِبة. ولا محالة أَنّ الضّغابيس رباعيّ،

---

(١) ابن دريد، **جمهرة اللغة**، (باب من اللغات عن أبي زيد)، ٣/ ١٣٠٦.

(٢) الخليل، **العين**، (زغد)، (زغدب)، ٤/ ٤٦٣.

(٣) السابق، (زغد)، ٤/ ٣٨١.

(٤) السابق، (حظل)، ٣/ ١٩٧.

لكنَّها وقفت حيثُ ارتدع البناءُ، وحَظِلٌ مثله، وإن اختلفت جهتا الحَذف"[1]. وهو يقصد أنّ الثلاثي(حَظِل) نشأ من الرباعيّ السابق بإسقاط النون، لا أنّها زيدت في هذا الثلاثي لبناء الرباعي (الحَنْظَل)، قياساً على اشتقاق (ضَغِب) من (الضّغابيس).

وقد توسّع سيبويهِ (ت١٨٠هـ) في ضوابط زيادة النون الموقعية وفي ضوابط غيرها من الصوامت في (باب علل ما تجعله زائداً من حروف الزوائد وما تجعله من نفس الحرف)، يقول: "فمن حروف الزوائد ما تجعله إذا لحق رابعاً فصاعداً زائداً أبداً، وإنْ لم يُشتق منه ما تذهب فيه الزيادة، لا تجعله من نفس الحرف إلا بِثَبْت، ومنها ما تجعله من نفس الحرف ولا تجعله زيادةً إلا بثبت"[2].

وبسبب هذه الضوابط صارت بعض الأبنية –لدى سيبويه– من الأنماط المزيدة زيادة صرفية، وبعضها من المجردات، يقول: "ممّا جعلته زائداً بثبت: العَنْسَل، لأنّهم يريدون العُسول. والعَنْبَس، لأنّهم يريدون العُبوس... ونون فِرْسِن؛ لأنّها من فَرسْت. ونون خَنْفَقيق؛ لأنّ الخَنْفَقيق الخفيفةُ من النساء الجريئة. وإنّما جعلتها من: خفقَ يخفِق كما تخفِق الرّيح"[3].

فالذي أوجب زيادة النون –هنا– هو ثَبْتُ اشتقاق (الخَنْفَقيق) من (خفقَ) ومجيءُ النون ثانيةً ساكنة. ولكنّ زيادتها –كما يرى سيبويه– لا تحتاج إلى هذا الثبت حينما تقع في اسم خماسيّ ثالثة ساكنة؛ لأنَّ هذا الموضع ممّا تكثر فيه زيادةُ حروف العلة، يقول: "وذلك نحو: جَحَنْفَل، وشَرَنْبَث... لأن هذه النون في موضع الزوائد، وذلك نحو: ألف عُذافِر، وواو فَدَوْكَس، وياء سَمَيْدَع. ألا ترى أن بنات الخمسة قليلة،

(١) ابن سيده، **المحكم والمحيط الأعظم**، (حظل)، ٣/ ٢٨٣.

(٢) سيبويه، **الكتاب**، ٤/ ٣٠٧.

(٣) المصدر السابق، ٤/٣٢٠.

وما كان على خمسة أحرف وفيه النون الساكنة ثالثة يكثر ككثرة عُذافر وسَرَوْمَط وسَمَيْدَع. فهذ يقوّي أنّه من بنات الأربعة"[١].

وإذا وقعت النون في الخماسي ثانية ساكنة فإنّ زيادتها تحتاج إلى ثبت؛ لقلة زيادة حروف العلة في هذا الموضع، يقول: "فأمّا إذا كانت ثانية ساكنة فإنها لا تُزاد إلا بثبت. وذلك: جِنْزَقْر، وحِنْبَتْر لقلة الأسماء من هذا النحو؛ لأنّك لا تجد أمّهات الزوائد في هذا الموضع. وكذلك عَنْدَليب؛ لأنه لم يكثر في الأسماء هذا المثال، ولأن أمّهات الزوائد لا تقع ثانية في هذا المثال. وإذا كان الحرف ثانياً متحركاً أو ثالثاً فلا يزاد إلا بثبت، كما لم يزد وهو ثان ساكناً إلا بثبت. وذلك: جُنَعْدَل، وشَنافِر، وخَدَرْنَق لقلتها في الكلام، ولقلة مواقع الزوائد في مواضعها"[٢].

وقد تمسك جمهور البصريين بهذه الضوابط، ولكنهم اختلفوا في زيادتها في بعض الأمثلة، فابن يعيش (ت٦٤٣هـ) يرى أنَّ القياس يوجب كون النون في العَنْسَل –وهي الناقة القوية السريعة– أصلاً؛ قياساً على أصالة العين الساكنة ثانية في (جَعْفَرٍ)، وقد استدرك فعدّها زائدة لثبت الاشتقاق، يقول: "لكنّهم جعلوه مشتقّاً من عَسَلانِ الذِّئب، وهو شدّةُ عَدْوه، فكانت زائدة لذلك. وقد ذهب قومٌ إلى أنّه مشتقٌ من لفظ العَنْس، فهي أصلٌ لذلك، واللامُ زائدة. والوجه الأول، وهو رأي سيبويه؛ لقوّة المعنى، وكثرة زيادة النون ثانياً، نحو: جُنْدب، وعُنْصُرٍ"[٣].

والذي ذهب إلى زيادة اللام في (العَنْسَل) هو محمد بن حبيب المازنيّ (ت٢٤٩هـ)، وقد ردّ ابن جني رأيه متّكئاً على مسألة كثرة زيادة النون ثانيةً، وقلة

---

(١) سيبويه، **الكتاب**، ٤/ ٣٢٢.

(٢) السابق، ٤/ ٣٢٢، ٣٢٣.

(٣) ابن يعيش، **شرح المفصل**، ٥/ ٣٣٦.

زيادة اللام، يقول: "والذي ذهب إليه سيبويه هو القول؛ لأنّ زيادة النون ثانيةً أكثر من زيادة اللام"(١).

وقولُ القدماء بزيادة اللّام أو النّون في الاسم الرباعيّ (العَنْسَل) سنفيد منه كثيراً حينما نرد هذا الاسم وغيره إلى أصل ثنائيّ واحد، وهو(عس) الذي جاء منه: العُسُّ، وهو القدح الضخم(٢). وعسّت الناقة، إذا دَرَّتْ عِساساً، أي: كَرْهاً(٣). والعَسوسُ: الناقةُ القَليلةُ الدَّرِ، أو التي إذا أُثيرتْ للحَلْب، مَشَت ساعةً ثمَّ طَوَّفَت ثمّ دَرَّت(٤). فدلالة القوة والسرعة ظاهرة في الأمثلة: العَسوس والعَنْس والعَسَل والعَنْسَل؛ ولا ينبغي أن نفوّت هذه الدلالة المشتركة بين هذه الأبنية؛ فلا نقول بنشأتها من أصل واحد، وإن صرنا إلى مخالفة ضوابط القدماء في الزيادة اللغوية (البنائية).

والأمثلة الآتية تبيّن أنَّ ضابط الموقع وانعدام النظير مع سكون الصامت لم يحسم الخلافَ في أصل الأبنية؛ ممّا يوجب -كما نرى- اصطناع ضابط الاشتقاق وتقديمه على غيره:

- فممّا ذكره ابن سيده في الاسم (التِنْبال) وغيره، قوله:" والتِّنْبالُ، والتِّنْبِلُ، والتِّنْبالةُ: القَصيرُ، رباعِيٌّ على مذهبِ سيبَوَيهِ؛ لأَنّ التاءَ لا تُزادُ أَوّلاً إِلّا بثَبْتٍ، وكذلك النّونُ لا تُزاد ثانِيةً إلّا بذلك، وهو عندَ ثعْلَب ثُلاثيٌّ، يذهبُ إلى زيادة التّاء، ويشتَقُّه من النَّبَلِ الذي هو الصِّغَرُ. والتُّنْبُول كالتِّنْبالِ"(٥).

- واختُلف في زيادة النون لانعدام النظير ولأسباب مختلفة، وقد ذكر العُكْبَري (ت٦١٦هـ) كثيراً من الأمثلة التي تبين علل زيادة النون أو أصالتها، فالنونُ في

---

(١) ابن جني، **سر صناعة الإعراب**، ٢/ ٩.

(٢) الخليل، **العين**، (عس)، ١/ ٧٤.

(٣) الصّاغاني، **الشّوارد**، (عسس)، ١/ ١٥٧.

(٤) الزَّبيدي، **تاج العروس**، (عسس)، ١٦/ ٢٥٥، ٢٥٦.

(٥) ابن سيده، **المحكم والمحيط الأعظم**، (تنبل)، ٩/ ٥٥٣.

جُنَعْدَل زائدةٌ لعدمِ النظير في قول مَنْ ضمَّ الجيمَ وفتح الدّال، والأَكثرون على فتحهما، وجعْلِ النّون أصلاً. وفي جَنَدِل النون زائِدة لعدم النظير. والنونُ في نَهْشَل أصلٌ؛ لأَنَّه من نَهْشَلت المرأةُ، إذا أسنَّت. وفي نَهْصَر أصل أو زائدةٌ؛ لأنَّه من معنى الهَصْر. وفي عَنْتَر أصلٌ عند البصريين؛ لأنَّ له نظيراً، وهو جَعْفَر، ولم يقم دليلٌ على الزِّيادة من طريقِ الاشتقاق، وقال غيرهم هي زائدةٌ؛ لأنَّه مشتقٌّ من العَتْر، وهي الشِّدة[١].

– ونقل أبو العلاء المعري (ت٤٤٩هـ) خلافاً آخر في نون الفعل (ارجحنَّ) بقوله: "وقد ذهب قوم إلى أنّ النون في قولهم ارجحنّ زائدة؛ لأنّهم أخذوه من الرّجحان، وليس ذاك على رأي البصريين؛ لأنهم يجعلون ارْجَحَنّ افْعَلَلّ، ولا يجعلون في أبنية الأفعال افْعَلَنَّ، وإنّما تُزاد النون في أواخر الأسماء بالقياس الصحيح أو بالاشتقاق الذي يجرى مجرى القياس"[٢].

وغيرُ البصريين أو القوم هم الكوفيون الذين يقدِّمون الاشتقاقَ والمعنى على الضوابط البصرية، وسنأتي على بيان رأيهم لاحقاً.

– ولا يكاد الخلاف يتوقف عند هذه الأمثلة، بل استمرّت شواهده في أمثلة مختلفة، كالذي نقله الزَّبيديّ (ت١٢٠٥هـ) في اشتقاق الاسم (العنكبوت) بقوله: "قال شيخنا: قد سَبَق أَنّ سيبويه قال: إذا كانت النون ثانِيةً فلا تُجعل زائِدةً إلّا بثَبَتٍ... وكلامُ الجوهرِيّ أو صَريحُه أَنَّ النّونَ زائدةٌ؛ لأَنّه لم يَجعل لها بِناءً خاصّاً، بل أَدخَلَها في (عكَبَ) من غير نَظَر... وصرح الشيخُ ابنُ هشام في رِسالة الدَّليل بأَنَّ أَصالة النُّون هو الصحيح، وهو مذهَبُ سيبويه"[٣].

٣. ضرورة تحكيم ضابط الاشتقاق

(١) العكبري، **اللباب في علل البناء والإعراب**، ٢/ ٢٦٦، ٢٦٧.

(٢) المعري، **رسالة الملائكة**، ٢٤٧.

(٣) الزَّبيدي، **تاج العروس**، (عنكب)، ١٦/ ٤٤٥ – ٤٤٧.

إنَّ الأمثلة التي وقع الخلاف في زائدها كثيرة، وقد ذكرنا منها فيما سبق أمثلة مختلفة، ومنها نخلص إلى أنّ الضابط الاشتقاقي مقدَّم على غيره من الضوابط، وهو ما عبّر عنه سيبويه بقوله: "وكل حرف من حروف الزوائد كان في حرف فذهب في اشتقاق في ذلك المعنى من ذاك اللفظ فاجعلها زائدة. وكذلك ما هو بمنزلة الاشتقاق"[١].

ولو أنّ سيبويه قدّم ضابط الاشتقاق على غيره من الضوابط لاختلف رأيه ورأيُ البصريين الذين عدّوا أمثلة كثيرةً من المُجرّدات وهي مزيدة، ولتوصلوا –أيضاً– إلى جواز زيادة صوامت من غير حروف (سألتمونيها) وعلى غير منهج زيادتها وضبطها. فالنظرُ في أدلّة الزيادة عند البصريين –باستثناء دليل الاشتقاق– يقود إلى أنّ وضعها لا يخلو من الاستنباط العقليّ، على النحو الظاهر في قول ابن الحاجب (ت٦٤٦هـ): "وتعرف الزّيادة بالاشتقاق، وعدم النّظير، وغلبة الزّيادة فيه، والتّرجيح عند التّعارض"[٢].

وما نذكره من ضرورة تحكيم الاشتقاق في الزائد ونوعه دون أيّ ثبْت آخر هو ما عبّر عنه ابن سيده بضرورة زيادة النون في (القُنْبُض) و(القُنْبُضة) بمعنى القصير والقصيرة، يقول:" والنّون فيهما زائِدة، لأَنَّهما من القَبْض، فالاشتقاق يُوجب زِيادَة النّون ضَرورةً"[٣].

وبالاشتقاق وحده يمكن أنْ نصل إلى ما يدفع الخلاف في زيادة حروف (سألتونيها)، وهو خلاف لم يقتصر على النون والميم والتاء والسين... بل شمل زيادة الهاء، في نحو (الهِبْلَع) بمعنى الأكول العَظيم اللَّقْمِ، ففي مادة (هبلع) ذكر الزَّبيديّ ما نصه: "قال ابنُ الأثيرِ: وقيل: إنَّ هاءَ هِبْلَعٍ زائِدةٌ، فيكونُ من البَلْعِ... قلت: وزِيادةُ

---

(١) سيبويه، **الكتاب**، ٤/ ٣٢٥.

(٢) ابن الحاجب، **الشافية في علمي التصريف والخط**، ٨١.

(٣) ابن سيدة، **المحكم والمحيط الأعظم**، (قنبض)، ٦ / ٦٠٧.

هائِه وهاءِ هِجْرَعٍ نُقِلَ عن الأَخْفَشِ" وذكر في مادّة (هجرع) الاسم (الهِجْرَع) بمعنى الأحْمَق من الرِّجالِ أو الطَّويل، ونقل الخلاف في زيادة هائه بقوله: "زعَمَ أَبو الحَسَن أنَّ هاء هِجْرَعٍ زائِدةٌ للإلحاقِ بدِرْهَمٍ، كهِبْلَعٍ، لأنَّ الهِجْرَعَ الطَّويلُ، فكأنَّه أخَذَه من الجَرْعِ، وهو المكانُ السَّهْلُ المُنْقادُ، وصحَّحَ في المُمْتِعِ الزيادةَ في هِبْلَعٍ، لوضوحِ الاشْتِقاقِ... وقالَ أَبو الفَتْحِ: لا أرى بَأْساً في زِيادَتِها"[1].

وقد تُرفض زيادة أحد هذه الحروف دون سبب واضح، وإن كان الاشتقاق يقضي بزيادته، من ذلك زيادة الّلام التي قال بها كراع في الفعل: هزلجَ، بمعنى أسرعَ، والهِزْلاج بمعنى السّريع، يقول ابن منظور: "وقال كُراعٌ: الهِزْلاجُ السريعُ، مُشْتَقٌّ من الهَزَجِ، واللّامُ زائِدةٌ، وهذا قولٌ لا يُلتفت إليه". وهذا رأي ابن منظور وهو ينقل معنى السرعة في الثلاثي(هزج) بقوله: "الهَزَجُ: الخِفّة وسُرعةُ وَقْعِ القَوائِمِ ووضْعِها"[2].

وقد ذكرنا أنّ الكوفيين قدّموا ضابطَ الاشتقاق على غيره لردّ الأبنية إلى أصولها؛ لكنّ قدماءهم تأثّروا –أيضاً– بفكرة موقع الزائد عند البصريين، عندما اتكأ الكسائيّ (ت١٨٩هـ) والفراء (ت٢٠٧هـ) على موقع الزائد فيما زاد على الثلاثة، فالكسائيُّ يوجب كونه الحرف الذي قبل الأخير في البناء الرباعيّ، أو الأخير على رأي الفراء، وأمّا الزائدان في البناء الخماسيّ فهما الحرفانِ الأخيران على رأي الفراء، وقد يكون هذا هو رأي الكسائيّ أيضاً[3].

والذي ذهب إليه هذان العالمانِ لا يتّفق مع آراء الكوفيين اللّاحقين الذين توسّعوا في تأصيل الأبنية بالزيادات غير المُقيّدة بموضع بعينه، أو بضابط عدم النظير. فكراع النمل (ت٣٠٩هـ) من اللغويينَ الذين أجازوا زيادة النون صدراً في قولهم: جرو

(١) الزَّبيدي، **تاج العروس**، (هبلع)،(هجرع)، ٢٢/ ٣٨٣، ٣٨٣.

(٢) ابن منظور، **لسان العرب**، (هزج)، ٢/ ٣٩٠، ٣٩٢.

(٣) الأنباري، أبو البركات، **الإنصاف في مسائل الخلاف**، ٢/ ٧٨٨ – ٧٩٥.

نَخْوَرِش؛ من الخَرْشِ، وبعد فاء الاسم في نحو: عَنْدَلٍ، وهو العظيم الرأس، وبعد عينه في مثل: جَحَنْفَلٍ، وعَفَنْقَسٍ، وَعَفَنْجَجٍ. وبعد لامه في نحو: عَلْجَنٍ، وخَلْبَنٍ[١].

وخالف ابن فارس (ت٣٩٥هـ) –وهو من علماء الكوفة أيضاً– منهج هذين العالمينِ عندما ذكر أنّ الزائد يأتي أولاً وغيرَ أوّل، يقول:" ومن هذا الباب ما يجيءُ على الرُّباعِيّ وهو من الثُّلاثِيّ على ما ذكرناه، لكِنَّهم يزيدونَ فيه حَرْفاً لمعنى يُريدونَه مِن مُبالَغةٍ، كما يفعَلونَ ذلك في زُرْقُمٍ وخَلْبَنٍ. لكنَّ هذه الزِّيادةَ تقَعُ أَوَّلاً وغيرَ أَوَّلٍ"[٢].

٤. قياس الزيادة اللغويّة (البنائية) على الزيادة الصرفية

تبيّن مقارنةُ آراء اللّغويين القدماء أنَّ الكوفيين توسّعوا في الأمثلة التي حملوها على الزيادة؛ لأنّهم لم يقيدوا الزائد فيها بكونه من حروف الزيادة الصرفية (سألتمونيها)، ولا أدلّ على ذلك من كثرة الأمثلة المزيدة لدى كراع النمل وابن فارس، وهما من اللغويين الكوفيين، خلافاً للبصريين الذين مالوا إلى أنَّ الزائد ينبغي أن يكون من حروف الزيادة الصّرفية؛ ولهذا كان بعض البصريين يصرّح بكون الزائد شاذّاً، إن اضطُرَّ للقول بزيادته، وهو من غير الزيادات الصرفيّة.

وأوّل إشارة تبيّن اختلافَهم في الزائد وردت في قول الخليل: "العِجْلِزَة: الفرسُ الشَّديدة الخَلْق، ويُقالُ: أُخذ هذا من النَّعْت من جَلْزِ الخَلْقِ، وهو غير جائز في القياس، ولكنَّهما اسمان اتّفَقَت حروفهما"[٣].

فعدم جواز القياس الذي ذكره الخليل نفّسره بكون العين ليست من حروف (سألتمونيها) التي تُزاد قياساً في الصرف، وإن صرح هو بزيادة الباء في (الزغدب)، وليست الباء من هذه الحروف، لكنّ ربما أجاز زيادتها لخفتها، فهي من المخرج الشفويّ الذي منه الميم.

---

(١) كراع النمل، **المنتخب**، ١/ ٦٩٠ – ٦٩٣.
(٢) ابن فارس، **مقاييس اللغة**، ١/ ٣٣٢.
(٣) الخليل, **العين**، (عجلز)، ٢/٣١٦.

ولأنّ زيادة العين تتّفق مع منهج الكوفيينَ في التّوســع في الزيادات رأينا ابن فارس ينســب إليه هذا الرأيَ بقوله: "وقد نصَّ الخليلُ في ذلك على شــيءٍ، فقال: اشــتقاق هذا النَّعت من جَلْز الخَلْقِ... فقد أعْلَمكَ أن العين زائدة"[١]. والقول بزيادة العين ليس للخليل، وإنما نقله عن غيره.

وذكر الخليلُ –أيضــاً– اختلافاً في زيادة الدال أو الميم دون ترجيح عندما عقّب على قولهم: جمل صِلَّخْم وصِلَّخْد صَلَخْدَم بمعنى: الماضـي القوي، يقول: "وقالوا: الصَّلَخْدَم أخِذَ من الصِّلَّخْم. الدال زائدة أم الميم، ويقال: بل هي كلمة بنيت خماسية فاشتبهت الحروف والمعنى واحد"[٢].

وظلَّ منهج البصريين اللّاحقين واحداً في نوع الحروف المزيدة، فهم لا يقبلون مزيداً من غير حروف (ســألتمونيها)، فابن شُــمَيل (ت٢٠٤هـ) –وهو من تلاميذ الخليل– يرى أن القاف زائدة في الاســم (الزَّهْمَقة) و(العَنْسَـلِق)، ويصــرّح بموجب شذوذ زيادتها بقوله: "وهذا شاذ؛ لأن القاف ليست من الحروف الزوائد"[٣]. وقد أخذَ كراع النمل بهذا الرأي دون نصّــه على شــذوذ زيادة القاف، يقول: "ويقال عَنْسٌ وعَنْسَلٌ وعَنْسَلِقٌ... والعَسَلَّقُ: الذئب مشتق من العَسَلانِ، وقد عسَلَ يعسِلُ؛ زيدت القاف في هذا... وليست من الزوائد"[٤]. وفي عبارته الأخيرة: "وليست من الزوائد" ما يؤكِّد عدمَ تقييد الكوفيين الزائد بكونه من حروف الزيادة الصرفية.

وعلى هذا المنهج كان يجري ابن السِّــكِّيت (ت٢٤٤هـ) –وهو من اللغويين الكوفيين– فقد نقل عنه كراع النمل زيادة الحاء وهي من غير حروف الزيادة بقوله:

(١) ابن فارس، **مقاييس اللغة**، (عجلز)، ٤/٣٦٤.

(٢) الخليل، **العين**، (صلخم)، ٤/ ٣٢٩.

(٣) القالي، **البارع في اللغة**، (زهمق)، ١/ ١٩١.

(٤) كراع النمل، **المنتخب من كلام العرب**، ١/ ٧٠١.

"قال ابن السِّكِّيت: الصَّلَنْقَحُ والصَّرَنْقَحُ جميعاً: الصِّياح، وأصله الصَّلْقِ، ثم تُبْدَلُ اللّام بالراء وتُزاد النون والحاء"[1].

وعليه فليس من الدقيق ما ذكره عبدالرزاق الصاعدي –وهو يؤكّد تأثر ابن فارس بكراع النمل– بقوله: "لم يذكر أحدٌ –فيما أعلم– أنَّ ابن فارس متأثر –في الزَّوائد– بكراع، وأراه أخذ أساس فكرته في (المقاييس) ممّا جاء به كراع في (المُنْتَخَب) وقد سبقه كراع بنحو قرنٍ، فقد كانت وفاته في سنة (٣١٠هـ) في حين توفي ابن فارس سنة (٣٩٣هـ)"[2].

وظلَّ مشكلُ المقارنة بين نمطَي الزيادة (اللغويّة) و(الصرفيّة) قائماً بين القدماء، ومنه ما ذكره أبو عمرٍو الزاهد (ت٣٤٥هـ) في زيادة السين بقوله: "السين في أوَّلِ سِنْبِس زائدة، يُقال: نَبَسَ إذا أسْرَعَ. قال: والسّينُ من زوائد الكلام"[3]. وقد عقَّب الزَّبيديُّ على هذا الرأي بقوله: "وهذا غريب فإنَّ السين تُزاد أولاً مع التّاء، كما في اسْتَفْعَلَ، وأما بغيرها فنادر"[4].

وقد نسب ابنُ جنّي (ت٣٩٢هـ) زيادةَ الباء في الاسم (الزَّغْدَب) إلى ثَعْلب (ت٢٩١هـ) بقوله: "وقولُه إنّ الباء زائدة كلام تمجُّهُ الآذانُ، وتضيقُ عن احتماله المعاذير"[5]. وقد كرّر هذا الرأيَ عندما تحدث عن (البَغْثَر) بمعنى الأحمق الضعيف، يقول: "كأنه من معنى الأبغث، وهو من خِساس الطير وضِعافها. ولست أقول: إن الراء زائدة كما قال أحمد بن يحيى إنّ الباء من زَغْدَب زائدة؛ لأنّه أخذه... من الزَّغْد، وهو الهديرُ يقطعه البعير من حلقه، هذا ما لا أستجيزه وأعوذ بالله من

---

(١) كراع النمل، **المنتخب من كلام العرب**، ١/ ٧٠١.

(٢) الصاعدي، **تداخل الأصول اللغوية**، ١/ ٣٠١، الهامش الأول.

(٣) الأزهري، **تهذيب اللغة**، (نبس)، ١٢/١٣.

(٤) الزَّبيدي، **تاج العروس**، (نبس)، ٥٣٢/١٦.

(٥) ابن جني، **الخصائص**، ٥١/٢.

مثله"[١]. فمع دليل الاشـتقاق الذي يوجب ردّ الاسـم الرباعيّ (البَغْثَر) إلى أصـله الثلاثي (البغث) إلّا أنَّ ابن جني تجنب القول بزيادة الراء؛ لأنها ليست من الزيادات الصرفية المعروفة.

وكان يفسِّـر أمثلة كثيرة من المزيدات بغير حروف الزيادة الصـرفية بمسـألة تداخل الأصـول[٢]، من نحو: سَـبِطٍ وسِـبَطْرٍ، ودَمِثٍ ودِمَثْرٍ وحَبِجٌ وحِبَجْرٌ.[٣] والظاهر أنّ تفسـيره هذا مُسـتمدٌّ من آراء الخليل التي سـبق ذكرها في أسـماء من قبيل: (الجَلْزِ) و(العِجْلِزَة)، فهو يفسـرّها بالتوافق المعنويّ والصـوتيّ بين الاسـمين الثلاثي والرباعي، وليس من باب التوافق الاشتقاقيّ الذي يجيز زيادة العين، وهو ما ينطبق على تفسيره الاسم الخماسي (الصَّلَخْدَم) الذي اختلف القدماء في زيادة ميمه أو داله في الاسم الرباعي (الصِّـلَّخْم)، فخلص الخليل من ذلك إلى القول: "بل هي كلمة بنيت خماسية فاشتبهت الحروف والمعنى واحد".

على أنَّ ضابط التداخل ما كان لينفي تردّد ابن جني بين رفضه الزائد وقبوله، في أمثلـة عُـدّت من المزيـدات بـالهـاء أو الميم، من نحو: الهِبْلَع والبَلْعِ والحَلْقِ والحُلْقومِ، والأَشْدَقِ والشَّدْقَمِ، ودِلْقَمٍ، ودِرْهَمٍ، ودِقْعِمٍ، وفُسْحُمٍ، وزُرْقُمٍ، وسُتْهُمٍ...[٤] أو ينفيَ شـكّه في أصـالة بعض الأبنية وخلوّها من الحروف الزائدة في موضـع آخر حين قال: "وهي –أي: زَيْزَفون– في ظاهر الأمر: فَيْفَعُول من الزَّفَنِ؛ لأنه ضـرب

---

(١) ابن جني، **المبهج في تفسير أسماء شعراء ديوان الحماسة**، ١٨٣.

(٢) يعرّف عبدالرزاق الصاعدي تداخل الأصول بقوله: "والتداخل في الاصطلاح من ذلك المعنى اللغوي العام؛ وهو دخول أصل
لغوي (جذر) في أصل آخر؛ ممّا قد يؤدي إلى صعوبة تمييز الأصل الأول من الثاني، أو الداخل من المدخول عليه. ينظر:
تداخل الأصول اللغوية، ١/ ٣٨.

(٣) ابن جني، **الخصائص**، ٢/ ٥١.

(٤) السابق، ٢/ ٥١ – ٥٣.

من الحركة مع صـــوتٍ. وقد يجوز أن يكون: زيزفونٌ رباعياً قريباً من لفظ الزَّفنِ، ومثله من الرّباعيّ: دَيْدَبُون. وأمّا الماطرون فذهب أبو الحســن إلى أنه رباعي. واستدل على ذلك بكسر النون مع الواو؛ ولو كانت زائدة لتعذر ذلك فيها"[1].

ومن المقارنة بين الزيادتين (البنائية) و(الصـــرفية) ما ذكره الجوهريّ (ت٣٩٣هـ) من زيادة الســين في (خلبسَ) و(الخُلابس)، بمعنى الحديث الرّقيق، يقول: "خَلْبَسَــه وخَلْبَسَ قلبَه، أي: فَتَنَه وذهَبَ به، كما يقال: خلبَه. وليس يبعد أن يكون هو الأصل، لانّ السين من حروف الزيادات. والخلابيس: المُتفرّقون"[2]. وإلى هذا الرأي ذهب ابن منظور (ت٧١١هـ)، ولكنّه أفرد لهذا الاسم الرباعيّ موضعاً مستقلاً عن مادة (خلس) الثلاثيّة[3].

ومن هذه المقارنة –أيضاً– ما حصل في الاسم (الكوكب) الذي زيدت فيه الكاف، يقول الزَّبيدي: "الكَوْكَبُ: ذكره اللَّيثُ في باب الرُّباعيّ، ذهَبَ إلى أَنّ الواو أَصلِيّةٌ، قال الأزهريُّ: وهو عند حُذّاق النَّحوِيّينَ من باب وكب صُدِّر بكاف زائدة، والأصلُ: وكب، أو كَوب" ويعقب الزَّبيدي على ذلك بقوله: "قلتُ: الكافُ ليست من حروف الزِّيادة، ولذا صرّحَ جماعةٌ بأصالته، فلا بُدَّ من تقييدِ أنّها زائِدةٌ على خِلاف الأصل"[4].

وقد خلصَ عبدالرزاق الصاعدي من وقوفه على أمثلة مختلفة من الزيادات إلى مخالفة رأي الكوفيين، وموافقة رأي ابن جني والبصريين يقول: "كلُّ هذا الذي ذكره كُراعٌ ليس من الزَّوائد؛ وإنما هي أصول تشابهت معانيها، وتقاربت ألفاظُها، وهو من

---

(١) ابن جني، **الخصائص**، ٣/ ٢١٩.

(٢) الجوهري، **صحاح العربية**، (خلبس)، ٣/ ٩٢٣.

(٣) ابن منظور، **لسان العرب**، (خلبس)، ٦/ ٦٦.

(٤) الزَّبيدي، **تاج العروس**، (ككب)، ٤/ ١٥٧.

* هكذا وردت(عن) والصواب (على).

المُترادفات كما يراه ابن جِنّي في أمثالها. ومَنحى كُراعٍ في الزَّوائد ليس غريباً؛ إذا عُرف أنَّه كوفيٌّ المذهب، وأهل الكوفة يجعلون ما زاد عن ثلاثة أحرفٍ مزيداً، كما تقدَّم. ونحا ابنُ فارسٍ منحى كُراعٍ، يؤكد ذلك تحليل ما زاد عن* الثلاثة في معجمه (مقاييس اللُّغة) ففيه تسع وأربعون ومائتا كلمة رباعية أو خماسية؛ ممّا جعله مزيداً بحرفٍ أو حرفين من غير حروف الزِّيادة العشرة"[١].

والباحث يذهب إلى موافقة البصريين؛ لأنّه أراد أن يضع ضابطاً فيصلاً لمسألة التداخل الموروث بين الثلاثي والرباعي وغيرهما، وهو الضابط الذي صاغه على النحو: "إذا وجد لفظان متقاربان أحدهما ثلاثي، والآخر رباعي، ومعناهما واحد، وليس بينهما إلا حرف واحد، نظر إلى ذلك الحرف فإن كان من حروف الزيادة فالكلمتان من أصل واحد؛ نحو: الجرع والهجرع... وإن كان الحرف من غير حروف الزيادة فهما أصلان مختلفان؛ نحو سَبط وسِبْطر..."[٢].

ولسنا نرى هذا الضابط إلّا نتاج المقايسة الموروثة بين الزيادات الصرفية والزيادات اللغوية. فإذا جاز لنا –مثلاً– أن نتابع رأي الباحث ورأي ابن جني في نفي زيادة الراء من الفصيح (سِبطر) القائم على (سبط)، فكيف يمكن تفسير زيادة الباء التي صرح الخليل بزيادتها في الاسم (الزَّغْدَب)، وكيف يتأتّى لنا تفسير كثير من الأنماط المستعملة المزيدة بغير حروف (سألتمونيها) في اللهجات العربية الدارجة، كزيادة الراء في أمثلة من اللهجة اللبنانية على نحو ما ذكر أنيس فريحة في: بعجرَ بمعنى غمزَ وهمزَ وقلّبَ بين الأصابع، وحربسَ الخيط، إذا شبكه بغيره

(١) الصاعدي، **تداخل الأصول اللغوية**، ١/ ٢٠٠، ٢٠١.

(٢) السابق، ٢ /١٠١٤، ١٠١٥.

فتعقّد[١]. وكزياداتها في اللهجة المصرية على ما ذكر تمام حسّان في الفعل: طربق وغيره[٢] ؟.

٥. بناء الأمثلة بالنحت أو بالزيادة

إن بناء الأمثلة الرباعية والخماسية بالنّحت من مشكل التأصيل الذي أدّى إلى انحراف تأصيل الأبنية عن المسار الذي اختاره كثير من الكوفيين وجعلوا عمدتَه زيادة الصوامت. وكان ابن فارس أول من توسّع في حمل الأبنية غير الثلاثية على النحت على نحو غير مسبوق.

فهو يقول –مثلاً– بنحت الفعل (ازْلَغَبَّ) في قولهم: ازْلَغَبَّ الشَّعْرُ، إذا نبَتَ بعدَ الحَلْقِ من كلمَتَيْنِ، من زَغَبَ ولَغَبَ[٣]. وقد رأينا أحد علماء الكوفة –وهو كراع النمل– يردّه إلى أصله الثلاثي (زغب) بزيادة اللام[٤]. ويتابعه على هذا الرأي الجوهريّ بقوله: "وازْلَغَبَّ الفَرْخُ: طلع ريشُه، بزيادة اللام"[٥].

وما يؤكّد أن النحت لدى ابن فارس لم يقم على دليل واضح، أو منهج مقيس جملةٌ من المسائل نذكر منها:

– مخالفة القدماء وكثير من المحدثين له في كثير من الأمثلة التي حملها على النحت، فمن الأمثلة المُختلف فيها بين كونها منحوتة أو ناشئة بالزيادة الفعلُ (هَلْقَمَ)، والاسم الهِلَقَّامةُ، والهِلْقَامُ. فابن فارس يرى أنَّ (الهِلْقام) –بمعنى الضَّخْم الواسِع البَطْنِ– منحوت مِنْ هَقَمَ، والبَحْر الهَيْقَمِ: الواسِعِ، ومن (لَقْم) وهو من لَقْمِ الشَّيْءِ[٦].

---

(١) فريحة، **معجم الألفاظ العامية**، (بعجر)، ١٢، ٣٢. ١٣٨.

(٢) حسان، **مناهج البحث في اللغة**، ١٨٨.

(٣) ابن فارس، **مقاييس اللغة**، ٣/ ٥٣.

(٤) كراع النمل، **المنتخب**، ١/ ٦٩٣، ٦٩٤.

(٥) الجوهري، **صحاح العربية**، (زغب)، ١/ ١٤٣.

(٦) ابن فارس، مقاييس اللغة، ٦/ ٧١.

وقد نقل الزَّبيديّ نشأة هذه الأمثلة بزيادة الهاء، يقول: "والهِلْقَمُّ الأَكولُ المُبْتَلِعُ كالهِلْقامةِ، وقد صَرَّحوا بزِيادة الهاءِ فيهما، وأنَّهما من اللَّقْمِ... وبَحْرٌ هِلْقَمٌ، كدِرْهَمٍ، كأَنَّه يلتَهِمُ ما طُرِحَ فيه. وهَلْقَمَ الشَّيءَ هَلْقَمَةً: ابتلَعَه"(١).

وتوصّل بعض الباحثين المحدثين من المقارنة بين اللغات السامية إلى أن الهاء زائدة في الفعل الرباعي(هلقمَ)، وهي أصل للهمزة في (ألقمَ)، وقد خلص إلى أنَّ الهمزة في صيغة (أفْعَل) منقلبة عن الهاء، وعلم الساميات يرجّح ذلك لسببين: أحدهما أنَّ هذه الصيغة تقابل في بعض اللغات السامية صيغة مناظرة تبدأ بالهاء، فالمقابل لها في العبرية هو صيغة (هفْعيل)، والثاني: أنّ العربية ما زالت تحتوي على آثار من هذه الهاء، في نحو: أَنارَ وهنارَ، وأراقَ وهراقَ(٢).

- في مادة (ثرط) ذهب الجوهريّ إلى القول:" الثَرْطُ مثل الثَلْطِ، لغةٌ أو لثغة... والثِرْطَئَةُ بالكسر: الرجلُ الأحمقُ الضعيفُ والهمزة زائدة. والثُرْمَطَةُ بالضم: الطينُ الرطب، ولعل الميم زائدة"(٣).

ولكنّ ابن فارس يرى أنّ الرباعي (الثُّرْمُطَة) ناشـــئ بالنحت من (الثرط) و(الرَّمْطِ)، يقول: "الثُّرْمُطـةُ وهي اللَّثَقُ والطِّينُ. وهـذا منحوتٌ من كلمتَينِ من الثَّرْطِ والرَّمْطِ، وهما اللَّطْخُ. يُقالُ: ثُرِطَ فُلانٌ، إذا لُطِخَ بعَيْبٍ. وكذلك رُمِطَ"(٤).

فإن صحّ أن (الثرط) لثغة في (الثلط) بإبدال الراء من اللام فلا تكون نشأة (الثُّرْمُطَة) بالنحت من بناءين أحدهما لثغة، وهو عبارة عن منطوق فردي مقيّد ؛ وعليه فإنّ زيادة الميم حشواً في (الثُّرْمُطَة) هو ما يفسّر نشأة هذا البناء كما ذكر الجوهريّ.

---

(١) الزَّبيدي، **تاج العروس**، (هلقم)، ٣٤/ ١١٧.

(٢) عمايرة، **الأقيسة الفعلية المهجورة**، ٣١.

(٣) الجوهري، **صحاح العربية**، (ثرط)، ٣/ ١١١٧.

(٤) ابن فارس، **مقاييس اللغة**، ١/ ٤٠٣، ٤٠٤.

– ولا يتوانى ابن فارس عن حمل الفعل (عركسَ) على النحت من الفعلين: (عَكَسَ) و(عَرَكَ)؛ لأنه كما يقول: "شيءٌ يَتَرادُّ بعضُه على بعضٍ ويتَراجعُ ويُعاركُ بعضُه كأنَّه يلتَفُّ به". وأمّا الفعل (اعْلَنْكَسَ) الشَّعْرُ –إذا اشتَدَّ سَوادُه وكثُرَ– فيذكر أنّه ناشئ بإبدال اللام من الرّاءِ، فأصله من: عَرْكَستُ الشَّيءَ، إذا جمعتُ بعضَه على بعض، وهذا من عكسَ وركسَ"[1].

فدلالة الفعلين السابقين على الجمع لا تحتاج إلى إثبات، واعتراف ابن فارس بنشأة (اعْلَنْكَسَ) من (عركسَ) بإبدال اللام من الراء صريح قاطع؛ فكيف يكون الفعل (عركس) منحوتاً من (عَكَسَ) و(عَرَكَ)، والفعل (اعْلَنْكَسَ) منحوتاً من (عكسَ) و(ركسَ) بعد قوله بإبدال لامه من الراء؟

– وفي الاسم (العَسَلّق) –بمعنى كُلّ سُبُع جَرُؤَ على الصَّيْد– يذكر أنّه منحوت من ثلاث كلمات: من عسِقَ به، إذا لازَمه، ومن عَلِقَ، ومن سَلِقَ. وقد خالفَ في تأصيله (العَسَلَّق) –بمعنى الظَّليم– على الرغم من التقارب الدلاليّ بينهما، فحمله على الزيادة بقوله: "مُمْكِنٌ أَن يكونَ من السُّرْعة، ويكون القافُ زائِدة ويكون من العَسَلانِ; ويمكن أَنْ يكون العَينُ زائدة، ويكون من السَّلْقِ والتَّسَلُّقِ. وكُلُّ ذلك جَيِّدٌ"[2].

فليس بين الاسمين فرق دلاليّ يوجب كون أحدهما منحوتاً، والآخر مزيداً بالقاف أو العين، فهما –كما نرى– من الأصل الثلاثي (عسق) بزيادة اللام حشواً بعد السين، وهذا ما فسّر به ابن فارس نفسُه نشأة الاسم (العُسْقول) بمعنى قِطْعة السَّرابِ، بقوله: "وهذا مِمّا زيدَت فيه اللّامُ. والأصلُ العَسَقُ، يُقالُ: إنّه الإطاقةُ بالشّيء، من اللُّزوم الذي ذكَرناه"[3].

---

(١) ابن فارس، **مقاييس اللغة**، (عنكد)، ٤/ ٣٦١.

(٢) السابق، ٤/ ٣٥٩.

(٣) السابق، ٤/ ٣٥٩.

والأمثلة التي فسرها بالنحت من ثلاث كلمات لا تظهر علة نحتها إلّا بمقاربات دلالية لا نتصوّر قيامها في ذهن الناطق، من ذلك ما ذكره في (النَّقْرَشَة) بمعنى الحِسّ الخَفِيّ، كحِسِّ الفارَةِ واليَرْبوعِ، يقول: "وهي منحوتةٌ من نَقَرَ وقَرَشَ ونَقَشَ؛ لأَنَّه كأَنَّه ينقُرُ شيئاً ويقرِشُه: يجمعُه، وينقُشُه كما يُنقشُ الشَّيءُ بالمِنقاشِ"[١].

فلماذا لا يكون هذا الاسم الرباعيّ ناشئاً بزيادة النون صدراً في (قرشَ)، أو الراء حشواً في (نقشَ)، بعد أنْ قال ابن فارس بمثل هذه الزيادات في أمثلة مختلفة سيأتي ذكرها؟

ويسوّغ هذه النشأة بالزيادة دون النحت أنّنا نسمعهم في اللهجات الأردنية يقولون (قرشَ) للشيءَ اليابس الذي يُسمع لأكلِه صوت، وكذلك يستعملون الرباعي (نقرشَ) لمعنى هذا الثلاثي، ولمعنى زائد، وهو فضول الأكل من غير حاجة إليه، ولم يقم في عقول الناطقين في هذه اللهجات معنى النقر والنقش حين استعملوا الفعل الرباعي مزيداً بالنون الخفيفة.

وعلى ما تقدم نرى أنّ النحت الذي أخذ به ابن فارس يُثير مشكلاتٍ كثيرةً في تأصيل الأبنية اللغويّة، ولهذه المشكلات وغيرها كان بعض الباحثين المحدثين يرى أنَّ النحت الذي أخذ به ابن فارس قائم على الظّنّ والتّأويل البعيد، والتّكلُّف أيضاً[٢].

وهذا الرأي نراه ينطبق على النحت الذي تسرب إلى تأصيل أمثلة من اللهجات العربية الدارجة، فإبراهيم السامرائي يذكر استعمال العراقية الدارجة للفعل الرباعيّ (شنهقَ) بمعنى أحدثَ أصواتاً مزعجة ومن ثَمَّ يذهب في تأصيله إلى القول: "وربّما كان الفعل منحوتاً من (شهقَ) و(نهقَ)، والشهيق معروف، وهو التنفُّس، والنهيق صوت الحمار"[٣].

---

(١) ابن فارس، **مقاييس اللغة**، ٥/ ٤٨٣.

(٢) الصالح، صبحي، **دراسات في فقه اللغة**، ٢٦٦، ٢٦٧، عمايرة، **الأقيسة الفعلية المهجورة**، ١٢.

(٣) السامرائي، **الفعل زمانه وأبنيته**، ١٦٨.

وفي بعض اللهجات الأردنية الدارجة استعمل هذا الرباعي للدلالة على المبالغة في الشهيق، وقد اكتسب دلالةً مجازية؛ لقولهم: شنهقَ فلان، إذا انتظر بفارغ الصبر مَسرّةً لم تحصل بعدُ، فكأنّه نُظر في اشتقاق هذا الفعل إلى ما يصاحب هذا الانتظار من تسارع النَّفَس والشهيق. فلأيّ شيء ذهبَ السامرائي بهذا الفعل إلى النحت، وزيادةُ النون الخفيفة أقرب ما يفسّر نشأة هذا الرباعي من ثلاثيه (شهق)؟

٦. عدم الاتّفاق على نوع الزوائد وعددها

من ذلك الفعل (شبرقَ) الذي صرَّح كراع النمل بزيادة الباء فيه؛ لقولهم: شَرَّقَ الثوب وشَبْرَقَهُ، إذا قَدَّه، ومثله: خَرَقَ عمَلَه وخَرْبَقَه إذا أفسده[١]. ودلالة الفعل الثلاثي (شرق) على التقطيع لا تختلف في كثير من المعجمات والمصادر اللغوية، فقد روي: شَرَقتُ الثمرةَ، إذا قَطَعتها، وتَشْريق اللَّحْمِ: تَقْطيعُه وتقديدُه وبَسْطُه في الشَّمس ليَجِفّ[٢]. وفي "لسان العرب" ورد ما يؤكّد قيامَه على هذا الثلاثي، وهو قول ابن منظور: "وشَرَّقتُ اللَّحْمَ: شَبْرَقْته طولاً وشَرَرْته في الشَّمْس ليجِفَّ"[٣]. وقد قُلب قلباً مكانياً على ما يُفهم من قول ابن القطاع: "وشَبرقَت الثوب خرقته مزقاً، وشَرْبقَته كذلك"[٤]. إلّا أن ابن فارس كان يرى أنّ هذا الرباعي مزيد بالقاف لا بالباء، يقول: "شَبْرَقتُ اللّحْمَ، إذا قَطَّعتَه، فالقافُ منه زائدة، كأنّك قطّعتَه شِبْراً شِبْراً، وشَبْرَقتُ الثَّوْبَ، إذا مزَّقتَه"[٥].

وقد يكون المثال الواحد –لدى كراع النمل– محتملاً لنوعين مختلفين من الزوائد، كقوله بزيادة العين في الأمثلة: صَلَمْتُ الشيءَ وصَلْمَعْتُه، إذا قطَعْتُه من أصله.

(١) كراع النمل، **المنتخب**، ١/ ٧٠٥.

(٢) ابن الأثير، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، (شرق)، ٢/ ١٨٣.

(٣) ابن منظور، **لسان العرب**، (شرق)، ١٠/ ٧٦.

(٤) ابن القطاع، **كتاب الأفعال**، (شبرق)، ٢/ ٢٢٧.

(٥) ابن فارس، **مقاييس اللغة**، (شبرق)، ٣/ ٢٧٢.

وتَخَزَّلَ وتخَزْعَلَ، إذا تعارجَ[١]. وكان يكفيه تأصيل الفعل (صَلْمَعَ) بزيادة الميم، كما ذكر في موضع آخر[٢] لا العين، وأن يكون الفعل (تخَزْعَلَ) من المزيد باللّام دون العين، كما صرح في موضع آخر أيضاً[٣].

وقد بدا الشكّ واضحاً في زيادة صوت معيّن، وهذا ما يطالع في أمثلة كثيرة لدى ابن فارس، منها ما ذكره في مادّة (قهس) بقوله: "جاء يتَقَهْوَسُ، إذا جاءَ مُنْحَنِياً يَضْطَرِبُ. وهذا مُمْكنٌ أَنْ يكون هاؤُه زائِدةً، كأنّه يتقَوَّسُ. ويقولون: القَهْوَسةُ: السُّرْعةُ، والقَهْوَسُ: الرَّجُلُ الطَّويلُ"[٤]. والشائع أن يكون الزائد صوت العلة (الواو) في هذا المثال وغيره؛ فيكون من الثلاثي (قهس) وهذا ما نستخلصه من قول ابن دريد: "والقَهْس: فعل مُمات، ومنه اشتقاق قَهْوَس، اسم رجل، والقَهْوَسة: مِشية فيها سرعة"[٥].

وأمّا عددُ الزوائد التي أفضت إلى نشأة الأبنية غير الثلاثية فمن غير الشائع عند البصريين أن تُزاد غير حروف الزيادة الصرفية العشرة؛ فلهذا نراهم يختارون الزائد منها، فابن جني في (باب في تداخل الأصول الثلاثية والرباعية والخماسية) يذهب إلى أن الواو هي الزائد في الاسم (الرِّخْودّ) بمعنى رِخو العِظام، يقول: "شيء رِخْو ورِخْوَدّ فهما -كما ترى- شديدا التداخل لفظًا, وكذلك هما معنى. وإنما تركيب رخو من رخ و, وتركيب رخود من رخ د, و واو رِخْوَدّ زائدة"[٦].

وقد توسّع بعض الكوفيين في الزيادات اللغوية، ولعلّ أول المُتوسعين كراع النمل، وكان من منهجه أنه يصرّح بأن الزائد ليس من حروف (سألتمونيها)، كلما

---

(١) كراع النمل، **المنتخب**، ١/ ٦٩٣، ٧٠١.

(٢) السابق، ١/ ٦٩٠.

(٣) السابق، ١/ ٦٩٣.

(٤) ابن فارس، **مقاييس اللغة**، ٥/ ٣٦.

(٥) ابن دريد، **جمهرة اللغة**، (قهس)، ٢/ ٨٥٣.

(٦) ابن جني، **الخصائص**، ٢/ ٤٦.

كان الزائد من غيرها، وكأنه يردّ على البصريين. فممّا نصّ عليه من زيادة العين قوله: "تُزاد العين في ارْتَجَّ، فيقال: ارْتَعَجَ... فزيدت العين وليست من الزوائد ولا من أخواتها"[(١)]. وذكر أمثلة مزيدة بالحاء والفاء والزاي بقوله: "ويقال ناقة ثَرَّةٌ: واسعة الأحاليل، وهي مخارج اللَّبن، والحَثْرُ والحَثِرُ: الواسع من كل شيء، لا أُرى الحاءَ في هذا كله إلا زائدة، وليست من الزوائد ولا من أخواتها. وكذلك الفاء قالوا: دليلٌ مِخَشٌّ ومِخْشَفٌ*: جريء على اللَّيل... كذلك الزاي، يقال: ثوب رازِيٌّ منسوب إلى الرَّيِّ، وإنما زيدت؛ لأنها أخت السين. والسين من الزوائد؛ ولهذا قالوا: السُّدُّ والزُّدُّ"[(٢)].

ويذكر كراع النمل مزيداً من غير حروف (سألتمونيها)، ولكنّه يسوّغ زيادته بمُقاربته واحداً من الحروف السابقة، ومن ذلك ما ذكره في زيادة الطاء في الاسم: الضُّمْروطِ والضُّمْرِ، والفعل: فَرْشَطَ وفَرَشَ، بمعنى ألصق أَليتيه بالأرض وتوسَّد ساقيه، وعلةُ زيادة الطاء –كما يذكر– أنّها أخت التاء؛ ولهذا أبدلوا منها فقالوا: مَتَّ وَمَطَّ ومَدَّ، والغَلَطُ والغَلَتُ، وفَحَصْتُ وفَحَصْطُ، والقُسْطُ والكُسْتُ[(٣)].

وعلى هذا المنوال كان يعلّل زيادة الجيم، في نحو: همَرَ وهَمْرَجَ، إذا أسرعَ، ودَحَرْتُه ودَحْرَجْتُه، وامرأة خَدْلَة السَّاقِ وخَدْلَجَة، فالجيم –كما يذكر– أخت الياء، ولهذا أبدلوها منها، فقالت العامة: المَسيدُ للمسْجِد[(٤)].

ويعلّل زيادة الدال في الاسم(رِخْوَدّ)، بقوله: "وزادوها؛ لأنها أخت التاء؛ ولهذا قالوا: تَوْلَجٌ ودَوْلَجٌ، لسِرْبِ الوَحْشِ، وتِقْصارٌ ودِقْصارٌ، للقلادة القصيرة"[(٥)]. وقد نقل

---

(١) ابن جني، **الخصائص**، ١/ ٧٠٠، ٧٠١.

* وهذا يشمل الفعل خشَّ وخشفَ.

(٢) السابق، ١/ ٧٠٢ – ٧٠٤.

(٣) السابق، ١/ ٧٠٤.

(٤) السابق، ١/ ٧٠٤.

(٥) السابق، ١/ ٧٠٤.

زيادةَ الدال الأزهريُّ عن أبي الهيثم بقوله: "وقال أبو الهَيْثَم: الرِّخْوَدُّ: الرِّخْوُ. زيدت فيه الدالُ، وشُدِّدت"[١].

وعلى أيّ حال فإنَّ المزيدات من غير حروف (سألتمونيها) أحد عشر حرفاً لدى كراع النمل هي: (ف، ع، غ، ق، ح، ز، ط، د، ج، ب، ر)؛ وبذلك يصبح مجموع ما هو قابل للزيادة لديه (٢١) حرفاً. وقد ذهب عبد الرزاق الصاعدي إلى أنّه زاد عشرة، بإسقاطه من زيادات كراع صوت العين[٢]. وهي مزيدة لديه في المثال السابق (ارْتَعَجَ).

وأمّا ابن فارس فقد وصلت أمثلته المزيدة بحرف أو حرفين من غير حروف الزِّيادة العشرة إلى (٢٤٩) مثالاً كما ورد في إحصاء الصاعدي، فقد قال بزيادة الرّاء في (٣٥) كلمةً، وهي أكثر الحروف زيادةً عنده، ويليها العين في (٢٠) كلمة، فالباءُ في (١٩)، والدّالُ في (١١)، والفاءُ في (٦)، والحاءُ في (٥)، والجيمُ والقافُ والكافُ، وكلٌّ منها في (٤) كلماتٍ، والشينُ؛ في (٣)، فالزَّايُ والطَّاءُ في كلمتين لكل منهما، فالخاءُ والذَّال والضَّاد والغينُ، في كلمةٍ لكلٍّ منها. وهذا يعني أنَّ ابنَ فارسٍ يرى أنَّ حروف المعجم جميعها قابلة لأن تكون زائدةً؛ باستثناء ثلاثة منها، وهي: الثاء، والصاد، والظاء[٣].

وقد انتهى الصاعدي من الإحصاء السابق إلى هدم زيادات ابن فارس، على منوال هدمه زيادات كراع النمل، يقول: "والذي يؤخذ به، وعليه المعوَّل في دراسة تداخل الأصول: مذهب الجمهور في الزَّوائد؛ وهو أنَّها لا تقع من غير العشرة، التي يجمعها قولهم: (سألتمونيها). أمّا ما جاء به كُراعٌ وابنُ فارسٍ، ومن سار على نهجهما، من اللُّغويّين المتأخرين في زماننا فلا يُعَوّل عليه؛ لأنَّ ما زعموا أنَّه زائد ثبتت أصالته

---

(١) الأزهري، **تهذيب اللغة**، (رحد)، ٧/ ١٢١.

(٢) الصاعدي، **تداخل الأصول اللغوية**، ١/ ١٩٩.

(٣) السابق، ١/ ٢٠١ – ٢٠٣.

عند جمهور اللّغويّين والصّرفيّين والنّحاة من المتقدّمين والمتأخرين، وهم السواد الأعظم من علماء العربيّة؛ وقد وضعوا قواعدهم على الكثير المستفيض من كلام العرب الذي أدّاهم إلى نَوْطِ القواعدِ به"(١).

وما يذكره الصاعديّ في هذه الخلاصة مقبول حين لم يختلف الجمهور والسواد الأعظم في تأصيلهم المزيدات الصرفية، من نحو الفعل: أخرجَ واستخرجَ... والمزيدات الاسمية من قبيل: خارج ومُستخرَج... ورأيهم حينئذٍ ملزم لابن فارس ولنا جميعاً، ومن ثَمَّ فإنّ قواعد الزيادة هذه لا يُشكّ في أنّها وُضعت على المُستفيض من كلام العرب كما ذكر؛ بيدَ أنه لم يجر أيّ استقراء شامل للأبنية غير الثلاثية التي تحتمل الزيادة بغير حروف (سألتمونيها)، وليس من الدقيق ولا الصائب أن يُقاس ما لم يثبت في زيادته استقراءٌ ولا رأيُ جمهور على ما ثبت فيه ذلك.

وعلى النقيض من رأي الصاعدي طرح بعض الباحثين المحدثين سؤالات تتعلق بتقييد القدماء حروف الزيادة في عشرة، وفي هذه المسألة يقول فوزي الشايب: "أمّا لماذا يُشترط في الزيادة... أن تكون من (سألتمونيها)، ولماذا حصرت في هذه الأصوات العشرة فقط، ومن قام بتحديدها؟ فأسئلة لا نملك الإمكانات ولا المؤهلات العلمية للإجابة عليها*. إلّا... أنَّ حصر الزيادة في مجموعة (سألتمونيها) تحكّم محْضٌ، ذلك أنّ كل صوت من الأصوات اللغوية صالح من الناحية العملية لأن يكون زائداً"(٢).

ويرى هذا الرأي عمر عكاشة بقوله: "أرى أن حصر الحروف الزائدة في عشرة فحسب كان بتأثير من المنطق الرياضي"(٣). ويقول سامر بحرة مُعقِّباً على منهج

---

(١) الصاعدي، **تداخل الأصول اللغوية**، ١/ ٢٠١ – ٢٠٣.

* هكذا وردت (عليها) والصواب (عنها).

(٢) الشايب، **الإلحاق في اللغة العربية**، ٧٣.

(٣) عكاشة، **الفعل الرباعي في لسان العرب دراسة تأصيليّة**، ١٢.

ابن فارس في التوسع في حروف الزيادة: "وقد رأينا عدم اكتراثه بقواعد الصرفيين والاشتقاقيين في زيادة الحروف، وكنا أكبرنا فيه اجترائه على تلك القواعد، ولا سيما قوله بجواز زيادة حروف لا تشملها العشرة في (سألتمونيها). إذ لم يخبرنا أولئك الذين خصّوا تلك الأحرف ما الذي يجعلها أحقَّ بالفوز بشرف الزيادة من (الراء) مثلاً، وقد يثبت دليلهم الأقوى –وهو الاشتقاق– أنها من أكثر الحروف زيادة –إن لم تكن أكثرها– فيما زاد على ثلاثة من الكلمات؟ وبأي ذنب أخذت الباء والعين حتى تشقيا بالحرمان مما سعدت به تلك العشرة"[١].

ما يمكن لنا إيجازه للإجابة عن هذه التساؤلات هو أن العربية بنت الأنماط التي يسميها القدماء (المجردات) قبل أن تصير إلى بناء الأنماط الصرفية المزيدة بحروف (سألتمونيها)، فهي بنت –مثلاً– الرباعي شبرقَ من شرقَ، وبرقلَ من برقَ، وصلمعَ من صلعَ، وبعد أن استكملت بناء هذه الأمثلة بأنواع مختلفة من الزيادات اللغوية توقفت في مرحلة لاحقة عن بناء هذا الضرب من الأبنية أو كادت تتوقف؛ لتبني منها مزيدات صرفية بحروف الزيادة الصرفية العشرة، فتأتى لها –مثلاً– بناء الفعل المزيد بالتاء: تبرقلَ من برقلَ، وتشبرقَ من شبرقَ... وهكذا تمكّنت العربية من زيادة حروف (سألتمونيها) باطّرد وضوابط جرى الحديث عنها في كتب الصرفيين بعد أن بنت أصولها التي يسميها القدماء بالمجردات.

فلا نستطيع القول بأنّ اللغة بنت المزيد من نحو(تشبرقَ) قبل (شبرقَ) الذي بُني ابتداءً بزيادة الباء؛ وعليه فإن حصر القدماء للحروف الزائدة في عشرة ليس تحكماً ولا اعتباطاً أو منطقاً رياضياً، بل هو تأصيل مضبوط قائم على استقراء دقيق؛ وفقاً لشيوع هذه الزيادات في الأبنية الصرفية المقيسة. فلا استغناء للعربية عن اختيار حروف (سألتمونيها)؛ لتكون عنواناً لمرحلة نهائية من التطور اللغوي، فتزيدها في

---

(١) بحرة، **منهج ابن فارس في تأصيل ما زاد على ثلاثة أحرف**، ٦٤.

أبنيتها؛ لتصلَ إلى قياس في نوع الزائد وعدده، لا أن تظلّ في محور الزيادات الحرة السابقة.

فلو سلمنا –جدلاً– بأنَّ صوامت العربية باستثناء –الثاء والصاد والظاء– كانت تُزاد زيادة لغوية بنائيةً كما يرى ابن فارس، فكيف يمكن للعربية أن تزيد كلّ هذه الصوامت مرة أخرى لبناء المزيدات الصرفية، ولأيّ شيء من المعاني ستزيدها، وهي أحوج إلى الزيادات الصرفية التي تُنبئ عن معان صرفية ونحوية، كالتعدية والمطاوعة وغيرها من المعاني؟

وأمّا دراسات التأصيل الحديثة فنجد منها ما قيّد نوع المزيد بأنواع معينة وفي مواقع محدّدة، ومن بينها دراسة مراد كامل المتعلّقة بنشأة الأفعال الرباعيّة التي أقامها على المقارنة بين اللغات السامية المشتركة، وعلى اللهجات الحديثة، كالعربية والحبشية والسريانية.

فمن بين الوسائل التي ذكرها في تكوّن الفعل الرباعي في هذه اللغات زيادة الحروف حشواً في الثلاثي، وقد قيّد المزيدات حشواً بالحروف: (ل، م، ن، ر، ب، هـ، ح، ع، ط)، ومن أمثلة الزيادات هذه ما ذكره في: سحلبَ من سحبَ وزحلقَ من زلقَ... وذكر أن العين تزاد –في الكثير– بعد فاء الفعل الثلاثي، إذا كان فيه أحد الحروف الأصول: (ش، س، ل، ر) ومن ذلك الأفعال: شعبطَ ونعبشَ ودعثرَ. وهناك صيغ رباعية تتكون بالزيادة صدراً، والزيادة تكون واحدة من الحروف: (ب، د، ح، م، ن، ث، ز)، ومنها الأفعال: بهدلَ وحنكشَ وزغردَ. وذكر أنَّ من الصيغ الرباعية ما ينشأ بالزيادة كسعاً، وتكون بواحد من الحروف المزيدة الآتية: (ب، د، ل، م، ر)، ويخلص إلى أن زيادة الباء كسعاً في الفعل الرباعي في اللغات السامية نادرة، خلافاً لزيادة اللّام كسعاً التي كثرت في أفعال هذه اللغات[1].

(١) كامل، مراد، **تربيع الفعل الثلاثي في العربية وأخواتها السامية**، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (٣١)، ٧٣، **نشأة الفعل الرباعي**، ٨.

وذهب عبدالله العلايلي إلى تقييد الزيادة بوقوعها كسعاً في الثلاثي[١]. وأمّا تمام حسّان فيرى أنّ هذه الزيادات: "حُرَّة دون النظر إلى نوع المزيد وإلى ارتباطه بأحد الحروف الأصلية" ويذكر أنَّ الزائد:" حرف غير مقيَّد بحروف سألتمونيها"[٢]. وهو رأي يكاد يكون مشتركاً بين الدارسين المحدثين[٣].

٧. تحكُّم الدّلالة المُتوهَّمة بنوع الزائد

يشيع لدى اللغويين القدماء والمحدثين ردُّ الأبنية غير الثلاثية إلى أصولها لأيّ علاقة دلالية بينها، فمن أمثلة ابن فارس الدّالة على هذا المنهج ما يطالع في تأصيله الفعل (شبرقَ) بقوله الذي سبق: "شَبْرَقتُ اللّحْمَ، إذا قَطَّعتَه، فالقافُ منه زائدة، كأنّك قطَّعتَه شِبْراً شِبْراً، وشَبْرَقتُ الثَّوْبَ، إذا مزَّقتَه"[٤].

فابن فارس يتصوّر أنَّ اللَّحمَ قد قُطع شِبْراً شِبْراً؛ فترتّب على ذلك أنَّ القاف هي الصوت المزيد، والمزيد لدى كراع النمل الباء؛ لتلاقي الفعلين على معنى القطع؛ لقولهم: شَرَّقَ الثوب وشَبْرَقَهُ، إذا قَدَّه[٥]. والمشكل الدلاليّ يظهر في غير دراسة من دراسات التأصيل الحديثة، من ذلك ما ورد في تأصيل إبراهيم السامرائي للفعل العامي (زعبلَ) بزيادة العين، على نحو قوله: "يُقال: الطفلُ يزعبلُ بلُعبه، أي: يعبث ويكسِّر ويتلف... وأظنُّ أنَّ الفعل أقيم على مادة (زبل) والزِّبل والزِّبالة الفضلات التي تُرمى عامة"[٦]. ومعنى الفعل الرباعي الذي ذكره السامرائي يدلّ على النشاط والمرَح وكثرة الحركة؛ فلهذا نراه من الثلاثي الفصيح (زعلَ) بزيادة الباء. وقد جمع ابن فارس حروفه

---

(١) العلايلي، عبدالله، **مقدمة لدرس لغة العرب**، ٢٣٣- ٢٣٤، ٣٣٣ – ٣٤١.

(٢) حسان، **مناهج البحث في اللغة**، ٢١٩، ٢٢٠.

(٣) نعيم، مزيد إسماعيل، **الصيغ الرباعية والخماسية اشتقاقاً ودلالة**، ١٥١.

(٤) ابن فارس، **مقاييس اللغة**، (شبرق)، ٣/ ٢٧٢.

(٥) كراع النمل، **المنتخب**، ١/ ٧٠٥.

(٦) السامرائي، **الفعل زمانه وأبنيته**، ١٦٤.

(الزّاي والعين واللّام) على أصل واحد: "يدُلُّ على مَرَحٍ وقِلَّة استِقْرارٍ، لنَشاطٍ يكونُ. فالزَّعَلُ: النَّشاطُ. والزَّعِلُ: النَّشيطُ. ويُقال: أَزْعَلَه السِّمَنُ والرَّعْيُ. قال الهُذَلِيُّ:

أَكَلَ الجَميمَ وطاوَعَتْه سَمْحَجٌ مثْلُ القَنُاةِ وأَزعَلَتْه الأَمُرْعُ

وقالَ طَرَفةُ:

ومكانٌ زَعِلٌ ظِلْمانُه كالمَخاضِ الجُرْبِ في اليَومِ الخَصِرْ

ورُبَّما حُمِل على هذا فسُمِّيَ المُتَضَوِّرُ من الجوعِ زَعِلًا"(١).

وورد في معجم "صحاح العربية" ما يشير إلى اشتقاق (الزَّعْبَل) من (زعل) بزيادة الباء حشواً بعد العين، يقول الجوهريّ: "والزَّعِل: المُتضَوِّر جوعاً... والزَّعْبَل أيضاً: الصّبى لا ينجَع فيه الغذاء فعظُم بطنُه ودقّ عنُقُه"(٢).

٨. نفي الزائد تجنباً لردّ الأبنية إلى الأصول الثنائية

ذكر الخليل في مادة (قند) الاسم (القَنْد) بمعنى عصارة قصب السكر إذا جمد، والقِنْديد، وهو الخمر، وذكر الاسم (القِنْدَأو) بمعنى صحيفة للحساب وغيره، لغة أهل الشام ومصر، وهو السّيء الخُلُق والغذاء(٣). وحينما جاء الاسم (القِنْدَأو) – بمعنى الناقة الصُّلْبة الشديدة الخَلْق– ذكر منهج اشتقاقه بقوله: "يقال: القِنْدَأوة اشتقاقها من قدأ*، والنون زائدة والواو صلة، وهي الناقة الصُّلبة الشديدة الخَلْق. وجمل قِنْدَأْوٌ وسِندأوٌ كذلك، واحتُجّ بأنّه لم يجئ بناء على لفظ قِنْدَأو إلا وثانيه نون، فلما لم يجئ على هذا البناء بغير نون علمنا أن النون زائدة فيه. ورجل قِندأوٌ وامرأة قِندَاوةٌ، وهو

(١) ابن فارس، **مقاييس اللغة**، (زعل)، ٣/ ٩، ١٠.
(٢) الجوهري، **صحاح العربية**، (زعل)، ٤/ ١٧١٦.
(٣) الخليل، **العين**، (قند)، ٥/ ١١٨.

شدة في الرأس وقِصَر في العُنُق"[١]. ونقل الأزهريّ عن شَمِر أنّ (القِنْدَأو) من الألفاظ التي تهمز ولا تهمز[٢]؛ مما يرجّح زيادة الهمزة أيضاً.

وأمّا ابن عصفور (ت٦٦٩هـ) فقد صرح بأصالة الهمزة؛ لتجنب بقاء هذه الكلمة وما يشبهها في الوزن على أقلّ من ثلاثة حروف، يقول: "وأمّا كِنْثأْوٌ وأخواته فنونه زائدة، بدليل أنَّ هذه الأسماء فيها ثلاثةُ أحرفٍ من حروف الزيادة: النون والهمزة والواو. فقُضِي على الهمزة بالأصالة، لقلَّة زيادتها غيرَ أوَّل، وقُضِي على الواو بالزيادة، لملازمتها المثال. فإن قيل: فإن الهمزة –أيضاً– قد لازمت المثال: فالجواب أنه لا يمكن –أيضاً– القضاء بزيادتها مع زيادة النون، لئلّا يؤدّي إلى بقاء الاسم على أقلّ من ثلاثة أحرف، إذ الواو زائدة. فلمّا تعذّرت زيادتهما معاً قُضِي بزيادة النون؛ لأنَّ زيادة النون غيرَ أوَّلٍ أكثرُ من زيادة الهمزة"[٣].

وفي تعليل ابن عُصفور يظهر تمسُّك القدماء بفكرة الأصول الثلاثية، وسيطرتها على تأصيل أبنية العربية؛ فلهذا السبب كان نفي زيادة الهمزة؛ وعليه نرى أنَّ الأصل الراجح لكلمة (القندأو) هو الثنائي (قد) ومنه: قَدَّ الشيءَ، إذا قَطَعَه[٤]. وفي دلالة (القندأو) على قِصَر العُنُق ما يجيز هذا الردّ.

والمثال الآخر الذي يدل على سيطرة الأصول الثلاثية على هذا التأصيل هو الاسم (دَد) الذي بيّن الخليل دلالته على حِكاية الاسْتِنان للطَّرَب وضَرْبِ الأصابع

* في نسخة العين المحققة ورد: (القِنْدَأوة اشتقاقها من قداء)، وذكر الأزهري في "تهذيب اللغة"، ٩/ ١٩٢: "وقال اللَّيْث: اشتقاقها من قَدى". وقد أثبتنا ما ذكره ابن منظور في "لسان العرب" (قدأ)، ١/، ١٢٨، وهو: "وقال اللَّيْثُ: اشتِقاقُها من قَدَأَ".

(١) الخليل، **العين**، (قدأ)، ٥/ ١٩٥.

(٢) الأزهري، **تهذيب اللغة**، (قند)، ٩/ ٥٠.

(٣) ابن عصفور، **الممتع الكبير في التصريف**، ١/ ١٧٨.

(٤) ابن القطاع، **كتاب الأفعال**، (قدد)، ٣/ ٥٠.

في ذلك، وقد ذكر الخليل تطور هذا الأصل الثنائيّ بزيادة دال ثالثة كسعاً ليصير نعتاً على الصورة (دَدَدِ)، ويُقال فيه (دَدِ)؛ لقول الطِّرِمّاح:

واستَطْرَبَتْ ظُعْنُهم لَمّا احْزأَلَّ بِهم آلُ الضُّحى ناشطاً من داعيات دَدِ

وذكر الخليل في هذا البيت رواية أخرى، وهي: (من داعِبٍ دَدِدِ)، وبيّن – أيضاً– موجب زيادة الدال الثالثة بقوله: "ولما جَعَلَه نعتاً للداعب كسعه بدالٍ ثالثة؛ لأنَّ النَّعْتَ لا يتمكّن حتى يتم ثلاثة أحرفٍ فما فوق ذلك؛ فصار(دَدِد) نعتاً للداعِب اللّاعب"(١). ونبّه إلى منهج بناء الفعل الرباعي من هذا النعت الناشئ بزيادة الدال، بوساطة زيادة الهمزة بين الدالات على نحو قوله: "فإذا أرادوا اشتقاق الفعل منه لم يَنْقَدْ لكَثْرة الدّالات، فيفصلون بين حرفَي الصدر بهمزة فيقولون: دَأْدَدَ يُدَأْدِدُ، وإنَّما اختاروا الهمزة؛ لأنّها أقوى من سائر الحروف الجوفية ونحوه كذلك. وفي الدَّدِ ثلاث لغات، تقول: هذا دَدٌ، وهذا دَدا، وهذا دَدُن"(٢).

وفي موضع آخر أكّد رأيه السابق بقول:" ويروى: داعب دَدِدِ، يجعله نعتاً للداعب، ويكسعه بدالٍ أُخرى ثالثة ليتمّ النَّعْت؛ لأن النعت لا يتمكّن حتى يصير ثلاثة أحرف، فإذا اشتقوا من ذلك فِعلاً أدخلوا بين الدّالَينِ همزة؛ لتستمرّ طريقة الفعل، ولئلّا تثقل الدّالات إذا اجتمعْنَ، فيقولون: دَأْدَدَ يُدَأْدِدُ دَأْدَدةً"(٣).

ولثلاثية الأصول أثر في مخالفة بعض اللغويين القدماء التفسير السابق الذي ذهب إليه الخليل في (ددد)، فهم يذهبون إلى القول بمحذوف من الأبنية الثنائية؛ ليتّفق لهم ردّها إلى الأصول الثلاثية، ففي حديث الرسول –صلى الله عليه وسلم– وهو: "ما أَنا من دَدٍ ولا الدَّدُ مني". ذكر الزمخشري (ت٥٣٨هـ) ما نصّه: "دَد هذه الكلمة محذوفة اللّام، وقد استعملت مُتممةً على ضَرْبَيْنِ: دَدي كنَدي، ودَدَن

(١) الخليل، **العين**، (دد)، ٨/ ٩١.

(٢) السابق، (دد)، ٨/ ٩١.

(٣) السابق، (دعب)، ٢/ ٥١.

كبَدَن... فلا يخلو المحذوف من أَن يكون ياء فيكون كقولِهم: يدٌ في يَدي، أَو نوناً فيكون كقولهم: لَدُ في لَدُنْ. ومعناه اللَّهْو واللعب"[١].

ونرى أنّ تشبُّث القدماء بأصالة الأبنية الثلاثية قد أوقعهم –أحياناً– في تناقُض التأصيل، على نحو قول ابن سيده في موضع: "والهَيْقُ: الظَّليم، لطوله، كالهَيْقَل، الياء في هَيق أصلٌ، وفي هَيقَل زائِدة"[٢]. وقوله في موضع آخر: "ولذكر النعام هَيق وهَيقَل، ولا يعرف سِيبَوَيْه اللّام زائِدة إلّا في عبدل"[٣]. فقوله بأصالة الياء في (الهَيق) ليظلَّ البناء ثلاثيّاً وضعاً، وأمّا في (الهَيْقل) فذكر أنها زائدة؛ لأنّ حذفها من الرباعي يُعيد إلى الأصل الثلاثي (هقل)، وأمّا قوله بزيادة اللام لا الياء فيعيد هذا الرباعي –بالضرورة– إلى (هيق). وقد ذكر ابنُ دريد زيادة اللّام قبل ابن سيده حين قال: "والهَيْقَل: الظّليم. وزعم قوم أَنّ اللّام فيه زائِدة، وإِنَّما هو من الهَيْق"[٤].

فلو أنّ هؤلاء اللغويينَ تخلوّا عن أصالة الياء في الأمثلة السابقة لتأتّى لهم ردّها إلى مادة ثنائية واحدة، وهي (هق) التي كانت مصدراً لاشتقاق الثنائي المضاعف: هَقَّ الرَّجُلُ، إذا هرَبَ، والرباعي المضاعف: الهَقْهَقة، بمعنى السَّير الشَّديد. والثلاثي التَّهَقُّل، وهو المشْيُ البَطيء. وقد دلّت الهَيْقَلة على ضَرْب من المَشيِ[٥]؛ وعليه فقد يكون الظّليم سمي هَيقلاً لسرعته أو لنوع من مشيته.

وما يفسر تمسُّك القدماء بالأصول الثلاثية هو اتكاؤهم على المنهج الوصفي، وإغفال التطور التاريخيّ لهذه الأبنية، فضلاً عن كثرة الأبنية الثلاثية الاستعمالية بالمقارنة مع قلة الأبنية الثنائية عندما صاروا إلى وضع ضوابط الاشتقاق.

---

(١) الزمخشري، **الفائق في غريب الحديث**، ١/ ٤٢٠، ٤٢١.

(٢) ابن سيده، **المحكم والمحيط الأعظم**، (هيق)، ٤/ ٣٦٤.

(٣) السابق، (فحج)، ٣/ ٩٢.

(٤) ابن دريد، **جمهرة اللغة**، ٢/ ١١٧٠.

(٥) الزَّبيدي، **تاج العروس**، (هقق)، ٢٧/ ٢٥.

وقد بيّن مزيد نعيم كثيراً من الألفاظ الثنائية التي عدّها القدماء من الثلاثيات التي حُذف منها أحد صوامتها، كـ: دم وفم ويد وأب وأخ واسم وابن... ومن ثَمَّ نقل اتفاق كثير من الباحثين المحدثين على أنّ هذه الأسماء عبارة عن أبنية مستعملة في كثير من اللغات السامية على صورتها الثنائية[1].

وما يمكن إيجازه في نهاية هذا المبحث هو أنّ تأصيل الأبنية غير الثلاثية بزيادة الصوامت لدى القدماء والمحدثين لم ينتهِ إلى اتفاق بينهم، بوضعهم ضوابط مقيسة في الزيادات اللغوية، لكنّنا نجدُ في هذا التأصيل شيئاً من الملامح النظرية والتطبيقية التي تصلح لتفسير نشأة هذه الأبنية بزيادة الصوامت الخفيفة، كالنون والميم واللام وغيرها، فضلاً عن ملامح ظاهرة تبين جواز نشأة الأبنية الثلاثية من أصول ثنائية. فإذا ما توصّلنا إلى مزيدٍ من الضوابط التي تعالج نشأة الأبنية ابتداء من أصول ثنائية حتى ننتهي إلى الأبنية الخماسية، فلسنا نشكّ بأننا أمام نظرية تأصيلية لها أصول وضوابط مختلفة. وهذا ما نسعى إلى استخلاصه، وبيان معالمه النظرية والتطبيقية في المبحثين الآتيينِ:

المبحث الثاني: نشأة الأبنية غير الثلاثية بالصوامت الخفيفة

يدلّ الاستقراء على أنَّ الصامت المزيد لبناء الأنماط غير الثلاثية كان واحداً من الصوامت الخفيفة الآتية: (ر، ل، ن، ف، ب، م، و، ي)، ففي بعض المعجمات يُفهم أن الزائد واحدٌ منها من طريق نسق بعض الأبنية الثلاثية وغير الثلاثية في باب واحد، وإن لم يصرح القدماء بنشأة الأبنية من بعضها في كثير من هذه المواضع، كقول الخليل في (عجد): "العُجْدُ: الزّبيب، وهو حب العنب أيضاً، ويقال: بل هو ثمرة غير الزَّبيب شبيهةٌ به، ويقال: بل هي العُنْجُدُ"[2].

---

(١) مزيد، **الصيغ الرباعية والخماسية اشتقاقاً ودلالة**، ٨٩ – ١٠٣.

(٢) الخليل، **العين**، (عجد)، ١/ ٢١٨.

فالذي يذكره الخليل يبيّن مجيءَ الاسمين الثلاثي والرباعي لمعنى واحد، ولا يؤكّد –بالضرورة– زيادة النون في الاسم الرباعي (العُنْجُد)، ولكنَّ ابن دريد يصرّح بزيادتها فيه، وإن ترجّح موت الثلاثيّ الذي نشأ منه هذا الرباعي، يقول: "ليس له اشتقاق يُوضح زِيادة النون؛ لأنّه ليس في كلام العَرَب: عَجْدٌ ولا عَجَدٌ، إلّا أَن يكون فعلاً مماتاً"[1].

ونجد أنَّ الصاحب بن عباد (ت٣٨٥هـ) ينصّ على استعمال الفعل الرباعي (عنجدَ) بقوله: "ويُقال: عَنْجَدٌ وعَنْجَدَ العِنَبُ، وذلك أوَّل ما يظهَرُ عَناقيدُه"[2]. ويمكن لنا التوصُّل إلى زيادة النون في أمثلة مرويّة بالقاف، كقول الزَّبيدي: "عُنْقُود العِنَب... لا يُعرَف فيه إلّا الضّمُّ، ونونُه صرَّحَ الجماهيرُ بأنّها زائدة"[3].

ومن الضرورة أن تكون اللهجات الدارجة حاضرةً في أيّ دراسة تأصيلية؛ لرصد حلقات تطور الأبنية، وفي هذا السياق نجد أنَّ بعض اللهجات الأردنية استعملت الفعلَ الرباعي (عَنْقَدَ) الذي تُنطق فيه القاف كالجيم المصرية القاهرية، ففيها يقال: عَنْقَدَ العنبُ، إذا صار ثمره عُنقوداً مجتمعاً، وهو دون شكّ من الثلاثي الفصيح: عَقَدَ الرَّمْلُ، إذا تَراكَم واجْتَمعَ[4]. وبهذا نتمكن من القول بأنّ الفصيحة أماتت الثلاثي (عجد)، وأبقت أصله (عقد) مستعملاً، ونتمكن من القول بزيادة النون على نحو قاطع أيضاً.

ويذكر الخليل في موضع آخر الاسم الرباعي (العُكْبَرة)، وهي من النساء الجافية العَكْباء في خُلُقها[5]. دون أن ينصّ على زيادة الراء، ولكنَّ ابن فارس يخلص إلى

---

(١) ابن دريد، **جمهرة اللغة**، (عنجد)، ٢/ ١١٣٦.

(٢) ابن عباد، **المحيط في اللغة**، (عنجد)، ١/ ١٣٨.

(٣) الزَّبيدي، **تاج العروس**، (عنقد)، ٨/ ٤٣١.

(٤) ابن فارس، **مقاييس اللغة**، (عقد)، ٤/ ٨٦.

(٥) الخليل، **العين**، (عكبر)، (كعبر)، ٢/ ٣٠٧.

زيادتها ممّا ذكره الخليل، يقول: "العُكْبُرةُ من النِّساءِ: الجافِيةُ العِلْجةُ. قال الخليلُ: هي العَكْبَاءُ في خُلُقِها. قال:

عَكْباءُ عُكْبُرةٌ في بَطْنِها ثَجَلٌ وفي المَفاصِلِ من أَوْصالِها فَدَع

وهذا الأَمْرُ ظاهِرٌ أَنَّ الرّاءَ فيه زائِدةٌ. والأَصْلُ العَكَبُ والعِكَبُّ"[1].

ونرى أنّه حين يتوقف تأصيل أحد الأبنية عند مرحلة ما من مراحل تطوره في أحد المعجمات فيجب مولاة البحث عن حلقات تطوره المختلفة في غيره من معجمات اللغة، ففي استكمال هذه الحلقات ما يبيّن ملامح من ضوابط نوع الصامت المزيد. وقد رصدنا بعض أمثلة من الأسماء الرباعية والخماسية التي أوْصَلها بعضُ القدماء إلى الثنائي المضاعف، منها: الاسم (الشعَلَّعُ) وهو الطَّويل من الرِّجال، وقد ذكر الأزهريُّ تأصيله على النحو:" ولا أَدْري أزيدت العين الأولى أَو الأخيرة، فإن كانت الأخيرة مزيدةً فالأصل شعل، وإن كانت الأولى هي المزيدة فالأصل شلَع"[2].

فتأصيلُ الأزهري السّابق أوْصَلَ الاسم الرباعيَّ إلى الثلاثي (شلع) أو(شعل)، والحلقة المفقودة في تطور الرباعي هي أنّ الأزهريّ لم ينصّ على زيادة النون في الاسم الخماسيّ (الشَّعَنْلَع) بمعنى الطويل؛ لأنّه لم يروِ استعماله في العربية، والحلقة السابقة –نعني زيادة النون– توصل هذا الخماسي إلى أصله الثنائي (شع).

وقد توصّل إلى القول بزيادتها لاحقاً الفيروزآبادي بقوله: "والشَّعَنْلَعُ، بزيادة النونِ: الطويلُ مِنّا ومن غيرِنا"[3]. وهذا ما مكّن الزَّبيدي –بعد ذلك– من تأصيل هذه الألفاظ بحملها على أصلها الثنائي (شع)، يقول: "الشَّعَلَّع كَهَمَلَّع، والشَّعَنْلَع، بزِيادةِ النونِ بَين العَينِ واللاّم " ومن ثَمَّ عاد لينقل زيادة اللام في الاسم الرباعي (الشَّعَلَّع) عن الجوهريّ، وهذا يعني أنَّه سيعود إلى أصل ثنائيٍّ بالضرورة –أيضاً– لقوله

---

(١) ابن فارس، **مقاييس اللغة**، ٢/ ٣٠٧.

(٢) الأزهري، **تهذيب اللغة**، (شلع)، ١/ ٢٧٤.

(٣) الفيروزآبادي، **القاموس المحيط**، (شعع)، ١/ ٧٣٣.

الصريح: "ذَكره الجوهريّ في آخر تركيب شعع وقال: هو بزيادة اللّام: الطَّويل، قاله الفرّاء. ولم يذكُر الشَّعَنْلَع وإنّما ذكرَه ابن عبّاد... وشجرةٌ شَعَلَّعةٌ أيضاً: مُتفَرَّقةُ الأغصان غيرُ مُلتفّة، وهذا يُؤيِّدُ قولَ الجوهريّ: إنّ أصلَ تركيبه شعع بمعنى التفرُّق. وقال الأزهريّ: لا أدري أزيدَت العينُ الأُولى ..."[(١)].

وكانت الأمثلة التي نص القدماء على زيادة أحد الصوامت الخفيفة فيها كثيرة، وسنذكر أمثلة فصيحة منها، وأمثلة من اللهجات الدارجة بعد الإفراد الآتي:

١. مسوّغ خفة الصوامت المزيدة

تنبه الخليل إلى مسألة خفة الأبنية الثنائية المضاعفة؛ لتأليفها بأقلّ عدد من الصوامت اللغوية؛ ولهذه الخفّة رتّب ألفاظ معجمه "العين" مبتدئاً بالثنائي المضاعف الأخفّ، وسوّغ ذلك بقوله: "وبدأنا الأبنيةَ بالمُضاعَف؛ لأنّه أخفُّ على اللّسان وأقرَبُ مأخذاً للمتفهِّم"[(٢)].

ولكنّ ثقل تأليف الأمثلة الرباعية والخماسية من صوامت أربعة وخمسة جعلته يتوقف؛ ليخلصَ –بعد استقراء دقيق وشاقّ– إلى وجوب اشتمال هذه الأمثلة على أخفّ الصوامت اللغوية، وهي أصوات الذَّلاقة (ر، ل، ن) والأصوات الشفوية (ف، ب، م). وقد بين خفّتَها بقوله:" فلمّا ذلَقَتِ الحروفُ السِّتّةُ، ومَذَل بهِنَّ اللِّسانُ وسَهُلَت عليه في المَنْطِق كثُرَت في أبنية الكلام، فليس شيءٌ من بِناء الخماسيِّ التّامِّ يَعْرى منها أو من بعضها... فإن ورَدَت عليك كلمة رباعيَّة أو خماسيَّة مُعرّاة من حروف الذَّلق أو الشفوية ولا يكون في تلك الكلمة من هذه الحروف حرف واحد أو اثنان أو فوق ذلك فاعلم أنَّ تلك الكلمة مُحْدَثة مُبْتَدَعة، ليست من كلام العرب"[(٣)].

---

(١) الزَّبيدي، **تاج العروس**، (شعلع)، ٢١/ ٢٧٩.

(٢) الخليل، **العين**، ١/٦٠.

(٣) السابق، ١/ ٥٢.

ففي هذا النصّ الصـــريح على خفّة هذه الأصـــوات يغدو من غير المقبول البحث عن صامت أثقلَّ منها ليكون هو الزائد فيها، على نحو ما كان يحصل لدى الكوفيين الذين توسعوا في الزيادات دون قيد، ومن غير المقبول –أيضاً– أن يكون زائدها أيّ حرف من حروف (سـألتمونيها) على الإطلاق، وفقاً لما أراد البصـريون؛ لأنه سيصير بالإمكان زيادة الأصوات الثقيلة، وهي (الهمزة والهاء) في هذه الأبنية الثقيلة نطقاً لكثرة صـوامتها، فالخفّة شـرط في الصـامت المزيد، وقد تحققّت هذه الخفة في الأصـوات الذّلقية والشـفوية، فضـلاً عما اشـتُهر من خفة الواو والياء وزيادتهما في أمثلة كثيرة ممّا يسمونه بالمُلحقات الصرفية.

وفي نصّ الخليل السابق –أيضـاً– نجد أنّه لم يقيّد الأصوات الخفيفة بموقع معين في الأبنية غير الثلاثية، زيادة على أنّه لم يوجب اشـتمال الأبنية الثنائية المضـاعفة والثلاثية –لخفتها الوضـعية– على الأصوات الخفيفة السابقة، وكأنّ الخليل يرى أن لها منهجاً في التأليف الصامتيّ يختلف عن منهج بناء الرباعيات والخماسيات.

وخفّة هذه الأصوات هي ما دفع ابن دُريد إلى بيان حسن تأليفها مع غيرها، وقد عبر عن ذلك بمّا سماه بالامتزاج، يقول: "وهي أخفُّ الحُروف وأحسنها امتزاجاً بغيرها، وسميت الأُخَر مُصمتةً؛ لأَنّها أُصمتت أَن تختص بالبِناء إِذا كثرت حُروفه؛ لاعتياصها على اللِّسان"(١). ورأى أنَّ الأبنية الخماسية، مثل: فَرَزْدَق وسَفَرْجَل وشَمَرْدَل لا تُبنى إلا: "بحرف وحرفين من حُروف الذّلاقة من مخرج الشفتين أَو أَسَلة اللِّسان" وأمّا الأمثلة التي خالفت، كـ: (دَعْشَق وضَعْثَج وعَقْجَش...) فليست من كلام العَرَب، ولا تُقبل لأنَّ: "قوماً يفتعلون هذه الأسماء بالحروف المُصْمَتة ولا يمزجونها بحروف الذلاقة"(٢).

---

(١) ابن دريد، **جمهرة اللغة**، ١/ ٤٥.

(٢) السابق، ١/ ٤٩.

وعلى أيّة حال فإنَّ الدراسات اللغوية والإحصائية الحديثة أكدت صوابَ ما ذهب إليه الخليل من شيوع هذه الأصوات السّتة بكثرة في الأبنية الثلاثية والرباعية والخماسية[١].

ولا يخفى ما لهذه الأصوات –الذّلاقة والشفوية وأصوات اللِّين– من سمات مميزة أدّت إلى خفّتها وكثرة استعمالها؛ كاشتمالها على سمة الوضوح السمعي، أو ما يسميه كمال بشر بـ: "عنصر الغنائية"، والأصوات التي تتماز بهذا الوضوح هي أصوات الرنين أو "أشباه الحركات" التي يجمعها علماء العربية في قولهم: لن عمر أو لم يروعنا[٢]. وتسمّى الأصوات (ل، م، ن، ر) بالمائعة في بعض الدراسات الحديثة، وهي تشترك مع أصوات اللّين في الوضوح والجهر[٣]، وكثرة دورانها على الألسنة لِخفتها، وسهولة النطق بها[٤].

فالملحوظ أنّها تخلو من الثقل الذي يُسببه بعد المخرج، فليس فيها أيّ صوت من المخرج الحَنجري أو الحلقي وما يليه، وليس منها أيّ صوت من أصوات الصفير الثلاثة (س، ز، ص) التي يتطلب النطق بها تقليص اللِّسان، وانتفاخه على الجوانب، وملامسة أطرافه: "لحوافِ الأسنان مشكلةً أخدوداً ضيقاً فقط على طول خط وسط اللسان، لحصر الهواء أو توجيهه، وعندما يُجبر الهواء على التحرُّر من هذا الأخدود بحدة ضد اللثة يعطي أزيزاً مسموعاً، هو ما اصطلح على تسميته بالصفير"[٥]. وقد

---

(١) ينظر: نعيم، **الصيغ الرباعية والخماسية اشتقاقاً وبنية،** ٢٧٢ – ٢٧٨، الهذلي، نزهة، **أثر حروف الذلاقة في تكوين الرباعي،**
رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية، سنة ٢٠١٠م، مقدمة الرسالة.

(٢) ينظر: بشر، كمال، **دراسات في علم اللغة،** ٢٤٣، ٢٤٤.

(٣) باستثناء الفاء المهموسة.

(٤) المساعفة، خالد، **الأصول الثّنائية للأفعال العربيّة،** ٨٨.

(٥) الشايب، **محاضرات في اللسانيات،** ١٩٧.

توسّع بعض الباحثين المحدثين فزاد في أصوات الصفير الأصوات: (ث، ذ، ش، ظ، ف)، وإن كان أعلاها صفيراً الأصوات الثلاثة (س، ز، ص)[١].

وليس من الأصوات الخفيفة السابقة أيّ صوت مهموس إلا الفاء؛ ولهذا كانت زيادتها قليلة في الأبنية على ما سيأتي بيانه. والأصوات المهموسة تحتاج إلى أكبر قدر من هواء الرئتين خلافاً للأصوات المجهورة؛ ولهذا فهي مجهدةٌ للتنفس، وقليلة الشيوع[٢]. وليس منها ما يثقل بصفة الإطباق، وأصوات الإطباق (ض، ط، ظ، ص) ثقيلة إذا ما قيست بنظائرها غير المطبقة (د، ت، ذ، س). والأصوات الخفيفة الثمانية ليست من هذه المُطبقة، ولا من نظائرها غير المطبقة. وقد انتهى إبراهيم أنيس إلى القول بأنَّ الكلمات التي تتضمن أكثر من حرف من الحروف الإطباق تُعدّ من الكلمات العسيرة النطق التي لا نستريح لموسيقاها[٣].

وكان مستخلصه في خفة الأصوات هو: "أن أسهل الكلمات نطقاً تلك التي تتركب من الأحرف الآتية: اللام. النون. الميم الدال. التاء. الباء. أحرف المد"[٤]. ولسنا نتفق معه على إسقاطه الفاء والراء من الأصوات التي تخفّ الكلمة بهما، إذا ما قارنّا خفة هذين الصوتين مع الدال والتاء.

٢. اطراد زيادة الصوامت الخفيفة في الأبنية الفصيحة

١. زيادة الباء

ذكرنا فيما سبق أنَّ الخليل نصَّ على زيادة الباء كسعاً في (الزَّغْدَب). وقد توسّع بعض القدماء في الأمثلة المزيدة بالباء، ففي: "باب الزوائد من غير العشرة ومن أخواتها في معجم "المنتخب من كلام العرب" ذكر كراع النمل زيادتها في الأمثلة

(١) أنيس، **الأصوات اللغوية**، ٦٢، ٦٣.

(٢) السابق، ٢٨ – ٣٢.

(٣) أنيس، **موسيقى الشعر**، ٢٨.

(٤) السابق، ٣٣.

الرباعية: شَرَّقَ الثوب وشَبْرَقَهُ، إذا قَدَّه. وخَرَقَ عمَلَه وخَرْبَقَه، إذا أفسده. وامرأة خَريع وخَرِعة وخَرْعَبة: ليّنة مُتثنّيَة وكل ليّن مُتثَنٍ: خَريعٌ وخِرْوَعٌ. ونقل عن سيبويه زيادتها في نحو: جَسْرَبٍ، وشَرْجَبٍ وسَلْهَبٍ، بمعنى الطّويل من الناس"[١].

ومن أمثلة ابن فارس المزيادة بالباء: البَحْظَلة، وهي أَنْ يقفِزَ الرَّجُلُ قَفَزانَ اليَرْبوعِ. والحاظِلُ الّذي يمشي في شِقِّه، يُقالُ: مَرَّ بنا يحظَلُ ظالِعاً[٢]. والبِرْدِس، وهو الرَّجُلُ الخَبيثُ، وهو من الرَّدْس، وذاك أَن تَقْتَحِمَ الأُمورَ، مثلَ المِرْداس، وهي الصَّخْرةُ. وبَلْذَمَ، إذا فرِقَ فسَكَتَ، وهو من لَذِمَ، إذا لَزِمَ بمكانِه فَرَقاً لا يتحَرَّكُ. والبَرْكَلةُ، وهي مَشْيُ الإنسان في الماء والطّينِ، وهو من (تَرَكَّلَ) إذا ضرَبَ بإحدى رِجْلَيه فأدْخَلَها في الأَرضِ عندَ الحَفْر[٣]. ومن ذلك قولُهم: ما في السَّماء طَحْرَبة، أي: سحَابةٌ، كأنَّه شيءٌ يطْحَرُ المطَرَ طَحْراً، أي: يدْفَعُه ويَرْمي به[٤]. والعَقْرَبُ، وهو من العَقْرِ، ثُمَّ يُسْتَعارُ فيُقالُ للّذي يَقْرُصُ النّاسَ: إنّه لَتَدِبُّ عَقارِبُه. ودابّةٌ مُعَقْرَبُ الخَلْقِ، أَي: مُلَزَّزٌ مُجْتَمِعٌ شَديدٌ. ومنها قولُهم للقُرْطِ: خَرْبَصيص، وهو من الخَرْص بمعنى الحَلْقة. وكذا: خَلْبَصَ الرَّجُلُ، إذَا فَرَّ، وهو من خلَصَ[٥].

٢. زيادة الراء

وفي (باب الزوائد من غير العشرة ومن أخواتها) -أيضاً- نسق كراع النمل الأمثلة المزيدة بالراء، وهي: كَشَمْتُ أنفه وكَشْمَرْتُه، إذا كسرته. وقَعَسْتُه وقَعْسَرْتُه، وقَمَطْتُه وقَمْطَرْتُه وكَمْتَرْتُه، أي: شدَدته. وقَضَبْتُه وقَرْضَبْتُه، بمعنى: قطعته. وقَصَمْتُه

(١) كراع النمل، **المنتخب من كلام العرب**، ١/ ٧٠٢، ٧٠٥، ٧٠٦. والأمثلة المنقولة عن سيبويه لم نقف عليها في كتابه "**الكتاب**".

(٢) ابن فارس، **مقاييس اللغة**، (بحظل)، ١/ ٣٣٢.

(٣) السابق، ١/ ٣٣٣، ٣٣٤.

(٤) السابق، ٣/ ٤٥٨.

(٥) السابق، ٢/ ٢٥١.

وقَرْصَمْتُه أي: كسرتُه.[١] وذكر في غير هذا الباب زيادتها في الاسم: النَّهْسَر، وهو الذِّئب. وقد يذكر زيادة الراء مع النون، على نحو ما ذهب إليه في الاسم الخماسي (الشَّرَنْبَث)، وهو الأسد؛ سمّي بذلك لشِدَّتِه وتشَبُّثه[٢].

وجاء ابن فارس بأمثلة مختلفة من المزيدات بالراء، نذكر منها: البِرْشاع، وهو الذي لا فُؤادَ له[٣]. والبَرْجَمة، بمعنى: غِلَظ الكَلامِ، وهي من: بجَمَ الرَّجُلُ، إذا سكَتَ من عِيٍّ أو هَيْبةٍ[٤].

٣. زيادة الفاء

من زيادتها لدى الأزهريّ ما ورد في الفعل: زَحْلَفَ اللهُ عنَّا شَرَّك، أي: نَحّاه[٥]. ومن أمثلة زيادتها عند ابن فارس: العُفاهِمُ، وهو الجَلْدُ القَوِيُّ، وكلُّ قوِيٍّ عُفاهِمٌ، وهو من العَيْهَمة[٦]. والدِّفْنَس، وهو الرَّجُلُ الدَّنِيُّ الأَحْمَقُ، والأَصْلُ: دنس[٧]. وصَلْفَعَ رَأسَه، إذا حلَقَه. وهو من الصَّلَع، وصَلْفَعَهُ، إذَا ضرَبَ عُنُقَه[٨]. وقد تأتي زيادة الفاء مصاحبة لغيرها من الأصوات، كقوله: "عَنْقَفيرٌ: الدّاهِيةُ. وهذا مِمّا هُوِّل –أيضاً– بالزِّيادة. يقولونَ للدّاهِيةِ: عَنْقاءُ، ثُمَّ يزيدونَ هذه الزِّياداتِ"[٩].

ونحن لا نجزم بكون المزيد –أحياناً– هو الفاء، بل يمكن لنا القول بزيادة غيره من الأصوات الخفيفة لسبب دلالي، من ذلك أن ابن فارس عدّ (الفَلْحَس) –وهو

---

(١) كراع النمل، **المنتخب**، ١/ ٧٠٣.
(٢) السابق، ١/ ١٠٤، ١٠٥.
(٣) ابن فارس، **مقاييس اللغة**، ١/ ٣٣٢.
(٤) السابق، ١/ ٣٣٣.
(٥) الأزهري، **تهذيب اللغة**، (زحلف)، ٢١٢/٥.
(٦) ابن فارس، **مقاييس اللغة**، ٤/ ٣٥٨
(٧) السابق، ٢/ ٣٣٧.
(٨) السابق، ٣/ ٣٥٠.
(٩) السابق، ٤/ ٣٧٢.

الرَّجُلُ الحَرِيصُ– مزيداً بالفاء؛ لقوله: "وهذا مِمّا زيدت فيه الفاءُ، والأَصْلُ لَحِسَ كأنَّه من حِرْصِه يلحَسُ الأَشياءَ لَحْساً. والفَلْحَسُ: المَرأَةُ الرَّسْحاءُ، كأَنَّ اللَّحْمَ منها قد لُحِسَ حتّى ذهَبَ"[١].

فهذا لا يمنع نشأة الاسم السابق بزيادة اللّام من الأصل الثلاثي (فحس) الدالّ دلالة قطعيةً على اللَّحس؛ لقول الخليل: "الفَحْس: أَخذُك الشَيْءَ بلسانِك وفَمِك من الماء ونحوه، فَحَسَه فَحْساً"[٢].

٤. زيادة اللّام

نقل الزَّبيديُّ في "تاج العروس" عن الخليل زيادة (اللام) في الفعل الرباعي (برْقَلَ) الذي لم يرد في معجم "العين" يقول: "بَرْقَلَ أهمله الجوهريُّ، وقال ابنُ الأعرابيّ، أي كَذَبَ، وقال الخليل: البَرْقَلَةُ كلام لا يتبعُه فِعلٌ، مأخوذ من البَرْقِ الذي لا مَطَر مَعَه، ومنه قولهم: لا تُبَرْقِلْ علينا"[٣].

ومن زيادتها لدى كراع النمل كسـعاً ما ذكره في الأفعال: جَعَفْلَ بمعنى قلَبَ الشيء. وتخَزْعَلَ، إذا تعارجَ. ومن زيادتها حشـواً ما ذكره في نحو: ادْلَهَمَّ الليل من الدُّهْمةِ وهي السواد. واسْلَهَمَّ لَوْنُه: من السُّهُوم وهو التغير، واسْلَحَبَّ، إذا امتد من السَّحْبِ. واجْلَعَبَّ، من جَعَبْتُه إذا ألقَيْتُه. وازْلَغَبَّ الفرخ، إذا نبَتَ زَغَبُه[٤].

ودلالة (السّواد) المشتركة هي ما دفع كراعاً إلى الجزم بنشأة الفعل (ادْلَهَمَّ) من الدُّهْمةِ بزيادة اللام؛ ولكنّ تطور الدلالة من الحقيقة إلى المجاز من المشـكلات التي حرفت كثيراً من الأمثلة عن تأصـيلها الصـحيح، من ذلك أنّ ابن دريد ذهب

---

(١) ابن فارس، **مقاييس اللغة**، ٤/ ٥١٤.

(٢) الخليل، **العين**، (فحس)، ٣/ ١٤٨.

(٣) الزَّبيدي، **تاج العروس**، (برقل)، ٧٦/٢٨.

(٤) كراع النمل، **المنتخب**، ١/ ٦٩٣.

إلى زيادة الميم في الاســـم الرباعي (دَلْهَم)؛ لأنه من الدَّلَه، بمعنى التحيُّر، وأمّا إن كان من: ادلهمَّ اللَّيْلُ، فالميم أَصلِيَّة[1].

ودلالة الفعل (دلِهَ) على مجاز الظلمة الحقيقية والتغطيه واضحة، يقال: دَلِهَ، إذا تَحَيَّرَ ودهَشَ، أَو جُنَّ عِشْقاً أَو غَمّاً. ودَلَّهَه العِشْقُ والهَمُّ، إذا حَيَّرَهُ وأَدْهَشَهُ، والمُدَلَّهُ: السّاهي القَلْبِ الذَّاهِبُ العَقْلِ[2]. وقد أجاز الزَّبيديّ زيادة الميم في الاسم (الدَّلْهَم) بمعنى المُظْلِم والمُدَلَّه العَقْلِ من الهَوى، يقول: "وهذا يَدُل على أَنَّ الميمَ زائِدة؛ لأنَّه من الدَّلَه" ونقل زيادة اللّام في الفعل (ادْلَهَمَّ) عن ابن القطّاع بقوله: "والذي صَرَّح به ابنُ القَطّاع وغيرُه أَن لامَ ادْلَهَمَّ زائِدة، قالوا: لأنّه من الدُّهْمة. قلت: ويَجوزُ الوَجْهان"[3].

ومن زيادة اللّام في البناء الخماسي ما أورده ابنُ دريد في قولهم: الخَفَنْجَل بمعنى القَبيح الفَحَج[4]. وقد أورد الخليل (الخَفَنْجَل) في معجمه "العين" هكذا: "الخَفَنْجَلُ: الرَّجُل الذي فيه سَماجة وفَحَج"[5].

ولنشوان الحِمْيريّ (ت٥٧٣هـ) رأي آخرُ، وهو أنَّ الزائد النون لا اللّام، يقول: "الخَفَنْجَل: الثقيل، والنون زائدة: قال ابن دريد: الخَفَنْجل: الثقيل الوَخِم، وقال غيره: الخَفَنْجل: الرَّجُل الذي فيه سَماجة وفَحَجٌ"[6]. وهو رأي وجيه كما نرى؛ لأنه لم يثبت استعمال الرباعي (الخفنج) بالنون، في العربية الفصيحة، ليقال بزيادة اللام فيه كما ذهب ابن دريد؛ فالذي ثبت استعماله هو "خفجلَ" على نحو قول ابن منظور:

---

(١) ابن دريد، **جمهرة اللغة**، ٣/ ١٣٣٢.

(٢) الزَّبيدي، **تاج العروس**، (دله)، ٣٦/ ٣٧٨.

(٣) السابق، (دلهم)، ٣٢/ ١٧١.

(٤) ابن دريد، **جمهرة اللغة**، ٢/ ١١٨٥.

(٥) الخليل، **العين**، (فحس)، ٤/ ٤٣٩.

(٦) الحِمْيريّ، **شمس العلوم**، ٣/ ١٨٦٢.

"الخَفَنْجَل والخُفاجِل: الثَّقيلُ الوَخِم، وقد خَفْجَله الكَسَلُ... الخَفَنْجَل الرَّجُلُ الّذي فيه سَماجة وفَحَجٌ"[١].

والملحوظ أن الأصل الثلاثي (فحج) تطور بالزيادات للدلالة –أيضاً– على المعاني السابقة، وبمنهج يشبه زيادات الثلاثي (خفج)، فالفَحَجُ كما يقول ابن سيده: "تباعد ما بين أوساط السّاقَيْنِ في الإنسان والدّابّة، وقيل: تباعد ما بين الفَخِذَينِ، وقيل: تباعد ما بين الرِّجْلَيْنِ. وقد فحَج فَحَجاً وفحَجَةً... وتفحَجَّ وانفَحج، وهو أفْحَجُ. والفَحْجَل: الأفْحَجُ، زيدت اللّام فيه كما قيل: عددٌ طَيسٌ وطَيسَل، أَي: كثير، ولذكر النعام هَيق وهَيقَل"[٢].

وقد أنكر الفيروزآبادي هذا الاستعمال بقوله:" الفَحْجَلُ ... ذَكَرَه النُّحاةُ، وفَسَّروه بالأفْحَج. وعندي أنه وَهمٌ، وإنما الأفْحَج هو الفَنْجَلُ، لكنهم لمّا ذكروه أورَدْتُه"[٣]. ولا معنى لإنكار الفيروزآبادي السابق، فالظاهر أنّ (الفَحْجَل) قُلب قلباً مكانياً، بعد زيادة اللام؛ فقد ذكر الزَّبيدي أنَّ الحَفَلَّج والحُفالِج بمعنى الأَفْحَج، وهو الذي في رِجْلِه اعْوِجاجٌ[٤]. ونقل الزَّبيديّ زيادة اللّام في الاسم الخماسي الوارد في قوله:" الحَفَنْجَلُ ... الأَفْحَجُ، نَقله ابنُ القَطّاع، وقال: إن لامَه زائدةٌ"[٥].

والعربية لم تستعمل الرباعي (الحفنج) ولا (الفحنج) ممّا يدعونا للقول بأن النون زيدت في الخماسي (الحَفَنْجَل) بعد زيادة اللام وقلبه من (الفَحْجَل).

ومن أمثلة زيادة اللّام التي ذكرها الأزهريّ: قَصْمَلَ الشيءَ، إذا كسرَه. وفي موضع آخر نسب الفعل (قَصْمَلَ) إلى (قَصَم) بزيادة الميم[٦]. وروى استعمال هذا

---

(١) ابن منظور، **لسان العرب**، (خفجل)، ١١/ ٢١١.

(٢) ابن سيده، **المحكم والمحيط الأعظم**، (فحج)، ٣/ ٩٢.

(٣) الفيروزآبادي، **القاموس المحيط**، (فحجل)، ١/ ١٠٤١.

(٤) الزَّبيدي، **تاج العروس**، (حفلج)، ٥/ ٤٨٧.

(٥) السابق، (حفنجل)، ٢٨/ ٣١٢.

(٦) الأزهري، **تهذيب اللغة**، (قصمل)، ٩/٢٨٩، ١٥/ ٢٩٨.

الفعل مع فعلين رباعيينِ آخرينِ بقوله: "وفي نَوادِر الأَعْراب: قَصْفَل الطعامَ، وقَصمَلَه، وقَصْبَله: إذا أكلَه أجْمَع"[1].

ومن أمثلة زيادة اللّام عند الجوهريّ ما أورده في قولهم: ازْلِعباب السّيلِ بمعنى كثرته وتدافعه، وسيل مُزْلَعِبّ، وهو من: زَعَبْتُ له زَعْبَةً من المال وزُعْبَةً، أي: دفعت له قِطْعَةً منه[2]. وزيدت في: الطَّيْسَل، وهو الكثير من المال والرمل والماء وغيرها. وفي: الهَمَلَّع، وهو السَّريع من الإبل، وربّما سمِّي الذّئب هَمَلَّعاً. وزيدت في: العَفْلَق، وهو الضَّخْم المُسترخي. وفي: الغَلْفَق بمعنى الخُضْرة على رأس الماء، وقوسٌ غَلْفَقٌ، أي: رِخْوة[3].

ومن أمثلة زيادتها لدى ابن فارس: النّاقةُ البَلْعَك، وهي المُسْتَرْخِية اللَّحْم، والأصل البَعْكُ، وهو التَّجَمُّعُ[4]. والطَّلَخْفُ الشَّدِيدُ، وهو من الطَّخَف، بمعنى الشِّدَّة[5]. والعُقْبول بمعنى بَقِيّة المَرَضِ، وهو ما يَعْقُبُ المَرَضَ العَظيمَ[6]. والعُلْكومُ: وهي النّاقةُ الجَسيمةُ السَّمينةُ، كأنّها عُكِمَت باللَّحْم عَكْماً[7].

وتدلّ بعض الأمثلة المزيدة باللّام لدى ابن فارس على أنّ العربية لم تتوقّف عن بناء الأمثلة الرباعية بالزيادات اللّغوية، كقوله في تأصيل (الحَذْلَقة): "وأَظُنُّها ليست عَربيّةً أَصليّةً، وإِنَّما هي مُولَّدةٌ واللّامُ فيها زائِدةٌ. وإِنَّما أَصلُه الحِذْقُ. والحَذْلَقةُ: ادِّعاءُ الإنسانِ أَكثَرَ ممّا عندَه، يُريدُ إِظهارَ حِذْقٍ بِالشَّيْءِ"[8].

---

(١) الأزهري، **تهذيب اللغة**، (قصمل)، ٩/ ٢٩٠.

(٢) الجوهري، **صحاح العربية**، (زغب)، ١/ ١٤٣.

(٣) السابق، (طيس)، ٣/ ٩٤٤، ٩٤٥، (همع)، ٣/ ١٣٠٨، (عفق)، ٤/ ١٥٢٧، (غلفق)، ٤/ ١٥٣٨.

(٤) ابن فارس، **مقاييس اللغة**، ١/ ٣٣٤.

(٥) السابق، ٣/ ٤٥٨.

(٦) السابق، ٤/ ٣٦٠.

(٧) السابق ، ٤/ ٣٦٢.

(٨) السابق، ٢/ ١٤٤.

ونقل الزَّبيديّ أمثلة كثيرة مزيدة باللّام عن اللغويين المتقدمين والمتأخرين، كقوله: "ارْغَلَدَّ افْعَلَلَّ من الرَّغَد، قال الصّاغانيّ: اللّام زائِدة"[1].

٥. زيادة الميم

ذكر الخليل زيادة الميم أو الدال في الاسم الخماسي (الصَّلَخْدَم) بقوله الذي سبق: "وقالوا: الصَّلَخْدَم أُخِذَ من الصِّلَّخْم. الدال زائدة أم الميم"[2]. ونقل نشوان الحِميريّ عنه زيادة الميم حشواً في مثال آخر، بقوله: "وتُزادُ –أَيضاً– في وَسَطِ الكلمة، وهو شاذٌّ قليلٌ، مثل: دُلامِص. فالميمُ عندَ الخليل زائدة، ومثالُه عنده: فُعامِل؛ لأنه بمعنى الدُّلّاص، وهو البَرّاق"[3].

وقد نسقَ كُراع النَّمل أمثلةً مزيدة بالميم وبغيرها مع بعض المزيدات الصرفية في باب واحد وسمه بـ: "باب الزَّوائِد من حُروف الهِجاء" ومنها: سُتْهُمٍ وزُرْقُمٍ وفُسْحُمٍ وخَلْجَمٍ. وزيدت في قولهم: طَرْمَحَ بناءه، إذا طَوَّلَه، وصَلْمَعَ رأسه وجَلْمَحَه وجَلْمَطَه، إذا حلقَه[4].

ومن زيادة الميم عند ابن دريد ما أورده في الأمثلة: ضَبْثَم، وهو اسم بمعنى الشَّديد. والجَحْظَم، وهو العَظيم العينَيْنِ[5]. ونسق أمثلة كثيرة منها في (باب ما زادوا في آخِرِه الميم)، وهي: "زُرْقُم من الزَرَق. وسُتْهم من عِظَم الاسْت. وناقة صِلْدِم من الصَّلْد، وهو الصّلابة. وناقة ضِرْزِم، من قَوْلهم: ضِرْز، أَي: صُلْب شَدِيد. وَرجل فُسْحُم من الفساحة. وجُلْهُم من جَلْهة الوادي. وخَلْجَم من الخَلْج، وهو الانتزاع. وسَلْطَمٌ من السَّلاطة، وهو الطّول. وكَرْدَمٌ، من قولهم: كَرَدْتُ الرجلَ، إذا عدا بين يَديك عَدْوَ

(١) الزَّبيدي، **تاج العروس**، (رغد)، ٨/ ١٠٧.
(٢) الخليل، **العين**، (صلخم)، ٤/ ٣٣٠.
(٣) الحميري، **شمس العلوم**، ١/ ٤٩.
(٤) كراع النمل، **المنتخب**، ١/ ٦٩٠.
(٥) ابن دريد، **جمهرة اللغة**، ٢/ ١١١٢، ١١٣٤.

فَزَعٍ. وكَلْدَمٌ، من الصّلابة، من قَوْلِهم: أَرض كَلَدة. وقَشْعَمٌ، من يُبس الشَّيءِ وتشنّجه. وشَبْرَمٌ، وهو القصير من قولهم: قصير الشَّبْر، أَي: قصير القامة[١].

ومن الأمثلة المزيدة بالميم عند الأزهريّ: لَهز ولَهْزَمَ – إذا بدا الشَّيبُ وظهر – وجلط الشَّعْرَ وجَلْمَطَه – إذا حَلَقَهُ، وقَصَلَ الشيء وقَصْمَلَه، إذا كسره. وقد صرح بأنَّ زيادة الميم كثيرة[٢].

وممّا ذكر الجوهريّ زيادة الميم فيه الأمثلة: طَرْمَحَ بناءَه، إذا طَوَّلَه جدّاً. وينهج منهجَ ابن دريد في القول بزيادة الميم في الاسم (الجَحْظَم). وينقل زيادة الميم عن الفرّاء في نحو: جَلْمَطَ رأسَه، إذا حلقَه[٣]. وكذا عدَّ الميم زائدة في: الصِّمْرِد، وهي الناقة القليلة اللَّبَن، وفي: الجَحْرَمة بمعنى الضِّيق وسوء الخُلْق، وفي: الجَذْعَمة بمعنى الصغير[٤]. وفي: "الدِّرْدِم بالكسر: النّاقة المُسنّة، وهى الدَّرْداء، والميم زائدة، كما قالوا للدّلقاء دِلْقِم، وللدّقعاء دِقْعِم على فِعْلِم"[٥].

وقد وافق الجوهريُّ الأزهريَّ في القول بزيادة الميم في بعض الأفعال، من مثل: اهْرَمَعَّ، إذا أَسْرَعَ الرَّجُلُ، واصْمَعَدَّ، إذا ذهب في الأرض وأَمْعَنَ[٦].

والأمثلة المزيدة بالميم كثيرة في معجم ابن فارس "مقاييس اللغة"، منها: رَجُلٌ مُحَصْرَمٌ بمعنى قَليل الخَيرِ. وهو من الحَصِر. وحَضْرَمَ في كَلامِه حَضْرَمَةً، كأَنّه تَشَبَّهَ بالحاضِرة الّذين لا يُقيمونَ إعْرابَ الكلامِ. والحَضْرَمةُ: مُخالَفةُ الإِعْراب، وهي اللَّحْنُ أيضاً. والخَلْجَمُ، وهو الطَّويلُ، أَصْلُهُ خَلَجَ؛ وذلك أَنَّ الطَّويلَ يتَمايَلُ، والتَّخَلُّجُ: الاضْطِرابُ والتَّمايُلُ، كما يُقالُ: تخَلَّجَ المَجْنونُ. والدُّمْلوكُ والحَجَرُ المُدَمْلَكُ، وهو

---

(١) ابن دريد، **جمهرة اللغة**، ٣/ ١٣٣٢.

(٢) الأزهري، **تهذيب اللغة**، (لهز)، ٩١/٦، ٢٧٣، (قصمل)، ٢٨٩/٩، (جلط)، ١٧٠/١١.

(٣) الجوهري، **صحاح العربية**، (طرح)، ٣٨٧/١، (جلط)، ١١١٨/٣، (جحظ)، ١١٧١/٣.

(٤) السابق، (صرد)، ٢/ ٤٩٧،(جحر)، ٢/ ٦٠٩، (جذع)، ٣/ ١١٩٥.

(٥) السابق، (درد)، ٢/ ٤٧٠.

(٦) الأزهري، **تهذيب اللغة**، (صمعد)، ٢١٦/٣، الجوهري، **صحاح العربية**، (هرع)، ١٣٠٦/٣.

من دَلَكتُ. وعَمَرَّدٌ، وهو من العُرُدِّ، بمعنى الشَّـديد[١]. وبَلْسَـمَ الرَّجُلُ، إذا كَرَّهُ وَجْهَه. وهو من المُبْلِسِ، بمعنى الكَئيب الحَزين المُتَنَدِّم[٢].

ويتردّد ابن فارس أحياناً بين زيادة الميم وغيرها في تأصــيله المثال الواحد، كالاســم (جُرْضُــم) بمعنى الأَكولِ، يقول: "فهذا مِمّا زيدَت فيه الميمُ، فيُقال من جَرَضَ، إذَا جرَشَ وجرَسَ، ومن رضَـمَ –أَيضـاً– فتكونُ الجيمُ زائِدةً. ومعنى الرَّضَـمِ أَنْ يَرْضِـمَ ما يأكُله بعضَــه على بعضٍ"[٣]. وكان يكفيه القول بزيادة الميم الخفيفة دون الجيم.

ومن زيادة الميم أمثلة مختلفة ذكرها ابن منظور، أو نقلها بقوله:" صَمْقَرَ اللبنُ واصْمَقَرَّ... اشْتَدَّت حُموضَتُه. واصْمَقَرَّت الشَّمْسُ: اتَّقَدَت، وقيل: إِنّها من قولك: صَقَّرْتُ النّارَ، إذا أَوقدتها، والميمُ زائِدةٌ"[٤].

٦. زيادة النون

نقل الخليل جواز زيادة النون في مثالينِ بقوله:" وبعيرٌ حَظِل، إذا كان يأكُلُ الحَنْظَل، يحذِفون النون، ويُقال: هي زائدة، ويُقال: هي أصــلية، والبناء رُباعيّ... وهم الذين يقولون: قد أسـبَلَ الزَّرْع، بطرح النون، من السُّـنْبُل، ولغة أخرى: سَـنْبَلَ الزَّرْع"[٥].

والنون تُزاد عند كُراع النمل صــدراً في أمثلة من قبيل: جرو نَخْوَرِش؛ من الخَرْشِ، وبعد فاء الاسـم في نحو: عَنْدَلٍ، وهو العظيم الرأس، وبعد عينه في مثل: جَحَنْفَلٍ، وعَفَنْقَسٍ، وَعَفَنْجَجٍ. وبعد لامه كما ورد في: عَلْجَنٍ، وخَلْبَنٍ[٦]. وذكر زيادة

(١) ابن فارس، **مقاييس اللغة**، ٢/ ١٤٥، ١٤٦، ٢٤٨، ٣٤٠، ٤/ ٣٧٢.

(٢) السابق، ١/ ٣٣٤.

(٣) السابق، ١/ ٥١١.

(٤) ابن منظور، **لسان العرب**، (صمقر)، ٤/ ٤٦٨.

(٥) الخليل، **العين**، (حظل)، ٣/ ١٩٧.

(٦) كراع النمل، **المنتخب**، ١/ ٦٩٠ – ٦٩٣.

النون في أسماء من نحو: الإِسْفَنْط، وهو اسم من أسماء الخَمْرِ، أُخذت من قولهم: رجلٌ سَفيطُ النفسِ، أي: طيِّبها[1]. والعَنْبَس –وهو الأسد– اشتُقّ من العُبوس. وقد نصّ على زيادة النون والراء معاً في الاسم الخماسي (الشَّرَنْبَث)، وهو الأسد؛ سمّي بذلك لشِدَّتِه وتَشَبُّثه[2].

وقد عقّبَ الجوهري على زيادة النون في (الشَّرَنْبَث) بقوله: "قال سيبويه: النون والألف يتعاوران الاسمَ في معنى، نحو: شَرَنْبَث وشُرابِث، وجَرَنْفَش وجُرافِش[3].

وفي معجم "جمهرة اللغة" ذكر ابن دُريد شواهد مختلفة لزيادة النون، منها: تَكَنْبَثَ الرَّجُلُ، إذا تدَاخل بعضُه في بعض[4]. والبِنْصِر، وهو الإِصْبَع. والعَنْبَس: اسم من أَسماء الأسد، وهو من (عبس) الدال على تقطيب الوَجْه. وعَنْكَثَة، وهو اسم من الثلاثي الممات (العَكْث) الدّالّ على اجْتِماع الشّيء والتئامه. والحَنْظَل من الحَظْل بمعنى المَنْع[5]. والخَنْدَلة، يقول ابن دريد: "والخَندلة: امتلاء الجِسْم، وأَحْسبه من الخَدْل، النّون فيه زائِدة، وبه سُمّيت المَرْأة خَدْلة"[6]. وقد نصّ الزّبيديّ على زيادتها في هذا الاسم، ولم يذكر رأي ابن دريد السابق، يقول:" الخَنْدَلَةُ أهمله الجوهريّ والصاغانيّ، وفي المُحكَم: هو امتِلاءُ الجِسم... قلت: والصَّواب أَنّ النّونَ زائدةٌ، وأصلُه الخَدْلُ، من قولهم: ساقٌ خَدْلةٌ، إذا كانَت مُمتَلِئة اللَّحْمِ[7].

---

(١) كراع النمل، **المنتخب**، ١/ ٣٨٥.

(٢) السابق، ١/ ١٠٤، ١٠٥.

(٣) الجوهري، **صحاح العربية**، (شنبث)، ١/ ٢٨٥.

(٤) ابن دريد، **جمهرة اللغة**، (كنبث)، ٢٦١/١.

(٥) السابق، (بصر)، ١/ ٣١٢، (عبس)، ١/ ٣٣٨، (عكث)، ١/ ٤٢٦، (حظل)، ١/ ٥٥٣.

(٦) السابق، ٢/ ١١٤٤.

(٧) الزَّبيدي، **تاج العروس**، (خندل)، ٢٨/ ٤٤١.

وفي "تهذيب اللغة" ذكر الأزهريّ أمثلة لزيادة النون، من نحو: قَنْبعَ الرجلُ في بيته، إذا توارى[١]. والحَنْطَف، وهو الضَّخْم البَطن[٢]. والشُّنْذُف، وهو الفَرَس المائل في أحد شِقَّيه بَغياً ونَشاطاً[٣].

ومن زيادة النون عند الجوهريّ: شنبثَ الهوى قلبَه، أي: عَلِق به. والقُنْبُضة من النِّساء: القصيرة[٤]. ورجلٌ قُفاخِرٌ ضخمُ الجثةِ، وقِنْفَخْرٌ أيضاً. ونقل زيادةَ النون في هذا المثال عن ابن السّراج[٥]. والعَنْتَريسُ: الناقة الصُّلْبة الشديدة، مشتق من العَتْرسة، وهي الأخذ بالشدّة والعُنْف، والعِتْريس: الجبّار والغضبانُ[٦].

وأمّا أمثلة ابن فارس المزيدة بالنون فكثيرة جداً، منها: قولُهم للعُسّ الضَّخْم جُنْبُلٌ، كأنّه جَبَلٌ، والجَبَلُ كَلِمةٌ وجهُها التَّجَمُّع. وقولُهم للجافي جُنادِفٌ، والأَصلُ الجَدْفُ، وهو احْتِقارُ الشَّيءِ، يُقالُ: جَدَفَ بكذا، أَي: احْتَقَرَ، فكأَنَّ الجُنادِفَ المُحْتَقِرُ للأَشياء، من جَفائِه[٧].

وذكر الزّبيديّ أمثلة من المزيدات بالنون، منها: عَنْدَرَ المَطَرُ، إذا اشْتَدَّ[٨]. وذكر الاسم (الهَنْبتَة) بمعنى الاسترخاء والتَّواني، والفعل: هَنْبَتَ الرَّجُل، إذا اسْتَرْخى وتَوانى، ومن ثَمَّ عقّب بقوله: "قد يُقالُ: إنّ النّونَ زائدةٌ، وأَصلُه الهَبْتَة، وهو الضَّعْفُ"[٩].

---

(١) الأزهري، **تهذيب اللغة**، (قبع)، ٣/ ١٩٢.
(٢) السابق، (حطف)، ٤/ ٢٢٧.
(٣) السابق، (شدف)، ١١/ ٢٢٣.
(٤) الجوهري، **صحاح العربية**، (شنبث)، ١/ ٢٨٥، (قبض)، ٣/ ١١١٠١.
(٥) السابق، (قفخر)، ٢/ ٧٩٨.
(٦) السابق، (عترس)، ٣/ ٩٤٦.
(٧) ابن فارس، **مقاييس اللغة**، ١/ ٥١١.
(٨) الزَّبيدي، **تاج العروس**، (عدر)، ١٢/ ٥٣٩.
(٩) السابق، (هنبت) ، ٥/ ١٤٥.

٧. زيادة الواو والياء

زيادة هذين الصوتين اطّردت في الأمثلة التي تُعدّ من المُلحقات الصّرفيّة، كزيادة الواو في: جَهْوَرَ، وحَوْقَلَ، والياء في شَيْطَنَ، وبَيْطَرَ. والمعروف أنّ الإلحاق يكون بأصوات مختلفة، كالألف في: سَلْقى وقَلْسى، والنون في: قَلْنَسَ[(١)]. والأمثلة كثيرة[(٢)].

يتبيَّن لنا ممّا سبق أنّ القدماء لم يغلقوا باب الاجتهاد والبحث عن أصول الأبنية الرباعية والخماسية، وضوابطها ومناهج اشتقاقها، بل تركوا الباب مفتوحاً لهذه المسألة الشّاقّة، بعد أن سكتوا عن تأصيل الكثير من الأبنية الرباعية والخماسية، فتركوها دون بيان أصولها، وكان بإمكان متأخريهم أن يوالوا البحث في هذه المسألة؛ بعد أن اكتمل جمعُ المادّة اللغوية، وكثرت أمثلتهم المُستدرَكة على سابقيهم.

فما الذي منع الزَّبيديّ –مثلاً– أن يقيس النظائر على بعضها؛ فيقول بالزيادة التي لا تخفى في البناء الرباعي الوارد في قوله:" الفِرْضِم، أَهمَلَه الجوهريُّ، وقال غيره: هي الشّاةُ الكَبيرةُ المُسِنّةُ أو المَكسورةُ القَرْنَيْنِ. وأَيضاً: الدَّرْداءُ الفَمِ الّتي تحَطَّمَت أَسْنانُها"[(٣)]. لأنَّ دلالة (الفِرْضِم) على معاني الكسر والتحطيم تردُّه إلى أصله الثلاثي (فرض)، فالفاءُ والرّاء والضّادُ كما يقول ابن فارس: "أَصلٌ صَحيحٌ يدُلُّ على تَأْثيرٍ في شيءٍ من حَزٍّ أَو غيرِه. فالفَرْضُ: الحَزُّ في الشَّيء. يُقالُ: فَرَضتُ الخَشَبةَ... وممّا شَذَّ عن هذا الأَصلِ الفارِضُ: المُسِنّةُ، في قولِه تَعالى:" لا فارِضٌ ولا بِكْرٌ "[(٤)]. وهي لم تشذّ؛ لقول الزمخشري:" وكأنّها سمّيت فارضاً؛ لأنّها فرضت سِنَّها، أي: قطعتها وبلغت آخرَها"[(٥)].

---

(١) ابن يعيش، **شرح المفصل**، ٤/ ٤٣١.

(٢) ينظر: ابن دريد، **جمهرة اللغة**، (أبواب ما يلحق بالرباعي بحرف من حروف الزوائد)، ٢/ ١١٦٧ – ١١٧٨.

(٣) الزَّبيدي، **تاج العروس**، (فرضم)، ٣٣/ ٢٠٦.

(٤) ابن فارس، **مقاييس اللغة**، (فرض)، ٤/ ٤٨٨، ٤٨٩. والأية من سورة البقرة/ ٦٨.

(٥) الزمخشري، **الكشاف**، ١/ ١٤٩.

٣. زيادة الصوامت الخفيفة في أبنية اللهجات الدارجة

تبين ممّا سبق أن الأمثلة الفصيحة المزيدة بالأصوات الخفيفة كثيرة، وقد تعزز هذا المُستخلَص من الاتّكاء على هذه الأصوات في بناء أمثلة مختلفة من الرباعيات في اللهجات العربية الدارجة. وسنأتي على ذكر أمثلة من هذه الزيادات على النحو الآتي:

١. أمثلة من اللهجة اللبنانية

ذكر أنيس فريحة أمثلة مختلفة من الزيادات الخفيفة في اللهجة اللبنانية، فالباء مزيدة في الفعل: برقطَ، إذا لمعَ وأضاءَ وبرقَ[١]. والراء كذلك في نحو: بعجرَ بمعنى غمزَ وهمزَ وقلّب بين الأصابع. وذكر فريحة جواز نشأته من الثلاثي (بجر) بزيادة العين. وهو ما لا نراه صواباً؛ لأنَّ دلالة الثلاثي (بعج) والرباعي (بعجرَ) متقاربة، فضلاً عن ثقل زيادة العين مقارنة بخفّة الراء. وزيدت الراء في: حربسَ الخيطَ، إذا شبكه بغيره فتعقّد. وقرطشَ الشجرَ والزّهرَ، إذا قطع رؤوسها. وقد أجاز فريحة أن يكون الزائد الشين[٢].

والفعل (قرطشَ) مزيد بالراء؛ لاستعمال مادته الثلاثيه (قطش) التي انفرد الزَّبيديّ برواية المُستعمل منها، وهو القُطاشُ بمعنى غُثاء السَّيْلِ، والأَقْطَشُ بمعنى المَقْطوع الأُذُنَيْن، وقد عقّب على ذلك بقوله: "هكذا تستعمِلُه العَوامُّ والخَواصُّ، ولا أدرِي أَعَرَبيّة أَم لا، فلْيُنْظَر"[٣].

ولعلَّ (الأقطش) من استعمال العربية الدّارجة في زمن الزَّبيديّ، وقد احتفظت اللهجات الأردنية باستعمال الفعل (قطشَ) للمعنى الذي ذكره الزَّبيديّ، ولمعنى قطع القليل من الشيء وترك كثيره.

---

(١) فريحة، **معجم الألفاظ العامية**، (برقط)، ٩.

(٢) السابق، (بعجر)، ١٢، ٣٢. ١٣٨.

(٣) الزَّبيدي، **تاج العروس**، (قطش)، ١٧/ ٣٣٦.

ومن زيادة اللّام ما نصَّ عليه فريحة في نحو: بلكمَ، إذا أُسكتَ وأُفحمَ. وقلعطَ الشــيء، وسّــخه ولوّثه بقذارة. ولخبطَ الشــيءَ بغيره، مزجَه وخبطَه. ولخبط الرَّجُلُ، أخطأَ وغلِط وارتبكَ[1].

ومن زيادة الميم ما ذكره في الفعل: حمرقَ، إذا غضــبَ وثار، وقد يكون من (حمق) بزيادة الراء. ونغمشَ الولدُ والشــيءُ على قلبي، إذا اســتهواني وجذبَني، وشعرت بدافع يدفعني إليه[2].

والفعل (حمرقَ) المستعمل في اللهجات اللبنانية نراه من الفصيح (حملقَ) بعد إبدال الراء من اللام؛ فمعنى الشِّدة ظاهر في هذا الفصيح؛ لقولهم: حَمْلَقَ الرَّجُل، إذا فتح عينيه، ونظَرَ نَظَراً شــديداً، أو انقلَبَ حِمْلاقُ عَيْنَيه من الفَزَع[3]. وهذا الفصيحُ هو أصل الفعل العامي (بحلقَ) الوارد في قول الزَّبيدي:" بحلق عَينَيه، إذا قَلَبَهما، فهو مُبَحْلِقٌ، عامّيَّة"[4].

فهو ناشئ من (حملق) بالقلب المكانيّ وإبدال الميم باء، وقد احتفظت اللهجات الأردنية باستعماله لمعنى النظر، وقلْب العينين أيضاً.

وذكر فريحة زيادة النون في: خرســنَ فلان فلاناً، أســكته وأفحمه. وغشــمنَ الرَّجلُ صــاحبَه، إذا نســب إليه الحُمْق والبَلَه. وحنتسَ الرَّجُلُ، اســودَّ جلدُه من الشــمس[5]. وذكر زيادة الواو في: بعوجَ، إذا غمزَ وهمزَ. وبورمَ الخيطَ، إذا جدلَه.

(١) فريحة، **معجم الألفاظ العامية**، (بلكم)، ١٥، ١٤٤، ١٥٩.

(٢) السابق، (نغمش)، ٣٨، ١٨٢.

(٣) الخليل، **العين**، (حملق)، ٣/ ٣٢٢، ابن منظور، **لسان العرب**، (حملق)، ١٠/ ٦٩.

(٤) الزَّبيدي، **تاج العروس**، (بحلق)، ٢٥/ ٣٣، ٣٤.

(٥) فريحة، **معجم الألفاظ العامية**، (خرسن)، ٣٩، ٤٣ ، ١٢٤.

وبوطلَ على فلان، إذا غبنَه وغشّه[١]. وزيادة الياء في نحو: بيرقَ، إذا لمع وأضاء. وبيلصَ، إذا غبنَ وتعدّى على حقوق غيره. وبيعدَ، إذا أبعدَ وبعّد[٢].

٢. أمثلة من اللهجة العراقية

من الزيادات التي ذكرها إبراهيم السامرائي في العراقية الدارجة زيادة اللّام، في نحو: بعلجَ، إذا اشتكى الرجل من ألم في بطنه. وفلطحَ، بمعنى صير الشيء مُفَلْطَحاً، أي: مُسطّحاً واسعاً[٣]. ومن النون: حنفشَ الولدُ على صاحبه بمعنى توثَّبَ وانتصبَ. وفرزنَ، إذا ميّزَ[٤]. ومن زيادة الميم: مرشقَ، إذا رمى، ويستعمل مجازاً بمعنى القذف بالسبّ والشتم[٥]. ومن الواو: نعوصَ، إذا أحدث صوتاً فيه غنج ودلال. ووَهدنَ بمعنى غشّ وخدعَ[٦].

٣. أمثلة من اللهجة المصرية

من الزيادات التي ذكرها عبد الصبور شاهين في اللهجة المصرية زيادة الباء في نحو: برطعَ، والأصل بلتع. والميم في: كسعمَ. واللام في: لخبطَ، وهرجلَ, والنون في: نخربَ[٧]. وذكر تمام حسّان بعض الأمثلة، كالنون المزيدة في الفعل: فنجرَ، والراء في: طربقَ، واللّام في: دفلقَ وخلبطَ[٨].

---

(١) فريحة، **معجم الألفاظ العامية**، (بوطل)،١٣، ١٧، ١٨

(٢) السابق، (بيعد)، ١٨، ١٩.

(٣) إبراهيم السامرائي، **الفعل زمانه وأبنيته**، ١٥٤، ١٧٤.

(٤) السابق، ١٥٨، ١٧٣.

(٥) السابق، ١٨١.

(٦) السابق، ١٨٢، ١٨٣.

(٧) عبد الصبور شاهين، **مسالك العامية المصرية في صوغ الأفعال**، بحث منشور في كتاب "اللهجات العربية بحوث ودراسات" الصادر عن مجمع اللغة العربية المصري، ٤٣٨، ٤٣٩.

(٨) حسان، **مناهج البحث في اللغة**، ١٨٨.

إنَّ بناء الأمثلة الرباعية بزيادة الأصوات الخفيفة في اللهجات الدراجة فيه دلالة واضحة على أن العربية بلهجاتها المختلفة قد سلكت مسلكاً واحداً في تخيّرها للأصوات التي تبني بها أمثلتها الرباعية؛ لأنَّ ما يدفع إلى زيادة خفيف الأصوات واحدٌ، بغضّ الطرف عن اختلاف الزمان، وتباين اللهجات قديمها وحديثها.

المبحث الثالث: الصامت الزائد من منظور ثنائيّ

توصَّلت بعض الدراسات الحديثة إلى بيان الأصل الثنائي وحدّه صوتيّاً ودلاليّاً على النّحو: "هو مجموعُ ما يقعُ من صامتين في بنية ألفاظ لغوية تقوم بينها دلالة كُليّةٍ مشتركة، بشرط أنْ يكون أولُّ الصامتين متقدّماً على التّالي –وإن فُصل بينهما بفاصل من الأصوات المزيدة– وبشرط خلوّهما من عارض الإبدال الصوتيّ من غيرهما من الأصوات اللُّغويّة، زيادةً على وجوب ثباتهما في كلِّ ألفاظ هذا الأصل، وكونهما أثقلَ نطقاً –في الكثير– من سائر أصوات ما بُنيَ من هذا الأصل"[1].

ولهذه الثنائية أثر واضح في تأصيل أبنية العربية وضوابطها على النحو الآتي تفصيلُه:

١. التّأصيل الثنائي الموروث

التأصيل الثنائي الموروث له أمثلة مختلفة تتجاوز حدَّ الندرة والشّذوذ، وهي أمثلة تخالف فكرة الأصول الثلاثية التي تتلخّص في أنَّ أقلّ الأصول ثلاثة؛ لأنَّه –كما يقول الخليلُ– لابدَّ من: "حرفٍ يُبتدأُ به، وحرف يُحشى به الكلمة، وحرف يوقف عليه"[2].

---

(١) المساعفة، خالد، **الأصول الثّنائية للأفعال العربيّة: دراسة في التّأصيل والتّطوُّر اللُّغويّ**، ١٣.

(٢) **العين**، للخليل، ٤٩/١.

وكان من المتوقّع أن يخالف الخليل هذه الثلاثية في التأصـــيل؛ لما عُرف عنه من ميل إلى تأصــيل الأبنية غير الثلاثية بالزيادة، أو بتكرير أصــول ثنائية؛ لبناء الرباعيات المضـــــاعفة، وهذا لا ينفي عنه أنّه أوّل من تنبه إلى جواز تطور الأصـول الثنائية بالزيادة في مبناها، وقد كشـفَ عن شــيء من ملامح هذا التطور في حديثه السابق عن بيت الطِّرِمّاح:

واستَطْرَبَتْ ظُعْنُهم لَمّا احْزألَّ بِهم آلُ الضُّحى ناشطاً من داعيات دَدِ

ففي هذا البيت رواية أخرى، وهي (داعِبٍ دَددِ) وقد ذكر الخليل موجب زيادة الدال الثالثة بقوله: "ولما جَعَلَه نعتاً للداعب كسعه بدالٍ ثالثة"[١].

وأشار إلى جواز نشأة الأبنية الثلاثية من أصول ثنائية مضاعفة، يقول: "والحَظّ: النَّصيبُ من الفَضْل والخير، والجميع: الحُظوظ. وفلان حَظيظ، ولم نسمع فيه فِعلاً. وناس من أهل حِمْص يقولون: حَنْظ، فإذا جمعوا رَجَعوا إلى الحُظوظ، وتلك النونُ عندهم غُنّةٌ ليست بأصلية. وإنّما يجري على ألسنتهم في المُشَدَّد، نحو الرُزّ يقولون: رُنْز، ونحو أُتْرُجّة يقولون: أتْرُنْجة، ونحو اجّار يقولون: انْجار، فإذا جَمَعوا تركوا الغُنّة، ورجعوا إلى الصِحّة فقالوا: أجاجير وحُظوظ"[٢]. وأما الفعل (حظّ) الذي لم يسمع به الخليل فقد رواه أبو زيد الأنصاريّ وغيره، يقول الأزهريّ:" وقال أَبو زيد: يُقال: حَظِظت في الأَمر فَأَنا أحظّ حظّاً... وقال أَبو الهيثم فيما كتبه لابن بُزْرُج يُقال: هم يحظون بهم"[٣].

وبيّن الجوهريّ أثر ثقل الإدغام في نشأة الأبنية الثلاثيّة من الثنائية المضاعفة عندما تحدث عن بعض أمثلة الخليل السابقة، يقول: "والرُّزُّ، والرُّنْزُ: لُغةٌ في الأَرُزِّ،

---

(١) الخليل، **العين**، (دعب)، ٢/ ٥١.

(٢) السابق، (حظ)، ٣/ ٢٢.

(٣) الأزهري، **تهذيب اللغة**، (حظ)، ٣/ ٢٧٣.

الأَخيرةُ لعبدِ القَيس، وإنما ذكرتُها –هُنا– لأنّ أصلَ رُنْزٍ رُزٌّ؛ فكرِهوا التَّشديدَ، فأَبدلوا من الزّايِ الأُولى نوناً، كما قالوا: إنْجاصٌ، في إجّاصٍ، وإن لم تكُن النّون مُبدلةً فالكلمةُ ثُلاثيةٌ. وطَعامٌ مُرَزَّزٌ: فيه رُزٌّ[١].

وتناول بعض الباحثين المحدثين أمثلةً أُدغم فيها صوتان صامتان، وفسّروا نشأة الأبنية منها بما يسمى قانون المخالفة الصوتية؛ فبسبب صعوبة الإدغام أو لاتقاء اللبس أحياناً:" يتحلل منه بإقحام حرف جديد على الكلمة، نحو: حظّ ← حنظ، وإجّاص ← إنْجاص، والأُتْرُجّة ← الأُتْرُنْجة"[٢]. وبهذا القانون كانوا يفسّرون نشأة الأفعال الرباعية الفصيحة، من قبيل: شنظرَ وشنبثَ وسنبلَ. وبعض الرباعيات المستعملة في اللهجات الدارجة، كالفعل: سنكرَ البابَ –إذا أغلقَه– الناشئ من الثلاثي (سكّر) بعد فكّ الإدغام وإبدال الكاف الأولى نوناً[٣].

وقد صرح الكوفيون بنشأة أبنية ثلاثية من أصول ثنائية بما لا يقبل التأويل والشكّ، فكُراع النمل يذهب إلى أنَّ الاسم الثلاثي (المَطْل) ناشئ من الثنائي (المطّ)، بزيادة اللام، وكذا عدَّ الفعل: دَعَقَتِ الدابةُ الطريقَ –إذا وطئته وأثَّرت فيه بحوافرها– من الثنائي (دَقّ) بزيادة العين[٤]. ورأى أنَّ الاسم الثلاثي (الدِّقِمّ) –بمعنى المَدْقُوق الأسنان– ممّا زيدت فيه الميم[٥]. وهذا ما يُعيده إلى أصله الثنائي (دقَّ).

وعلى هذا النحو كان يرى أنَّ الجيم زائدة في الاسم (وَنْج)، وهو وأصلُه الثنائي (وَنّ) مستعملانِ لضرب من الملاهي[٦]. وقد نصَّ على زيادة العين في الفعل

---

(١) الجوهري، **صحاح العربية**، (رزز)، ٩/ ٦.

(٢) عمايرة، **تطبيقات في المناهج اللغوية المعاصرة**، ٢١٤.

(٣) عمايرة، **الأقيسة الفعلية المهجورة**، ٥٧ – ٦١.

(٤) كراع النمل، **المنتخب**، ١/ ٦٩٣.

(٥) السابق، ١/ ٥٦٤.

(٦) السابق، ١/ ٧٠٤.

(ارْتَعَجَ)[١]. ومن زيادة الحاء والفاء والزاي ما ذكره بقوله: "ويقال ناقة ثَرَّةٌ: واسعة الأحاليل، وهي مخارج اللَّبن، والحَثْرُ والحَثِرُ: الواسع من كل شيء، لا أُرى الحاءَ في هذا كله إلا زائدة، وليست من الزوائد ولا من أخواتها. وكذلك الفاء قالوا: دليلٌ مِخَشٌّ ومِخْشَفٌ: جريء على اللَّيل... كذلك الزاي، يقال: ثوب رازِيٌّ منسوب إلى الرَّيّ، وإنما زيدت؛ لأنها أخت السين. والسين من الزوائد؛ ولهذا قالوا: السُّدُّ والزُّدُّ..."[٢].

وليس من الدقيق ما نسبه ابنُ منظور إلى ابن دريد من اشتقاق: رجُل مِخْشف -إذا كان ماضياً جَريئاً على هوى اللَّيْلِ- من الفعل: خَشَّ في الشَّيءِ، إذا دخَلَ فيه[٣]. لأنَّ كراعَ النمل سبق إلى هذا الرأي.

وعلى هذا النحو نرى ابن فارس يقول بزيادة صوتين صامتين معاً؛ ممّا يوجب عود المثال إلى أصول ثنائية، كزيادة النون والباء في الصِّنَّبْر -وهو البَرْدُ الشَّديدُ- فأصله من الصِّرّ، وهو شِدّة البَرْد[٤]. ومن زيادة الميم والراء في أصل ثنائي موضوع حكاية صوتية ما ذكره في الاسم (الخُشارِم) وهي الأَصْواتُ، و(الخَشْرَم)، وهي الجَماعةُ من النَّحْلِ؛ سُمِّيَ بذلك لحِكاية أَصْواتِه، والأصل: خَشَّ[٥]. ويؤكّد هذا الرأي أنَّ كثيراً من اللهجات الدارجة تستعمل البنية الثنائية (خَشْ) حكايةً لبعض الأصوات المسموعة.

وفي مادّة (هجف) يقول ابن فارس: "فأمّا الهِجَفُّ فالظَّليمُ المُسِنُّ، وأظُنُّه من البابِ الذي زيدَت فيه الهاء وأُبدِلَت زاؤُه جيماً، وهو من الزِّفِّ، وهو ريشُه"[٦]. ورأى أنَّ العين والطاء في الاسم (عَلْطَميس) أصلان، وما عداهما زائد، يقول: "عَلْطَميس

---

(١) كراع النمل، **المنتخب**، ١/ ٧٠٠، ٧٠١.

(٢) السابق، ١/ ٧٠٢ - ٧٠٤.

(٣) ابن منظور، **لسان العرب**، (خشش)، ٦/ ٢٩٥.

(٤) ابن فارس، **مقاييس اللغة**، ٣/ ٣٥٣.

(٥) السابق، ٢/ ٢٤٨.

(٦) السابق، (هجف)، ٦/ ٣٦.

جارِيةٌ تارّةٌ حَسَنةُ القَوامِ. وناقةٌ عَلْطَميسٌ: شَديدةٌ ضَخْمة. والأَصلُ في هذا عَيْطَموسٌ، واللّامُ بَدَلٌ من الياء، والياءُ بَدَلٌ من الواو. وكلُّ ما زادَ على العين والطّاءِ في هذا فهو زائِدٌ، وأَصلُه العَيطاءُ: الطَّويلةُ، والطَّويلةُ العُنُقِ"(١).

وذكر أبو موسى الأصفهاني (ت٥٨١هـ) زيادة النون التي تُعيد أحد الأمثلة إلى أصله الثنائي، يقول: "في الحديث: صَنادِيدُ قُرَيْش. يعني العُظماءَ والأَشرافَ، الواحدُ صِنْديد. وفي حديث آخر: أعوذ بك من صَناديد القَدَر. يعني الشَّدائِدَ والدَّواهي، والواحدة الصِّنديد. والصَّنْدَدُ: القاهِرُ الغالبُ من كُلِّ شيءٍ، ومثله: الصِّنْتيت من الصَّدِّ والصَتِّ، وهو الصَّدْم والقَهْر؛ لأنه يصُدُّ مَن يُقابِلُه ويقهَرُه"(٢). ونقل الزَّبيديّ زيادة النون في الاسم (الصِّنْتيت) عن الجوهريّ، وكذا الحال في نقله زِيادة النّون في الاسم (الصُّنْتوت) عن ابن عُصْفورٍ وابنِ هشام؛ لأنّه كما يقول:" من الصَّدّ، وتاءاه بَدَل من دالَيْنِ"(٣).

وفي أصلِ بعض الأمثلة التي جاءت على الوزن المهموز (افْعَألَّ) خلافٌ يُعيد قسماً من أمثلة هذا الوزن إلى أصول ثنائية مُضاعفة، فمن اللغويينَ القدماء مَن يرى أنَّ الفعل (اكَلأَزَّ) –إذا تقبَّض الرَّجلُ– ناشئ من الفعل الثلاثي (كَلَزَ) والهمزة زائدة، وأمّا مَن عدَّ الهمزة أصلاً واللّام زائدةً فالفعل لديه من الثلاثي (كَأَزَ)، وذكر الزَّبيديّ رواية أخرى تفيد بأنّه من الثنائي (كزَّ)، يقول: "ونقلَ شيخُنا عن أبنية ابن القَطّاع أَنّ وزن اكْلأَزَّ: افْلأَعْلَ، اللامُ والهمزةُ زائدتان، فيكون ثُنائيّاً(٤).

---

(١) ابن فارس، **مقاييس اللغة**، ٤/ ٣٧٢.

(٢) الأصفهاني، **المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث**، (صند)، ٢/ ٢٩٥.

(٣) الزَّبيدي، **تاج العروس**، (صنت)، ٤/ ٥٩٧.

(٤) السابق، (كزز)، ١٥/٣٠٠، ٣٠١. وينظر في هذا الخلاف: المساعفة، خالد، **وزنا (افْعَعَلّ وافْعَهَلّ): بين أوهام الإبدال والرد إلى الأصل الثلاثي**، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها،المجلد (١١)، العدد (٣)، السنة، (٢٠١٥م)، ٢٠٨ – ٢١١.

وقد صرّح ابن يعيش (ت٦٤٣هـ) ببناء الأمثلة الرباعية المضاعفة بالتكرير من أصول ثنائية غير مُضاعفة، يقول: "وأمّا صِيصِيَةٌ، فإنّ الياءيْنِ فيها أصلٌ، وإن كان معك ثلاثةُ أحرف أصول؛ لأنّ الكلمة مركبةٌ من صِي مرّتَين، فالياء الأولى أصلٌ؛ لئلا تبقى الكلمةُ على حرف واحد، وهو الصاد. وإذا كانت الياء الأولى أصلاً، كانت الياء الثانية -أيضاً- أصلاً؛ لأنّها هي الأولى كُرّرت. ومثلُه من الصحيح زَلْزَل، وقَلْقَلَ. ومنه الوَسْوَسةُ، والوَشوشةُ. فالواو في ذلك أصلٌ؛ لأنّ الواو مكرّرةٌ، وتكريرُها هنا أوّلاً كتكريرها في: صي صي أخيراً"[١]. وقال صاحب حماة (ت٧٣٢هـ): "وأمّا أصالتهما في صِيصِية؛ فلأنّهم لو جعلوا الياءين زائدتين نقصت الكلمة عن مثال الأصول، ولا وجه للقضاء بزيادة إحداهما دون الأخرى، فلما امتنع أن تكونا زائدتين لزم أصالتهما"[٢].

٢. تطور الأصول الثنائية في اللغات السامية

تناول بعض الباحثين أمثلة مختلفة من الأصول الثنائيّة التي تطورت في بعض اللغات السامية بزيادة أحد الأصوات اللغوية. فمن الأمثلة التي ذكرها إسماعيل عمايرة كلمة (سَبْت) الدالّة على اليوم السابع من أيام الأسبوع، فهي في الآرامية القديمة مستعملة بحرفين (شَبْ) وتعني الرقم (٧) وبثلاثة أحرف (شَبْع)، والتاء في (سبت) للتأنيث[٣].

ويذهب عمايرة إلى أنَّ(الجِعة) من الألفاظ الثنائية، وهي أصل الفعل العربي (جعرَ) الدالّ على الصوت القبيح الذي يخرج من الحيوان أو من الاسْت؛ لأن (الجِعة)

---

(١) ابن يعيش، **شرح المفصل**، ٥/ ٣٢٦.

(٢) صاحب حماة ، أبو الفداء عماد الدين بن شاهنشاه بن أيوب، **الكناش في فني النحو والصرف**، ٢/ ٢٠٦.

(٣) عمايرة، **الأقيسة الفعلية المهجورة**، ٨٧.

تطلق على الاسْت ونبيذ الشعير، وقد جاءت في السريانية بصامتين وصائت هكذا: (eg c ā) بمعنى صرخَ وخارَ، كما جاءت بالراء: (eg c ra) كالعربية(١).

وفي أصل(الجِعة) –بمعنى نبيذ الشَّعير– خلاف على النحو الذي يرويه الجوهريّ عن أبى عُبيد بقوله: "ولست أدري ما نقصانه"(٢). ونقل ابن منظور عن ابن بَرّيٍّ قوله: "الجِعةُ لامُها واوٌ من جَعَوْت أَي: جَمَعتُ؛ كأنها سُمِّيت بذلك لكونها تجعو الناسَ على شُرْبها، أَي: تجمعُهم"(٣).

ويظهر أنّها من الأصل الثنائي (جع) الذي اشتُقَّ منه الرباعي المضاعف (جعجعَ) الدال على الجمع والحبس في قولهم: جَعْجَع بالماشِية وجَفْجَفَها، إِذا حَبَسها، والجَعْجعةُ: التّضْيِيق على الغَرِيم فِي المُطالبة(٤).

وأورد يحيى عبابنة أمثلةً من اللغات السامية التي استُعمل فيها الفعل الثلاثيّ على الصورة الثنائية، ففي السوقطرية جاء الفعل: طللَ ṭalal –من الطَّلّ بمعنى الندى– هكذا: ṭle ويرى هذا الباحث أنَّ ما حصل هو سقوط لام الفعل، وإبدال حركة المقطع الأول إلى الكسرة القصيرة الممالة (e)، وذكر أن اللام الساقطة عادت باستعمال الفعل على وزن (شِفْعَل)، فقد ورد في هذه اللغة: eŠṭlle بمعنى غُطِّيَ بالطَّلّ(٥).

ولعلّ استعمال هذا الفعل وغيره بالصور الثنائية السابقة لا يدل على سقوط اللّام، بل هو الأصل المستعمل، ومن ثمّ كُرّرت اللام؛ فأدّى ذلك إلى نشأة الأنماط المروية دون إدغام، ومن ثمَّ تخلصت العربية واللغات السامية من توالي المِثلينِ

---

(١) عمايرة، **تطبيقات في المناهج اللغوية المعاصرة**، ١٨.

(٢) الجوهري، **صحاح العربية**، (وجع)، ٣/ ١٢٩٥.

(٣) ابن منظور، **لسان العرب**، (وجع)، ٨/ ٣٨٠.

(٤) السابق، (جعع)، ٨/ ٥٠، ٥١.

(٥) عبابنة، **بنية الفعل الثلاثي في العربية والمجموعات السامية الجنوبية**، ٣٨.

بإدغامهما معاً. فمعجمات العربية تحتفظ بأمثلة دلّت على هذا النمط من التطور بتكرير أحد الأصول دون إدغام، كالمرويّ في قولهم: لَحِحَ ومَشِشَ وصَكِكَ وضَبِبَ وأَلَلِ وقَطِطَ، وهي نوادر في إظهار التضعيف خرجت عن الأصل كما يقول الزَّبيديُّ: "منبهةً على أصلها، ودليلاً على أوليّةِ حالها، والإدغام لغة"(١). وذكر عبابنة أمثلةً مختلفة من الأفعال الثنائية المضاعفة التي جاءت في اللغات السامية على الأصل (بفك الإدغام) وعلى الصورة الفرعية (بالإدغام)، فاللغة الحبشية استعملت الفعل ṭababa بفك التضعيف وṭabba بالإدغام ومعناه اكتسب الحكمة أو الطِّبّ، وهو بمعنى داوى أو طبّب أو صار ذكيّاً في العربية، وقد استعمل في العربية الجنوبية بالإدغام بمعنى حكم وقضى. وذكر بعض الأفعال التي جاءت على الصورتين السابقتين في الإثيوبية الجعزية(٢).

وأشار هذا الباحث إلى نشأة بعض الأبنية المعتلة من الثنائية المضاعفة في اللغات السامية، كالفعل (أكيَ) المستعمل في الإثيوبية الجعزية بمعنى ساء، أو صار شريراً، وهو في العربية من النوع المضعّف(أكَّ)، ومنه الأكّة، وهي شدَّة الحرّ وسكون الريح، وكان مستخلصه: "أنَّه يصعب علينا أن نحكم بالأصالة أو الفرعية على هذين النمطين"(٣).

وذكر تحوّل الفعل المعتل بالياء (صبي) المستعمل في الإثيوبية بمعنى سكب أو صبَّ إلى الفعل المضاعف العربي (صبَّ) بالمعنى نفسه، وكذا رأى أنَّ الفعل العربي المضعّف: صنَّ وأصنَّ –من الرائحة القذرة المُنتنة– أصلٌ للفعل الإثيوبي معتل اللام بالواو (صنو)، وينتهي من هذا المثال وغيره إلى القول: "وهي أمثلة تجعلنا نظنّ أن الأصل في أغلبها هو الفعل المضعّف، وأنّ التحول الذي أصاب الإثيوبية

---

(١) الزَّبيدي، **تاج العروس**، (لحح)، ٧/ ٨٨.

(٢) عبابنة، **بنية الفعل الثلاثي في العربية والمجموعات السامية الجنوبية**، ٣٨ – ٤١.

(٣) السابق، ١٢٣.

الجعزية في الغالب هو تحوّل مفسَّر بقضية التضعيف، وتدخل قانون المخالفة للتخلص من أحد المضعّفين، فاللغة تكره المتماثلات في بنى أنماطها البنيوية، ومن هنا فإنها تلجأ إلى التخلص من أحدهما، وتبدله صوتاً من أصوات العلة أو الأصوات المائعة"[١].

وقد سبق إبراهيم أنيس إلى القول بنشأة الأبنية الثلاثية من الثنائية المضاعفة؛ بسبب قانون المخالفة الصوتية (Dissimilation)، عندما يُستعاضُ عن أحد الصوتين المتماثلين بالياء أو الواو لخفتهما، أو بصوتي اللّام والنون؛ وبهذه الوسيلةِ كان يفسّر نشأة الفعل: زاحَ من زحَّ، وحَنَوْت عليه من حنَّ، وغيرهما[٢].

وذكر (برجشتراسر) أمثلة مختلفة من الرباعيات الناشئة من أبنية ثلاثية مضاعفة في اللغات السامية؛ بسبب قانون المخالفة، فالاسم الرباعي (السُّنْبلة) ورد بالباء المضاعفة هكذا في الآرامية: Šebbeltá وفي العبرية elôŠibbṭ، وقد تحولت الباء الأولى إلى نون في العربية. وبهذا المنهج كان يفسرّ نشأة الفعل: فرقعَ من: فقّع، والفعل: بلطحَ من: بطّحَ[٣].

ونحن لا ننكر كراهية التضعيف في العربية التي قد تفضي إلى نشأة أبنية مختلفة ثلاثية ورباعية، بيد أنَّ العربية لم تستعمل كثيراً من الأبنية المضاعفة؛ ليطرد القول بقانون المخالفة في تفسير نشأة الأبنية الثلاثية والرباعية؛ لهذا فنحن أميل إلى أنّ الأبنية الثلاثية التي نشأت بالزيادة محكومة بقانون زيادة صامت أخفّ من صامتي أصلها الثنائي على ما سيأتي بيانُه، وأنَّ الأبنية الرباعية غير المضاعفة نشأت بزيادة الأصوات الخفيفة التي بيّناها سابقاً.

(١) عبابنة، **بنية الفعل الثلاثي في العربية والمجموعات السامية الجنوبية**، ١٢٧.

(٢) أنيس، **الأصوات اللغوية**، ١٥٣، ١٥٤.

(٣) برجشتراسر، **التطور النحوي للغة العربية**، ٣٤، ٣٥.

٣. ضرورة الثنائية اللغوية لضبط الزائد

استُخلصت في بعض الدراسات الحديثة قاعدة لضبط نوع الصامت المزيد في الأصل الثنائي، وهي: "مجيء الزائد أخفّ من صامتي الثنائي، أو أخفّ من واحد منهما في بعض الحالات"[١]. ولا بد من زيادة شيء في هذه القاعدة لتكتملَ، والزيادة المقترحة بعد كلمة (الحالات) هي: "مع بقاء الدلالة المشتركة بين الثنائي وما نشأ منه". وبذلك يتفق لهذه القاعدة الضابط الصوتيّ والدلاليّ معاً.

وأمّا تأصيل أبنية العربية وفقاً للثنائية اللغوية فيبدو لنا أنّه ضرورة؛ لما له من نتائج دقيقة في مباحث العربية المختلفة، وفي مقدمتها ضبط زائد الأبنية، وسنأتي على بيان بعض الأمثلة التي تبين هذه المسألة:

- في مادة (زنك) ذكر الزّبيديّ: الزَّوَنَّك من الرِّجالِ، وهو القَصيرُ اللَّحيمُ الحَيّاكُ في مِشْيَتِه، مثل الزَّوَنْزَك، ومن معانيهما الغَليظ إِلى القِصَرِ، أو المُخْتالُ في مِشْيَتِه الرّافِعُ نفسَه فوقَ قَدْرِها[٢].

وعاد الزّبيديّ في مادة (زوك) لينقل معنى الزَّوْك، وهو: تَحْريكُ المَنْكِبَيْنِ في المَشْيِ مَعَ قِصَرِ الخَطْوِ، أو هو مِشْيةٌ في تقارُبٍ وفَحَجٍ، أو التَّبَخْتُرُ والاخْتيالُ[٣]. وفي هذه المادة ذكر -أيضاً- الاسم (الزَّوَنَّكُ) بمعنى القصير، ونقل خلافَ القدماء فيه، ومنهم الزُّبَيدِيّ الذي رأى أنَّه من (زنك) والنون فيه أصلية والواو زائدة، خلافاً لابن السِّكّيت الذي ذهب إلى زيادة النون، فهو من زاكَ في مشيته زَوَكاناً، إذا قارَبَ خَطْوَه وحَرَّكَ جسَدَه. ونقل رأي أَبي علِيّ الفارسي وابن جنّي في زيادة الواو والنون في (الزَّوَنْزَك)، وعليه يكون اشْتقاقُه من (ززك)[٤].

---

(١) المساعفة، **الأصول الثّنائية للأفعال العربيّة**، ٨٨.

(٢) الزبيدي، **تاج العروس**، (زنك)، ٢٧/ ١٨٨، ١٨٩.

(٣) السابق، (زوك)، ٢٧/ ١٨٩، ١٩٠.

(٤) السابق، (زوك)، ٢٧/ ١٨٩ – ١٩١.

وبالعود إلى معجم" تهذيب اللغة" نجد أنّ الجوهريّ يذكر في مادة (زكل) الاسم (الزَّوْنْكَل) بمعنى القصير[١].

وهو يشير بذلك إلى زيادة النون والواو، فلا بدّ لنا من القول بأنَّ اللام زائدة في الاسم (الزَّوْنْكَل) فضلاً عن زيادة النون والواو؛ وبذلك نتمكن من ردّ الأبنية السابقة إلى أصل ثنائي واحد، وهو (زكك) لا (ززك) كما يرى أبو عليّ الفارسي وابن جنّي. وبغير هذا الردّ لن نتمكن من ضمّ الفعلين (زكَّ) و (زكزكَ) إلى قائمة المشتقات التابعة لهذا الأصل، وهما منه؛ للمعنى المذكور فيهما، على نحو قول ابن سيده: "زكّ الرجل... مر يُقَارب خطوه من ضعفه... وزكزكَ: كزكّ. وقيل: الزكزكة: أَن يُقارب الرَّجُل خطوَه مَعَ تَحْريك الجَسَد"[٢].

– وممّا يشهد بنشأة الأبنية من أصل ثنائي واحد استعمالهم الفعل (جخّ) وغيره لمعنى واحد، كقول الزَّبيدي: "جَخَّ الرَّجلُ في صَلاته، إِذا رفَعَ بَطْنَه، وقيل في تفسيره معنى جخّ، إِذا فتَحَ عَضُدَيْه عن جَنْبَيْه في السُّجْود، وكذلك اجْلَخّ، وفي روايةٍ جَخّى"[٣]. فمجيء الأفعال: جخّ واجلخّ وجخّى بمعنى واحد دليل أنّها من أصل واحد، وأنّ الألف زائدة في (جخّى)، وكذا اللّام في (اجلخّ).

– وفي معجمات اللغة نجد ما يردّ بناءً خماسياً من قبيل (قرنبض) إلى الرباعيّ (قنبض) بزيادة الراء، يقول الزَّبيدي: "القُرُنْبُضة، بالضَّمِّ، أَهملهُ الجوهريّ. وقالَ ابن دُريد: هي القَصيرةُ... كالقُنْبُضةِ"[٤]. وذكرنا فيما سبق رأي ابن سيده في زيادة النون في الاسم الرباعي (القُنْبُض) و(القُنْبُضة)، بمعنى القصير والقصيرة. فمثل هذه الزيادة تقودنا إلى ثلاثيه (قبض)، ومنه: القَبْضُ: خِلافُ البَسْط، والتَّقَبُّضُ، وقبَضَ الطائرُ

---

(١) الجوهري، **صحاح العربية**، (زكل)، ٤/ ١٧١٧.

(٢) ابن سيده، **المحكم والمحيط الأعظم**، (زكك)، ٦/ ٦٤٥.

(٣) الزبيدي، **تاج العروس**، (جخخ)، ٧/ ٢٤١.

(٤) السابق، (قربض)، ١٩/ ١٣.

جناحَه: جمَعَه، وتَقَبَّضَتِ الجِلدةُ في النّارِ، إذا انْزَوَت[1]. ومن مجمل الآراء السابقة نستطيع الخلوص إلى أصل ثنائي واحد لهذه الأمثلة على اختلاف أنواعها، وهو (قض)، وقد دلت مشتقاته على النقص الماديّ الحسيّ والمعنويّ.

وقد بيّن أحد الباحثين المحدثين بعض هذه المشتقات بقوله: "ومن الأولى... أن يُصارَ إلى مقارنة الفروق الدلاليّة بين الأفعال التي ثبت أنّها من أصل واحد؛ اتكاءً على الدلالة المشتركة بينها، ووضوحِ المنهج الصوتي الذي أفضى إلى البناء من الأصل، كزيادة الأصوات الخفيفة نطقاً، وتكرير أحد صامتيه أو كليهما، وإشباع حركاته القصيرة... عندها يمكن الوقوف على معنى الدَّق والثَّقْب والخَرْق في الفعل قضَّ، ومعنى الهدم أو الشَّقِّ في الفعل قاضَ وقوَّضَ، والهَدْمِ بعد البناء في الفعل نَقَضَ الشيءَ، إذا هَدَمَه وأفْسدَ ما أبْرَمَهُ، والقَرْضِ حتى القطعِ في الفعل قَرَضَ، إذا قطع الشيءَ، والكسرِ بأداة في الفعل قَضَمَ الشيء إذا كَسَره بأطراف أسنانه، ومعنى تكرير الحدث والمبالغةِ فيه في الفعل قَضْقَضَ، إذا كسرَ الشيءَ ودقّهُ أو فرَّقَه، والقَطْعِ معَ الأَخْذ في الفعل قرضَمَ[2].

٤. الأبنية الناشئة من الأصل عك (قواعد وتطبيق)

سنأتي في هذا الإفراد على بيان نشأة الأبنية المختلفة من الأصل الثنائي (عك) الذي دلّت مشتقاته على معنى الشِّدّة والاجتماع، وهي معانٍ مستنبطةٌ بعد الرجوع إلى كثير من مشتقات هذا الأصل ابتداءً من الثنائي المُضاعف حتّى الخماسي؛ وبهذا نتمكن من اختبار ما أخذنا به من بناء العربية أمثلتها الرباعية والخماسية بأخفّ الصوامت اللغوية التي جرى تعيينها سابقاً، واختبار نشأة الأبنية الثلاثية بزيادة صامت أخفّ من صامتي الأصل الثنائي. وقد بيّنا هذه المشتقات على حسب وسيلة نشأتها على النحو الآتي:

---

(١) ابن منظور، **لسان العرب**، (قبض)، ٧/ ٢١٣، ٢١٤.

(٢) المساعفة، خالد، **الأصول الثنائية للأفعال العربية**، ١٨.

١. الأبنية المُضاعفة

– الثنائي المضاعف: ومنه قولهم: عَكَّ يومُنا، ويومٌ عَكٌّ وعَكيكٌ، أي: شديد الحرّ... ورجلٌ عَكٌّ، أي: صُلْبٌ شديدٌ. وعَكَّه بالسوط، إذا ضرَبه[١]. وذهب ابن فارس أنَّ (العين والكاف) أُصولٌ صَحيحةٌ ثلاثةٌ: أَحَدُها اشتداد الحَرِّ، والثاني الحَبْسُ، والثالث جِنْسٌ من الضَّرْب[٢]. ورأى أنَّ الأصل الثالث يمكن أن يكون من الأول، كقولهم: عَكَّتْه الحُمّى، أَي: كسَرَته. يقول: "ومُمكِنٌ أَنْ يكون من الباب الأَوّل، كأَنَّها ذُكِرت بذلك لحَرِّها. ويُقال في باب الضَّرْب: عَكَّه بالحُجّة، إذا قهَرَه بها"[٣]. فالضّرب والقهر هما ردعٌ وحبس عن شيء ما، وجمعٌ في المعنى.

٢. الأفعال الثلاثية المعتلة

اشتُقّ من الثنائي (عك) الناقص الوارد في قولهم: عَكوْت ذَنْبَ الدّابّة عَكْواً، إذا عطفته وعقدته. والعَكِيُّ من اللَّبن: المَحْض، أو الخاثر. وعكا بإِزارِه، وعكوته في الحَديد والوِثاق، إذا شددته. والمِعكاء: الإِبِل المجتمعة، وعكتْ، إذا غلظتْ واشتدَّت من السِّمَن[٤].

وأمّا اشتقاق الفعل الأجوف فيطالع في قولهم: عاكَ مَعاشَه، إذا كَسَبَه. وعاكَ به: لاذَ به. والمَعاكُ: الاحْتِمالُ، والاعْتِواكُ: الازْدِحامُ، وتَعاوَكوا: اقْتَتَلوا. والعَيْكةُ: الشَّجَرُ المُلْتَفّ، لُغةٌ في الأَيْكة[٥]. وقد نقل الزَّبيديّ مجيء الثنائي المضاعف: عَكَّ عليه، إذا عطَفَه، بمعنى الأجوف: عاكَ[٦].

---

(١) الأزهري، **تهذيب اللغة**، (عكك)، ٤/ ١٦٠٠.

(٢) ابن فارس، **مقاييس اللغة**، (عك)، ١/ ٩.

(٣) السابق، (عك)، ١/ ١١.

(٤) الأزهري، **تهذيب اللغة**، (عكا)، ٤/ ١١.

(٥) الزبيدي، **تاج العروس**، (عوك)، (عيك)، ٢٧/ ٢٨٨، ٢٨٩. والذي نراه هو أنَّ (الأيكة) ناشئة من (العَيْكة) بإبدال الهمزة من العين، أو أنهما من أصلين ثُنائيين مختلفينِ.

(٦) السابق، (عكك)، ٢٧/ ٢٧٩.

ولا يكاد معنى المثال الواوي يختلف عن معنى الفعل الأجوف والناقص، ففي اللغة يُقال: وَعَكه المَرَضُ وَعْكاً، والوَعْكُ: أَذى الحُمّى ووَجَعُها في البَدَن. ووَعَكَتْه وَعْكاً: دَكَّتْه. والوَعْكُ: الأَلم يَجِدُه الإِنسانُ من شِدّة التَّعَب، وهو سُكونُ الرِّيح وشِدَّةُ الحَرِّ. ووَعْكَةُ الأَمرِ: دَفْعَتُه وشِدَّتُه، وازْدِحام الإِبل فِي الورْد، وقد أَوْعَكَتْ، إِذا ازدحَمَتْ فركِبَ بعضُها بعضاً عندَ الحَوْض. ووَعَكَه في التُّرابِ: مَعَكهُ، والكلابُ إِذا أَخذت الصيدَ أَوْعَكَتْه أَي: مرَّغَتْه[1]. واستُعمل الاسم (العَكَوَّكُ)، وهو القَصيرُ المُلَزَّزُ المُقْتَدِرُ الخَلْقِ، أَو السَّمينُ أَو الصّلْبُ الشَّديدُ، وهو المَكانُ الغَليظُ الصُّلْبُ. وقد اختلفوا في أصله، فقيل: "عَكَوَّكٌ: فَعَلَّعٌ بتكريرِ العين، وليس من المضاعَفِ، قال ابنُ بَرّيّ: قوله: فَعَلَّعٌ سَهْوٌ، إنّما هو فَعَوَّلٌ"[2].

٣. زيادة الصوامت في الأصل (عك)

١. زيادة الباء كسعاً. وهي الزيادة التي أدّت إلى نشأة الأبنية الثلاثية المرويّة في مادّة (عكب)، وقد دلّت (العينُ والكاف والباء) -كما يذكر ابن فارس- على أَصل صحيح واحد، وهو التّجمُّع، ومنه: عُكوب الإبِلِ على الحَوْض، أي: ازْدِحامها. وعكَبَت حولَهم الطَّيْرُ، أي: تجَمَّعَت[3]. والعَكْبُ: الشِّدّةُ في السَّيْر، والعِكَبُّ القَصيرُ الضَّخْم[4]. وذكر بعض القدماء مجيء الفعل: عكبَت الخَيل وعكفَت بمعنى واحد، وهو تجمّعت، وكذا: طير عُكوف وعُكوب. ونسبوا ما جاء بالباء إلى لهجة بني خَفاجة من بني عُقَيل[5]. ويقول بعض أهل اليمن: أَعْكَبَتْهُ النارُ، إذا كثُر عليه دخانُها[6].

---

(١) ابن منظور، **لسان العرب**، (وعك)، ١٠/ ٥١٤، ٥١٥.

(٢) الزَّبيدي، تاج العروس،(عكك)، ٢٧/ ٢٧٩.

(٣) ابن فارس، **مقاييس اللغة**، (عكب)، ١/ ١٠٣، ١٠٤.

(٤) الزَّبيدي، **تاج العروس**، (عكب)، ٣/ ٤٢٩.

(٥) الخليل، **العين**، (عكب)، ١/ ٢٠٦، الأزهري، **تهذيب اللغة**، (عكب)، ١/ ٢١٠.

(٦) الحميري، **شمس العلوم**، ٧/ ٤٧٠٢.

وإلى الثلاثي (عكب) ينتمي الاسم الرباعي (العُكْبُرة) لقول ابن فارس: "العُكْبُرةُ من النِّساء: الجافِيةُ العِلْجةُ. قال الخليل: هي العكباء في خَلْقِها"[١]. وخلص ابن فارس إلى أَنَّ الرّاء زائِدةٌ، والأَصلُ العَكَب[٢]. وهذا ما يتفق مع نشأة الرباعيات بزيادة أحد الأصوات الخفيفة، ومنها الراء.

ومن الثلاثي (عكب) بني الاسم (العَنْكَبوت) بزيادة النون حشواً بعد العين، وقد ذكر الزَّبيدي خلاف القدماء في زيادة نونه[٣]. ونقل –أيضاً– مجيء (العَنْكَب) بمعنى القصيرة من النساء، وقولهم للتَّيْس: إنه لمُعَنْكَبُ القَرْنِ، وهو المُلْتَوي القَرْن حتّى صار كأنّه حَلْقَة[٤]. وزيادة النون لا تخفى في هذا الاسم، وإن لم يصرّح بها الزَّبيدي وغيره من القدماء.

وزيدت الباء حشواً في الأصل (عك) فنشأت بعض الأبنية الدّالّة على الجمع والخلط، فمنها: عبكَ الشَّيءَ بالشَّيء، إذا خَلَطَه. والعَبَكةُ: ما يتَعَلَّقُ بالسِّقاءِ من الوَضَرِ[٥]. وهي العُقْدة التي تكون في الحَبْل، فيَبْلى الحَبْلُ وتَبْقَى[٦]. والفعل مستعمل في بعض اللهجات الأردنية لهذا المعنى، والكاف تنطق مركبة، على نحو نطقهم(كيف) هكذا: تشيف.

وزيدت الباء صدراً في الأصل (عك) فنشأ الاسم الثلاثي (البَعَك) الوارد في نقل الأزهريّ عن ابن دُريد بقوله: "البَعَك: الغِلَظ والكزازة في الجِسْم، ومنه اشتُقّ بَعْكَك. قلت: ولم أجد هذا لغيره"[٧].

---

(١) ابن فارس، **مقاييس اللغة**، ٤/ ٣٦٢.

(٢) السابق، ٤/ ٣٦٢.

(٣) الزَّبيدي، **تاج العروس**، (عنكب)، ١٦/ ٤٤٥ – ٤٤٧.

(٤) السابق، (عنكب)، ١٦/ ٤٤٥ – ٤٤٧.

(٥) السابق، (عبك)، ٢٧/ ٢٦٢.

(٦) الصاغاني، **الشوارد**، (عبك)، ١/ ١٦٠.

(٧) الأزهري، **تهذيب اللغة**، (بعك)، ١/ ٢١٢.

والاشتقاق السابق جرى بتكرير الكاف في (بعك) بعد زيادة الباء هكذا: (عك ← بعك ← بعككَ). وقد أعقب تكرير الكاف نشأة الاسم المزيد بالواو الوارد في قول ابن دريد: "وبَعكوكة النّاس: مجتمعهم. ومنه اشتقاق بَعْكَك وهو اسم رجل... ويُقال: دخل في بَعكوكة القوم، أي: جَماعَتهم. وتبعككَ القَوْم، إذا ازدحموا"[١]. وقد عدّ الأزهري ما جاء على (فَعْلولة) نادراً، فـ: "أكثر كلامِهم على فُعلولة وفُعلول، مثل بُهلول وكُهْلول وزُغلول"[٢].

وزيدت اللّام حشواً بعد زيادة الباء صدراً؛ فنشأ الرباعيّ (بلعكَ)، ومنه: بَلْعَكَه بالسَّيْف: قطعَه[٣]. وناقة بَلْعَكٌ: ضخمة ذَلول، ورجُل بَلْعَك: بَليد[٤]. والنّاقةُ البَلْعَكُ – كما يقول ابن دريد– هي اللَّحْمِ. وقد صرح بزيادة اللّام؛ لأنه من (البَعْك)، وهو التَّجَمُّعُ[٥]. وكذا نرى أنَّ النون زيدت كسعاً بعد زيادة الباء فنشأ الاسم (البَعْكَنة) المستعمل في قولهم: رمْلةٌ بَعْكَنة: غَليظة تشتدُّ على الماشي فيها[٦].

فبزيادة الباء كسعاً وحشواً وصدراً في الأصل الثنائي (عك) نشأت الأبنية: عكب وبعك وعبك؛ وهذا ما دفع ابن جني إلى القول بنشأة مثل هذه الأبنية بوساطة التقاليب أو ما يسميه بالاشتقاق الأكبر الذي ذهب في بيانه إلى القول: "أنْ تأخذ أصلاً من الأصول الثلاثة فتعقد عليه وعلى تقاليبه الستة معنى واحداً تجتمع التراكيب الستة وما يتصرّف من كلّ واحد منها عليه"[٧].

---

(١) ابن دريد، **جمهرة اللغة**، (بعك)، ١/ ٣٦٥.

(٢) الأزهري، **تهذيب اللغة**، (بعك)، ١/ ٢١٢.

(٣) الفيروزآبادي، **القاموس المحيط**، (بلعك)، ٩٣٤/١.

(٤) ابن سيده، **المحكم والمحيط الأعظم**، ٢/ ٤٢٢.

(٥) ابن فارس، **مقاييس اللغة**، ١/ ٣٣٤.

(٦) الأزهري، **تهذيب اللغة**، (بعنك)، ٣/ ١٩٧.

(٧) ابن جني، **الخصائص**، ١٣٦/٢.

وفكرة التقاليب هذه تتّفق –في الظاهر– مع الزيادة في المواقع الثلاثة من الأصل الثنائي، فهي تتّكئ على ثلاثيّ من قبيل (عكب) فتجعله أصلاً قائماً برأسه، ومن ثم تتولد منه بالتقليب الأنماط: (بعك) و(عبك) و(بكع) و(كعب) (كبع). والذي لا نشك فيه هو أنَّ (بعك) و(عبك) و(عكب) من الأصل (عك) بزيادة الباء في المواقع الثلاثة، وأنَّ (بكع) و(كعب) (كبع) من أصل ثنائي آخر، وهو (كع) بزيادة الباء –أيضاً– في المواقع الثلاثة.

ولو عدنا إلى معجمات العربية لرأينا شيئاً من التقارب الدلالي الواضح بين مشتقات هذين الأصلين الثنائيينِ، وهذا ما يدعونا إلى القول بأن اللغة ربما أفادت في مراحل استعمالها الأوليّة للأصول الثنائية من تقليب الأصل الثنائي الواحد، فاستعملت (عك) ومن بعد (كع) أو العكس؛ فصار كل واحد منهما عرضةً للتطور بزيادةِ صوامت فيه تكون أخفّ من العين والكاف. وقد تركت اللغة ما يمكن أن يكون دالاً على ذلك من استعمالها لكثير من الثنائيات المضاعفة بمعان متقاربة أو متطابقة، كقول الخليل في (سدّ) و(دسّ): رأيت سُدّاً من جَرادٍ، أي: قِطعةً سَدَّت الأفق. والسُّدُّ من السَّحاب هو الذي يَسُدُّ الأفق. ودَسَسْتُ شيئاً في التُّرابِ، أو تحتَ شيءٍ أي: أَخفَيْت[١]. وقوله: جرّ الشَّيء ورجّه بمعنى سحبَه، وحرّكَه[٢].

٢. زيادة التاء. زيدت حشواً فقط في قولهم: عَتَكَ اللَّبن والنَّبيذُ: اشْتَدَّتْ حُموضَتُه، وعَتَكَ البَولُ على فَخِذ النّاقةِ: يَبِسَ[٣].

٣. زيادة الثاء كسعاً وحشواً. وقد أفضت هذه الزيادة إلى نشأة الفعل (عكث) الذي أُميت استعمالُه على حدّ قول ابن دُريد: "العَكث أميت أصل بنائِه، وهو اجْتِماع الشّيء والتئامه زعموا." وذكر ابن دريد الاسم (العَنْكَث) فجعل أَصله من الفعل

(١) الخليل، **العين**، (سد)، ٧/ ١٨٤، ١٨٥.

(٢) السابق، (جر)، ٦/ ١٢، ١٣.

(٣) الزَّبيدي، **تاج العروس**، (عتك)، ٢٧/ ٢٦٣.

الرباعي: تعنكثَ الشيءُ، إذا اجْتمع[1]. وفي موضع آخر نصّ على زيادة النون بقوله: "ومنه اشتقاق عَنْكَثة، النّون زائدة. والعَنْكَث: ضرب من الشّجر؛ سمي عَنْكَثاً لاجتماعه وتكاثُف وَرَقه"[2]. وقد شكّ الأزهريّ في استعمال الثلاثي (عكث)، يقول: "وأمّا عكث فإنّي لا أحفظ في ثلاثيّه حرفاً أعتمده. وفي رُباعيه العَنْكَث، وهو نبتٌ معروف، وكأنّ النّون فيه زائِدة"[3].

وهي زائدة دون شكّ، بيد أنَّ ما ذهب إليه هذان العالمانِ من موت الثلاثي السابق أو عدم استعماله ينفيه ورودُه في المعجمات اللّاحقة مستعملاً، يقال: عَكَثَ بمعنى خلَطَ، ولم يُنصّ على موته فيها، وكذا ذكرت هذه المعجمات استعمال (العَكْث) بمعنى الوَبَر الكثير، والعَكيثة، وهي طعامٌ[4]. وهذا المرويّ يصحّح ما ذهب إليه الزَّبيديّ –أيضاً– من أنّهم لم يسْتَعْمِلوا (عكثَ) ثُلاثِيّاً مجرداً، وإنّما استعملوه: "مَزيداً، كما يَدُلّ لذلك قَوله: وتعَنْكَثَ الشَّيءُ: اجتَمَعَ، نقله الصاغانيّ"[5].

ويلزم الزّبيديّ النصّ على زيادة النون اللغوية أولاً، ومن بعد يشير إلى زيادة التاء الصرفية؛ لأن (عنكثَ) في منهج القدماء يُعدّ رباعياً مجرداً، ومزيده بالتاء هو (تعنكثَ).

وزيدت الثاء حشواً في نحو: العَثَك أو العُثُك، وهي عُروقُ النَّخْلِ. والأَعْثَكُ: الأَعْسَرُ من الرِّجال. والعَثَكة: الرَّدَغةُ من الطِّينِ[6].

ولا تخفى دلالة هذه الأسماء على الجمع والاختلاط، وهي دلالة تبيح لنا القول بزيادة اللّام في ثلاثيّ هذه الأسماء لبناء الفعل الرباعي: تعَثْكَلَ العِذْقُ، إذا كثُرَت

(١) ابن دريد، **جمهرة اللغة**، ٢/ ١١٣٢.
(٢) السابق، (عكث)، ١/ ٤٢٦.
(٣) الأزهري، **تهذيب اللغة**، (عكث)، ١/ ١٩٩.
(٤) ابن فارس، **مجمل اللغة**، (عكث)/ ١/ ٦٢٤، الحميري، **شمس العلوم**، (عكث)، ٧/ ٤٦٩٩.
(٥) الزَّبيدي، **تاج العروس**، (عكث)، ٥/ ٣٠١.
(٦) السابق، (عكث)، ٢٧/ ٢٦٨.

شَماريخُه. وكذا الحال في بناء الاسم الرباعي: العَثْكَلة بمعنى الثَّقيل من العَذْوِ. وإلى هذا الاسم تنتمي الأسماء المزيدة بالواو، وهي: العُثْكول، والعُثْكولةُ بمعنى العِذْق أَو الشِّمْراخ، وما عليه البُسْرُ من عيدانِ الكِباسة، وهو في النَّخْلِ بمَنْزلة العُنْقودِ من الكَرْم، والعُثْكولةُ: ما عُلِّقَت على الهَوْدَج، من عِهْنٍ، أو زِينةٍ، أَو صوفٍ، فتذَبْذَبَت في الهواءِ[1].

٤. زيادة الدال كسعاً، ومنها قولهم: عَكِدَ الضَّبُّ، إذا سَمِنَ وصَلُب لحمُه. والعُكْدة: أصل اللِّسان وعُقدته[2]. ومن هذا الثلاثي بني –بزيادة الباء كسعاً كما نرى– الاسم الرباعي الوارد في قول ابن منظور: "قال الأَزهري: يُقالُ لبيت العَنْكَبوتِ: العُكْدُبة"[3]. ونشأ من (عكد) –أيضاً– الفعل الرباعي (عكردَ) بزيادة الراء حشواً لا الدال. وقد أجاز أبو موسى الأصبهاني (ت٥٨١هـ) الوجهين بقوله: "عكْرَدَ البَعيرُ والغُلامُ، إذا سَمِن وغَلُظ وقوِي... والرّاءُ أو الدّالُ زائدة، والأَصل عَكِرَ أو عَكِدَ"[4].

وسبب زيادة الراء دون الدال هو أن نشأة الأبنية الرباعية والخماسية تقوم على زيادة الأصوات الخفيفة التي سبق بيانها، والتمثيل لها من اللهجات الفصيحة والدارجة، وزيادة الدّال في (عك) تناسب ما ذكرناه من كون زيادات الأصول الثنائية يجب أن تكون أخفّ من صامتي هذه الأصول؛ وعليه تكون الراء هي المزيدة في (عكرد) بالضرورة.

وذكر الخليل الاسم (العِلْكِد)، وهو الشَّديد العُنُق والظَّهْر، ويقال: رَجُلٌ عَلْكَدٌ وامرأةٌ عَلْكَدةٌ، ويُثَقَّل الدال عند الاضطرار[5]. والاسم ناشئ بزيادة اللام قبل الكاف، فهو

---

(١) الزَّبيدي، **تاج العروس**، (عثكل)، ٢٩/ ٤٣٠، ٤٣١.

(٢) الخليل، **العين**، (عكد)، (عسك)،١/ ١٩٣.

(٣) ابن منظور، **لسان العرب**، (عكدب)، ١/ ٦٢٧.

(٤) الأصبهاني، **المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث**، (عكرد)، ٢/ ٤٨٦.

(٥) الخليل، **العين**، (علكد)، ٢/ ٣٩٦.

كما نرى من (عكد). وقد نقل الفيروزآبادي بناء رباعي آخر من (عكد) بزيادة اللام حشواً بعد الكاف، يقول: "لَبَنٌ عُكَلِدٌ... خاثِرٌ، وقيل: لامُه زائِدةٌ"[١].

والصحيح أن تأصيل الاسم (عُكَلِد) بمعزل عن بعض الأبنية الرباعية المماثلة له في الدلالة لا يستقيم حتّى نقف على مراحل مختلفة من تطور صوت الجيم في العربية واللغات السامية.

فثمة من يرى من الباحثين المحدثين أنَّ أصل الجيم الفصيحة المنطوقة في نحو: شَجرة وجَمَل هو نطقها المفرد المسموع الآن في لهجة أهل القاهرة[٢]. وبسبب "قانون الأصوات الحنكيّة" ينتقل نطق الجيم المفردة من أقصى الحنك إلى وسطه، إذا جاء بعدها كسرة؛ ولطرد هذا التطور على وتيرة واحدة في العربية وتعميم القياس فإن الجيم المفردة تنتقل إلى التركيب حتى لو جاء بعدها فتحةٌ أو ضمّة. وانتقالُ نطقها إلى وسط الحنك يؤدّي بها إلى أنْ تصير مركبةً من صوتين معاً، هما الدّال اللِّثوية الأسنانية والشين المجهورة (دْش). وهي بهذا النطق المركّب تشارك الياءَ الفصيحة في مخرج وسط الحنك[٣].

وذكر هؤلاء الباحثون تطوراً آخر، وهو أن تركيب الجيم من صوتين مدعاةٌ لثقلِ النطق بها؛ لذا يُصار إلى إبدالِها ياءً، وهو إبدال مسموعٌ في جنوبي العراق، وبعض دول الخليج العربي في مثل نطقهم: مَسْيد بدلَ مَسْجِد و: دَياي بدل دَجاج، وهذا الثقل مدعاةٌ –أيضاً– إلى تطور آخر، وهو ما يسميه بعضُهم (انْحلالَ الجيم المركبة) في الاستعمال إلى مكونيها: الدال أو الشين ومن أمثلته نطقُ أهل مدينة

(١) الفيروزآبادي، **القاموس المحيط**، (عكلد)، ١/ ٣٠١.

(٢) بركلمان، كارل، **فقه اللغات السامية**، ٤٨، الشايب، فوزي، **محاضرات في اللسانيات**، ١٧٣.

(٣) عبد التواب، رمضان، **التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه**، ١٣٢، ١٣٣.

جَرْجا المصريّة اسم مدينتهم بالدال هكذا: دَرْدا، ونطق أهل الشام للجيم في الاسم جمال شيناً[1].

وسبب انحلالها هو ثقل تركيبها، يقول سمير إستيتية: "الأصوات المركبة تحتاج إلى جهد عضلي أكبر من الجهد العضلي الذي تحتاج إليه الأصوات غير المركبة"[2].

وممّا سبق نرى أنَّ بعض مراحل هذا التطور تطالع في الاسم السابق (العُكَلِط) الذي كان ينطق في بعض اللهجات الفصيحة بالجيم المفردة (القاهرية) التي ترسم بصورة الكاف الفصيحة؛ لعدم وجود صورة كتابية لها، وقد ذكر ابن دريد هذه الجيم التي وصفها بأنّها بين الجيم والكاف، ورسمها بالكاف، ونَسَب هذا النطقَ إلى اللهجة اليمانية، يقول: "وهي لغة سائرة في اليمن، مثل جَمَل إذا اضطروا قالوا كَمَل بين الجيم والكاف"[3].

وقد ورد الاسم (العُكَلِط) بمعنى اللَّبن الخاثر، يقول الزَّبيدي:" يُقالُ للخاثِر من الأَلْبان الغَليظِ: هُدَبِدٌ، وعُثَلِطٌ، وعُلَبِطٌ، وعُكَلِطٌ، قال ابنُ بَرّيّ: هو مقصورٌ من عُكالِطٍ، كأَخَواتِه"[4]. ويظهر أن الطاء أبدلت دالاً في بعض المروي، لقول نشوان الحِمْيَريّ: العُكَلِد مثل العُكَلِط، وهو اللّبن الخاثر[5]. ويقال أيضاً: لَبَنٌ عُكَلِدٌ وعُكالِدٌ، وقد ذكر الزَّبيدي أنه كعُكَلِطٍ، وصرّح بزيادة لامه، فضلاً عن نقله العُكَلِد والعُلَكِد بمعنى الغَليظ الشَّديد العُنُقِ والظَّهْر من الإبل وغيرها، أو هو الشَّديدُ عَامّةً[6].

---

(١) عبد التواب، المصدر السابق،١٣٣، ١٣٤، الشايب، **محاضرات في اللسانيات**، ١٧٣.

(٢) إستيتية، **الأصوات اللغوية رؤية عضوية ونطقية وفيزيائية**، ١٧٤.

(٣) ابن دريد، **جمهرة اللغة**، ٤٢/١.

(٤) الزَّبيدي، **تاج العروس**، (عقط)، ٤٨٢/١٩.

(٥) الحميري، **شمس العلوم**، ٧/ ٤٦٩٦.

(٦) الزَّبيدي، **تاج العروس**، (عكلد)، ٨/ ٤٠٦.

وذكر الخليل معنى (عجلط) بما يبين لنا انتقال نطق الجيم المفردة (القاهرية) إلى التركيب، أي: الانتقال من (العكلط) إلى (العجلط) يقول: "العُجَلِط: اللَّبن الخاثِر الطيِّبُ من الألبان، ويُجمع عَجالِط، وعُجالِط لغة"[١]. ويؤكد ذلك –أيضاً– تأصيل ابن فارس الوارد في قوله: "العُجَلِدُ: اللَّبَنُ الخاثِرُ. وهذا مِمّا زيدت فيه العينُ، كأنّه شُبِّهَ بالجِلْد في كَثافَته. والعُجَلِطُ مثلُه، والطّاءُ بَدَلُ الدَّالِ"[٢]. وقد روي فعله الرباعي، وهو: تَعَجْلَدَ الأَمرُ، إذا عظُمَ، واشتَدَّ[٣].

ويبدو أنَّ الدال هي المُبدلة من الطاء في الاسم (العُكَلِد) و(العُجَلِد)، لا العكس كما ذكر ابن فارس؛ لأنّ الطاء أثقل نطقاً من الدال للإطباق، يقول سيبويه: "ولولا الإطباق لصارت الطاء دالاً"[٤]. وأمّا الزائد فيهما فهو اللّام كما نقل الفيروزآبادي والزّبيدي في الاسم (العُكَلِد)، وهي زيادة تتفق مع بناء الأمثلة الرباعية بالأصوات الخفيفة، خلافاً لما ذهب إليه ابن فارس من زيادة العين الثقيلة في (العُجَلِد) بدلاً من اللام؛ اتكاء على مشابهة دلالية بعيدة بين هذا الاسم الرباعي والثلاثي (الجِلْد) بجامع ما سماه بالكَثافة.

ولا تقتصر فائدة التأصيل الثنائي على ما ذكرناه؛ لأنّنا في كثير من الأبنية الثلاثية كنا نتوقع نشأة أبنية رباعية معينة منها بزيادة الصوامت الخفيفة، ولكنّها أُهملت في المعجمات المتقدمة، وبالبحث عنها نجد أنّها صارت من مستدركات المعجمات اللّاحقة. ومن ذلك شكّنا الذي قادنا إلى أن العربية ربما أفادت من الثلاثي (عكد) بزيادة النون، بعد بنائه من (عك). وبالاستقراء تبيّن أنّه من مهمل كثير من المعجمات، كالعين وجمهرة اللغة... ولكن ثبت استعمال (العَنْكَد) لضَرْب من السمك

---

(١) الخليل، **العين**، (عجلط)، ٢/ ٣١١.

(٢) ابن فارس، **مقاييس اللغة**، ٤/ ٣٦٢، ٣٦٣.

(٣) الفيروزآبادي، **القاموس المحيط**، (عجلد)، ١/ ٢٩٧.

(٤) سيبويه، **الكتاب**، ٤/ ٤٣٦.

البحري[١]. وهو الصُّلْبُ والأحْمَقُ[٢]. ونص الزَّبيدي على إهمال (العنكد) لدى الجوهري، ومن ثمَّ نراه يكتفي بما أورده ابن منظور والفيروزآبادي[٣].

وأورد ابن منظور في (كنعت) ما نصه: "الكَنْعَتُ: ضَرْبٌ مِنْ سَمَك البَحْر، كالكَنْعَد، وأُرى تاءَه بدَلاً[٤]. ولم يشر إلى (العَنْكَد)، واحتمال أن يكون بينهما قلب مكاني.

نعود لاستكمال زيادة الدال صدراً في الاصل (عك)، وهي الزيادة التي أنشأت الثلاثي (دعك)، ومنه قولهم: دعَكَ الخَصْمَ، إذا ليّنَه وذَلَّلَه، أو مَرَغَه في التُّراب. وخَصْمٌ مُداعِكٌ، ومِدْعَك، أَي: أَلَدُّ شديدُ الخُصومةِ. وتَداعَكوا: اشْتَدَّت خُصومَتهم بينَهم[٥]. ومن هذا الثلاثي نشأ –بزيادة اللام حشواً– الاسم الرباعي: الدَّلْعَك، وهي النّاقة الضَّخْمة معَ استرخاء فيها، أو هي الثَّقيلة[٦]. ونشأ منه –أيضاً– الفعل (دعكرَ) الذي استُعمل مزيده: ادعنْكَرَ الليلُ، إذا أقبَلَ[٧]. أو أَسرع، وادْعَنكَرَ عليهم بالفُحْش، إِذا انْدَرَأَ عليهم بالسّوء[٨]. وقد أصاب ابن فارس في تأصيله (الادْعِنْكار) –بالمعنى السابق– بحمله على الثلاثي (دَعَكَ) بزيادة الراء[٩].

---

(١) ابن فارس، **مقاييس اللغة**، (عنكد)، ٣/ ٣١١.

(٢) الفيروزآبادي، **القاموس المحيط**، (عنكد)، ١/ ٣٠٢.

(٣) الزَّبيدي، **تاج العروس**، (عنكد)، ٨/ ٤٣١.

(٤) ابن منظور، **لسان العرب**، (كنعت)، ٢/ ٨٢.

(٥) الزَّبيدي، **تاج العروس**، (دعك)، ٢٧/ ١٤٨ – ١٥٠.

(٦) الأزهري، **تهذيب اللغة**، ٣/ ١٩٧.

(٧) ابن القطاع، **كتاب الأفعال**، ١/ ٣٨٣.

(٨) ابن منظور، **لسان العرب**، (دعكر)، ٤/ ٢٨٧.

(٩) ابن فارس، **مجمل اللغة**، ٢/ ٣١٤.

وبزيادة اللّام كسعاً في (دعك) نشأ الرباعي: الدَّعْكَلةُ، وهو أنْ تُدَعْكَلَ الأرْض بالأرْجُل وَطْأً[1]. وكذا زيدت النون فيه كسعاً فنشأ الاسم الرباعي: الدَّعَكْنة، وهي النّاقة الصُّلْبة الشَّديدة[2].

وزيدت الدّال حشواً في الأصل الثنائي (عك) فنشأ الثلاثي: عدَكَ والعَدْك، وقد انفرد ابن دريد برواية استعمالهما في اللهجة اليَمانِية، بمعنى ضَرْب الصُّوف بالمِطْرَقة[3]. ودلالة الضرب مشتركة بين بعض الأنماط الناشئة من هذا الأصل.

٥. زيادة الراء. أشار الخليل في (باب العين والكاف والراء معهما) إلى استعمال (ع ك ر) و(ع ر ك) وهما المزيدان بالراء كسعاً وحشواً، وأمّا (رع ك) فعده مهملاً، وهو ما كنا نتوقّع بناءه بزيادة الراء صدراً. وممّا لا شك فيه أن الخليل ذكر المستعملات: (ك ع ر، ك ر ع، ر ك ع)؛ لاستيفاء تقليب المادة الثلاثية (عكر)على ستة تقليبات. وهذه التقليبات الثلاثية الأخيرة المستعملة هي من أصل ثنائي آخر، وهو (كع) بزيادة الراء كسعاً وحشواً وصدراً، على ما نرى. ولكون الخليل لا يرى هذا الرأي –أي نشأة الأبنية بزيادة الراء– لهذا فالتقليبات لديه تمثل ست موادّ ثلاثية، وإن لم يعدّ التقليب نظريةً اشتقاقية، كابن جني، بل هي فكرة إحصائية للمهمل والمستعمل ممّا يأتلف من الأبنية الثلاثية من مجموع الأصوات (ع ك ر). فضلاً عن كونها فكرة منهجية تنظيمية؛ فبدلاً من إفراده باباً لكل مادة من هذه التقليبات في موضع مختلف عن الآخر صار إلى جمعها في موضع واحد على حسب ترتيبه الصوتي المعروف.

والتقليب الذي يعنينا هو المزيد بالراء كسعاً، وهو: عكرَ على الشيء، بمعنى انصرافه عليه بعد مضيه عنه، واعتكر اللّيلُ إذا اختلط سوادُه والتَبَسَ، واعتكرت الريح

---

(١) ابن عباد، **المحيط في اللغة**، ١/ ١٣٦.

(٢) ابن سيده، **المحكم والمحيط الأعظم**، (عك)، ٢/ ٤١٩.

(٣) ابن دريد، **جمهرة اللغة**، (عدك)، ٢/ ٦٦٣.

إذا جاءت بالغبار. والعَكَرُ: القطيع الضَّخم من الإبل فوق خمسمائة، ورجالٌ مُعتكرونَ، أي: كثير[(١)]. وأورد ابن دريد في (عكر) ما نصه: "العَكَر: كلّ ما ثارَ من ماء أَو شراب حَتّى يَخْثُرَ، عَكِرَ الماءُ وغيرُه يعكَر عَكَراً. واعتكر الليلُ، إذا كثفت ظلمتُه. واعتكر القومُ في الحَرْب، إذا اختلطوا"[(٢)].

ونرى أنَّ هذا الثلاثيَّ صار مصدراً لاشتقاق الفعل الرباعي (عنْكَرَ) بعد زيادة النون حشواً قبل القاف؛ لقولهم: أعْكَرَ السَّنامُ وعَنْكَرَ، إذا صارَ فيه شَحْمٌ[(٣)].

ويعنينا –أيضاً– (عرك) الذي يدل على زيادة الراء حشواً، وقد استُعمل منه: عَرَكْتُ الأديم، بمعنى دَلَكتُه وعَرَكَه بَشر، إذا كرّرَهُ عليه، وعرَكَ البَعيرُ عَركاً، إذا حَزَّ جَنْبَه بمِرفَقِه ودَلكه، فأثَّرَ فيه حتّى خَلص إلى اللَّحْم وقَطَع الجِلْدَ[(٤)]. وقد نشأ من الثلاثي (عرك) البناء الخماسي (العَرَكْرَك)، وهو الجَمَلُ القَوِيُّ الغَليظُ[(٥)]. ونشأتُه تقوم على تكرير الراء والكاف؛ لقول الخليل: "العَرَكْرَكُ الرَّكَبُ الضخم من أركاب النساء. وأصله من الثلاثيّ ولفظه خماسيّ، إنما هو من العَرْك، فأُردفَ بحرفين"[(٦)].

وأما (رعك) المزيد بالراء صدراً فقد انفرد ابن فارس برواية استعمال الاسم منه عن ابن السِّكِّيت، وهو: الراعكُ من الرجال بمعنى الأحمق[(٧)]. وقد تكرر هذا المعنى في غير مشتق من مشتقات الأصل (عك). والأحمق لا يكون كذلك إلّا استحكم فيه الجهل واشتدت بلادته، وهو معنى يجعل (رعك) الذي جاء منه (الرّاعك) من مشتقات الأصل الثنائي (عك).

---

(١) الخليل، **العين**، (عكر)، ١/ ١٩٦، ١٩٧.

(٢) ابن دريد، **جمهرة اللغة**، (عدك)، ٢/ ٧٧٢.

(٣) الفيروزآبادي، **القاموس المحيط**، (عكر)، ١/٤٤٤.

(٤) الزَّبيدي، **تاج العروس**، (عرك)، ٢٧/ ٢٦٨.

(٥) الزَّبيدي، المصدر السابق، (عرك)٢٧/ ٢٧٠، ٢٧١.

(٦) الخليل، **العين**، (عكر)، ١/ ١٩٨.

(٧) ابن فارس، **مجمل اللغة**، (رعك)، ١/ ٣٨٣.

٦. زيادة الزاي صدراً، ومنها ما ذكره ابن دريد بقوله: "الزَّعْك: فعل ممات، ومنه اشتقاق قولهم: رجل أزْعَكِيٌّ، وهو الدَّميم، وذكر يونُس أَنه سمع: رجل زُعْكوكٌ، قصير مجتمعُ الخَلْقِ"[١]. وأورد ابن منظور (الزُّعْكوك) بمعنى السَّمين من الإِبِل[٢]. وقد بنت اللغة من (زعك) نمطاً رباعياً بزيادة الباء وتكريرها؛ لقولهم: رَجُل زَبَعْبَك وزبَعْبَق: حَديد، فيه سَوْرة، أَي: حدّةٌ[٣]. ورَجُلٌ زَبَعْبَكٌ وزَبَعْبَكِيٌّ: فاحِشُ، وهو –أيضاً– الذي لا يُبالي ما قيل له من الشَّرِ، وروي بالدال هكذا: الدَّبَعْبَك، والدَّبَعْبَكِيّ[٤].

وزيدت الزاي كسعاً دون الحشو في النمط الاستعمالي: عَكِزَ الرَّجُل بمعنى تقبّض[٥]. والعَكِزُ: الرجلُ السَّيّئُ الخُلُق، وهو البخيل المَشْؤومُ. وقد بنت العربية من هذا الثلاثي بزيادة اللام كسعاً الاسم الرباعي (العَكازيل)، الذي أهمله المعجميون جميعاً، باستثناء قول ابن عَبّاد فيه: "العَكازيل بَراثِنُ الأسَد"[٦]. هكذا رواه جمعاً. ودلالة الجمع والشَّدة واضحة لا تخفى في هذا الاسم. وعلى هذا النحو نشأ –بزيادة اللام حشواً– الاسم: العِلْكِز والعَلْكَز بمعنى الغليظ والصُّلب أو الشَّديد العَظيم[٧]. ومن هذا الاسم الرباعيّ نشأ الاسمُ الخماسيُّ (العَلَنْكَز) بزيادة النون، يقول الزَّبيدي: "العلْكز... أَهمله الجوهريّ والصّاغانِيّ. وفي اللِّسان: هو الرَّجُل الغليظُ الشَّديدُ الصُّلْبُ الضَّخْمُ العظيمُ، كالعَلَنْكَزِ... والنّون زائِدة"[٨].

---

(١) ابن دريد، **جمهرة اللغة**، (زعك)، ٢/ ٨١٥.

(٢) ابن منظور، **لسان العرب**، (زعك)، ١٠/ ٤٣٦.

(٣) ابن سيده، **المخصص**، ٤/ ٨١.

(٤) الزَّبيدي، **تاج العروس**، (زبعك)، ٢٧/ ١٨٢.

(٥) ابن دريد، **جمهرة اللغة**، (زعك)، ٢/ ٨١٥.

(٦) ابن عباد، **المحيط في اللغة**، ١/ ١٣٦.

(٧) ابن سيده، **المحكم والمحيط الأعظم**، ٢/ ٢١٨، الفيروزآبادي، **القاموس المحيط**، (علكز)، ١/ ٥١٨.

(٨) الزَّبيدي، **تاج العروس**، (علكز)، ١٥/ ٢٤٣.

ومن الثلاثي (عكز) نشأ –بزيادة الميم حشواً بعد العين– الرباعيّ الذي انفرد ابن سيده بروايته، وهو: "تكعمزَ الفراشُ: انتضت خيوطُه واجْتمعَ صوفه"[1]. وقد أورد ابن منظور في مادة (عكمز) الأسماء التي بنيت بزيادة الميم كما نرى، وهي: العُكْموز، وعُكْموزة والعُكْمُز، وهي التّارّة الحادِرة الطويلةُ الضَّخْمةُ. ويُقالُ للأَيْر إذا كان مُكْتَنِزاً إنه لَعُكْمُزٌ[2]. وروي (العُكْبُز) بالباء لمعنى الجمع، على النحو الوارد في نقل الزَّبيدي: "العُكْبُز، بالضَّمّ: أَهمله الجوهريّ وصاحب اللِّسان. وقال الصّاغانِيّ: هو حَشَفةُ الإنسان. باؤُه مُنقلِبةٌ عن الميم"[3].

والصحيح أن الصاحب بن عباد هو أول من ذكر هذا المعنى؛ لقوله:" ويُقال لذَكَرِ الرَّجُل عُكْبُزٌ، وجمْعُه عَكابِزُ، ويُقال بالميم أيضاً"[4].

٧. زيادة السين كسعاً في قولهم: عكَسَ الشيءَ، إذا رَدّ آخِره على أَوَّله. وعكَس البَعيرَ: شَدَّ عُنُقَه إلى إحدى يَدَيه وهو بارِكٌ. أو شدّ حَبْلاً في خَطْمه إلى رُسْغِ يَدَيه ليَذِلَّ. وعكَسَ الشيءَ: جذَبَه إلى الأَرض فضغَطَه شَديداً ثمّ ضرَبَ به الأَرْضَ. والعَكيسُ من اللَّبَن: الحَليبُ تُصَبُّ عليه الإهالةُ والمَرَقُ فيُشرَبُ. والعَكيسةُ من اللَّيالي: الظَّلْماءُ، وهي الكَثيرُ من الإبِل[5]. ومن الثلاثي(عكس) نشأ –بزيادة الباء كسعاً– الرباعيّ: عكسبَ، إذا مشى مشية السَّكْران"[6].

وبزيادة الباء حشواً نشأ الرباعيُّ: عَكْبَسَ البَعيرَ، إذا شَدَّ عُنُقَه إلى إحدى يَدَيه، وهو بارِكٌ. وتعَكْبَسَ الشّيءُ: تَراكَمَ ورَكِبَ بعضُه بعضاً. والعُكَبِسُ: الكَثيرةُ من الإبِل،

(١) ابن سيده، **المحكم والمحيط الأعظم**، ٢/ ٢١٨.
(٢) ابن منظور، **لسان العرب**، (عكز)، (عكمز)، ٥/ ٣٨٠.
(٣) الزَّبيدي، **تاج العروس**، (عكبز)، ١٥/ ٢٤٢.
(٤) ابن عباد، **المحيط في اللغة**، ١/ ١٣٦.
(٥) الزَّبيدي، **تاج العروس**، (عكس)، ١٦/ ٢٧٢ – ٢٧٤.
(٦) ابن سيده، **المحكم والمحيط الأعظم**، ٢/ ٢١٨.

أو التي تُقارِبُ الألفَ، وهو لُغةٌ في العُكَمِسِ والعُكامِس، باؤُها بدلٌ من الميم[١]. وروي فيه: العُمْكوس والعُكْموسُ والكُعسومُ والكُسْعومُ. وقد ذكر ابن سيده أنَّ (الكَعْسَم) الحمارُ الوحْشِيُّ، يمانِية، والعُكْسوم والكُسْعوم الحِمار حِمْيَرِيّة"[٢].

وذهب الزَّبيدي إلى أنَّ (العُكْموس) مقلوب من الكُسْعومِ والعُكْسومِ[٣]. وفي موضع آخر قال: "العُكْسومُ... الحِمارُ، حِمْيَرِيّةٌ... وكذلك الكُعْسومُ والكُعْموسُ، واخْتُلِف فيه فقيل: إنَّه من الكَعْسِ والمِيمُ زائِدةٌ، والعُكْسومُ مقلوبةٌ. وقيل: أصلُه الكَعْمُ والسّينُ زائِدةٌ"[٤].

وقد يصحّ القلب وزيادةُ الميم، وأمّا زيادة السين فنراها لا تصحّ، فالميم أحقُّ بالزيادة لخفتها بالمقارنة مع ثقل السين.

وزيدت الراء حشواً في (عكس) فنشأ الرباعي: عَرْكَسَ الشيء: جَمَع بعضَه على بعضٍ. ومنه المزيد: اعْرَنْكَسَ، إذا ارْتَكَمَ وتراكَبَ، واجْتَمَع بعضُه على بعضٍ. ولَيْلة مُعْرَنْكِسة: مُظْلمة[٥].

وزيدت –أيضاً– اللام حشواً بين الكاف والسين فنشأ الرباعي: عَكْلَسَ الشَّعرُ، إذا سُقي الدِّهانَ ومارسَ بالأشياء حتى يكبُر ويطول. وكذا زيدت اللام بين العين والكاف فنشأ الرباعي (علكس) الذي استُعمل مزيده: اعلَنْكَسَ الشَّعرُ، إذا اشتدَّ سوادُه وكَثُرَ. والمُعْلَنْكِس من اليَبيس: ما كثُرَ واجْتَمَعَ. وهو –أيضاً– المُتَراكِم من الرَّمْل،

(١) الزَّبيدي، **تاج العروس**، (عكبس)، ١٦/ ٢٧٢.
(٢) ابن سيده، **المخصص**، ٢/ ٢٧١.
(٣) الزَّبيدي، **تاج العروس**، (عكمس)، ١٦/ ٢٧٥.
(٤) السابق، (عكسم)، ٣٣/ ١٢٦.
(٥) السابق، (عكمس)، ١٦/ ٢٧٥.

والكثير من كلّ شيءٍ. ورجلٌ مُعْلَنْكِس، إذا كان مُقيماً بالبَلَد[1]. ولا ننفي جواز وقوع التبادل الصوتي بين اللام والميم في الأمثلة السابقة.

وكذا زيدت الميم حشواً، فنشأ الرباعي: عَكْمَسَ اللَّيْلُ: أَظْلَمَ. وإِبِلٌ عُكَمِسٌ وعُكامِسٌ: كَثيرةٌ، أَو قارَبَت الأَلْفَ، وكذلك عُكَبِسٌ وعُكابِس، والعُكَمِس والعُكامِس: القَطيعُ الضَّخمُ من الإبل، وكذلك الكُعَمِس والكُعَامِس، ويُروى بالشّين، والسينُ أَعلى. ولَيْلٌ عُكَامِسٌ: مُظْلِمٌ مُتَراكِبُ الظُّلْمةِ شَديدُها، وكُلُّ شيء تراكَبَ وتراكَمَ وكثُرَ حتّى يظْلِمَ من كَثْرتهِ فهو عُكامِسٌ وعُكَمِسٌ[2].

وذهب ابن فارس إلى أنَّ: عَكْمَسَ اللَّيلُ –إذا أَظْلَمَ– منحوت: "من عَكَسَ وعَمَسَ؛ لأَنَّ في عمَسَ معنى من معاني الإِخْفاء، والظُّلْمةُ تُخفِي، يُقالُ: عَمَّسَ عليه الخَبَرَ"[3]. فهو –كما نرى– يتنبه إلى معنى الظلمة الذي هو من المعنى الكليّ (الشدة والاجتماع) الذي اطّرد في مشتقات الأصل الثنائي (عك)، واطّرد لنا تفسير نشأة كثير منها بالزيادة لا النحت.

وأمّا زيادة السين حشواً في الثنائي (عك) فقد أنشأت الثلاثي (عسك)، يقال: عَسِكْتُ بالرجل، إذا لزمتَه ولم تفارقه[4]. ومن معانيه: لَزِقَ بالشيء، وعقدَ ذَنَبَ الدّابّةِ[5]. وقد والى هذا الثلاثي تطوره بزيادة الراء كسعاً؛ فنشأ الرباعي الذي رواه الفيومي (ت٧٧٠هـ) بقوله: "العَسْكَرُ الجَيْشُ... وشَهِدتُ العَسْكَرَينِ، أَي: عَرَفَةَ ومِنىً؛

---

(١) الخليل، **العين**، (علكس)، (عكلس)، ٢/ ٣٠٤، ٣٠٥.

(٢) ابن سيده، **المحكم والمحيط الأعظم**، (عركس)، ٢/ ٤١٧، الزَّبيدي، **تاج العروس**، (عركس)، ١٦/ ٢٥٢، ٢٥٣.

(٣) ابن فارس، **مقاييس اللغة**، (عنكد)، ٤/ ٣٦١.

(٤) الخليل، **العين**، (عسك)، ١/ ١٩٣.

(٥) ابن عباد، **المحيط في اللغة**، (عسك)، ١/ ٢٨.

لأَنَّهما مَوْضِعا جَمْعٍ. وعَسْكَرْتُ الشَّيءَ جَمَعتُه"[١]. وذهب ابن دريد إلى أنَّ: " العَسْكَر فارسيّ معرَّب، وإنَّما هو لَشْكَر، وهو اتِّفاق في اللغتين"[٢]. ونقل الجواليقيّ عن ابن قُتيبة وابن دريد قولهما بتعريبه من اللفظ الفارسي (لَشْكَر)، وهو مجمع الجيش[٣].

وأخذ بهذا الرأي بعضُ المحدثين، فأحدهم يبيّن منهج تعريب (لشْكَر)، بقوله: "أبدلت اللام فيه عيناً (عشكر) ، والشين سيناً (عسكر)، وإنما لم تبقَ العين مع وجود اللام في العربية؛ لأنّ اللام لا توجد هكذا في أمثلة الرباعي إلا في نحو (لَجْلَج)... أما اختصاص (العسكر) بالجيش، فقد عرفه العرب عن طريق اللغة الفارسية؛ إذ سمعوا الفرس يقولون: (لشكر) أي: الجيش المحارِب، فعرّبوها وقالوا: عسكر"[٤].

ولسنا نراه من المُعرَّب، بل هو ناشئ على النحو الذي بيناه، وما كان لنا أن نتوصل إلى حقيقة هذا الاسم لولا تأصيل الأبنية بالمنهج الثنائي؛ فدلالة الفعل (عسكرَ) على الجمع تردّه إلى أصله الثلاثي (عسك) العربي لا الفارسي بزيادة الراء، وهذا الثلاثي من أصله الثنائي (عك) بزيادة السين. وأما زيادة السين صدراً في (عك) فلم تثبت.

٨. زيادة الشين. زيدت كسعاً فقط؛ فنشأ الفعل (عكش)، وقد بين ابن فارس أنَّ العين والكاف والشين أَصْلٌ صحيحٌ يَدُلُّ على التَّجَمُّع. يُقالُ: عَكِشَ شَعْرُه، إذا تَلَبَّدَ، وشَعْرٌ مُتَعَكِّشٌ قد تعَكَّشَ. وقد عَكِشَ النَّباتُ، إذا التَفَّ[٥]. ومن الأفعال الناشئة من (عكش)

---

(١) الفيومي، **المصباح المنير**، (عسكر)، ٢/ ٤٠٨.

(٢) ابن دريد، **جمهرة اللغة**، ٣/ ١٣٢٦.

(٣) الجواليقي، **المُعرَّب**، ٢٧٨.

(٤) عريشي، **أثر التوجيه الشرعي في الدلالة اللغوية**، ٤٧٠.

(٥) ابن فارس، **مقاييس اللغة**، (عكش)، ٣/ ١٠٧، ١٠٨.

بزيادة الباء حشواً الرباعيّ الوارد في قول ابن دريد: "وقال يونُس: يُقال عكبشَه وعكشَبه، إِذا شدَّه وثاقاً. وبالعَكْش سُمّي الرجل عُكاشة"[١]. وقد ذكر ابن القطاع أنَّ (عَكَش) و(عَكشَبَ) بمعنى واحد، وهو شَدّ الوَثاق[٢]. وزيادةُ الميم في (عكش) أدّت إلى نشأة الاسم الرباعي الوارد في قول ابن سيده: "العُكَمِش: القطيع الضّخم من الإِبِل، والسّين أَعلى"[٣].

ومن (عكش) نشأت الأسماءُ المزيدة بالراء حشواً قبل الشين، وهي: العِكْرِش نَباتُ شِبه الثِّيل خَشِنٌ. والعِكْرِشةُ: الأَرْنب الضَّخْمةُ؛ وسمِّيت عِكْرِشةً؛ لكَثْرة وَبَرِها والتِفافِه. والعَكْرَشةُ: التقبُّضُ، وعَجوزٌ عِكْرِشةٌ، لئيمةُ قصيرة[٤]. وفي بعض اللهجات الأردنية استُعمل الفعل الرباعي (عكرشَ) لمعنى الجمع والامتلاء، يقال: عكرشَ فلان، إذا امتلأ بطنُه بالطعام.

ونقل الزَّبيدي عن ابن فارسٍ أحد الأفعال الرباعية الناشئة بزيادة النون في (عكش)، وهو: عَنْكَشَ العُشْبُ، إذا هاجَ، وكثُرَ والتَفَّ، وتَعَنْكَشَ الشيءُ، أي: تَجَمَّع وتَقَبَّضَ[٥]. وقد ذكر ابن دريد من قبل نشأة الاسم (عَنْكَش) بزيادة النون[٦]. وفي اللهجة الأردنية الدارجة استعمل الفعل الرباعي (عنكشَ) للدلالة على معنى الانقباض من مرض أو حزن وما أشبه.

---

(١) ابن دريد، **جمهرة اللغة**، ٣/ ١٢٨٣.

(٢) ابن القطّاع، **كتاب الأفعال**، (عكش)، ٢/ ٣٦٣.

(٣) ابن سيده، **المحكم والمحيط الأعظم**، ٢/ ٤١٦.

(٤) ابن منظور، **لسان العرب**، (عكرش)، ٦/ ٣١٩، ٣٢٠.

(٥) الزَّبيدي، **تاج العروس**، (عنكش)، ١٧/ ٢٨٢. ولم أجد هذا الرأي لابن فارس في "مقاييس اللغة" و"مجمل اللغة".

(٦) ابن دريد، **جمهرة اللغة**، ٢/ ١١٥٧.

وذكر إبراهيم السامرائي استعمال الفعل (عكنش) في االلهجة العراقية بقوله: "عكنش بمعنى انكمش وصار ذا طيات كثيرة. والأصل الثلاثي (عكن) ثم زيدت الشين في الآخر. وقد يكون منحوتاً من (عكن) و(عكش)"[١].

والذي نراه هو نشأة الفعل السابق بزيادة النون الخفيفة لا الشين، وإذا كان من المنحوت، فهلّا أخبرنا السامرائي إن كان الفعل (عكنَ) من المستعمل في العراقية الدارجة حتى يصير الناطق في هذه اللهجة إلى النحت منه ومن (عكش) الرباعي (عكنش)، وكذا نقول: ألا يجوز أن يكون هذا الفعل العامي من مقلوب الفصيح (عنكشَ)؟

وما ذكره القدماء من زيادة النون في (عَنْكَشَ) و(العنكشة) له ما يماثله من المرويّ بالقاف، وهو الفعل (عَنْقَش) الذي ذكره ابن دريد بقوله: "وعَنْقَش: اسم، النّون فيه زائِدة ودفعها الخليل وزعم أَنَّها مصنوعة"[٢]. وزاد الفيروزآبادي: "والعَنْقَشةُ: التَّعَلُّقُ بالشيء، وبلا هاءٍ: الهُزالُ. وتعَنْقَشَ: تلَوّى، وتشَدَّدَ"[٣]. ونرى أنه من الثلاثي (عقش) الوارد في قول ابن دريد: "العَقْش مثل القَعْش سَواء. قَعَشْت الشيءَ، إذا جمعته، وقَعَشتُ العودَ قَعْشاً، إذا عطفته وثنَيته"[٤].

ولا بد لنا من مقارنة ذلك كلّه بالمرويّ بالجيم، وهو الاسم (عُنْجُش)، يقول ابن دريد: "وعُنْجُش، وهو الشَّيخُ المتقبّضُ الجِلد... ولا أعرف زِيادة النّون في عُنْجُش؛ لأَن الاشتقاق لا يوجِبهُ، ولا أعرف في كلامهم عَجَشَ"[٥]. وعليه تصير النون في (عُنْجُش) زائدة، والاشتقاق والتطور يوجِب هذه الزيادة، خلافاً لما ذكر ابن دريد من أنّ الاشتقاق لا يوجِب زيادة النون.

---

(١) السامرائي، **الفعل زمانه وأبنيته**، ١٧٢.

(٢) ابن دريد، **جمهرة اللغة**، ٢/ ١١٥٧.

(٣) الفيروزآبادي، **القاموس المحيط**، ١/ ٥٩٩.

(٤) ابن دريد، **جمهرة اللغة**، (عقش)، ٢/ ٧٦٩.

(٥) السابق، ٢/ ١١٣٩

٩. زيادة الصاد. زيدت كسعاً في نحو: عَكَصَه، إذا رَدَّه، أو صَرَفه عن حاجته. وعكِصَتِ الدَّابّةُ: حَرَنَتْ، وفيها عَكَصٌ، أي: تَدانٍ وتَراكُبٌ في خَلْقِها، وتَعَكَّصَ به عليَّ، أَي: ضَنَّ. ورَجُلٌ عَكِصٌ: لَئيم. والعَكَصُ: العُسْرُ، وسوءُ الخُلُقِ، ورَمْلَةٌ عَكِصةٌ: شاقّةُ المُسْلَكِ، مثلُ عَقِصةٍ[١]. والثلاثي السابق هو مصدر اشتقاق الرباعي (عكمصَ) بزيادة الميم حشواً بعد الكاف، فالعُكَمِصُ: الدّاهِيةُ، والشَّديدُ الغَليظُ. والعَكْمَصةُ: الجَمْعُ، ومالٌ عُكَمِصٌ: كثيرٌ[٢].

ومجيء رملة عَكِصة بمعنى عَقِصةٍ لا يمنع جوازَ التبادل بين الكاف والقاف، أو أنّ نقول بأنّها القاف التي بين القاف والكاف، وهو النطق الشائع في اللهجة التميمية، على نحو قول ابن دريد: "فأمّا بنو تميم فإنَّهم يلحقون القاف باللّهاةِ فتغلظ جداً، فيقولون للقوْمِ الكَوْم، فتكون القاف بين الكاف والقاف"[٣].

وأمّا زيادة الصّاد حشواً فلم يثبت أيّ مستعمل يدلّ عليها، وأمّا زيادتها صدراً في الثنائي (عك) فظاهر الأمر يدل على أن العربية لم تستعمل الثلاثي (صعكَ)، ولكننا نجد ما يدلّ عليه من استعمال العربية للرباعي (صعلكَ)؛ لقولهم: صَعْلَكَ البَقْلُ الإبِلَ، إذا سمّنَها. وصَعْلَكَ الثَّريدةَ: جعَلَ لها رَأْساً، أَو رفَعَ رَأسَها. ورَجُلٌ مُصَعْلَكُ الرَّأْسِ، أي: مُدَوّرُه. والمُصَعْلَكُ، من الأَسْنِمة هي التي كأَنّما حَدرَجْتَ أَعلاه حَدْرَجةً، وكأنّما صَعْلَكْتَ أَسْفَلَه بيدِك، ثُمَّ مَطَّلْتَه صُعُداً، أَي: رفَعْتَه على تلك الدَّمْلَكَة وتلك الاسْتِدارة. وتَصَعْلَكَ الرَّجُلُ: افْتَقَر[٤].

ونحن نصطلح على وسم هذا المسلك اللغويّ بـ: "الفجوة الاشتقاقية" فحينما يُستعمل النمط الرباعي –مثل صَعْلَكَ– مع ما رأيناه من ميل اللغة المُطّرد لبناء

---

(١) الزَّبيدي، **تاج العروس**، (عكص)، ١٨/ ٤٢.

(٢) السابق، (عكمص)، ١٨/ ٤٢، ٤٣.

(٣) ابن دريد، **جمهرة اللغة**، ١/ ٤٢.

(٤) الأزهري، **تهذيب اللغة**، ٣/ ١٩٣.

الرباعيات بزيادة اللام فلا بد له أنْ يُبنى من أصل ثلاثي نفترض أنّه (صعك) الذي استعمل قبل زيادة اللام، ولا نقبل بكون هذا الرباعي من الموضوع وضعاً مع ما يوجب اشتقاقه من أصل ثلاثي، ولعل ثلاثيه أُميت أو أنّه المُستعمل في اللهجة الأردنية الدارجة، ففيها يقال: صعَكَ فلان، إذا صوت صوتاً شديداً مؤذياً للسّمع.

وكان ابن فارس يقول بالوضع عندما تقصّر بعض وسائله في الوصول إلى أصل ما زاد على الثلاثي، كقوله:" ومِمّا وُضِع وَضْعاً وليس ببعيدٍ أَن يكون له قياسٌ غَردَقتُ السِّتْرَ: أَرْسَلْتُه"[١].

١٠. زيادة الظاء. زيدت حشواً في قولهم: عَكَظْتُ الأَديمَ، أَي: مَعَسْتُه، ودَلَكْته في الدِّباغ. وتعاكَظَ القَومُ: تعارَكوا، وتَعَكَّظوا في موضِع كذا: اجتَمَعوا وازْدَحَموا. وتَعَكَّظَ أَمْرُه: التَوى، وتعَسَّرَ وتشَدَّدَ، وتمَنَّع، ورَجُلٌ عَكِظٌ، أَي: عَسِرٌ، والعَكِظُ: القَصيرُ[٢]. ولم نقف في معجمات اللغة على أمثلة تبيّن زيادة الظاء صدراً وكسعاً في الثنائي (عك).

١١. زيادة الفاء. زيدت كسعاً في قولهم: عكَفَه، إذا حبَسَه ووَقَفَه، وعكَفَ على الشَّيءِ أقبَلَ عليه مُواظِباً[٣]. وعُكِّفَ الشَّعْرُ: جُعِّدَ[٤]. وزيدت حشواً في (عفك)؛ لقولهم: عفَكَ الكَلامَ، إذا لم يُقِمْه، والعَفّاكُ الذي يركَبُ بعضُه بعضاً من كلِّ شيء. والعَفَكُ: العُسر والخُرق. والعَفْكاءُ: النّاقةُ التي فيها صعوبةٌ[٥]. ومن (عفك) نشأ –بزيادة النون حشواً

---

(١) ابن فارس، **مقاييس اللغة**، ٤/ ٤٣٢.

(٢) الزَّبيدي، **تاج العروس**، (عكظ)، ٢٠/ ٢٣٩، ٢٤٠.

(٣) الرازي، **مختار الصحاح**، (عكف)، ٢١٦.

(٤) الزَّبيدي، **تاج العروس**، (عكف)، ٢٤/ ١٨٠.

(٥) السابق، (عفك)، ٢٧/ ٢٧٦، ٢٧٧.

بعد العين– الاسم الرباعي العَنْفَك وهو الأحمق، والعِنْفِك: الثَّقيل الوَخِم[١]. ولم تُزَد الفاء صدراً في الثنائي(عك).

١٢. زيادة اللّام. زيدت كسعاً في قولهم: عَكَلتُ الإبلَ، إذا جمَعتُها، وإبل مَعْكولة، أي: مَعْقولة[٢]. وعَكَلْتُ الشيءَ، إذا جمعته بعد تَفْرِقةٍ[٣]. وقد ذهب الخليل إلى أن العَكَل لغة في العَكَرِ. وذكر الاسم الرباعي (العَوْكَلُ) وهو ظهر الكثيب، فقال: "الواو إشباع، وبناؤه ثلاثي"[٤]. وقد جمع ابن فارس دلالة (عكل) على أَصل صحيحٌ يَدُلُّ على جَمْعٍ وضَمٍّ. كقولهم: عَكَلْتُ المَتاعَ بعضَه على بعضٍ، إذا نَضَدْتُه. والعَوْكَلُ من الرِّجالِ: القَصيرُ. وذلك بمعنى التَّجَمُّعِ. والعَوْكَلة، وهي العَظيمةُ من الرَّمْل. والعَوْكَل: المرأَةُ الحَمْقاءُ، وهي محمولة على الرَّمْلِ المُجْتَمِعِ؛ لأَنَّه لا يَزالُ يَنْهالُ، فالمَرأَةُ القَليلةُ التَّماسُكِ مُشَبَّهةٌ بذلك[٥].

ولو أنّ ابن فارس ذكر اجتماع الجهل، ومسببات الحُمق في المرأة الحمقاء لكان مصيباً في التشبيه؛ لذِكْرِه العَوْكَلة بمعنى العَظيمة من الرَّمْل، دون إشارة إلى عدم تماسكها. والموضع موضع استحكام واجتماع، لا انهيال وعدم تماسُك.

وزيدت الباء حشواً بعد الكاف في (عكل) فنشأ –كما نرى– الرباعي (العَكْبَل)، وهو كما يقول الزَّبيدي: "الشَّديد... وقد أهمله الجماعةُ"[٦].

---

(١) ابن دريد، **جمهرة اللغة**، ٢/ ١١٥٩.

(٢) كراع النمل، **المُنجَّد في اللغة**، ٢٦٨، ٢٦٩.

(٣) ابن دريد، **جمهرة اللغة**، (عكل)، ٢/ ٩٤٦.

(٤) الخليل، **العين**، (عكل)، ١/ ٢٠١.

(٥) ابن فارس، **مقاييس اللغة**، (عكل)، ٤/ ٩٩، ١٠٠.

(٦) الزَّبيدي، **تاج العروس**، (عكبل)، ٣٠/ ٤٤.

وزيدت اللام حشواً في الأصل (عك)؛ لقولهم: علَكتِ الدّابّةُ اللِّجام، إذا حركته في فيها. وسمي العِلْك؛ لأنّه يُعَلكُ، أي: يمضغ[1]. وعَلَّكَ القِرْبةَ، أَجاد دَبْغَها. وعَلَّكَ مالَه: أَحسن القيامَ عليه. وعَلَّكَ يدَيْه على مالِه: شَدَّهما من بُخْله، فلم يَقْرِ ضَيْفاً، ولا أَعطى سائِلاً. وطَعامٌ عَالِكٌ وعَلِكٌ: مَتينُ المَمْضغة[2]. والعَلِك: اللَّزِج[3]. وقد أُهملت زيادة اللّام صدراً في الأصل الثنائي (عك).

والجدير بالذكر أنَّ الزمخشريّ ذكر دلالة كليّة مشتركة بين بعض الثلاثيات المشتقة –كما نرى– من (عك)، وخلص إلى أنّها لم تنشأ بالإبدال، يقول: "وليس أحد الحرفين بَدَلاً من صاحبه ونحوهما... وعكمَ وعكَفَ وعكرَ وعكلَ وعكظَ وعكا أَخَوات في معنى الوقوف وما يقرب منه"[4].

١٣. زيادة الميم. زيدت كسعاً في (عكم)، وقد توصل ابن فارس إلى أنّ (العين والكاف والميم) أَصلٌ صَحيحٌ يدُلُّ على ضَمٍّ وجَمْعٍ لشيءٍ في وعاءٍ، يُقالُ: عَكَمْتُ المَتاعَ، إذا جمَعتَه في وعاءٍ. والعِكْمانُ: العِدْلانِ يُشَدّانِ من جانِبي الهَوْدَجِ. وعكَمَتِ النّاقةُ وغيرُها: حمَلَتْ شَحْماً على شَحْمٍ، وسِمَناً على سِمَنٍ. وأَمّا قولُهم عكَمَ عنه – إذا عدَلَ جُبْناً– فهو من البابِ؛ لأَنَّ الفَزِعَ إلى جانِبٍ يتَضامُّ. ويُقال: ما عكَمَ عن شَتْمي، أَي: ما انْقبَضَ[5].

وزيدت اللام حشواً بعد العين في (عكم) فنشأ الاسم الرباعي (العُلْكُم)، وهو الشديدُ الصُّلْبُ من الإبل وغيرها[6].

---

(١) الخليل، **العين**، (علك)، ١/ ٢٠١، ٢٠٢.

(٢) ابن منظور، **لسان العرب**، (علك)، ١٠/ ٤٧٠.

(٣) كراع النمل، **المُنجّد في اللغة**، ٢٦٨، ٢٦٩.

(٤) الزمخشري، **الفائق في غريب الحديث والأثر**، ٣/ ٢٤٢.

(٥) ابن فارس، **مقاييس اللغة**، (عكم)، ٤/ ١٠٠، ١٠١.

(٦) ابن منظور، **لسان العرب**، (علكم)، ١٢/ ٤٢٣.

وقد ذهب إلى زيادة هذه اللّام ابن فارس، يقول: "العُلْكوم: النّاقةُ الجَسيمةُ السَّمينةُ... وهذا من عَكَمَ، واللّام زائِدةٌ، كأنّها عُكِمَتْ باللَّحْم عَكْماً"[١].

وفي بعض اللهجات الأردنية استُعمل الفعل الرباعي (علكمَ) لمعنى الجمع، يُقال: علكمَ فلاناً، إذا منعَه عن فعل شيء أراده، وتعلكمَ الأمر، إذا تعقّد والتوى، وتشابكت مخارجُه.

١٤. زيادة النون. زيدت كسعاً في نحو (عكن)، وقد ذهب ابن فارس إلى أنَّ العين والكاف والنّون أَصلٌ صحيحٌ يدل على الجمع والتضامّ كـ(عكم) فالعُكَنُ: الطَّيُّ في بَطْن الجارِية من السِّمَن، وتعَكَّنَ الشّيءُ، إذا ارْتَكَمَ بَعْضُه على بعضٍ. والنَّعَمُ العَكَنانُ: الكَثيرُ المُجْتَمِعُ[٢]. وزيدت النون حشواً في نحو: عنكْتُ البابَ وأعنكتُه، بمعنى أغلقتَه في اللهجة اليمانِية. والعانِك من الرمل: الكَثيب المُتعقِّد المُتداخِل[٣]. ويقال: عنَكَ اللَّبَنُ، إذا خَثُرَ[٤].

وزيدت الباء حشواً بعد زيادة النون السابقة؛ فنشأ الاسم المذكور في قولهم: جَمَل عَبَنَّكٌ، وهو الشَّديد الصُّلْب[٥]. ولعلّ النون زيدت في هذا الاسم الرباعي، والأصل الثلاثي (عبك) الذي بينّا دلالته على الجمع. وأمّا زيادة النون صدراً فلم تثبت؛ لأنَّ اللغة لم تستعمل الثلاثي (نعكَ).

---

(١) ابن فارس، **مقاييس اللغة**، ٤/ ٣٦٢.

(٢) السابق، (عكن)، ٤/ ١٠٢.

(٣) ابن دريد، **جمهرة اللغة**، (عنك)، ٢/ ٩٤٧.

(٤) ابن فارس، **مقاييس اللغة**، (عنك)، ٤/ ١٦٦.

(٥) الأزهري، **تهذيب اللغة**، (بعنك)، ٣/ ١٩٧.

نتائج الدراسة

توصلت الدراسة التي وسمناها بـ"جدل الصامت المزيد في الأبنية الرباعية والخماسية" إلى نتائج مختلفة نوجز أبرزها على النحو الآتي:

١. زيادة الصوامت اللغوية وسيلة من وسائل بناء الأبنية الرباعية والخماسية، بيد أنَّ هذه الوسائل صارت من النمط الجدليّ؛ فهي ليست محلّ اتّفاق بين لغويي العربية القدماء والمحدثين، فمنهم من قيّد الزائد بأحد حروف الزيادة الصرفية، حروف (سألتمونيها)، وعلى ذلك جرى جمهور اللغويين البصريين، فالذي لا يكون زائده من هذه الحروف ولم تتحقّق فيه ضوابط مختلفة، كالموقع وغيره يُعد بناء مجرداً لديهم. وأمّا الكوفيون فتوسّعوا في الزيادات، فصار من الجائز لديهم أن يُزاد أيّ صامت لغويّ لبناء غير الثلاثيات، ومن ثَمَّ صاروا يقولون بأنَّ ما زاد على الثلاثة منها ليس أصلاً، لكنّ ردّهم غير الثلاثيات إلى أصولها لم يتوقف عند الزيادة، بل توسّع ابن فارس –وهو من الكوفيين– فأجاز نشأتها بالنحت، وهذا من جملة مشكلات التأصيل الكوفية التي لم تقم على منهج واضح، باعتراف كثير من الباحثين المحدثين.

ولا يكاد منهج الزائد يختلف عند الباحثين المحدثين، فمنهم مَن أخذ برأي البصريين، ومنهم مَن أخذ برأي الكوفيين فخلص إلى أنّ الزيادة حرة غير مقيدة بنوع معين أو موقع بعينه. وهذا مؤشر آخر على جدليّة الصامت المزيد.

٢. توصلت الدراسة –بعد استقراء دقيق شاقّ في معجمات اللغة– إلى أنَّ الزيادة التي أفضت إلى بناء الرباعيات والخماسيات تقوم على صوامت معينة، وهي التي سمّاها الخليل بحروف الذَّلاقة (ر، ل، ن) والحروف الشفوية (ف، ب، م) ورأى أن أيّ بناء من غير الثلاثيات يجب أن يشتمل على واحد منها؛ لخفّتها وسهولة نطقها على اللسان ووضوحها. ولقيام كثير من الملحقات الصرفية على حرفي العلة الخفيفين (و، ي) رأينا أنّهما من جملة الأصوات التي تزاد بكثرة في هذه الأبنية؛ وبذلك يصبح مجموع ما يُزاد من الأصوات الصامتة ثمانية.

وقد أكّدنا هذا المستخلص بأمثلة كثيرة من اللهجات الفصيحة واللهجات الدارجة التي نصّ القدماء والمحدثون على أن زائدها واحد من هذه الحروف (الصوامت).

٣. رصدت الدراسة كثيراً من الأبنية الثلاثية التي اعترف القدماء بنشأتها من أصول ثنائية مضاعفة، وبعض الأبنية الناشئة من أصول ثنائية في اللغات السامية كما بينت غير دراسة حديثة؛ فكانت هذه النشأة بمنزلة الدليل الذي يرجّح نشأة عموم الأبنية العربية من أصول ثنائية، فصار من الممكن ضبط زائد الأبنية الثلاثية قبل غيرها، وفقاً لما خلصت إليه بعض الدراسات الثنائية الحديثة، وهو أن الصامت المزيد في الأصول الثنائية ينقاس بزيادة صامت أخفّ من صامتيه، مع بقاء الدلالة المشتركة بين مشتقات هذا الأصل. ومستخلص الزائد هذا وسابقه يتّفق مع خصائص التطور اللغوي الذي يسير بألفاظ اللغة –في الكثير الشائع– من الصعوبة إلى الخفة والتيسير.

٤. ولِما تقدم اتّخذت الدراسة الأصلَ الثنائي (عك) مثالاً تطبيقيّاً؛ فأسفر البحث في مشتقاته الكثيرة عن نتائج مختلفة، أبرزها اطّراد مجيء الصامت الزائد في مشتقاته الثلاثية أخفَّ من صامتيه (ع، ك)، واطّراد مجيء الزائد في غير مشتقاته الثلاثية من الأصوات الخفيفة الثمانية التي سبق بيانها. وعليه جرت مخالفة كثير من القدماء والمحدثين في القول بالزيادات الثقيلة التي لا تنتمي إلى هذه الثمانية، فضلاً عن تمكن الدراسة من تقويم وسائل بنائية مختلفة، كالنحت والإبدال، والتعريب، ورجع النظر في أمثلة هذه الوسائل.

مراجع الدراسة ومصادرها

١. ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، تحقيق: طاهر الزاوي ومحمود الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٩٧٩م.

٢. الأزهري، محمد بن أحمد، **تهذيب اللغة**، علق عليه: عمر سلامي وزميله، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.

٣. الأستراباذي، رضي الدين محمد بن الحسن، **شرح شافية ابن الحاجب**، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، د ط، د ت.

٤. إستيتية، سمير، **الأصوات اللغوية رؤية عضوية ونطقية وفيزيائية**، دار وائل، عمان، ط١، ٢٠٠٣م.

٥. الأصبهاني، أبو موسى محمد بن عمر، **المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث**، تحقيق: عبدالكريم العزباوي، جامعة أم القرى، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، دار المدني، جدة، ط١، ١٩٨٦ – ١٩٨٨م.

٦. الأنباري، أبو البركات كمال الدين، **الإنصاف في مسائل الخلاف**، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ط ٤، ١٩٦١م.

٧. أنيس، إبراهيم، **الأصوات اللغويّة**، دار النهضة العربية، القاهرة، ط٣، ١٩٦١م.

٨. أنيس، إبراهيم، **موسيقى الشعر**، ط٥، ١٩٨١م.

٩. بحرة، **منهج ابن فارس في تأصيل ما زاد على ثلاثة أحرف "دراسة نقدية في معجم مقاييس اللغة"**، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، إيران، العدد(١٤)، السنة(٢٠١٣م).

١٠. برجشتراسر، **التطور النحوي للغة العربية**، علق عليه: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٤، ٢٠٠٣م.

١١. بروكلمان، كارل، **فقه اللغات السامية**، ترجمة: رمضان عبد التواب، مطبوعات جامعة الرياض، ١٩٧٧م.
١٢. ابن جنّي، أبو الفتح عثمان، **الخصائص**، تحقيق: محمد علي النجار، وزارة الثقافة والإعلام العراقية، بغداد، الهيئة المصريّة العامة للكتاب، القاهرة، ط٤، ١٩٩٠م.
١٣. ابن جنّي، أبو الفتح عثمان، **سر صناعة الإعراب**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.
١٤. ابن جني، أبو الفتح عثمان، **المبهج في تفسير أسماء شعراء ديوان الحماسة**، علق عليه: مروان العطية، شيخ الزايد، دار الهجرة ، دمشق، ط١، ١٩٨٨م.
١٥. الجواليقي، أبومنصور، **المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم**، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مطبعة دار الكتب، القاهرة، ط ٢، ١٩٦٩م.
١٦. الجوهري، إسماعيل بن حماد، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق: أحمد عبد الغفار عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٤، ١٩٨٧م.
١٧. ابن الحاجب، أبو عمرو جمال الدين، **الشافية في علم التصريف**، تحقيق: حسن أحمد العثمان، المكتبة المكية، مكة، ط١، ١٩٩٥م.
١٨. حسان، تمام، **مناهج البحث في اللغة**، دار الثقافة، الدار البيضاء، دط، ١٩٨٦م.
١٩. الحميري، نشوان، **شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم**، تحقيق: حسين العمري وآخرين، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، ط ١، ١٩٩٩م.
٢٠. ابن دُريد، أبو بكر محمد بن الحسن، **جمهرة اللغة**، تحقيق: رمزي منير بعلبكيّ، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨٧م.

٢١. الزّبيدي، محمد مرتضـى، **تاج العروس من جواهر القاموس**، تحقيق مجموعة من المحقّقين، دولة الكويت، ١٩٦٥–٢٠٠١م.

٢٢. الزمخشري، أبو القاسم جار الله، **أساس البلاغة**، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٨م.

٢٣. الزمخشـري، أبو القاسـم جار الله، الفائق في غريب الحديث والأثر، تحقيق: علي البجاوي ومحمد أبو الفضـل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ط ٢، د س ط.

٢٤. السـامرائي، إبراهيم، **الفعل زمانه وأبنيته**، مؤسسـة الرسـالة، بيروت، ط ٣، ١٩٨٣م.

٢٥. سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان، **الكتاب**، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٩٨٢م.

٢٦. ابن سـيده الأندلسـي، أبو الحسـن علي، **المحكم والمحيط الأعظم**، تحقيق: عبدالحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢٠٠٠،١م.

٢٧. الشـايب، فوزي، **الإلحاق في اللغة العربية**، رسـالة ماجسـتير، جامعة عين شمس، ١٩٧٨م.

٢٨. الشايب، فوزي، **محاضرات في اللسانيات**، منشورات وزارة الثقافة، عمان، ط١، ١٩٩٩م.

٢٩. الشـيباني، أبو عمرو، **الجيم**، تحقيق: إبراهيم الأبياري، الهيئة العامة لشـئون المطابع الأميرية، دط،١٩٧٤م.

٣٠. الصاعدي، عبدالرزاق، **تداخل الأصول اللغوية وأثره في بناء المعجم**، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط١، ٢٠٠٢م.

٣١. الصاغاني، رضي الدين الحسن بن محمد، **الشوارد (ما تفرد به بعض أئمة اللغة)**، تحقيق: مصطفى حجازي، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة ط١٩٨٣،١م.

٣٢. عبابنة، يحيى، **بنية الفعل الثلاثي في العربية والمجموعات السامية الجنوبية**، دار الكتب الوطنية، أبو ظبي، ط١، ٢٠١٠م.

٣٣. ابن عباد، الصاحب، **المحيط في اللغة**، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب، بيروت، ط١، ٢٠١١م.

٣٤. ابن عصفور، أبو الحسن علي بن مؤمن، **الممتع الكبير في التصريف**، تحقيق: فخر الدين قباوة، مكتبة لبنان، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.

٣٥. عكاشة، عمر، **الفعل الرباعي في لسان العرب دراسة تأصيلية**، رسالة ماجستير مخطوطة، الجامعة الأردنية، ١٩٩٥م

٣٦. العكبري، أبو البقاء عبدالله، **اللباب في علل البناء والإعراب**، تحقيق: عبد الإله النبهان، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٩٩٥م.

٣٧. العلايلي، عبدالله، **مقدمة لدرس لغة العرب**، دار الجديد، بيروت، ط٢، ١٩٩٧م.

٣٨. عمايرة، إسماعيل، **الأقيسة الفعلية المهجورة**، دار حنين، عمان، ط٢، ١٩٩٣م.

٣٩. عمايرة، إسماعيل، **تطبيات في المناهج اللغوية المعاصرة**، دار وائل، عمان، ط١، ٢٠٠٠م.

٤٠. الفارابي، أبو إبراهيم إسحاق، **معجم ديوان الأدب**، تحقيق: أحمد مختار عمر، مؤسسة دار الشعب، القاهرة، دط، ٢٠٠٣م.

٤١. ابن فارس، أبو الحسين أحمد ، **مجمل اللغة**، تحقيق: زهير عبدالمحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٨٦م.

٤٢. ابن فارس، أبو الحسين أحمد، **مقاييس اللغة**، تحقيق: عبدالسلام هارون، دار الجيل، بيروت، د ط، د ت.

٤٣. الفراهيدي، الخليل بن أحمد، **العين**، تحقيق: إبراهيم السامرائي ومهدي المخزومي، وزارة الثقافة والإعلام العراقية، دار الرشيد، بغداد، ط١، ١٩٨١م.

٤٤. فريحة، أنيس، **معجم الألفاظ العامية**، مكتبة لبنان، بيروت، دط، ١٩٧٣م.

٤٥. الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر، **القاموس المحيط**، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٨، ٢٠٠٥م.

٤٦. ابن القطاع، أبو القاسم علي بن جعفر، **كتاب الأفعال**، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٩٨٣ م.

٤٧. كامل، مراد، **تربيع الفعل الثلاثي في العربية وأخواتها من اللغات السامية**، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الجزء (٣١)، ١٩٧٣م.

٤٨. المساعفة، خالد، **الأصول الثنائية للأفعال العربية دراسة في التأصيل والتطور اللغوي**، خزائن القلم، عمان، ط١، ٢٠١٥م.

٤٩. المساعفة، خالد، **وزنا (افْعَعَلّ وافْعَهَلّ): بين أوهام الإبدال والرد إلى الأصل الثلاثي**، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، المجلد (١١)، العدد (٣)، السنة، ٢٠١٥م.

٥٠. المعري، أبو العلاء أحمد بن عبدالله، **رسالة الملائكة**، تحقيق: عبدالعزيز الميمني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٣م.

٥١. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد، **لسان العرب**، دار الفكر، بيروت، ط٣، ١٩٩٤.

٥٢. الهنائي، كراع النمل، **المنتخب من غريب كلام العرب**، تحقيق: محمد العمريّ، منشورات معهد البحوث العلمية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٩٨٨م.

٥٣. نعيم، مزيد إسماعيل، **الصيغ الرباعية والخماسية، اشتقاقاً ودلالة**، مطبعة الحجاز، دمشق، ط١، دت.

٥٤. ابن يعيش، موفق الدين يعيش بن علي، **شرح المفصل**، تحقيق: أحمد السيد أحمد، المكتبة التوفيقيّة، القاهرة، د ط، د ت.

مراجع الدراسة ومصادرها

١. ابن الأثير، مجد الدين أبو الســـعادات، **النهـايـة في غريـب الحديث والأثر**، تحقيق: طاهر الزاوي ومحمود الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٩٧٩م.

Ibn Alatheer, Mad aldin Abo Alsa'adat, Alnehaiah fi Ghareeb Alhadith wa Alathar, Investigated by: Taher Alzawi & Mahmoud Altanahy, Almaktabah Alelmeah, Birut, 1979.

٢. الأزهري، محمد بن أحمد، **تهذيب اللغة**, علق عليه: عمر ســـلامي وزميله، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.

Alazhari, Moh'ed bin Ahmed, Tahtheb Allughah commented by: Omar Salamy and partner, Dar Ehia Alturath AlArabi, Birut, 1st Edition, 2001.

٣. الأستراباذي، رضـي الدين محمد بن الحسن، **شرح شافية ابن الحاجب**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد وآخرين، دار الكتب العلميـة، بيروت، د ط، د ت.

Alastrabathy, Radhy Aldin Moh'ed bin Alhasan, Sharh Shafiat ibn Alhajeb, investigated by: Moh'ed Mohee Aldin AbdAlhamid and others, Dar AlKotob Alelmeh, Birut.

٤. استيتية، سمير، **الأصوات اللغوية رؤية عضوية ونطقية وفيزيائية**، دار وائل، عمان، ط١، ٢٠٠٣م.

Estateh, Sameer, Alaswat Allughawiah Rowiah Ethwiah wa Notiqiah wa Fiziaeah, Dar Wael, Amman, 1st Edition, 2003.

٥. الأصــبهاني، أبو موســى محمد بن عمر، **المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث**، تحقيق: عبد الكريم العزباوي، جامعة أم القرى، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، دار المدني، جدة، ط١، ١٩٨٦ – ١٩٨٨م.

Alasbhani, Abo Mosa Moh'ed bin Omar, Almajmo Almugheth fi Ghareby Alqura'n wa Alhadeth, Investigated by: Abdelkarem Alazbawy, Um Alqura University, Markaz Albahth Alelmy wa Ehia Alturath Alislamy, Dar Almadany, Jeddah, 1st Edition, 1986-1988.

٦. الأنباري، أبو البركات كمال الدين، **الإنصـــاف في مســائل الخلاف**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ط ٤، ١٩٦١م.

Alanbari, Abu Albarakat Kamal Aldin, Al Ensaf fe Masael Al Khelaf, Investigated by: Moh'd Mohy Adin Abdulhameed, Almaktabah Altejariah Alkobra, Cairo ,4th Edition, 1961.

٧. أنيس، إبراهيم، **الأصوات اللغويّة**، دار النهضة العربية، القاهرة، ط٣، ١٩٦١م.

Anees, Ibrahim, Alaswat Allughawih, Dar Alnahdha Alarabiah, Cairo, 3rd Edition, 1961.

٨. أنيس، إبراهيم، **موسيقى الشعر**، ط٥، ١٩٨١م.

Anees, Ibrahim, Mosiqa Alsher, 5th Edition, 1981.

٩. بحرة، **منهج ابن فارس في تأصيل ما زاد على ثلاثة أحرف" دراسة نقدية في معجم مقاييس اللغة"**، مجلة دراســات في اللغة العربية وآدابها، إيران، العدد(١٤)، السنة(٢٠١٣م).

Bahrah, Manhaj Ibn Fares fi Ta'aeel ma zad ala thalathat Ahrof ' Dirasah Naqdiah fi Mo'ajam Maqais Allugha' , Majalat Dirasat fi Allughah Alarabih wa Adabeha, Iran, Aladad 14, year, 2013.

١٠. برجشتراسر، **التطور النحوي للغة العربية**، علق عليه: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٤، ٢٠٠٣م.

Bergshtrasr, Altador Alnahwy le Allughah, commented by: Ramadan Abd Altawab, Maktabat Alkhanjy, Cairo, 4th Edition, 2003.

١١. بروكلمان، كارل، **فقه اللغات السامية**، ترجمة: رمضان عبد التواب، مطبوعات جامعة الرياض، ١٩٧٧م.

Broklman, Carl, Fiqh Allughat Alsamiah, Translated by: Ramadan Abd Altawab, AL Riyadh University Publications, 1977.

١٢. ابن جنّي، أبو الفتح عثمان، **الخصائص**، تحقيق: محمد علي النجار، وزارة الثقافة والإعلام العراقية، بغداد، الهيئة المصريّة العامة للكتاب، القاهرة، ط٤، ١٩٩٠م.

Ibn Jini, Abu Alfateh Othman, Alkhasaes, Investigated by: Moh'ed Ali Alnajar, Iraqi Ministry of Culture and Information, Baghdad, Alhaiah Almisriah Ala'amah le Alketab, Cairo, 4th Edition, 1990.

١٣. ابن جنّي، أبو الفتح عثمان، **سر صناعة الإعراب**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.

Ibn Jini, Abu Alfateh Othman, Ser Sina'at Ale'erab, Dar Alkutab Alelmeah, Beirut, 1st Edition, 2000.

١٤. ابن جني، أبو الفتح عثمان، **المبهج في تفسـير أسـماء شـعراء ديوان الحماسة**، علق عليه: مروان العطية، شيخ الزايد، دار الهجرة ، دمشق، ط١، ١٩٨٨م.

Ibn Jini, Abu Alfateh Othman, Al Mobhej fi Tafseer Asma Shoa'ara Diwan AlHamasah, Commented by: Marwan Ala'tih, Shekh Alzaid, Dar Alhejrah, Damascus, 1st Edition, 1988.

١٥. الجواليقي، أبومنصـور، **المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم**، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مطبعة دار الكتب، القاهرة، ط ٢، ١٩٦٩م.

AlJawaliqy, Abu Mansour, Al Mo'arab min Alkalam Ala'jamy ala Horof Almoa'ajam, Investigated by: Ahmed Moh'ed Shaker, Matbaet Dar Alkotob, Cairo, 2nd Edition, 1969.

١٦. الجوهري، إسماعيل بن حماد، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق: أحمد عبد الغفار عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٤، ١٩٨٧م.

Aljawhary, Ismael bin Hammad, Al Sehah Tadj Allughah wa Sehah Alarabiah, Investigated by: Ahmed Abd Elghafar Attar, Dar Alelm le Almlaeen, Beirut, 4th Edition, 1987.

١٧. ابن الحاجب، أبو عمرو جمال الدين، **الشافية في علم التصريف**، تحقيق: حسن أحمد العثمان، المكتبة المكية، مكة، ط١، ١٩٩٥م.

Ibn Alhajeb, Abu Amro Jamal eldin, Al Shafiah fi Elm Altasreef, Investigated by: Hasan Ahmed Alothman, Almaktabh Almakeah, Makah, 1st Edition, 1995.

١٨. حسان، تمام، **مناهج البحث في اللغة**، دار الثقافة، الدار البيضاء، دط، ١٩٨٦م.

Hassan, Tamam, Manahej Albahth fi Allughah, Dar Althaqafah, Aldar Albidha, 1986.

١٩. الحميري، نشوان، **شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم**، تحقيق: حسين العمري وآخرين، دار الفكر المعاصـــر، بيروت، دار الفكر، دمشـــق، ط ١، ١٩٩٩م.

Alhamiry, Nashwan, Shams Alolom & Dawa Kalam Alarab min Alkolom, Investigated by: Hussin Alomari & others, 1st Edition, Dar Alfiker Almua'aser, Birut, Dar Alfeker, Damascus, 1999.

٢٠. ابن دُريـد، أبو بكر محمـد بن الحســـن، **جمهرة اللغـة**، تحقيق: رمزي منير بعلبكيّ، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨٧م.

Ibn Duraid, Abu Baker Moh'ed bin Alhasan, Jamharat Alughah, Investigated by: Ramzi Muneer Ba'alabki, Dar Alelm Le Almalaeen, Birut, 1st Edition, 1987.

٢١. الزّبيدي، محمد مرتضـى، **تاج العروس من جواهر القاموس**، تحقيق مجموعة من المحقّقين، دولة الكويت، ١٩٦٥-٢٠٠١م.

Alzubaidy, Moh'ed Murtadha, Taj Alaros min Jawaher Alqamos, Investigated by a group of investigators, Kuwait, 1965-2001.

٢٢. الزمخشري، أبو القاسم جار الله، **أساس البلاغة**، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٨م.

Alzamakhshary, Abu Alqasem Jar Allah, Asas Albalaghah, Investigated by: Moh'ed Basel Oyon Alsood, Dar Alkutab Alelmeah, Bierut, 1st Edition, 1998.

٢٣. الزمخشـري، أبو القاسـم جار الله، **الفائق في غريب الحديث والأثر**، تحقيق: علي البجاوي ومحمد أبو الفضـل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ط ٢، د س ط.

Alzamakhshary, Abu Alqasem Jar Allah, Alfaeq fi Ghareeb Alhadith wa Ala'thar, Investigated by: Ali Albijawy & Moh'ed Abo Alfadhel Ibrahim, Dar Alma'refah, Bierut, 2nd Edition.

٢٤. السـامرائي، إبراهيم، **الفعل زمانه وأبنيته**، مؤسسـة الرسـالة، بيروت، ط ٣، ١٩٨٣م.

Alsamerai, Ibrahim, Alfel Zamanoh wa Abneatoh, Mussasat Alresalah, Birut, 3rd Edition, 1983.

٢٥. سـيبويه، أبو بشـر عمرو بن عثمان، **الكتاب**، تحقيق: عبد السـلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٩٨٢م.

Sibawih, Abu Besher Amro bin Othman, Alketab, Investigated by: Abdusalam Moh'ed Haron, Maktabat Alkhanjy, Cairo, 2nd Edition, 1982.

٢٦. ابن سـيده الأندلسـي، أبو الحسـن علي، **المحكم والمحيط الأعظم**، تحقيق: عبدالحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.

Ibn Sido, Abu Alhasan Ali, Almuhakem wa Almuheat Ala'atham, Investigated by: AbdAlhamid Hindawi, Dar AlKotob Alelmeh, Birut, 1st Edition, 2001.

٢٧. الشـايب، فوزي، **الإلحاق في اللغة العربية**، رسـالة ماجسـتير، جامعة عين شمس، ١٩٧٨م.

Alshaib, Fawzi, Alelhaq fi Allughah Alarabiah, Master Thesis, Ain Shams University, 1978.

٢٨. الشـايب، فوزي، **محاضـرات في اللسـانيات**، منشـورات وزارة الثقافة، عمان، ط١، ١٩٩٩م.

Alshaib, Fawzi, Muhadarat fi Allesaniat, Publications of Jordanian Ministry of Culture, Amman, 1st Edition, 1999.

٢٩. الشـيباني، أبو عمرو، **الجيم**، تحقيق: إبراهيم الأبياري، الهيئة العامة لشـئون المطابع الأميرية، دط،١٩٧٤م.

Alshaibany, Abu Amro, Al Jeem, Investigated by: Ibrahim Alabiary, Alha'ah Ala'amah le shoon Almatabe' Alamireah, 1988.

٣٠. الصاعدي، عبدالرزاق، **تداخل الأصول اللغوية وأثره في بناء المعجم**، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط١، ٢٠٠٢م.

Alsa'edy, Abd Alrazaq, Tadakhel Alosool Allughawiah wa Atharoh fi Bena Almo'ajam, Aljame'ah Alislamiah fi Almadinah Almonaoarah, 1st Edition, 2002.

٣١. الصـاغاني، رضـي الدين الحسـن بن محمد، **الشـوارد (ما تفرد به بعض أئمة اللغة)**، تحقيق: مصـطفى حجازي، الهيئة العامة لشـئون المطابع الأميرية، القاهرة ط١٩٨٣،١م.

Alsaghany, Radhy Aldin Alhasan bin Moh'ed, Al shaward (Ma Tafarad bhe ba'adh Aemat Allugha), Investigated Commented by: Mostafa Hijazy, Alha'ah Ala'amah le shoon Almatabe' Alamireah, Cairo, 1st Edition, 1983.

٣٢. عبابنة، يحيى، **بنية الفعل الثلاثي في العربية والمجموعات السامية الجنوبية**، دار الكتب الوطنية، أبو ظبي، ط١، ٢٠١٠م.

Ababneh, Yahia, Boniat Al Fe'el Althulathy fi Alarabiah wa Almajmoa'at alsamiah Aljanobiah, Dar Alkotob Alwataniah, Abu Thaby, 1st Edition, 2010.

٣٣. ابن عباد، الصاحب، **المحيط في اللغة**، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب، بيروت، ط١، ٢٠١١م.

Ibn Abad, Alsaheb, Almuheed fi Allughah, Investigated by: Moh'ed Hasan Al Yasin, Alam Alkutob, 1st Edition, Beirut, 2011.

٣٤. ابن عصـــفور، أبو الحســـن علي بن مؤمن، **الممتع الكبير في التصـــريف**، تحقيق: فخر الدين قباوة، مكتبة لبنان، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.

Ibn Osfor, Abu Alhasan Ali bin Momen, Al Momte'e Alkabeer fi Altasreef, Investigated by: Fakher Aldin Qabaoh, Maktabat Lebanon, Beirut, 1st Edition, 1996.

٣٥. عكاشـــة، عمر، **الفعل الرباعي في لســـان العرب دراســـة تأصـــيلية**، رســـالة ماجستير مخطوطة، الجامعة الأردنية، ١٩٩٥م

Okashah, Omar, Al Fe'el Alroba'ay fi Lisan AlArab Dirasah Ta'seleah, Master Thesis, University of Jordan, 1995.

٣٦. العكبري، أبو البقاء عبدالله، **اللباب في علل البناء والإعراب**، تحقيق: عبد الإله النبهان، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٩٩٥م.

Alokbari, Abu Albaqa' Abduallah, Allobab fi Ell Albena wa Ale'rab, Investigated by: Abd Alelah Alnbhan, Dar Alfeker, Damascus, 1st Edition, 1995.

٣٧. العلايلي، عبدالله، **مقدمة لدرس لغة العرب**، دار الجديد، بيروت، ط٢، ١٩٩٧م.

Alalayly, Abdullah, Moqademah le dars lughat Alarab, Dar Aljadid, Beirut, 2nd Edition, 1997.

٣٨. عمايرة، إسماعيل، **الأقيسة الفعلية المهجورة**، دار حنين، عمان، ط٢، ١٩٩٣م.

Amaireh, Ismail, Alaqisah Alfe'leah Almahjorah, Dar Haneen, Amman, 2nd Edition, 1993.

٣٩. عمايرة، إسماعيل، **تطبيقات في المناهج اللغوية المعاصرة**، دار وائل، عمان، ط١، ٢٠٠٠م.

Amaireh, Ismail, Tatbiqat fi Almanahej Allughaweh Almoa'aserah, Dar Wael, Amman, 1st Edition, 2000.

٤٠. الفارابي، أبو إبراهيم إسحاق، **معجم ديوان الأدب**، تحقيق: أحمد مختار عمر، مؤسسة دار الشعب، القاهرة، دط، ٢٠٠٣م.

AlFaraby, Abu Ibrahim Ishaq, Mo'ajam Diwan Aladab, Investigated by: Ahmed Mukhtar Omar, Mosasat Dar Alsha'ab, Cairo, 2003.

٤١. ابن فارس، أبو الحسين أحمد ، **مجمل اللغة**، تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٨٦م.

Ibn Fares, Abu Alhussin Ahmed, Muhmal Allughah, Invstigated by: Zuhir Abd Almohsen Sultan, Mo'sasat Alresalah, Birut, 2nd Edition, 1986.

٤٢. ابن فارس، أبو الحسين أحمد، **مقاييس اللغة**، تحقيق: عبدالسلام هارون، دار الجيل، بيروت، د ط، د ت.

Ibn Fares, Abu Alhussin Ahmed, Maqaes Allughah, Invstigated by: Abdusalam Haron, Dar Aljeel, Birut.

٤٣. الفراهيدي، الخليل بن أحمد، **العين**، تحقيق: إبراهيم السامرائي ومهدي المخزومي، وزارة الثقافة والإعلام العراقية، دار الرشيد، بغداد، ط١، ١٩٨١م.

Alfarahedy, Alkhalil bin Ahmed, Alain, Investigated by: Ibraim Alsamerai & Mahdi Almakhzoumi, Iraqi Ministry of Culture and Information, Dar Alrasheed, Baghdad, 1st Edition, 1981.

٤٤. فريحة، أنيس، **معجم الألفاظ العامية**، مكتبة لبنان، بيروت، دط، ١٩٧٣م.

Farihah, Anees, Mua'ajam Alalfaz Alamiah, Maktabat Lebanon, Beirut, 8th Edition, 1973.

٤٥. الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر، **القاموس المحيط**، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٨، ٢٠٠٥م.

Alfayrozabady, Majd Edin abu Taher, Alqamous Almohid, Investigated by: Office of Heritage Investigation at Al-Resala Foundation, Al-Resala Foundation, Beirut, 8th Edition, 2005.

٤٦. ابن القطاع، أبو القاسم علي بن جعفر، **كتاب الأفعال**، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٩٨٣ م.

Ibn Alketa'a, Abu Alqasem Ali bin Ja'afer, Ketab Alafa'al, Alam Alkotob, Birut, 1st Edition, 1983.

٤٧. كامل، مراد، **تربيع الفعل الثلاثي في العربية وأخواتها من اللغات السامية**، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الجزء (٣١)، ١٩٧٣م.

Kamal, Murad, Tarbe' Alfe'l Althulathy fi Alarabiah wa Akhwateha men Allughat Alsamiah, Majalat Majma'a Allughat Alarabiah, Cairo, Part 31, 1973.

٤٨. المساعفة، خالد، **الأصول الثنائية للأفعال العربية دراسة في التأصيل والتطور اللغوي**، خزائن القلم، عمان، ط١، ٢٠١٥م.

Almasa'feh, Khalid, Alosol Althunaiah le Alafa'al Alarabiah Dirasah fi Alta'sel wa Altatwer Allughawi, Khazain Alqalam, Amman, 1st Edition, 2015.

٤٩. المســاعفة، خالد، **وزنا (افْعَعَلّ وافْعَهَلّ): بين أوهام الإبدال والرد إلى الأصــل الثلاثي**، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، المجلد (١١)، العدد (٣)، السنة، ٢٠١٥م.

Almasa'feh, Khalid, Wazna (Afa'al wa Afa'ahal): bet. Awham Alibdal wa Alrad ela Alasl Altholathy, Almajalh Alordoniah fi Allughah Alarabiah wa Adabeha, Volume (11), Aladad 3, year, 2015.

٥٠. المعري، أبو العلاء أحمد بن عبدالله، **رســـالة الملائكة**، تحقيق: عبدالعزيز الميمني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٣م.

Alma'ary, Abu Al-Ala'a Ahmed bin Abduallah, Resalat Al-malaekah, Investigated by: Abd Alaziz Almimany, Dar Alkotob Alelmiah, Beirut, 1st Edition, 2003.

٥١. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد، **لسان العرب**، دار الفكر، بيروت، ط٣، ١٩٩٤.

Ibn Manathor, Abu Alfadel Jamal Aldin Moh'ed, Lisan Alarab, Dar Alfaker, Birut, 3rd Edition, 1994.

٥٢. الهنائي، كراع النمل، **المنتخب من غريب كلام العرب**، تحقيق: محمد العمريّ، منشورات معهد البحوث العلمية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٩٨٨م.

Alhanay, Kera' Alnamel, Al Montakhab men Gharib Kalam Al Arab, Investigated by: Moh'ed Alomary, Publications of Ma'had Albohoth Alelmiah, Um AlQura University, Makah Almukaramh, 1988.

٥٣. نعيم، مزيد إسماعيل، **الصيغ الرباعية والخماسية، اشتقاقاً ودلالة**، مطبعة الحجاز، دمشق، ط١، دت.

Naeem, Mazed Ismail, Al Siagh Alrobaiah wa Alkhomasiah, Eshtiqaqan wa Dalalh, Matbat Alhijaz, Damascus, 1st Editio.

٥٤. ابن يعيش، موفق الدين يعيش بن علي، **شرح المفصل**، تحقيق: أحمد السيد أحمد، المكتبة التوفيقيّة، القاهرة، د ط، د ت.

Ibn Ya'ish, Mufaq Aldin Ya'ish bin Ali, Sharh Almufasel, Investigated by: Ahmed Alsaid Ahmed, AlMaktabah Altawfiqeeh, Cairo.

صورة المرأة في أدب تيسير السبول

د. مها محمود عتوم[(١)]

الملخص

تتناول الدراسة أدب الأديب الأردني تيسير السبول، وصور المرأة المتنوعة التي منحت هذا الأدب شعريته الخاصة والمميزة، كما كشفت عن خطاب الشاعر ورسالته الإنسانية المتمثلة في الحلم بعالم عربي تنال المرأة فيه حقها بالعدالة وعدم التمييز بينها وبين الرجل. وقد حاولت الدراسة تقديم صورة المرأة من خلال ثلاث نماذج وصور أساسية: أولها المشهدية والتصوير البصري من خلال صورة المرأة/ الحبيبة والمرأة الصديقة، وأظهرت الدراسة المشاهد التي تعبر عن امتداد الزمان المرتبط بالصديقة وقصر الزمان المرتبط بالمرأة الحبيبة، وجماليات التصوير الفني والحركة واللون في تقديم صورة المرأتين. وثانيها النماذج البدئية للمرأة الأم والأسطورة والحكاية، وبينت الدراسة من خلال هذه النماذج الصورة الممزقة والمعذبة للمرأة من خلال هذه النماذج الثلاثة، والتي تكشف عن تخلف صورة المرأة في المجتمعات العربية، وضعفها وهزيمتها الذي يعكس ضعف وهزيمة الإنسان العربي عموما، وثالثها المرأة بين المقدس والمدنس من خلال عرض صورتي الغجرية التي تمثل المقدس، والعاهرة التي تمثل المدنس، وكيف كشفت هاتان الصورتان عن الثنائيات الضدية والازدواجية التي تمور بها المجتمعات العربية، وأدت في النهاية إلى هزيمتها من جهة، وإلى انتحاره من جهة أخرى.

الكلمات المفتاحية: صـورة المرأة، الشـعرية، النماذج البدئية، المشـهدية، الثنائيات الضدية.

---

(١) الجامعة الأردنية – مركز اللغات.

The Image of the Woman in Tayser's Al-Sboul Literature

Dr. Maha Mahmmoud Autoom

Abstract

The study literature dealt with the Jordanian poet Tayser AlSboul, Diverse images of women that gave this literature own distinctive poetic, Also it revealed the poet's speech humanity and his dream of a world of Arab women gain the right to justice and non-discrimination between men and women. The study tried to present an image of women through three basic models and photographs: first spectacular visual imaging through the image of women / beloved and women-friendly, The study showed scenes that reflect an extension of time associated with the friend and the short time associated with women's beloved, Aesthetics Art photography, movement and color in the image rendering the two women. Second archetypes of women as mothers and myth and story, The study of these models through the torn and tormented by the image of women through these three models, which reveals the failure of the image of women in Arab societies, and weakness and defeat that reflects the weakness and the defeat of the Arab rights in general, Third, women between the sacred and the profane by offering two pictures of gypsy representing the sacred and profane, which represents a bitch, How revealed Those two pictures for antibody diodes and duplication, which dates the Arab societies, and eventually led to its defeat on the one hand, and to his suicide on the other.

Key Words: The image of the woman, Poetic, Initial models, Scenic, Antibody diodes.

المرأة في أدب تيسير السبول[1]

مدخل

عند الكتابة عن المرأة في أدب أديب ما، لا بد من التفكير بها كأحد مكوناته الحضارية والثقافية: المكونات التي جعلت منه أديباً حقيقيا، يمتلك رؤاه الخاصة ولغته الخاصة، وأسلوبه الخاص في الكتابة، لأن المرأة ليست مجرد النصف الآخر للرجل، وإنما موقعها في كتابة الأديب مهم ومفصلي، فهي ليست الحبيبة حسب، إنها الأم والأخت والأسطورة والحبيبة والعشيقة، ونحن بهذا لا نعني محاكمة حياة الأديب، وتتبع سيرته الذاتية بقدر ما نقصد قراءة الأداء الجمالي في قصيدة الشاعر من خلال صورة المرأة التي تقدمها هذه القصيدة وهذا الأدب. وهو ما قد يكون بعيدا عن حياته

---

(١) تيسير سبول (١٩٣٩– ١٩٧٣)، ولد تيسير سبول في مدينة الطفيلة عام ١٩٣٩، وأنهى دراسته الابتدائية في بلدته، وفي عام ١٩٥١ ارتحل إلى الزرقاء بصحبة شقيقه الأكبر شوكت. انتقل بعد ذلك إلى عمّان حيث أنهى دراسته الثانوية في كلية الحسين عام ١٩٥٧. وكان من أوائل محافظة العاصمة، فأوفد في بعثة إلى الجامعة الأمريكية في بيروت، لكنه ترك بعثته واتجه إلى دمشق لدراسة القانون. تخرّج عام ١٩٦٢، وعمل في دائرة ضريبة الدخل، ثم ترك العمل الحكومي وبدأ بالتدرّب في مكتب المحامي صليبا الصناع، ثم قطع تدريبه وسافر مع زوجته الدكتورة مي اليتيم إلى البحرين للعمل فيها، ثم انتقل إلى السعودية وعاد إلى الأردن عام ١٩٦٤ وأكمل تدريبه. فتح مكتباً للمحاماة في الزرقاء، ثم أغلق مكتبه وعمل في الإذاعة، واستمر يقدّم برنامجه الإذاعي "مع الجيل الجديد" إلى أن انتحر بطلق ناري في ١٩٧٣/١١/١٥ في أعقاب حرب تشرين، ولقاء المصريين والإسرائيليين عند "خيمة الكيلو ١٠١". كتب تيسير سبول الرواية والشعر، والقصّة القصيرة، والتمثيلية المصوّرة، والنقد، والمقالة الصحفية، وترك مخطوطاً فكرياً في العروبة والإسلام.

مؤلفاته:

الشعر:

- أحزان صحراوية: دار النهار، **ط١**، بيروت، ١٩٦٨.

الرواية:

- أنت منذ اليوم: دار النهار، **ط١**، بيروت، ١٩٦٨. نالت جائزة الرواية العربية بعد الهزيمة).
- وصدرت الأعمال الكاملة، دار أزمنة، **ط١**، عمان، بدعم من وزارة الثقافة، ١٩٩٨.
- **من موقع وزارة الثقافة الأردنية www.culture.gov.jo**

الشخصية والواقعية أو ملتصقا بها، لكن غاية البحث النظر في الأدب، وصورة المرأة في الشعر والنثر، كأحد العناصر الفنية التي ميزت هذه الكتابة، وجعلت لها/ له بصمة خاصة في ذاكرة الأدب لا تمحى.

ثم إن هذا لا يعني أن هذه الصورة مثالية ومنصفة للمرأة، وليس بالضرورة أن تكون كذلك، فكثير من الشعراء والروائيين قدموا صورة مشوهة للمرأة: أمّا وأختا وحبيبة وزوجة[(١)]. لكنها في الوقت نفسه صورة خاصة ومميزة عن الصورة المألوفة للمرأة في الأدب، وهو ما يعكس تميز وخصوصية تجربة الشاعر أو الروائي التي يكتبها، وقراءة هذه الصورة وتحليلها يقود إلى قراءة المكونات الأخرى للنص التي شكلت أدبيته وشعريته، وجعلت منه نصا فنيا عاليا. "فالعمل الأدبي تعبير عن شيء ما، وغاية الدراسة هي الوصول إلى هذا الشيء عبر القانون الشعري، وطبقا لطبيعة هذا الموضوع الذي يسعى إلى بلوغه، سواء أكانت فلسفية أم نفسانية أم اجتماعية أم غير ذلك"[(٢)].

إننا نقرأ في هذه الدراسة صورة المرأة باعتبارها مكونا شعريا، أو باعتبارها أحد المكونات التي تصوغ شعرية النص، وتخلق أدبيته، وسنقرأ النص من مدخل الشعرية على تنوع المدارس والمناهج التي تعاملت مع المصطلح، فالشعرية "هي قوانين الخطاب الأدبي، وهذا هو المفهوم العام والمستكشف منذ أرسطو وحتى الوقت الحاضر"[(٣)]، وسنتناول في هذا السياق أدب تيسير السبول وآثاره التي تركها جميعا،

---

(١) انظر: نانسي هيوستن، **أساتذة اليأس، النزعة العدمية في الأدب الأوروبي**، ترجمة: وليد السويركي، مراجعة: أحمد خريس، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث (كلمة)، ط١، أبو ظبي، ٢٠١٢.

(٢) تزفيطان تودوروف، **الشعرية**، ترجمة: شكري المبخوت ورجاء بن سلامة، دار توبقال للنشر، ط١، المغرب، ١٩٨٧. ص٢٢

(٣) حسن ناظم، **مفاهيم الشعرية: دراسة مقارنة في الأصول والمنهج والمفاهيم**، المركز الثقافي العربي، ط١، بيروت، ١٩٩٤، ص٥

وهي على قلتها، إلا أنها تتنوع بين الشعر والرواية والقصة والدراسة والرسائل، وهي ما تشكل في مجموعها الصورة الكلية للمرأة التي تتوزع صورها وأشكالها على هذه المؤلفات، التي كرست أدب تيسير السبول، وجعلت منه علامة فارقة ليس في تاريخ الأدب المحلي الأردني حسب، وإنما في تاريخ الأدب العربي، والإنساني العالمي أيضا. فقد قدم الكثير من الأدباء والنقاد دراسات في شعر تيسير سبول ونثره[١]. بالإضافة إلى شهادات الأصدقاء من كتاب وغير كتاب، وزوجته د. مي اليتيم، كما حظي باهتمام محلي وعربي كبيرين.

وعلى الرغم من أن الشعرية شعريات[٢]. إلا أننا سندع النص يواجه النظرية ويوجهها لا العكس، فالشعرية هنا مدخل عام، يحدده ويخصصه النص: شعرا ونثرا، وسنقدم الصور المختلفة المتوفرة للمرأة في أدب تيسير السبول، ونفككها ونحللها، وصولا إلى فهم قيمة هذه الصور، وأثرها أو آثارها الجمالية والفنية المختلفة على النصوص برمتها. فالسبول "استطاع أن يجمع بين مكتسبات القصيدة الجديدة والحفاظ

---

(١) انظر: خالد الكركي، **الرواية في الأردن**، ط١، عمان، ١٩٨٦. شكري عزيز ماضي، **انعكاس هزيمة حزيران ١٩٦٧ في الرواية العربية**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، بيروت، ١٩٧٨. نزيه أبو نضال، **علامات على طريق الرواية في الأردن**، ط١، دار أزمنة، عمان، ١٩٩٦. محمد سمحان، **مقالات في الأدب الأردني المعاصر**، وزارة الثقافة، ط١، عمان، ١٩٨٤. سليمان الأزرعي، **الشاعر القتيل**، اتحاد الكتاب العرب، ط١، دمشق، ١٩٩٣. إبراهيم السعافين، **الرواية في الأردن**، مؤسسة آل البيت، ط١، عمان، ١٩٩٥.

(٢) انظر على سبيل المثال: كمال أبو ديب، **في الشعرية**، مؤسسة الأبحاث العربية، ط١، بيروت، ١٩٨٧. جيرار جينيت **مدخل لجامع النص**، دار الشؤون الثقافية، ط١، بغداد، ترجمة: عبدالرحمن أيوب، د.ت، د.ط.

. وليم راي، **المعنى الأدبي: من الظاهراتية إلى التفكيكية**، ط١، ترجمة: د. يوئيل يوسف عزيز، دار المأمون، بغداد، ١٩٨٧. رومان ياكوبسون، **قضايا الشعرية**، ترجمة: محمد الولي ومبارك حمسون، دار توبقال للنشر، ط١، ترجمة: محمد الولي ومبارك حمسون، المغرب، ١٩٨٨. جان كوهن، **بنية اللغة الشعرية**، ترجمة: محمد الولي ومحمد العمري، دار توبقال للنشر، ط١، ترجمة: محمد الولي ومحمد العمري، المغرب، د.ط، د.ت.

على الحبل السري الذي يشده إلى رحم الشعر العربي القديم شدا، وعلى هذا الجسر الذي أوله في القديم وآخره في الحديث يعبر الكثير من الإيحاءات والصور والتعبيرات المجازية الجديدة"[١]. وفي نثر السبول على الرغم من قلته إشارات واضحة على تمكنه وتجاوزه السائد والمألوف، وصياغة أدبية وشعرية خاصة بما أنتجه خلال سنيّ عمره القصير.

١- التصوير والمشهدية بين المرأة/ الحبيبة والمرأة/ الصديقة:

لعل صورة المرأة/ الحبيبة مرتبطة بالفقد وبالضياع وبالسقوط لدى السبول، ففي مطلع قصيدة "شهوة التراب" يقول:

هنا معي/ يا ضلعي المقدود بين أضلعي/ مفقودتي[٢]

فالمرأة تنتمي إليه هنا، وهي جزء منه، إشارة إلى الصورة الدينية[٣]، للمرأة المتكونة من ضلع الرجل، كما أنه ينتمي إليها باشتهائها، فهي التراب ومادة خلق البشر الأولى، وهما يتبادلان الخلق هنا: فهي من ضلعه، وهو من ترابها، وهي مقدسة، ولها مكانة لا أعلى منه ولا أقل: فهي معه هنا، وهو وهي متعادلان وعلى حد سواء. ولكنها في الوقت نفسه مفقودته، كما أنها علامة سقوطه أيضا:

من أجل عينيك أحب سقطتي/ أحب أرضي التراب هذه/ وخبزي المجبول بالعناء/[٤]

---

(١) إبراهيم خليل، تيسير سبول، **من الشعر إلى الرواية**، دار الفارس للنشر والتوزيع، ط١، عمان، ١٩٩٠، ص٩.

(٢) تيسير السبول، **أحزان صحراوية**، دار النهار، ط١، بيروت، ١٩٦٨، ص١٩٧.

(٣) الكتاب المقدس، سفر التكوين ٢ و٣.

(٤) السابق ، ص ١٩٨

وعلى الرغم من أن هذه الصورة مرتبطة بالكتاب المقدس أيضا[١]، إلا أنه يحبها ويقدسها:

من شهوة السؤال في عينيك للمحرمِ/ ملعونة أحبها[٢]

إنها السقوط واللعنة والفقد والمحرم والنقص، وعلى الرغم من ذلك فإنه يحبها ويلتصق بها، التصاق الجزء بالكل، "إن المرأة في شعر تيسير، وهي تسجل هذا الحضور الغني تتوهج كما في قصيدة "شهوة التراب" وغيرها من القصائد لتصبح أغنية لا تنتهي. سمفونية الوجود الإنساني. أغنية ذات إيقاع مرعب ملعون في تراجيديا السقوط البشري"[٣]. بل إن هذا الوجود يبدو منقطعا وغير مستمر حين يكرر الشاعر في القصيدة عبارة: هنا معي، فهي هنا معه الآن، وليس بالضرورة أن يكون هذا الوجود دائما ومستمرا، وإذا كانت صورة المرأة/ الحبيبة هنا مرتبطة بصورتها في الكتاب المقدس، فإنها تبدو كذلك في بقية شعره وقصائده، يقول:

ولعينيك اللحون المتعبةْ/ منهما جمّعت معنايَ وفي/ تيههما كان ضياعي/ لستُ أشكو فلقد شارفتُ شطآن السآمةْ/ بردتْ لهفة شوقي والتياعي/ ماتت الأضواء في عينيّ/ لا ومض شعاعٍ/ لا غوى أخضرَ/ لا لون سوى بعض قتامةْ/ تتلاشى وأنا أعبر أيامي لشطآن السآمةْ[٤]

إن هذا الحب قد وصل الشواطئ الأخيرة كما يُظهر عنوان القصيدة، ولذلك تتالى المفردات التالية الدالة على الوصول إلى نهايات التجربة ونفاد الحب: المتعبة، تيههما، ضياعي، السآمة، قتامة، وكذلك الأفعال التي تعبر عن الحزن والألم: أشكو،

---

(١) سفر التكوين ٣ و٤.

(٢) تيسير السبول، **أحزان صحراوية**، دار النهار، ط١، بيروت، ١٩٦٨، ص١٩٨.

(٣) أحمد المصلح، **مدخل إلى دراسة الأدب المعاصر في الأردن**، ص١٠٦.

(٤) تيسير السّبول، **أحزان صحراوية**، ص١٤٨.

ماتت، تتلاشى. إنها مفردات تدل على التيه والألم والضياع وتفضي إلى التلاشي والموت، وهو ما يتكرر بصورة ملفتة في نصوص أخرى، حين يقول:

رغم أن الحب مات/ رغم أن الذكريات/ لم تعد شيئا ثمينا[١]

ويقول أيضا في القصيدة نفسها:

وحدنا نعلم أنا افترقنا/ وانتهى ما كان من حب قديم/ يوم قلناها معا: / "حبنا كان خرافة"/

نحن كفناه بالصمت/ ضننا أن نريق الأدمعا/ وافترقنا[٢]

الموت والنهاية والتلاشي والفقد من الثيمات التي تتكرر في قصائد الحب لدى السبول، لكن هذه المرأة/ الحبيبة تظهر بصور أخرى مختلفة، ولعل أحمد المصلح أشار إلى شيء من هذا في قراءته لبعض قصائد الحب ليخلص إلى القول: "إن المرأة في شعر تيسير حاضرة دائما حضور الشاعر نفسه، بزخم وكثافة على امتداد القصائد جميعها، لتصبح حاملا للعلاقات الإنسانية بكل ما فيها من مداعبة وحب وصداقة وغدر وفتنة ورهبة..."[٣].

إن هذا الحب حاضر، ولكنه يوازي حب الشاعر للحياة، ولذلك فإنه يعذبه ويوجعه بمقدار ما تعذبه وتوجعه الحياة، حتى يقول:

لا وعمق السر في عينيك ما كان غراما/ وانكفاءاتي ونزفي وأناشيدي اليتامى/ لم تكن صرخة قيس خلف ليلى/ ففؤادي لم يعد للحب أهلا/ إنما يسحق

---

(١) تيسير السبول، **أحزان صحراوية**، ص١٢٩.

(٢) السابق، ص١٢٩، ١٣٠.

(٣) أحمد المصلح، **مدخل إلى دراسة الأدب المعاصر في الأردن**، ص١٠٥، ١٠٦.

قلبي من قديم، من قديم/ سعيه الدائب للوهـم وشوق للسديم[١]

لدى الشاعر أحلام وآمال كبيرة، وما يبدو حنينا للحب وسعيا وراء سرابه الجميل، ما هو إلا تعلق الشاعر بأحلام كبيرة تغدو في هذه اللحظة وهما وسديما يسعى وراءه ويشتاق إليه، وهذا ما يؤكده قول فايز محمود: "في الحب تتجلى أوثق العلاقات الحقيقية لدى الإنسان في الذات وفي المجتمع، وبالتالي بما تفرزه من مردودات تاريخية على مدار الأجيال"[٢]، ويعلق على قصيدة مرحبا التي قدمنا جزءا منها سابقا بقوله: "في القصيدة الأولى "مرحبا" بوح مخلص للحبيبة (فيما بعد سنكتشف حمل هذا الرمز لمعنى الحياة) بانتهاء ما كان بينهما، لكن ثمة حرص شديد لحماية الحلم الذي تحطم" السابق نفسه. فالحبيبة عند تيسير سبول توازي الحياة، وأحلام الحب توازي أحلامه الشخصية والعامة، ولذلك يحميها ويحرسها ويخشى فقدانها، لأن هذا الفقد يوازي فقد الحياة ذاتها. لذلك يقول في نهاية القصيدة:

فزهور الحب لن تنمو في روحي الجديب/ أنت لو جئت سينساك فؤادي/ تحت وقع السوط ينشق، ينادي/ يتمنى حب أخرى لا تطال/ لن تخليه غوايات المحال/ وكفاني أنني سمّرتُ –لم أختر– لآلام الصليبِ/ فاسمعيني، وابكي من أجلي ولكن لا تجيبي[٣]

فوراء الحب لدى السبول حب آخر، ووراء أحلامه أحلام أبعد، وهو يتحمل آلام الصليب، ولا يبقى في مكان الحب ودوائره التي لا تتسع له ولآماله الكبيرة التي توجعه وتعذبه كالمسيح. ولعل اختيار المسيح هنا إشارة إلى المخلِّص الذي تحمل آلام البشرية بصلبه وبجرّ صليبه، وتيسير السبول كان يحمل آلام أمته العربية وآلام

(١) تيسير السبول، **أحزان صحراوية**، ص١٣٥.

(٢) فايز محمود، تيسير السبول، **العربي الغريب**، دار الكرمل للنشر والتوزيع، ط١، عمان، ١٩٨٤، ص٢٤.

(٣) تيسير السّبول، **أحزان صحراوية**، ص١٣٦.

هزائمها، ويجرجر في أعماق نفسه إحساسا بالذنب جراء ذلك. ولذلك فإن المرأة الأكثر التصاقا بالشاعر هي المرأة الصديقة، وهي قد تكون الحبيبة ذاتها أحيانا، ولذا فإن السبول في قصيدة المستحيل التي ينفي في مطلعها أن ما كان بينه وبينها غرام، وينفي أنه قيس اللاهث وراء ليلى، ثم ما يلبث يقول:

فإذا هزتك مني يا صديقة/ عبر صمت الليل صرخات غريقة/
فاسمعيها وابكي من أجلي ولكن لا تجيبي/ فزهور الحب لن تنمو في
روحي الجديب(١)

فهو يحول الحبيبة في مطلع القصيدة إلى صديقة، وهو إذ تنتهي علاقته بالمحبوبة ويقرر أن ما كان بينهما ليس حبا، فإنه يتوجه إليها في نهاية القصيدة بصفتها صديقة ويطلب منها أن تبكي من أجله وتشاركه الحزن، ولكنه لا يريدها أن تجيبه وأن تظهر تعاطفا معه، خشية أن يعود من دائرة الصداقة الفسيحة إلى دائرة الحب الضيقة والمغلقة.

ولعل القصيدة الأخرى بعنوان "الأسرار" تصيد لحظة الشهوة والأيروسية وتقدمها بصورة فنية جمالية عالية ومختلفة، فالصور المكثفة، واللغة الشعرية المقطرة المقتصدة، والتكرار الفني الذي يضفي على جو القصيدة إيقاعا إضافيا وموسيقى خاصة، يقول:

مقعد همّ بكتفي منضدة/ وردة ألقت بساق في الإناء/ ساكن هذا المساء(٢)

إنهما يتبادلان الحب، فهو المقعد الذي همّ بكتفي منضدة، وهي الوردة التي

---

(١) تيسير السبول، **أحزان صحراوية**، ص١٣٥، ١٣٦.

(٢) السابق، ص٢١٥.

ألقت بساق في الإناء، ولعل تأمل هاتين الصورتين الجميلتين يكشف موقف الشاعر ورؤيته، فالمقعد إزاء المنضدة فعلاقته بها أفقية، وأما الوردة فإنها تلقي بساقها في الإناء فعلاقتها به عمودية، وهي تمضي باتجاه الأرض والثبات والرسوخ والاستمرار، فيما يوحي شكل علاقته بها بالمحدودية وقابلية الانتهاء، وبين الصورتين المساء ساكن والزمن متوقف. إن القصائد المرتبطة بالمرأة/ الحبيبة تقوم على المشهدية، واقتناص اللحظة، فكأنها عرض على المسرح، والزمن فيها هو زمن العرض، ولذلك نرى الزمن يتحرك بمقدار العرض، إذ يبدأ بالسكون:

ساكن هذا المساء

ثم يصف هذه اللحظة:

ناعم هذا المساء

ثم:

ضيق هذا المساء

وأخيرا:

مغدق هذا المساء

وبين هذه اللحظات تتحرك القصيدة وأبطالها المقعد والمنضدة: الشاعر والحبيبة. وهو ما يؤكد على الفكرة السابقة عن العلاقة المكانية بالمرأة/ الحبيبة والمحدودة زمانيا. وفي المقابل فإن المرأة/ الصديقة حتى وإن كان يقصد بها الحبيبة فإنه يتوسّع بالبوح لها وعنها، وتبدو العلاقة مستمرة وغير منقطعة ولا محدودة، بل إنها لا زمانية، وإذا كان المشهد المرتبط بالحبيبة ينتهي بانتهاء زمن العرض، فإن مشهد الصديقة مسرحه الحياة على امتدادها: ماض وحاضر ومستقبل، يقول:

ملقىً هنا في غرفتي/ ووجهك البريء يا صديقتي/ يلوح عبر وحدتي/ إشراقه/ حنوه/ ينساب في أوردتي/ يعيدني إلى ضفاف البارحة/ البارحة: نيسان وموسيقى الأعماقْ/ وحنايا مبهمة الأشواقْ/ وجنوح اثنين إلى المطلقْ/ قد ضاقت عنه الأمواقْ[1]

فهذه الصديقة يستعيدها ويستعيد ذكراها من الماضي، فهي تبدأ من الماضي، وكان يجنح وإياها إلى المطلق، فعلاقتهما لا يحدها الزمن، تبدأ في الماضي، وتستمر في الحاضر رغم الغياب، وتنطلق باتجاه المستقبل، ولا يقف بعد المكان حائلا بينه وبينها. ويمكن متابعة هذه الصورة العالية للمرأة الصديقة في حياة تيسير السبول وتجربته الشخصية وشهادات الأصدقاء والصديقات كذلك.

ولعل خلو صورة الصديقة من العذاب والعتاب والفقد مرتبط بفكرة الصداقة السامية لدى السبول[2] وارتباطها بالحميم والدافئ والدائم، ولكنها تُخرج المرأة من فكرة الأنوثة التي سترتبط دائما بالتعب وبالعذاب وبالهزيمة إلى الصداقة الإنسانية التي يتساوى فيها الرجل والمرأة، أما حين تستقل المرأة عن نصيفها الرجل فإنها تكون مهزومة ضعيفة متعبة خانعة، وتكون موازية لهزيمة المجتمع بأسره وصورة لضعفه وهزيمته، ولذلك يبدو على السطح وكأنه يكرهها أو يرفضها، ولكنه في الأعماق يتعاطف معها، ويشفق على نفسه وعليها وعلى المجتمع كاملا الذي يمضي إلى التفكك والانهيار.

٢-النموذج البدئي بين المرأة/ الأم والمرأة الأسطورة :

لا وجود للأم في شعر تيسير السبول على الإطلاق، لا صورة لها في قصائده

(١) تيسير السّبول، **أحزان صحراوية**، ص١٧٣.

(٢) انظر: تيسير النجار، **السيرة الغائبة، رسائل تيسير السبول إلى صادق عبدالحق**. أسامة فوزي يوسف، آراء نقدية. النجار، تيسير، أمانة عمان الكبرى، ط١، عمان، ٢٠٠٧.

ولا أصل. وبالمقابل ففي روايته الوحيدة "أنت منذ اليوم" لها وجود متقطع غير متكامل، لكن هذا الوجود الخاص يمكن تفسيره بأسلوب الرواية القائم على كسر النمط وتشظية الأحداث[١]. متجاوزا بذلك الأسلوب النمطي والتقليدي في كتابة الرواية[٢] ولنطالع هاتين الصورتين للأم في مطلع الرواية، وما تلمحان إليه: "ورأيت أمي في صحن الدار، تعبر حاملة صينية الرز، والبخار يتصاعد إلى وجهها المحمر" ثم بعد قليل يقول أيضا: "ورأيت وجه أمي معروقا، وجلد ما بين عينيها منكمش بخطين واضحين"[٣]، إن العبارتين على قصرهما تشيران إلى التعب والشيخوخة والعذاب الذي تعانيه الأم راضية راضخة في مقابل الأب المتسلط القاسي الذي يقتل القطة في أول مشاهد الرواية لأنها أكلت قطعة من اللحم.

وفي موضع آخر عن الأم يقول: "وقال عربي إن أمه لم تكن مجنونة، ولكنها كانت كثيرة البكاء، وقال إنهم جميعا ليسوا إلا واحدا من اثنين: غاضب يصرخ، أو ذليل يبكي"[٤]، إن أمه تكاد تصاب بالجنون من البكاء على الابن الذي ذهب لمحاربة اليهود، وإنها امرأة ذليلة، لأنه يصف العائلة بأنهم كانوا إما غاضب يصرخ، أو ذليل يبكي، وهي الذليلة التي لا تجد متنفسا لها إلا بالبكاء. ثم يقول: "بعد قراءة الرسالة، قال عربي، ظلت أمي تبكي طول النهار"[٥]، وهذا الذل يتأكد بضربها من قبل الأب وهو ما يكرهه عربي ويقف ضده: "قلت لأبي: لماذا يا أبي؟ لماذا بهذا الحزام العريض تضربها؟ تضاحك وعبث بلحيته الصغيرة. كان في إحدى لحظاته المرحة: الله يلعنك ويلعن أمك"[٦].

---

(١) فخري صالح، **وهم البدايات**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، بيروت، ١٩٩٣، ص١٥

(٢) انظر: عبدالله رضوان، **أدباء أردنيون**، دار الينابيع للنشر والتوزيع، ط١، عمان، ١٩٩٦.

(٣) تيسير السبول، **أنت منذ اليوم**، دار النهار، ط١، بيروت، ١٩٦٨، ص١٦.

(٤) السابق ، ص١٨.

(٥) السابق.

(٦) السابق، ص٢٥.

إن صورة الأم هنا هي صورة المرأة الذليلة الخانعة المغلوبة على أمرها الحزينة المتعبة التي لا تكاد تتذمر على الرغم من قسوة الأب والابن أيضا عليها. فالابن يحل محل الأب بعد وفاته: "كنا قد عدنا من المقبرة للتو، حيث أودعنا جثمان الرجل الهرم. وها إنا بدأنا التصايح. وأقبلت أمي من المطبخ وسمعت أصواتنا، فأنزلت دموعها على وجنتيها المترهلتين: هذا بيتي، سجلوه باسمي، –يا بنت الكلب، من أين لك البيت؟ أنزلت مزيدا من دموعها وحملقت بغرابة، فخشيت أنها قد تجن. –أنت لا تعرف الله. هذا بيتي. مهري. قالت بكلام متقطع مثل كلام الأطفال حين يبكون، وشتمها من جديد، وذهب ليؤدي الصلاة"(١). فالابن صورة عن الأب الظالم القاسي المتجبر الذي يهين المرأة ويؤذيها ومن ثم يذهب للصلاة، وهذه المشاهد يظهر نقد السبول لها دون التصريح بذلك، فهو يقدم مشاهد الذل والظلم والهوان العربي والإنساني متتالية في عرض يبرز السخرية والنقد الذاتي من خلال ذلك لنفسه ولأهله ولحزبه ولمجتمعه. ولذلك ما يبدو تكسيرا للأحداث وتشظية لها ما هو إلا صورة عن المجتمع برمته الذي يعاني الهزيمة والتفتت، وكأن هذه التقنية الفنية هي الانعكاس الطبيعي لما كان يجري، والأداة الجمالية التي يعبر بها عن بشاعة الواقع.

ومن هنا يمكن فهم هذا الحلم/ الكابوس الذي يراود عربي ويخنقه، ويتركه دون تعليق، ليكمل القارئ النص بالتأويل المناسب: "يسير في الشارع، قلقا على شيء ما أضاعه. يمر باص. الكوى مليئة بالوجوه. في المقعد الأخير تجلس هي. وجهها مختلف، خفيف ومنفوش كوجه شبح – إنها ميتة. جرى سريعا وراء الباص دون أن يدركه. الوجه المنفوش يلتفت خلفا. ينظر إليه كأنه يدعو. أراد أن يصرخ: يا أمي، فاكتشف أنه بلا صوت. وارتفعت أصوات تزمر من خلفه، فالتفت. إنه يعيق حركة السير. الناس حانقون يشيرون إليه ويصرخون. والتفت يريد الباص، ولكن الباص

(١) تيسير السبول، **أنت منذ اليوم**، ص٤٦، ٤٧.

اختفى"[١]. إن هذا الحلم يكشف كما تكشف الأحلام عن خبيئة نفسه وعن مخفي لا شعوره ولا وعيه، عن صورة الأم في أعماقه، إذ "ليس لنا من سبيل إلى معرفة العمليات اللاوعية إلا في شروط الحلم والعصاب بأنواعه"[٢]، فالأم معذبة وميتة، وهو يحاول نجدتها والوقوف في طريق المجتمع، الذي يمثله في الحلم حركة السير، وهو بمحاولته إنقاذ الأم إنما يعيق حركة السير والمجتمع الذي يمثل الناس في حلمه حانقون يشيرون إليه ويصرخون. فهو يريد أن يصرخ، ولكنه يكتشف أنه بلا صوت، فالمجتمع يسير في الاتجاه الخاطئ الذي يرفضه، ولكنه عاجز ولا يستطيع تصحيح المسار. فتيسير السبول "مثال لما يعرف في الأدب الغربي اللامنتمي (outsider) فكثرة الكوابيس التي لجأ إليها في بناء روايته دليل واضح، وبرهان ساطع على ما كان يدور في نفسه من صراع وتمزق"[٣].

لعل الأم عند السبول أحد الأنماط البدئية، والأنماط أو النماذج البدئية هي: "أشكال من المركبات الفطرية، وبنى استحدثتها نفسيتنا، تؤثث وتحرك مواد تجربتنا الفردية"[٤]. وهذه الأم/ النموذج البدئي تواطأ المجتمع على رسم مواصفات ثابتة لها لا تتغير، وصورتها النمطية هذه حتى لو رفضها وأراد تغييرها، فإنه لا يستطيع، لأنها صورة متوافق عليها من قبل المجموع الذي يشكل قوة لا يستطيع إزاءها القيام بأي فعل أيا كان، وهو يشعر بالعجز ويعبر عنه، وهو أيضا في هذه الرواية حين يتحدث باسم عربي الذي يبدو موازيا له شخصيا، إنما يرمز إلى العربي المهزوم،

---

(١) تيسير السبول، **أنت منذ اليوم** ، ص٢٥، ٢٦.

(٢) سيجموند فرويد، **تفسير الأحلام**، ص٥٩١.

(٣) خليل الشيخ، **ظاهرة الانتحار في الأدب العربي: دراسة في جدلية العلاقة بين الأدب والسيرة**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، بيروت، ١٩٩٧ ، ص٩.

(٤) كارل جوستاف يونغ، **جدلية الأنا واللاوعي**، ترجمة: نبيل محسن، دار الحوار، ط١، اللاذقية، ١٩٩٧، ص٣٢.

الذي قد تكون صورة الأم عنده على هذا النحو إحدى علامات الهزيمة. لأن الأم أحد أركانه وأهمها، وحين تكون تعاني فإن المجتمع كله لا بد يعاني كذلك، وهزيمتها أمام الرجل هي إحدى علامات هزيمة الرجل كذلك.

أما غياب الأم في شعر السبول فلعل صورة إيزيس وشهرزاد تنوبان عنه، أو تمثلانه من خلال المحمول الأسطوري لكل منهما، وطريقة توظيفه لهما[١]. يتوجه لها السبول بالضراعة أن تجود عليه وعلى أرضه بالماء والعطاء والدموع، يقول:

"أضرع: يا إيزيس، يا إيزيس/ يا من فضضتِ أرضنا/ فتحت عن عطائها الحبيس/ لو جدت لي بحفنتي دموع/ غسلتِ لي خطيئتي/ حملت عن ضميري المعذبِ/ آلامه وحمأة التدنيسْ/ لو جدتِ يا إيزيسْ"[٢]

إن إيزيس هي الأم الكونية التي تمنح الماء والخصب، والدموع التي تذكر بأم عربي التي تبكي طوال الوقت، وكأنها بالإضافة إلى دورها الطبيعي في المنح الخصب والعطاء، تبكي لتغسل خطايا أبنائها البشر، وتحمل عنه آلامهم وعذاباتهم. وهي لا تختلف عن أم عربي التي كانت تبكي طوال الوقت في مواجهة الظلم، وكأنها أيضا تغسل خطايا من يظلمونها، سيما وأنهم الزوج والابن. والتي قد تتوسع دلالة الدموع هنا لتكون الأم الكونية التي تغسل خطايا البشر مثل إيزيس.

وهناك صورة شهرزاد التي تشكل أيضا نمطا بدئيا موازيا للأم، وشهرزاد في ألف ليلة وليلة "هي في النهاية حكاية هذا الصراع الجوهري العميق بين المرأة التي تشكل في العصور الوسطى أكثر فئات المجتمع استغلالا واستعبادا وإذلالا –فهي

---

(١) انظر: جيمس جورج فرايزر، **الغصن الذهبي: دراسة في السحر والدين**، دار الفرقد، ط١، سوريا، ٢٠١٤.

(٢) تيسير السّبول، **أحزان صحراوية**، ص١٥٢.

سلعة تجارية- بين فئة التجار وذوي السلطان والمال والقوة العسكرية القمعية"[١].

في قصيدة بعنوان: "ما لم يقل عن شهرزاد" ليشرح ويوضح آلام شهرزاد بقوله:

"شهرزادي/ شهرزادي يا صديقهْ/ قيل ما قيل ووحدي/ أنت أسررت إليه بالحقيقهْ/ ألف ليلةْ/ كل ليلةْ/ حلمك الأوحد أن تبقي لليلةْ/ فإذا ما الديك صاحْ/ معلنا للكون ميلاد صباحْ/ نمتِ والموت سويّا في فراشٍ/ ألف ليلهْ/ غاض في عينيك إي ماض التصبي/ واستوت كل المذاقاتِ/ فمرٌّ مثل عذبٍ/ بعدها كان وما كان – صباح ما لم يُقل عن شهرزاد"[٢]

فشهرزاد تنام مع الموت على فراش واحد، مع السلطة والظلم، وكل ما تحلم به هو البقاء لليلة أخرى، والليالي الألف هي الزمن الطويل الذي يمر كأنه بلا انتهاء، ولكنها تنتصر جزئيا، وهذا النصر يسعده، لأنه انتصار للضعيف والمظلوم، يقول:

"وعفا من بعد ألف شهريارْ/ ففرحنا/ في بلادي، حيث عين الطفل والشيخ سواءْ/ دعوة تحيا على وعد انتصارْ"[٣]

فشهريار والمرأة والطفل والشيخ يحلمون بالانتصار، ويعدون كل ليلة تمر دون قتل أملا بالخلاص من الظلم والاضطهاد، وهو بهذا يعبر عن الحلم الجمعي العربي بالخلاص من الظلم، والخروج من أسر الهزيمة التي يمثلها هنا شهريار الظالم القاسي، ولكنه آخر الأمر يقرّ بالحقيقة التي لا مجال لتغييرها:

---

(١) خليل أحمد خليل، **مضمون الأسطورة في الفكر العربي**، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط٢، بيروت، ١٩٨٠، ص١٢٠.

(٢) تيسير السّبول، **أحزان صحراوية**، ص١٨٩.

(٣) السابق.

"كلما دق على الأفق شتاء/ نتسلى بحكاياك الشجيهْ/ ونغني لانتصارٍ/ لم يكن يوما ولا يرجى انتصارْ/ تحت عيني شهريارْ"(١)

فهو يعترف بالهزيمة، وهي ليست هزيمة شخصية، إنها هزيمة العربي الذي لا يمكن أن يحقق النصر في ظل السلطة والأنظمة الفاسدة.

فالأم تواجه الأب، وإيزيس تواجه الجدب، وشهرزاد تواجه الموت، وهن جميعا صور للاحتجاج والثورة، إنها نماذج بدئية عالية للحب والرحمة والحياة ، وهي لا تستطيع أن تقوم بأدوارها المرجوة منها ما لم تتخلص من السلطة والظلم والخديعة. وهزيمة هذه النماذج هي هزيمة المجتمعات الأبوية التي تتفرد بالقرار، وتلغي دور الأم، وقيمتها العالية في الخلاص من واقع الهزيمة والنكوص التي ظل السبول شخصيا في حياته، وفنيا في كتاباته: شعرا ونثرا – يدافع عنها، ويناضل في سبيلها، وحين لم يجد لديه القدرة على مواجهتها بحياته، انتصر عليها بالاحتجاج والرفض وبانتحاره بطلقة في الرأس.

٣- ثنائية المقدس والمدنس بين المرأة الغجرية والمرأة العاهرة :

يقول السبول في روايته: أنت منذ اليوم: "يقرأ في التاريخ، يحب الطيبين، يتخاصم مع السيئين"(٢)

وإذا كان يتحدث هنا عن (عربي) بطل الرواية، فإن عربي يمثله شخصيا، يمثل أحلامه بالعدالة والمساواة والحرية والنصر العربي، وكان ثائرا على الظلم مهما كان الطرف الذي يمثله، ولذلك انشق عن الحزب، ووقف ضد الأب والأخ والمجتمع ما دام يظلم ويتسلط ويتجبر، ويجره ويجر المجتمع كاملا إلى الهزيمة. وقف ضد

---

(١) تيسير السّبول، **أحزان صحراوية**، ص١٩٠.

(٢) السابق، ص٢٠.

السائد والعادي والمألوف والمتواطأ عليه في الفن والشعر والنثر، وكان نموذجا للمبدع الحقيقي المخلص لإنسانيته ولعروبته[١].

ولعل المرأة تمثل صورة ما كان يراه السبول ويحلم به، لذلك فالغجرية تمثل المرأة الطاهرة والحرة في الوقت نفسه التي تقابل العهر والعربدة، وهي توازي صورة الحلم في مقابل الواقع المدنس، يقول:

"غجريةْ / قدم تضرب صدر الأرض، تعلو/ وتدق الأرض دقّا/ زوبعات من غبارْ/ ودوارْ/ وعروق مجهداتٌ/ تتلظى وقد نارْ/ أمطريني/ أمطريني/ من سديم الغيب زخات سخيةْ/ ألصقيني بالتراب/ أنا من خلّف ليل المدنيةْ/ ظامئا لم يسقني إلا السراب/ حين تكتظ النوادي بمساخر/ بدمىً آلية ترقص تانجو/ يزحف الموت مع التانجو صموتْ/ تتلاشى الحيويةْ/ بخفوت"[٢]

فهو يتحدث عن المدنية وجرائرها، عن البشر الدمى، وعن الرقص الذي يمثل الحياة والموت يزحف إليه ويغتاله، وعن انهيار القيم في المجتمعات، والمساخر التي يخلفها هذا الانهيار، في الوقت الذي تمثل فيه المرأة/ الغجرية قيم الطهر والبراءة والحرية، لذلك يطالبها بالمطر: أمطريني، ويكرر ذلك على مدار القصيدة كاملة، ليغتسل المجتمع من دنسه وعهره:

"أمطريني/ أمطريني/ من سديم الغيب زخات سخيةْ/ أمطريني أنت ما زلتِ غنيةْ/ عبق الأعشاب في نهديكِ/ والأرض النديةْ/ لم يلطخ شفتيك الطينُ/ بنيا وأحمرْ/ لم تخوني منحة الشمس/ فهذا الوجه أسمرْ/ ما كسته حلل الوجه المزورْ/ غجريةْ/ ما الذي تحمل عينيكِ من الأسرار/ ألغاز الحكايا السرمديةْ"[٣]

---

(١) تيسير السّبول، **أحزان صحراوية**، ص١٩٠.

(٢) السابق، ص١٦٢.

(٣) السابق، ص١٦٣.

فالغجرية امرأة حقيقية غير مزورة بالماكياج، طبيعية ولونها منحة الشمس أسمر، وهي ابنة الطبيعة لا صناعة المدينة، ولذلك هي تمثل المطر وعطاء السماء وخصوبة الأرض، والوفاء لحقيقتها ولطبيعتها.

وفي مقابل هذه المرأة/ المدينة الفاضلة/ الطاهرة/ الحرة، هناك الصورة الأخرى للمرأة العاهرة/ المدنسة/ المقيدة بشروط الحياة اليومية والمجتمع، والتي تسبب له السأم والندم في الوقت نفسه، يقول في روايته "أنت منذ اليوم": "كان قد سئم من الخادمة، واستمر يجوس في جسدها الأبيض، ثم يكتشف وساخة وجهها فيتقزز[١]. وحين قالت له فتاة نظيفة الوجه أنها لا تمانع في أن يُعريها، فعل وكف عن الخادمة، وأيضا ضجر من الأخيرة... وحنق عربي على نفسه، لأنه بعد أن يضجر من جسد البنت العاري، لا يعود راغبا في أن يلمسه" الرواية. فهذه المرأة تقابل وتضاد الغجرية، وطباق الوسخ/ النظيف، والأبيض/ الأسود ما هو إلا تعبير عن الازدواجية التي تمثلها هذه المرأة ورفضه لها، وحنقه على نفسه وهو يقبل عليها آملا، ويرتد عنها خائبا آخر الأمر كل مرة. وهي تمثل انكسار القيم وتشظيها، وما تعكسه على روحه التي تحلم بالمثالية والحب من انكسار ورفض وندم.

هذه الثنائية التي تحملها المرأة/ الجسد هي تمثيل فني وجمالي للازدواجية التي مثّلها مجتمعه المحلي والعربي، فالرواية تحفل بالرمز على امتدادها، والرموز جميعها تقوم على هذه الثنائيات الضدية: الخير والشر، والعدالة والظلم، والنصر والهزيمة، والحياة والموت، لتكون المرأة هي البطل الخفي في الرواية، والتي تحمل قسطا وافرا من هذه الثنائيات، وتمثيل الازدواجيات التي أدت بالرواية إلى الانكسار، وبعربي بطل الرواية إلى محاولة الانتحار، وبتيسير السبول إلى الانتحار فعليا ونهائيا.

---

(١) تيسير السّبول، **أنت منذ اليوم**، ص٤٩.

الخاتمة

لقد مثّل أدب تيسير السبول في الشعر وفي الرواية صورة لتيسير السبول نفسه، ومع أن الدراسة لا تبحث في حياة الشخص الأديب، إلا أنها تخلص إلى أن أدب تيسير السبول هو صورة صادقة وحقيقية لتيسير السبول نفسه، ولذلك كان أدبه صادقا وحقيقيا وشفافا، وكانت أدواته الجمالية والفنية مميزة ومختلفة عن السائد، وخاصة به. لأنها كانت قائمة على أساس متين من معرفته وخبرته وتجربته الحياتية والفنية، وعلى الرغم من قلة آثاره الأدبية نظرا لوفاته المبكرة إلا أنه استطاع بهذا الأثر القليل أن يترك أثرا كبيرا وعريضا وواضحا في الأدب الأردني والعربي.

وقد شكلت المرأة ركيزة أساسية في كتاباته، وعكست بالفن صورة عالية عن الواقع المهزوم والمأزوم، وقدمنا من خلال الدراسة ثلاث صور مختلفة للمرأة، وكل صورة من هذه الصور تقدم جانبا من رؤيته، وزاوية نظر فنية في تقديمها وتوظيفها. فمن خلال صورتي المرأة الحبيبة والمرأة الصديقة قدمنا المشهدية في شعر السبول، واعتماده على التصوير الفني والحركي البصري، لامرأة/ حبيبة علاقته بها مكانية، ولا يدوم العرض طويلا زمانيا، ولكنه يمور بالحركة والتفجر، وأما المرأة/ الصديقة فالعلاقة بها زمانية وطويلة ودائمة على مسرح الحياة. وهنا يكون التصوير بطيئا وطويلا، ويعتمد على الارتداد إلى الماضي مرة، وإلى الحلم والانتظار والنظر إلى المستقبل مرة أخرى.

وأما المرأة/ الأم، والأسطورة/ إيزيس، والحكاية/ شهرزاد فهي نماذج بدئية، يحملها سبول معاني الحكمة والعطاء والخير والضعف، لتفضح الأب والقائد والحاكم الجاهل والبخيل والشرير، ولكنه القوي المتسلط الجبار، الذي يستقوي على نفسه وعلى المرأة، ويتحمل وزر الهزيمة والانحطاط الذي آل إليه المجتمع بأكمله. وهذه النماذج النسوية هي المخلصة لأنها هي التي تحمل الحل للواقع العربي المهزوم إذا

ما نالت حقها الطبيعي والحقيقي، وليس غريبا أن يجعل من نفسه المسيح، باعتباره النموذج/ الرجل المخلِّص، الذي يمكن أن يحمل عذابات البشر، ويتحمل آلامهم في سبيل الخلاص مما هم فيه، ولكنه يفشل آخر الأمر، ويقر بذلك حين يقول في قصيدته الأخيرة التي تركها وقت انتحاره:

"أنا يا صديقي/ أسير مع الوهم أدري/ أيمم نحو تخوم النهايةْ/ نبيا غريب الملامح أمضي/ إلى غير غايــةْ/ سأسقط، لا بد، يملأ جوفي الظلام/ نبيا قتيلا وما فاه بعد بآيةْ"(١)

فهو النبي الذي أراد أن يقول ويفعل، ولكنه فشل في مهمته، ولم يستطع أن يغير واقعه، فاختار الانتحار.

وفي الصورة الثالثة والأخيرة للمرأة بين الغجرية والمدنية يفضح الأديب الازدواجيات الخانقة والظالمة للمرأة بين الطهر والدنس، والبياض والسواد، والنصر والهزيمة، ومع أنه ينتصر للغجرية ويراها صورة للبراءة والطهر والعدالة، إلا أنه يعود وينكرها ويرفضها في زمن تقلب القيم والمثل، ليقول:

"غجريةْ/ كذب من قال في عينيك أسرار خفية/ مثلما تسعى على الأرض الديادين الغبيةْ/ أنت تسعين/ خواء ملء عينيك بلاهةْ/ وغباء مطبق يقعي وسقم وتفاهةْ/ عنفوان النهد لا يغري/ وجوع الساق لا يغري/ وما في الكهف من مكنون سرّ/ رحلتي كانت ضياعا/ فوداعا"(٢)

إنه يقر بتشظي منظومة المثل والقيم ومن يحملها، ويقر بخسارته لأحلامه الكبيرة التي ظن أنها تحملها وتمثلها، ولذا يودعها ويعترف بالهزيمة وبانتصار قيم

---

(١) تيسير السّبول، **أحزان صحراوية**، ص٢٢٢.

(٢) السابق، ص١٦٦.

العهر والظلم والدنس. ولذلك لا تكون الازدواجية في الخارج بين غجرية وعاهرة، ولكن أيضا في الغجرية نفسها بين الوجه الظاهر والآخر المخفي الذي ما يلبث أن يكتشفه ويفضحه. وهو إذّاك يشعر بضياع وجهته وغاية رحلته في الحياة.

وفي صور المرأة المختلفة يمكن ملاحظة الضعف والمعاناة والذل، وهذا يعني أن هذه المرأة مهزومة، وهي في أدب تيسير السبول صورة مجازية لمجتمعه المهزوم والمأزوم، فهي على اختلاف صور حضورها أو غيابها إنما تمثل الأمة العربية التي ترزح تحت قيود الظلم والذل والاستعباد، إن السبول يحبها ويكرهها ويقترب منها ويبتعد عنها ويقبلها ويرفضها، ولكنه لا ينظر إليها النظرة الدونية المألوفة للمرأة في الحياة وفي المجتمع، فهو الأقرب إلى العدالة التي يشعر أن المرأة لا تنالها في المجتمع، ولذا فهو منحاز إليها انحيازه إلى الخير والحب والجمال، بل إنه يرى فيها نافذة للخروج من نفق الانكسار والضعف والهزيمة.

قائمة المراجع والمصادر:

١- الكتاب المقدس.

٢- إبراهيم خليل: تيسير السبول: **من الشعر إلى الرواية**، دار الفارس للنشر والتوزيع، ط١، عمان، ١٩٩٠.

٣- إبراهيم السعافين: **الرواية في الأردن**، مؤسسة آل البيت، ط١، عمان، ١٩٩٥.

٤- أحمد المصلح: **مدخل إلى دراسة الأدب المعاصر في الأردن**، منشورات اتحاد الكتاب العرب، د.ط، دمشق، ١٩٨٠.

٥- أسامة فوزي يوسف: **آراء نقدية**، المطبعة الاقتصادية، ط١، عمان، ١٩٧٥.

٦- تزفيطان تودوروف: **الشعرية**، دار توبقال للنشر، ط١، ترجمة: شكري المبخوت ورجاء بن سلامة، المغرب، ١٩٨٧.

٧- تيسير السبول: **الأعمال الكاملة**، دار ورد للنشر والتوزيع، ط١، عمان، الأردن، ٢٠٠٥.

٨- تيسير النجار: **السيرة الغائبة: رسائل تيسير السبول إلى صادق عبدالحق**، أمانة عمان الكبرى، ط١، عمان، ٢٠٠٧.

٩- جان كوهن: **بنية اللغة الشعرية**، دار توبقال للنشر، ط١، ترجمة: محمد الولي ومحمد العمري، المغرب، د.ط، د.ت.

١٠- جيرار جينيت: **مدخل لجامع النص**، دار الشؤون الثقافية، ط١، بغداد، ترجمة: عبدالرحمن أيوب، د.ت، د.ط.

١١- جيمس جورج فرايزر: **الغصن الذهبي: دراسة في السحر والدين**، دار الفرقد، ط١، سوريا، ٢٠١٤.

١٢- حسن ناظم: **مفاهيم الشعرية: دراسة مقارنة في الأصول والمنهج والمفاهيم**، المركز الثقافي العربي، ط١، بيروت، ١٩٩٤.

١٣- خالد الكركي: **الرواية في الأردن**، ط١، عمان، ١٩٨٦.

١٤- خليل أحمد خليل: **مضمون الأسطورة في الفكر العربي**، منشورات عكشة وشقير، ط٢، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٠.

١٥- خليل الشيخ: **ظاهرة الانتحار في الأدب العربي: دراسة في جدلية العلاقة بين الأدب والسيرة**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، بيروت، ١٩٩٧.

١٦- رومان ياكوبسون: **قضايا الشعرية**، دار توبقال للنشر، ط١، ترجمة: محمد الولي ومبارك حمسون، المغرب، ١٩٨٨.

١٧- سليمان الأزرعي: **الشاعر القتيل**، اتحاد الكتاب العرب، ط١، دمشق، ١٩٩٣.

١٨- سيجموند فرويد: **تفسير الأحلام**، دار المعارف، ط١، ترجمة: مصطفى صفوان، مراجعة: مصطفى زيور، القاهرة، ١٩٦٩.

١٩- شكري عزيز ماضي: **انعكاس هزيمة حزيران ١٩٦٧ في الرواية العربية**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، بيروت، ١٩٧٨.

٢٠- فخري صالح: **وهم البدايات**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، بيروت، ١٩٩٣.

٢١- عبدالله رضوان: **أدباء أردنيون**، دار الينايع للنشر والتوزيع، ط١، عمان، ١٩٩٦.

٢٢- عدة مؤلفين: شهادات، **دم على رغيف الجنوبي**، غاليري الفيفنيق للثقافة والفنون التجريبية، ط١، عمان، د.ط، د.ت.

٢٣- فايز محمود: تيسير السبول: **العربي الغريب**، دار الكرمل للنشر والتوزيع، ط ١، عمان، ١٩٨٤.

٢٤- كارل جوستاف يونغ: **جدلية الأنا واللاوعي**، دار الحوار، ط١، ترجمة: نبيل محسن، اللاذقية، ١٩٩٧.

٢٥- كمال أبو ديب: **في الشعرية**، مؤسسة الأبحاث العربية، ط١، بيروت، ١٩٨٧.

٢٦- محمد سمحان: **مقالات في الأدب الأردني المعاصر**، وزارة الثقافة، ط١، عمان، ١٩٨٤.

٢٧- نانسي هيوستن: **أساتذة اليأس، النزعة العدمية في الأدب الأوروبي**، ط١، ترجمة: وليد السويركي، مراجعة: أحمد خريس، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث (كلمة)، ٢٠١٢.

٢٨- نزيه أبو نضال: **علامات على طريق الرواية في الأردن**، ط١، دار أزمنة، عمان، ١٩٩٦.

٢٩- وليم راي: **المعنى الأدبي: من الظاهراتية إلى التفكيكية**، ط١، ترجمة: د. يوئيل يوسف عزيز، دار المأمون، بغداد، ١٩٨٧.

References:

1- Alktab Almqds.
2- Ibrahim Khalil: Taiseer Sbool: From Poetry to Novel, Al-Faris Publishing and Distribution, 1st edition, Amman, 1990.
3- Ibrahim Al-Sa'afin: The Novel in Jordan, The Al-Bayt Institute, 1st edition, Amman, 1995.
4- Ahmad Al-Musleh: An Introduction to the Study of Contemporary Literature in Jordan, Publications of the Arab Writers Union, without edition, Damascus, 1980.
5- Osama Fawzi Yusef: Critical Views, Economic Press, 1st edition, Amman, 1975
6- Tzfitan Todorov: Poetry, Toubkal Publishing House, 1st floor, translation: Shukri Al-Mabkhout and Raja bin Salama, Morocco, 1987
7- Taiseer Sbool: Complete Works, Dar Ward for Publishing and Distribution, 1st edition, Amman, Jordan.
8- Tayseer Al-Najjar: The Absent Biography: 7- Taiseer Sbool's letters to Sadiq Abdul-Haq, Greater Amman Municipality, 1st edition, Amman, 2007.
9- Jean Cohen: The Structure of Poetic Language, Toubkal Publishing House, 1st floor, translation: Muhammad Al-Wali and Muhammad Al-Omari, Morocco, Without edition, without a date.
10- Gerard Genet: Entrance to the Text Collector, House of Cultural Affairs, 1st floor, Baghdad, translation: Abdul Rahman, without a edition, without a date.
11- James George Fraser: The Golden Branch: A Study in Magic and Religion, Dar Al-Farqad, 1st Floor, Syria, 2014..
12- Hassan Nazim: Poetic Concepts: A Comparative Study of Fundamentals, Methodology and Concepts, The Arab Cultural Center, 1st edition, Beirut, 1994.
13- Khaled Al-Karaki: The Novel in Jordan, 1st edition, Amman, 1986.
14- Khalil Ahmed Khalil: The Context of Myth in Arab Thought, Okasha and Shugair Publications, 2nd Edition, Dar Al-Tale'ah Printing and Publishing, Beirut, 1980.
15- Khalil Al-Sheikh: Suicide phenomenon in Arabic literature: a study in the dialectic of the relationship between literature and biography, Arab Institute for Studies and Publishing, 1st edition, Beirut, 1997.

16- Roman Jacobson: Poetic Issues, Toubkal Publishing House, 1st floor, translation: Mohamed El Wali and Mubarak Hamson, Morocco, 1988.
17- Suleiman Al-Azra'i: The Dead Poet, Union of Arab Writers, First Edition, Damascus, 1993.
18- Sigmund Freud: Interpretation of Dreams, Dar Al-Maaref, 1st floor, translation: Mostafa Safwan, review: Mostafa Zyour, Cairo, 1969.
19- Shukri Aziz Madi: The reflection of the June 1967 defeat in the Arabic novel, The Arab Institute for Studies and Publishing, 1st edition, Beirut, 1978.
20- Fakhri Saleh: The Illusion of Beginnings, The Arab Institute for Studies and Publishing, 1st edition, Beirut, 1993.
21- Abdullah Radwan: Jordanian writers, Al-Yanayea House for Publishing and Distribution, 1st edition, Amman, 1996.
22- Several authors: Testimonials, Blood on Raghef Al Janoubi, Al-Fafneeq Gallery for Culture and Experimental Arts, 1st edition, Amman, without edition, without a date.
23- Fayez Mahmoud: Taiseer Sbool: The Curious Arab, Carmel House for Publishing and Distribution, 1st edition, Amman, 1984.
24- Carl Gustav Jung: The Dialectic of the Ego and the Unconscious, Dar Al-Hiwar, 1st floor, translation: Nabil Mohsen, Lattakia, 1997.
25- Kamal Abu Deeb: In Poetry, Arab Research Foundation, 1st edition, Beirut, 1987.
26- Muhammad Samhan: Essays in Contemporary Jordanian Literature, Ministry of Culture, 1st edition, Amman, 1984.
27- Nancy Houston: Professors of Despair, Nihilism in European Literature, 1st edition, translation: Walid Al-Swairki, review: Ahmed Khreis, Abu Dhabi Authority for Culture and Heritage (Speech), 2012.
28- Nazih Abu Nidal: Signs on the road to the novel in Jordan, 1st edition, Dar Azmenah, Amman, 1996.
29- William Ray: The Literary Meaning: From Phenomena to Deconstruction, 1st edition, translation: Dr. Yoel Youssef Aziz, Dar Al-Mamoun, Baghdad, 1987.

ملامح التفكير الألسني الحديث في مقولات النحو العربي

د. باسم يونس البديرات[(١)]

ملخص

تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن جملة من مقولات النحو العربي القديم التي تمثّل تصورات علماء اللغة القدماء للتحليل النحوي، وبيان مدى أثر هذه المقولات النحويّة في تقديم إرهاصات ربّما استرشد بها الدرس الألسني الحديث، وبنى عليها جلّ آرائه اللغوية الحديثة في مجالات مختلفة، منها: العمل، والبنية، والمستوى الدلالي، والمستوى القبلي وغيرها. وسيكون البحث مقتصراً بصورة خاصة على جانب المقولات النحويّة لتقديم صورة تأصيلية لبعض الآراء الغربية الحديثة، حيثُ نُسب الكثير منها إلى علماء اللغة الغربيين، رغم أنّنا لا نعدم أصولاً لهذه الآراء، وجذوراً عميقة أحياناً في التراث النحوي العربي القديم. ولذلك يفترض الباحث أنَّ معظم الآراء الغربية الحديثة في الدرس اللغوي بصورة عامة، والدرس النحوي بصورة خاصة تتكئ على جملة من آراء النحاة القدامى. وستتخذ الدراسة من الوصف والتحليل منهجاً لها.

* **الكلمات المفتاحيّة:** المستوى القبلي، السياق، الإسناد، الصحة اللغويّة والسلامة المعنويّة، التلازم، وضوح التركيب.

---

(١) جامعة مؤتة – قسم اللغة العربية وآدابها.

Modern Linguistics Thinking Features in Arabic Grammar

Bassem Younis Al-Badairat

Abstract

This study aims at uncovering a number of ancient Arabic grammatical arguments that represent the perceptions of the ancient Arab linguists of grammatical analysis, and the extent to which these grammatical statements have influenced and guided the modern lesson in linguistics in various fields: Structure, semantic level, and others. The research will be particularly limited to presenting the grammatical aspects of some of the modern Western views, many of which are attributed to Western linguists, although we do not exhaust these views and, sometimes, their deep roots in the ancient Arabic grammatical heritage. Therefore, the researcher assumes that most of the modern Western views in the language lesson in general, and grammar in particular, are based on a number of views of the old Arab grammarians. The study will take a descriptive and analytical approach.

Keywords: Surface structure, context, government, linguistic plausibility, coherence, clarity of structure.

مدخل: البُعد اللساني في التراث النحوي لدى العرب

يشـكك بعض الدارسـين المحدثين –من العرب وغير العرب– في مسـتوى ما قدّمته الدراسـات اللغوية القديمة عند العرب في مجال اللسـانيات[١]، إذ يرون أنّ ما قُدِّم لا يتجاوز نظرات جزئيّة تخدم نظام اللغة العربية في حدّ ذاتها لا غير؛ للعلاقة الوثيقة التي تربط بين علوم اللسان العربي وعلوم القرآن الكريم والشريعة فَهْماً، وأداء وبخاصّـة علم النحو. وأنّ ما قدّمه علماء العربية القدماء لا يرتقي –كذلك– إلى حدّ خدمة اللغة العربية بأنظمتها اللغويّة جميعها؛ إذ بُني على عناصـــر غير لغويّة – عقلية– مستعارة من علوم أخرى كالمنطق والفلسفة وغيرها[٢].

فأصبح التصوّر الشائع لدى الكثير من الباحثين أن نظرة علماء العربية القدامى إلى اللغة تختلف عن النظرة اللغوية الحديثة في أصولها وأهدافها. ومع ذلك يمكن القول: إنّ لكلّ لغة خصوصية على جميع مستوياتها قد لا تتوافق مع لغة أخرى. وإن كان هناك بعض الجوامع المشتركة بين جميع اللغات حسب ما يقرره الكثير من علماء اللغويات المحدثين[٣].

أمّا إنّ الدراسات اللغوية عند العرب قد اقتصرت على اللغة العربية وحدها، فيمكن القول إنّه ليس من أمة فكرت في قضايا الظاهرة اللغوية بعامة، وما قد يحركها من قوانين مختلفة إلّا وقد انطلقت في تكوين ذلك التصوّر من النظر في لغتها

---

(١) يُنظر: عبدالقادر الفهري، **اللسانيات واللغة العربية: نماذج تركيبية ودلالية**، منشورات عويدات، ط١، بيروت، ١٩٨٦، ص٥١-٦١.

(٢) يُنظر: فيرستنغ كيس، **عناصر يونانيّة في الفكر اللغوي العربي**، ترجمة: محمود كناكري، وزارة الثقافة، الأردن، ٢٠٠٠، ص٢٦٣. ينظر كذلك: علي أبو المكارم، **تقويم الفكر النحوي**، بيروت، دار الثقافة، ٢٠٠٦، ص١٠٥ وما بعدها.

(٣) جون ليونز، **نظرية تشومسكي اللغويّة**، ترجمة: حلمي خليل، دار المعرفة، الإسكندرية، ١٩٨٥، ص٣١.

النوعية، فاللغة ليست عنصراً من عناصر الثقافة فحسب، بل إنّها أساس كل أنواع النشاط الثقافي. ومن ثمّ فهي أقرب الأدلة وأقواها عند استقصاء الملامح الخاصة لأي مجتمع[١]؛ لأنّ النهضة اللغويّة هي في حقيقتها نوع من النهضة الشاملة لمختلف جوانب الحياة. إذن فالقضية مردها إلى قدرة أي أمة على تجاوز ضبط لغتها وتقنينها للارتقاء إلى مرتبة التفكير في شأن الكلام باعتباره ظاهرة بشرية كونية تقتضي الفحص العقلاني بغية الكشف عن نواميسها الموحدة، وعلماء الحضارة العربية قد أدركوا تلك المرتبة؛ حين استنبطوا منظومتها الكلية، وحددوا فروع دراستها بتصنيفهم لعلوم اللغة[٢].

كما أنّ منهج الدرس النحوي القديم القائم على التفكير في الكلام من حيث هو تمثل فردي أو جماعي للسان، يكشف عن النظرة الشموليّة للغة البشريّة، وإن ورد ذلك جزئياً في كتب التراث النحوي بخاصة عندما فلسفوا منشأ نظامها وقواعدها، ووضعوا علم أصول النحو. وما خلفوه لنا في هذا المضمار يكشف لنا بجلاء أنهم ترقّوا في بحوثهم اللغويّة من مستوى العبارة إلى مستوى اللغة مجسدة في أنماط من الكلام في تحديدهم الدقيق للفروق بين كلّ منها[٣]. فاللغة –في تصوّر النحاة القدامى– مفهوم يعكس الأنظمة المجردة التي تصاغ على منواله العبارة إلى مستوى الكلام، أي الحدث اللساني المطلق كونه ظاهرة بشرية عامة[٤].

---

(١) تمام حسان، **اللغة بين المعياريّة والوصفيّة**، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠١، ص١٥.

(٢) عبده الراجحي، **النحو العربي والدرس الحديث بحث في المنهج**، دار المعرفة الجامعيّة، الإسكندرية، ٢٠٠٨، ص١٦.

(٣) يُنظر: أبو الفتح عثمان بن جني (ت٣٩٢هـ/١٠٠٢م)، **الخصائص**، ٢ج، تحقيق: عبدالحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ج١/ ١٨-١٩.

(٤) عبدالسلام المسدي، **التفكير اللساني في الحضارة العربية**، الدار العربية للكتاب، ط٢، القاهرة، ١٩٨٦، ص٢٤.

وهذا الأمر يتطلّب منا إعادة فهم التراث النحوي القديم فهماً سليماً يساعد على فهم المناهج اللغويّة المعاصرة واستيعابها، مما سيكون –أيضاً– عاملاً فاعلاً للتدليل على عمق التحليل اللغوي في التراث النحوي القديم. ويظهر أنّ التحليل النحوي التراثي يستند إلى مجالات خمسة هي(١): المقولات (الأصناف)، والعمل، والبنية، والمستوى الدلالي، والمستوى القبلي. وهي المجالات التي ينسجم بعضها مع بعضها الآخر انسجاماً لا يصلح معه الانفصال، وتكوّن مفهوم البنية النحويّة للتراكيب في اللغة العربية، التي تُعدّ ثمرة توافر جهود قرون طويلة من العمل العلمي المتواصل أثمرتْ باستخلاص جملة من المفاهيم الأساسيّة في التحليل النحو العربي كان لها الأثر الواضح في التحليل النحوي الألسني الحديث، مما يؤكّد أنّ مثل هذه الأفكار والمفاهيم التي تطالعنا بها المؤلفات الغربية المعاصرة ليست دخيلة على منهجيّة دراسة النحو العربي، بل لها جذور عميقة في التحليل النحوي عند النحاة القدماء تتطلّب منا إعادة فهمها بصورة عصريّة تتناسب مع طبيعة الدرس اللغوي الحديث، متمثلة بالمحاور الآتية:

المحور الأول: الجانب الوظيفي للنحو

انطلق الدرس الألسني النحوي الحديث في دراسته للغة على أساس البعد الوظيفي للنحو في تعليم اللغات وتعلّمها؛ انطلاقاً من المبدأ الأساس للغة وهو التفاهم والتواصل في بيئة لغوّية بين جميع أفرادها، مما يعني ضرورة استعمال اللغة بالقدر الذي يحقق غايتها من حيث وصول المعاني لغويّاً ومعنوياً، أي أنْ يدرس الباحث الظاهرة اللغويّة دراسة تعكس حقائق اللغة كما هي في الاستخدام الفعلي بعيداً عن أي شكل من أشكال التأثّر المنهجي(٢).

---

(١) حسن عبدالغني الأسدي، **مفهوم الجملة عند سيبويه**، دار الكتب العلميّة، ط١، بيروت، ٢٠٠٧، ص٢٠–٢٢.

(٢) يحيى عبابنة، وآمنة الزعبي، **علم اللغة المعاصر**، دار الكتاب الثقافي، ط١، الأردن، ٢٠٠٥، ص١٦.

فكان البعد التعليمي هو الهدف الأسمى في دراسة النحو في أيّ لغة من اللغات. وسار في هذا الركب الكثير من الباحثين العرب المحدثين في محاولات لإعادة دراسة النحو العربي؛ معللين ذلك بصعوبة القواعد النحوّية في اللغة العربية، واستعصائها على متعلميها، عازين ذلك كلّه إلى منهجيّة دراسة النحو العربي، وطرائق تقعيده التي قامت –بناء على تصوّرهم– على أساس الشكل الظاهري وأهملت صلة العلامة الإعرابيّة بالمعنى[١]. مما يعني –عندهم– أنّ منهجيّة دراسة النحو العربي القديمة قامت على أساس الشكل لا المعنى. ومن هؤلاء الباحثين –الذين وجّهوا النقد إلى منهج دراسة النحو العربي القديم– إبراهيم مصطفى في كتابه إحياء النحو، حيث يرى أنّه ينبغي دراسة: "علامات الإعراب على أنّها دوال على معانٍ، وأن نبحث في ثنايا الكلام عمّا تشير إليه كلّ علامة منها"[٢]. محاولاً في ذلك تحليل بناء الجملة، مركّزاً بالأساس على دلالتها الوظيفية حتّى يسهل تعلمها للمتكلّم والمتعلّم، انطلاقاً من تعريفه للنحو –الذي يراه جديداً– بأنّه "قانون تأليف الكلام"[٣].

ولعلّ القاسم المشترك لمختلف الدراسات التي نحت منحًى وظيفياً في دراسة اللغة –إلى جانب الهدف التعليمي– اعتبار التراث النحوي القديم لا يقدّم وصفاً صالحاً للغة العربية من حيث تفسير نظامها وشرح خصائصها. فاللغة من هذا المنظور هي التي يستخدمها الناس فعلاً، لا اللغة التي يعتقد بعضهم أنّ على الناس أن يستخدموها[٤]. ولعلّ مثل هذه الآراء مسبوقة بآراء قديمة في هذا المجال، وأصوات نادت بمثل هذه الفكرة، ولعلّ أبرز ما يمثلها موقف ابن مضاء من قضيّة العامل في كتابه (الردّ على النحاة)، حيثُ يرى "أنّهم (النحاة) التزموا ما لا يلزمهم، وتجاوزوا

---

(١) يُنظر على سبيل المثال: علي أبو المكارم، **تقويم الفكر النحوي** (مرجع سابق)، ص١٢٣–١٢٥.

(٢) إبراهيم مصطفى، **إحياء النحو**، القاهرة، (د.ن)، ١٩٩٢، ص٤٠.

(٣) السابق، ص٤١.

(٤) إسماعيل عمايرة، **المستشرقون والمناهج اللغويّة**، دار حنين، ط٢، عمّان، ١٩٩٢، ص٩٧.

فيها (عملية التقعيد النحوي) القدر الكافي فيما أرادوه، فتوعّرت مسالكهم، ووهنت مبانيها"[١]. وأصبح القول بهدم نظرية العامل سُنّة المجددين من عهده إلى اليوم، ولم يقدِّموا بديلاً ينتظم النحو ويعين على فهمه ودرسه وتدريسه. أضف إلى ذلك أنّ طبيعة العقل اللغوي للغة أحياناً قد تفرض مثل هذه النظريّة تفسيراً لظواهرها وعرفها الاستعمالي[٢].

فكانت صرخات المجددين المحدثين قائمة على البعد الوصفي، الذي يستمد أسسه من اللسانيات البنيوية، بمعنى ضرورة أن يتسم النحو بالآلية الوصفية المقاربة للمظاهر الصوتية والتركيبية والدلالية في اللغة دون النفاذ إلى الدهاليز الفلسفية في التفسير والتعليل[٣]. فاللغة بناء على هذا التصوّر "موضوع من موضوعات الوصف كالتشريح لا مجموعة من القواعد كالقانون... الباحث في تشريح اللغة، والمقصود هنا تحليلها تحليلاً دراسياً، لا ينبغي أن يعبر عن موقفه من موضوعه بالنص على ما يجوز وما لا يجوز. وهمُّ اللغوي لهذا السبب أن يصف الحقائق لا أن يفرض القواعد"[٤]. فالاعتقاد السائد لدى المجددين هو أنّ كلّ ما يقوم به النحو هو دراسة الجانب اللفظيّ، وتعليم شكليّات في اللغة لا يتوقَّف عليها الفهم والإدراك[٥].

وبما أن كتابات النحاة القدماء خالية من كل هذه المعاني –بناء على تصوّر المجددين– فقد لجأوا إلى الاستفادة من آراء الدرس الألسني الحديث من خلال محاولة استحداث منهج لغوي يستحضر اللفظ والمعنى معاً. فما مدّى صحة مثل هذه

---

(١) أحمد بن عبدالرحمن بن مضاء (ت٥٩٢هـ/١١٩٦م)، **الرد على النحاة**، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، ط٢، مصر ١٩٨٢، ص٧٢.

(٢) باسم يونس البديرات، "**جهود علماء اللغة في تيسير النحو العربي**"، **مجلة دار العلوم**، القاهرة، ٢٠١٣م، العدد٦٧، ص٦٩٤.

(٣) علي أبو المكارم، **تقويم الفكر النحوي** (مرجع سابق)، ١٣٤.

(٤) تمام حسان، **اللغة بين المعياريّة والوصفيّة (مرجع سابق)**، ص٢٤.

(٥) إبراهيم مصطفى، **إحياء النحو** (مرجع سابق)، ص٤١–٤٣.

الادعاءات قديماً وحديثاً، وهل حقيقة أنّ منهجية دراسة النحو العربي قامت على أسس غير لغويّة مستقاة من قضايا فلسفية منطقيّة بعيدة عن الاستعمال اللغوي، وبعيداً عن المعنى الذي يقصده المتكلّم ويلهث خلفه المتلقي؟

للإجابة عما سبق يمكن القول: إن الدراسات اللغويّة الحديثة وأسلوب معالجتها يرجع إلى طريقة تناولها من الوجهة العلمية المحضة، وهذا لا ينتقص شيئاً من فائدة الدراسات القديمة وإنما يزيدها أهميّة بحيث تصبح المرتكز الأساس في كل دراسة فكرية لغوية جديدة، لأنها ما زالت تُمِدّنا بما نعتمد عليه في بحوثنا، يقول حلمي خليل: "وفي ظنّي أنّ جماع الأمر كلّه يعود إلى الفهم والتمثّل لحقائق التراث العربي وأصوله وحقائق الثقافة الغربية وأصولها، ومن البداهة أن لا معاصرة دون أصالة، ولا أصالة دون معاصرة فاعلة ومتفاعلة"[١].

قد حصل تطور كبير في مجال الدراسات اللغوية عند مختلف الشعوب التي اهتمت بدراسة لغتها، وتحققت لديها نتائج مذهلة. فقد كان لاكتشاف اللغة (السنسكريتية) أثر واضح في تمكين الجميع من الاطّلاع على التراث اللغوي الهندي الرائع الذي خلفه علماؤهم حين درسوا لغتهم بهدف ديني واضح، هو الرغبة في التمكن من قراءة (الفيدا) وهو كتاب مقدس، وصِفت فيه أصوات تلك اللغة وتراكيبها الصرفية والنحوية وصفاً دقيقاً، وقد تُرجِم جانبٌ كبيرٌ من هذا التراث إلى لغات أخرى كالإنجليزية والفرنسية والألمانية. وقد تأثر الغربيون في العصر الحديث بالعالم اللغوي الهندي (بانيني) واعتبروه أعظم لغوي وصاف في العالم القديم، وعنه أخذوا المنهج الوصفي بل "لا تزال أراء (بانيني) اللغوية مقبولة لدى الغربيين المحدثين حتى إنّ بعض المصطلحات الفنية التي وضعها لعدد من الظواهر اللغوية لا يزال مستعملاً حتى الآن"[٢].

---

(١) ينظر: مقدمة كتاب **نظرية تشومسكي اللغويّة** (مرجع سابق)، جون ليونز.

(٢) عبده الراجحي، **فقه اللغة في الكتب العربية** (مرجع سابق)، ص١٢.

ولم نجد من يعيب على هذه المناهج تأثّرها بالقديم، أو تقديم العيوب والنواقص فيها؛ فعمليّة التأثّر والتأثير بين مختلف العلوم الإنسانية واقع لا يمكن إنكاره، وخير دليل على ذلك نشأة بعض فروع علم اللغة، كعلم اللغة الاجتماعي وعلم اللغة النفسي، وغيرهما. كما أنّ أسباب نشأة دراسة النحو العربي تُفْصِح عن الجانب الوظيفي الذي سعت منهجيّة دراسة النحو العربي عند القدماء إلى تحقيقه. فكان من أسباب نشأة علم النحو الغرض التعليمي، وهو تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها بها بعد تغيّر المجتمع العربي بالاختلاط والمعاملة والتزاوج، وترتّب على ذلك –كما يرى الكثير من الباحثين(١)– دخول الخلل والزلل في اللسان العربي.

قام التحليل النحوي لدى علماء العربية القدامى بداية على أساس تحديد مرجعيّة لغويّة للاستعمال يُحتكم إليها في بيان صحّة التقعيد اللغوي. مما يعني ضرورة التوصّل إلى القواعد المفسّرة لنظام تأليف الكلمات أو تركيب الكلمات في الجمل، حتّى تؤدي المعنى المراد طبقاً لنظام اللغة(٢). فكان التركيز على دراسة العلاقة بين النظرية والتطبيق لعناصر الوظائف النحويّة العربية المشار إليها في النحو العربي من خلال الجمل والنصوص القرآنية وما يُستنبط من تلك العملية التي عُرفت بالمادة اللغويّة، أو مرجعيّة التحليل النحوي؛ لضمان سلامة مرجعيّة التحليل النحوي وأساسه الأفصح من كلام العرب(٣). فأساس البحث النحوي قائم على قوانين تأليف الكلام، أو كيفية التركيب فيما بين الكلم لتأدية أصل المعنى مطلقاً بمقاييس مستنبطة من استقراء كلام العرب وقوانين مبنية عليها(٤).

---

(١) مجد الدين أبو السعادات المبارك بن الجزري (ت٨٤٤هـ/١٤٢٩م)، **النهاية في غريب الحديث**، ٤ج، تحقيق طاهر أحمد الزاوي وآخر، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٦٣، ج١/ص٥.

(٢) محمود فهمي حجازي، **مدخل إلى علم اللغة: المجالات والاتجاهات**، الدار المصريّة السعودية، القاهرة، ٢٠٠٦، ص١١٩.

(٣) جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ/١٥٠٥م)، **الاقتراح في علم أصول النحو**، تحقيق: أحمد محمد قاسم، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٧٦، ص٥٦ – ٧٠.

(٤) أبو يعقوب يوسف السكاكي، (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، **مفتاح العلوم**، م١، تحقيق: أكرم عثمان، مطبعة دار الرسالة، بغداد، ١٩٨٢، ص٣٣.

فبرزت تجليات البعد الوظيفي لدى النحاة الأوائل منذ عمليّة جمع اللغة ضمن قواعد نحويّة مطّردة بناء على الاستعمال اللغوي عند العرب أو القرآن الكريم. ومن هنا كان التقعيد اللغوي رهين الاستعمال، ممكّناً المتكلّم من دليل يقتدي به، ومرجعاً يحتكم إليه، ونموذج منظر يقيس عليه عن وعي أو غير وعي(١). وتسهيلاً لتعلّم القواعد وتعليمها اصطلح النحاة على وضعها ضمن أبواب محددة، منها الإسناد، والفاعليّة، والمفعوليّة، والوصفيّة، والتبعيّة، وغيرها، مرتكزة على النظام الإعرابي ظاهراً أو مقدراً؛ فكلّ فاعل مرفوع، وكلّ مفعول منصوب، وهكذا.

وفي تحديد النحاة لمرجعيّة الاستعمال اللغوي إشارة واضحة منهم إلى مدى تفهمهم لما يسمّى عند المحدثين بـ(محاكاة النظير)(٢)، ويعدّ أساساً من أسس تعلّم اللغات وتعليمها، بمعنى ضرورة توافر نموذج لغوي سليم يتبعه معلّم اللغة ومقعّدها ويسترشد به في تحديد الصواب من الخطأ. وهي ظاهرة يلجأ إليها الإنسان في حالة استعماله صيغاً جديدة لم يعرفها من قبل، وهذه الصيغ تأتي مقيسة على ما اختزنه المتكلّم في ذاكرته من نظم البيئة اللغويّة، فـ"الإنسان يتبع القياس دائماً في كلامه، وما جداول التصريف والإعراب التي تذكر في كتب النحو إلّا نماذج يُطلب إلى التلميذ محاكاتها"(٣).

ويتجلّى البعد الوظيفي للدرس النحوي القديم –كذلك– بصورة واضحة في حدّ النحاة للنحو بأنّه: "انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره... ليلحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة، فينطق بها وإنْ لم يكن منهم،

---

(١) عبدالقادر المهيري، **نظرات في التراث اللغوي العربي**، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٣، ص١٣١.

(٢) محمد عيد، **أصول النحو العربي**، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٨٧، ص١٠٧.

(٣) فندريس، **اللغة**، تعريب عبدالحميد الدواخلي ومحمد القصّاص، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، ١٩٥٠، ص٢٠٥.

وإنْ شذ بعضهم عنها رُدّ به إليها"[1]. وكذلك جهود وضع الحركات الإعرابية ما هي إلا محاولة ضبط للنصوص اللغوية تسهيلاً لمن لا يفرّق بين المرفوع والمنصوب وغيره.

أمّا أن النحو العربي قد قام على أسس شكليّة وأهمل العلاقة بين العلامة الإعرابية والمعنى –كما يرى المجددون– فهذا اتّهام مردود بدليل ما تكشفه منهجيّة معالجة النصوص اللغويّة في كتب التراث في غير موطن منها، ولعلّ في ردّ الخليل عندما سُئِل عن العلل التي يعلل بها في النحو ما يكون فيه جلاء للشك، فقيل له عن العرب أخذتها (العلل) أم اخترعتها من نفسك، فقال الخليل: إنّ العرب نطقت على سجيتها وطباعها وعرفت مواقع كلامها وقام في عقولها علله"[2]. مشبّهاً عمله بحال رجل حكيم دخل داراً أَحكم الباني بناءَها بالخبر الصادق، فكلّما وقف الرجل في الدار على شيء منها قال: إنّما فعل هذا هكذا لعلّة كذا وكذا.

والدارس للكتب النحوية السابر لأغوارها وكنوزها العلمية، لا يمكن أن يغفل بحال من الأحوال عن منهجيّة النحاة في دراسة التراكيب اللغويّة القائمة على أساس المعنى لا الشكل، وأدركوا أنَّ التغيير الذي يَحدث في أيّ تركيب ما هو إلّا لصالح المعنى، مثال ذلك ما نجده لدى سيبويه، فإذا تعارض أكثر الرأيين إعراباً مع المعنى الذي يقتضيه الحال، رجّح الأقوى ما دام المعنى يأتلف به ويطّرد معه[3]. بمعنى أن اهتمامه لم يقتصر على الشكل الخارجي للتركيب من حيث الإعراب فحسب، وإنما اهتمّ بالتركيب وبالمعنى الذي يمكن أنْ ينجم عنه، يقول سيبويه: "وليس شيء

---

(١) أبو الفتح عثمان بن جني، **الخصائص** (مرجع سابق)، ج١/ ٣٤.

(٢) أبو القاسم الزجاجي، **الإيضاح في علل النحو**، (ت٣٤٠هـ/٩٢٥م)، تحقيق: مازن المبارك، دار النفائس، بيروت، ١٩٨٢، ص٦٥–٦٦.

(٣) عبدالعزيز عبده أبو عبدالله، **المعنى والإعراب عند النحويين ونظرية العامل**، ج٢، منشورات الكتاب والتوزيع والإعلان والمطابع، طرابلس، ١٩٨٢، ج١، ص٣٠٧.

يضُطَرّون إليه إلا وهمْ يحاوِلون به وجهاً"[١].

وقد نالت مسألة التجاذب بين اللفظ والمعنى عناية عند الكثير من النحاة غير سيبويه، مما يؤكّد مدى عنايتهم بالمعنى في التحليل النحوي، ومن ذلك ما نجده عند ابن جني في كتابه الخصائص، فقد تناول المسألة في غير باب منها: (باب في تجاذب المعاني والإعراب)، حيث يقول: تجد في كثير من المنثور والمنظوم الإعراب والمعنى متجاذبين، هذا يدعوك إلى أمر، وهذا يمنعك منه، فمتى اعتورا كلاماً ما أمسكت بعروة المعنى، وارتحت لتصحيح الإعراب"[٢]. وعقد باباً آخر بعنوان: (باب في التفسير على المعنى دون اللفظ)، فصّل فيه المسألة حين التجاذب بين الألفاظ والمعاني كاشفاً منهجيّة التحليل النحوي لديه القائمة على أساس المعنى، حيث يقول: "اعلم أن هذا موضع قد أتعب كثيراً من الناس واستهواهم، ودعاهم من سوء الرأي وفساد الاعتقاد إلى ما مذِلوا به، وتتابعوا فيه، حتّى إنّ أكثر ما ترى من هذه الآراء المختلفة، والأقوال المستشنعة إنما دعا إليها القائلين بها تعلّقهم بظواهر هذه الأماكن، دون أن يبحثوا عن سرِّ معانيها، ومعاقد أغراضها... فمن ذلك قول سيبويه في بعض ألفاظه: حتّى الناصبة للفعل، يعني نحو قولنا: اتق اللهَ حتّى يدخِلَك الجنّةَ، ومنه قولهم: أهلَك والليلَ، فإذا فسّروه قالوا: الحقْ أهلك قبل الليل[٣].

وأمثلة إعارة المعنى الاهتمام الكبير في التحليل النحوي القديم كثيرة، من ذلك تحديد النحاة لحالات عمل اسم الفاعل عمل الفعل المضارع، نحو: "إني ضاربُ زيدٍ". "وإنّي ضاربٌ زيداً"، فلو كان التحليل قائماً على أسس شكليّة بحتة لوجدنا النحاة يكتفون فقط في مثل هذه التراكيب المتشابهة ببيان الجانب الإعرابي، إلا أنّ الإعراب

---

(١) سيبويه عمرو بن عثمان (ت١٨٠هـ/٧٩٦م)، **الكتاب**، ٥ج، تحقيق: عبدالسلام هارون، مكتبة الخامجي، القاهرة، ١٩٨٨، ج١، ٣٢.

(٢) ابن جني، **الخصائص** (مرجع سابق)، ج٣/٢٥٥.

(٣) السابق، ج٣/٢٦٠-٢٦١.

عندهم كان معلَّلاً بالمعنى الذي يفرضه على هذا الأساس، يقول سيبويه: هذا باب من اسم الفاعل "الذي جرى مجرى الفعل المضارع في المفعول في المعنى فإذا أردت فيه من المعنى ما أردت في يفعل كان نكرة منوناً وذلك قولك: هذا ضارب زيداً غداً. فمعناه وعمله مثل هذا يضرب زيداً غداً. فإذا حدثت عن فعل في حين وقوعه غير منقطع كان كذلك. وتقول: هذا ضارب عبدالله الساعة فمعناه وعمله مثل هذا يضرب زيداً الساعة"[١].

ولننظر –كذلك– إلى طريقة تحليل التركيب الآتي في الدرس النحوي، ونثبت ما جاء سابقاً، يقول الراعي النميري[٢]:

إذَا ماَ الْغانِياتُ بَرَزْنَ يَوْماً   وَزَجَّجْنَ اَلحْوَاجِبَ وَالْعُيُونَا

فلو كان التحليل مقتصراً على الجانب الشكلي (الإعراب) لاكتُفي في تحليل هذا التركيب بالقول: إنّ (العيون) معطوفة على (الحواجب)، فكان الأمر مبرراً للحركة. إلا أننا نجد أن التحليل قد تجاوزه إلى ما هو أبعد وأسمى وهو الجانب المعنوي، فكان موجب الحركة فعلاً مقدّراً في سياق الكلام تقديره (كحّلْنَ)؛ لأن الكحل من مستلزمات العين لا التزجيج.

المحور الثاني: المعنى المُراد

نالت الجملة عناية فائقة في الدرس الألسني الحديث على أيدي علماء يُعدون علامات بارزة في تطوير الدرس اللغوي الحديث من وجهة نظر الكثير من الباحثين[٣]. وأشهر أسماء العلماء المعاصرين تداولاً في هذا المجال العالم اللغوي

---

(١) سيبويه، **الكتاب** (مرجع سابق)، ج١/١٦٤.

(٢) ابن جني، **الخصائص** (مرجع سابق)، ج٢/٤٣٢. بحر الوافر.

(٣) عبدالقادر مرعي، **أساليب الجملة الإفصاحيّة في النحو العربي**، دراسة تطبيقية في ديوان الشابي، مؤسسة رام للتكنولوجيا، ط١، الأردن، ١٩٩٥، ص٥٦.

السويسري (فرديناند دي سوسير)، حيثّ أكّد أنّ دراسة اللغة ينبغي أن تكون منبثقة من الاستعمال الفعلي لها، مؤكّداً على مظهرين من مظاهر اللغة: أحدهما التركيب الداخلي (المعنى). والثاني اللغة المنطوقة (اللفظ) الذي يُعدّ المظهر الحقيقي لاستعمال اللغة. ودعا إلى دراسة اللغة دراسة وصفيّة كأي ظاهرة اجتماعية أخرى[1].

ثمّ برز المذهب السلوكي في دراسة اللغة، وأشهر علمائه (بلومفيلد)، حيث يرى أصحاب هذا المذهب أنّ اكتساب اللغة سلوك يتم من خلال التقليد والمحاكاة ومعادلة المثير للاستجابة، فدراسة اللغة عندهم من جوانب نفسيّة[2]. ثمّ ظهر المنهج التحويلي في دراسة البنى الجملية، وصاحب هذا المنهج العالم اللغوي (تشومسكي)، وقامت فكرته على أساس وجود مستويين في البحث الجملي، وهما: البنية العميقة، والبنية السطحيّة. ويُقصد بالبنية العميقة الأساس الذهني المجرّد لمعنى معيّن يوجد في ذهن الإنسان، ويرتبط بتركيب جملي أصولي، يكون هذا التركيب رمزاً لذلك المعنى. أما البنية السطحيّة فهي الكلام المنطوق المرتبط ارتباطاً وثيقاً بالقواعد التحويلية في اللغة[3].

وعلى هذا الأساس قام تحليل بنية الجملة في التحليل النحوي التوليدي، فالمستوى الظاهر من الجملة لا يقدّم سوى البنية السطحية للجملة، أما الغموض الدلالي الذي قد يطرأ على بعض التراكيب فتفسّره الجملة العميقة. مثال ذلك ما نجده في الجملتين الآتيتين: (أُعطِي المالُ من زيدٍ). و(سُرِق المالُ من زيدٍ). فالبنية السطحيّة تظهر تساوياً دلالياً في الجملتين بناء على الحالة الإعرابية لكلمة (زيد) في حين أنّ البنية التحتية تكشف هذا اللبس في دلالة الجملتين، بحيث يكون (زيد) في الجملة الأولى

---

(١) خليل عمايره، **في نحو اللغة وتراكيبها**، مؤسسة علوم القرآن، ط٢، دبي، ١٩٩٠، ص٣٩.

(٢) السابق، ص٤٦.

(٣) عبدالقادر مرعي، **أساليب الجملة الإفصاحيّة** (مرجع سابق)، ص٩-١٠.

فاعلاً. وفي الجملة الثانية مفعولاً وقعت عليه عمليّة السرقة[1]. فالمعنى المراد من أكثر عناصر الجملة عناية ودراسة في التحليل الألسني الحديث؛ وهو المحرّك الأقوى في عمليّة التحليل؛ انطلاقاً من الوظيفة الأساسيّة للغة بشكل عام؛ لأنَّ الفائدة من الخطاب إفهام المُخاطَب، والفهم والإفهام لا يتحققان إلا بوضوح المعنى المراد بين طرفي عمليّة الاتصال (المُخاطِب والمُخاطَب).

وقد أدرك علماء اللغة القدماء في بدايات دراستهم للغة أهمية علم النحو في فهم اللغة المنطوقة أو المكتوبة، وأن سلامة نحو الجملة ضرورة معينة على فهم المعنى. وبذلك تشكّل مفهوم هذا العلم –النحو– ليدلّ على العلم الذي يدرس قواعد النظام النحوي دراسة علمية، ويصف ظواهره التركيبية معتمداً بعض الأسس اللغويّة لذلك، كالتغيّر الإعرابي، والرتبة، والمطابقة، وظاهرة التعلّق، وظاهرة الإتباع وغير ذلك[2]، مما يشير إشارة واضحة إلى مدى الإبداع الفكري الذي وصل إليه النحاة القدامى في دراسة اللغة وتراكيبها الجملية. فبذلوا جهوداً كبيرة في بيان مقاصد الكلام في العربية، وبناء نظرية واضحة المعالم للنحو العربي تقوم على أنَّ غاية اللغة الإفهام والوضوح؛ ولذا وجدناهم قد بدأوا التحليل النحوي –بداية– بحصول المعنى، من خلال تحديد دقيق لمفهوم الجملة التي تعدّ اللبنة الأساسيّة في تكوين الخطاب البشري المتكامل. فبناء الجملة عند النحاة القدماء يتصل بالقواعد التي تحدد نظام الجملة في اللغة، وتجعلها قادرة على أداء المعنى الذي يريده المتحدّث أو الكاتب فيصل إلى المستمع أو القارئ[3].

ولعلّ تحديد النحاة العرب القدامى –بداية لمفهوم الجملة– يعدّ إفصاحاً صريحاً عن منهجيتهم لدراسة بنية التراكيب اللغويّة، وأثر تمام الجملة في وضوح المعنى

---

(١) محمود فهمي، **مدخل إلى علم اللغة** (مرجع سابق)، ص١٣٣.

(٢) تمام حسان، **اللغة العربية معناها ومبناها**، دار الثقافة، ط٤، الدار البيضاء، ٢٠٠١، ص٢٥٠.

(٣) محمود فهمي، **علم اللغة العام** (مرجع سابق)، ص١١٩.

المراد. يتضح ذلك في تحديد المبرّد لمفهوم الجملة في كتابه المقتضب، حيث يقول في باب الفاعل: "وإنّما كان الفاعل رفعاً لأنّه هو والفعل جملة يحسن عليها السكوت، وتجب بها الفائدة للمخاطب"(١)، ويستعمل ابن جنّي لفظ الكلام بمعنى الجملة في قوله: "كلُّ لفظٍ مستقلٍ بنفسِه مفيد لمعناه، وهوَ الذي يُسمِّيه النحويونَ الجُملَ"(٢).

ويعدّ ابن هشام الأنصاري من أكثر النحاة المتأخرين عناية بالجملة؛ ميّز – بداية – بين الجملة والكلام بقوله: "الكلام هو القول المفيد بالقصد، والمراد بالمفيد ما دلّ على معنى يحسن السكوت عليه، والجملة عبارة عن الفعل وفاعله، والمبتدأ وخبره، وبهذا يظهر لك أنّهما ليسا بمترادفين كما يتوهّم كثير من الناس، والصواب أنّها أعمّ منه، إذ شرطه الإفادة بخلافه(٣). ثمّ فصل ابن هشام القول بالجملة، فدرسها دراسة مستوفاة، وأفرد لها باباً خاصاً في كتابه (مغني اللبيب) سمّاه (في تفسير الجملة وذكر أقسامها وأحكامها). وجعلها قسمين: صغرى وكبرى، "الكبرى هي الاسمية التي خبرها جملة نحو زيد قام أبوه، وزيد أبوه قائم. والصغرى هي المبنية على المبتدأ كالجملة المخبر بها في المثالين"(٤).

وربّما لا نجانب الصواب إذ قلنا: إنّ علماء الألسنيّة المحدثين لم يخرجوا عن هذا الإطار في تحديدهم لمفهوم الجملة؛ إذ الجملة عندهم "أقل قدر من الكلام يفيد السامع معنى مستقلاً بنفسه سواء تركّب هذا القدر من كلمة واحدة أو أكثر"(٥). أو

---

(١) أبو العباس المبرد (ت٢٨٥هـ/٩٠٠م)، **المقتضب**، تحقيق: محمد عبدالخالق عضيمة، عالم الكتب، د.ت، بيروت، ج١/ص٨.

(١) أبو الفتح عثمان ابن جني (ت٣٩٢هـ/١٠٠٢م)، **الخصائص**، تحقيق: محمد النجار، دار الكتب العلميّة، د.ت، مصر، ج١/ص١٧.

(٣) أبو محمد عبدالله بن هشام الأنصاري، (ت٧٦١هـ/١٣٥٩م)، **مغني اللبيب**، (٢ج)، تحقيق عبداللطيف محمد الخطيب، (د.ت)، (د.ن)، ج١/ ص٤٩٠.

(٤) ابن هشام، المرجع السابق، ج١/ص٤٩٧.

(٥) إبراهيم أنيس، **من أسرار اللغة**، مكتبة الأنجلو، ط٥، مصر، ١٩٧٥، ص٢٧٧.

هي "الحد الأدنى من الكلمات التي تحمل معنى يحسن السكوت عليه. فقام زيدٌ جملة، وزيد مجتهدٌ جملة، وصه جملة، وأف جملة، والنارَ جملة"[١]. خلاصة القول بما سبق أنّ تحديد النحاة العرب القدماء لمفهوم الجملة تحديداً دقيقاً قام على أساس الحد الأدنى من الكلام الذي يقدّم للمستمع المعنى المُراد بصورة واضحة، هو الأساس ذاته الذي اعتمده الدرس الألسني الحديث برمته في تحديده لمفهوم الجملة وارتباط هذا المفهوم بالمعنى.

المحور الثالث: السلامة اللغويّة والصّحة المعنويّة

من المقرر لدى الباحثين أنّ المنهجيّة الأساسيّة لتحليل تركيب الجملة تنطلق من فكرة ممارسة المتكلّم للغة، مما يعني وضع الكلمات في تتابع مناسب للتعبير، ويكون هذا التتابع طبقاً للقواعد المنتجة لأنماط بناء الجمل في اللغة الواحدة[٢]. وإذا اختلَّ هذا النظام لن تحقق اللغة الغرض والإفهام؛ "لأنّ اللغة في ماهيتها ليست إلا نَظْماً من الكلمات التي ارتبط بعضها ببعض ارتباطاً وثيقاً تحتمه قوانين معينة لها"[٣].

ويلقى على عاتق التركيب اللغوي مسؤولية كبيرة في إيصال المعاني والدلالة، ولا يستطيع التركيب اللغوي أن يؤدي دلالته بالصورة المطلوبة إلا ضمن نسق لغوي معين يلتزم ترتيباً معيناً عماده الانتقاء والتنسيق. وهما عمليتان رئيسيتان في سيرة الكلام. ففي مرحلة الانتقاء: يختار المتكلّم بعض العناصر المجددة الموجودة في مخزونه اللغوي، ثم يأتي دور العنصر الثاني المتمم والمتمثل في عنصر التنسيق بين هذه الوحدات المجددة والعناصر المختارة لتكون وحدات لسانية معقدة، فالمتكلّم

---

(١) خليل عمايرة، **في نحو اللغة وتراكيبها** (مرجع سابق)، ص٧٨.

(٢) محمود فهمي حجازي، **مدخل إلى علم اللغة** (مرجع سابق)، ص١٢٠.

(٣) وليد محمد مراد، **نظرية النظم وقيمتها العلمية في الدراسات اللغوية عند عبدالقاهر الجرجاني**، دار الفكر، ١٩٨٣، دمشق، ص١٩٣-١٩٤.

يختار كلماته من الكنز اللغوي المعجمي الخاص باللغة التي يتكلمها ويؤلف بينها في جمل تخضع لنظام هذه اللغة، والجمل بدورها تتلاءم لتكون عبارات(١).

وبعد ذلك تأتي المرحلة الثانية لتتم ما بدأه الاختيار، وهي عملية التنسيق فيؤلف المتكلم بين الكلمات التي اختارها في جملة تخضع لنحو اللغة التي يستعملها، وهذه الجملة تكون النواة للفقرة. والفقرة بدورها تتألف من غيرها من الفقرات لتكون النص، وبذلك يكون الثنائي المتلازم الانتقاء والتنسيق في أساس تكوين الكلام(٢). فالتركيب في صورته الأولية عبارة عن مجموعة من الألفاظ المفردة التي ينبغي الحذر والتأني في تخيرها، حتّى تعبّر عن المعنى بصورته التامة، وفي حالة إجادة المتكلّم في التّخيّر الأولي (اللفظ) سيؤدي المعنى بأفضل حال وأتمّه.

وعلى هذا الأساس قام تصوّر (تشومسكي) لعمليّة توليد الجمل، حيث تمرّ بسلسلة من الاختيارات تخضع بدورها لنظام معيّن بناء على طبيعة اللغة، فيتوقّف اختيار العنصر التالي على اختيار العنصر السابق له مباشرة، مثال ذلك في اللغة الإنجليزيّة:

This Man Has Brought Some Bread

فاختيار كلمة (**This**) يخضع لاختيارها من بين مجموعة كلمات تصلح لصدارة الجملة في اللغة الإنجليزيّة، وكلمة (**Man**) تمّ اختيارها على أساس أنّها من الكلمات التي يجوز أن تقع بعد كلمة (**This**). وهكذا بقيّة عناصر الجملة السابقة. بينما إذا اخترنا كلمة مثل (**These**) لكي تحتلّ الصدارة في الجملة فسنجد أنّ الاختيارات

---

(١) فرديناند دي سوسير، **محاضرات في علم اللغة**، ترجمة عبدالقادر قنيني، دار أفريقيا الشرق، ١٩٨٧، المغرب، ص١٥٦.

(٢) فرديناند دي سوسير، **دروس في الألسنية العامة**، ترجمة صالح القرمادي وآخرين، الدار العربية للكتاب، ط١، طرابلس، ١٩٨٥، ص٥٣-٥٤.

التالية تختلف. حيث لا بدّ لنا من اختيار كلمة مثل (Men) لكي تحتلّ المركز الثاني في الجملة، ثم كلمة مثل **(Have)** لكي تحتلّ المركز الثالث[١]. وبناء على عمليتي الانتقاء والتنسيق نجد أنّ عبارتين مثل:

This Awful Man

These Awful Man

صحيحتان نحوياً ودلالياً طبقاً للقواعد المنتجة لأنماط الجملة في اللغة الإنجليزيّة. أمّا في عبارتين مثل:

These Awful Man

This Awful Men

فهما عبارتان غير مقبولتين في النظام النحوي للغة الإنجليزيّة[٢].

ولعلّ مثل هذا التحليل الألسني الحديث لا يُعدّ دخيلاً على الدرس النحوي القديم، فقد تنبّه علماء اللغة القدماء في دراستهم النحويّة للتراكيب إلى أهمية عمليتي الانتقاء والتنسيق في إيصال المعاني من خلال الإشارة إلى ضرورة تحديد ما يقبله النظام اللغوي للغة وما لا يقبله، أي ضرورة اجتماع السلامة اللغويّة والصحة المعنويّة. فالنحاة القدماء نظروا إلى اللفظ والمعنى على أنّهما كلّ واحد، ولكن هذا الانسجام والتوافق لا يمكن إلّا ضمن التركيب. فأصبح بناء الجملة في اللغة العربيّة –في تصوّرهم– لا يخضع لاختيارات عشوائيّة من المفردات، وإنّما ينتظمها قانون معيّن من التأليف، فليس كل تتابع للوحدات الصرفية أو المورفيمات يكون تركيباً مقبولاً أو جملة مفيدة، إذ الأمر يرتبط بالتتابع السليم للصيغ ومدى أدائها للمعنى ضمن العُرف اللغوي، بمعنى الاستعمال الفصيح عند العرب. وقد عبّر عنه سيبويه بـ(المستقيم

---

(١) جون ليونز، **نظريّة تشومسكي اللغويّة** (مرجع سابق)، ص١٠١-١٠٤.

(٢) السابق، ص١٠٩.

الحسن)، وعقد له باباً في كتابه سماه باب (الاستقامة من الكلام والإحالة)، ومثّل على المستقيم الحسن بقوله: (أتيتكَ أمسِ أوسآتيكَ غداً). وعبّر عن النوع الآخر (المُحال) بقوله: "أتيتك غداً، أوسآتيك أمسِ". ففي النوع الأول من الاستعمال تشابه التركيبان من حيث البناء الخارجي، إلا أنّ الاختلاف يكمن في تغيّر دلالة العنصر الثاني (أمسِ) الدال على الزمن الماضي، مع العنصر (السين) التي تفيد دلالته في اللغة العربيّة الاستقبال. وأن تضع الكلام في غير موضعه عدّه من القبيح في الاستعمال، نحو قولك: قد زيداً رأيت، وكي زيدٌ يأتيك[١]. فالنظام اللغوي للغة العربيّة يقتضي القول: قد رأيت زيداً، وكي يأتيك زيدٌ. مع أن المكوِّنات اللغويّة في الحالتين واحدة، إلا أنّها اختلفت في طريقة التوزيع داخل التركيب اللغوي.

المحور الرابع: وضوح التركيب

إنّ الوظيفة الأساسيّة للغة البشرية –على اختلافها– التفاهم، فاللغة كما حدّها ابن جني "أصـــوات يُعبّر بها كلّ قوم عن أغراضـــهم"[٢]. فالتفاهم بين أبناء اللغة يقتضـــي وصـــولها بصـــورة جليّة، بعيدة عن احتمال ســوء الفهم؛ ولذا فإنّ وضـــوح التراكيب يُعدّ ذو أهميّة في أيّ عملية تواصـلية شـفاهية أو كتابية. لأن "اللغة تبقى لغة في جميع أحوالها"[٣]. بل جُعل الوضـــوح التركيبي مطلباً لا يمكن التفريط فيه؛ لأن اللغة المُلبِسة لا تصلح واسطة للإفهام والفهم، وقد خلقت اللغات أساساً للإفهام وإن أعطاها النشاط الإنساني استعمالات أخرى فنية ونفسية[٤]. مما يعني أن النظام اللغوي أوجد للإفادة، أي لتبليغ أغراض المتكلم للمستـمع فهو آلة للتبليغ جوهره تابع

(١) سيبويه، **الكتاب**، (مرجع سابق)، ج١، ص٢٥– ٢٦.

(٢) ابن جني، **الخصائص**، (مرجع سابق)، ج١/ص٣٣.

(٣) جون ليونز، **اللغة والمعنى والسياق**، ترجمة: عباس صادق، دار الشؤون، ط١، بغداد، ١٩٨٧، ص٢٦.

(٤) تمام حسان، **اللغة بين المعيارية والوصفية**، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠١، ص٥٨.

لما ولي من أمر الإفادة[١].

فاللغَةُ العربيَّةُ وأيُّ لغةٍ أُخرى تقوم على عدّةِ أُصـــولٍ لغويَّةٍ لا يمكن تركهُا أو إهمالُها إِذ لا قيمةَ للغةٍ لا تؤدِّي الغرض منها، وهو التبليغ والإفهام والبيان، وبإهمال هذا الأصـــل يتســـرب الغموض إلى هذه اللغة وتصـــبح غير قادرةٍ على تحقيق أغراضـــها. لذا نُظر إلى الغموض التركيبي على أنّه آفة التواصـــل اللغوي. كما تُعَدُّ ظاهرة الغموض في التراكيب اللغوية سبباً رئيساً في نشأة النظرية النحوية التوليدية التي استطاعت تحليل الجمل والتراكيب الغامضة بسبب بنيتها التركيبية، فيما يُسمى عند تشومسكي بـ(الغموض التركيبي)[٢].

فالفكرة الأساسية للدرس النحوي الحديث قائمة على أساس فكرة التأثّر والتأثير الناجمة عن بلاغة النص وســلامته اللغوية، وهي فكرة قام على أســاســها الدرس النحوي القديم، ودليل ذلك المزج المدروس عند القدماء (فترة بدايات النحو) بين جميع علوم اللغة بشكل عام، البلاغة والنحو بشكل خاص. فالمتأمِّل في الأسـس التي بنى نحاة العربية عليها قواعد اللغة وتصـــوراتهم وتعليلاتهم لمباحثها، يُدرك أهميّة مســـألة وضـــوح التراكيب وبعدها عن الغموض ومدى تأثيرها في منهجيّة التحليل اللغوي. فاللبس محذور عندهم؛ لهذا بحثوا الأشـباه والنظائر التي يمكن أن يقع الخلط واللبس فيهـا، وتحـدثوا عن اللبس في معظم أبواب الصـــرف والنحو والمعاني. وقالوا: (الأصل في الكلام أن يوضع للفائدة)، و(لا يجوز الابتداء بالنكرة

---

(١) نهاد الموسى، **نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث**، دار البشير، ط١، عمّان، ١٩٨٧، ص٨٧.

(٢) المتولي محمود المتولي، "**الغموض والتركيب النحوي في التراث اللغوي**"، مجلة فيلولوجي، مجلة كلية الألسن، جامعة عين شمس، مصر، العدد٤٦، ٢٠٠٦م، ص١.

لأنها لا تفيد)، وغير ذلك[١]. ومتى زالت الفائدة صــــار الكلام عبارة عن مجموعة من الألفاظ لا قيمة لها[٢].

استخدم النَّحويُّون القدامى مصطلحاتٍ متعددةً للإشـارة إلى معنى الغموض التركيبي منها اللَّبْسُ، وقد قيل فيه قديماً إنّه: خَلْطٌ بينَ مُتشـابهاتٍ في الصِّـفَاتِ يَعْسُرُ معهُ التَّمييزُ أو يتعذَّرُ[٣]. وقد أَطلقَ عليه بعضهم إشكالاً[٤]. ووسمه بعضهم بالوَهْم والتَّوهم والإيهام، وكلُّها بمعنى الاختلاط، وهي لا تحيدُ عن المعنى اللغويّ[٥].

وما مناقشات سيبويه التي كان يَعْمَدُ إليها في بعض التراكيب غير الصحيحة نحوياً أو مفاضلاته بين وجوه الإعراب إلا لارتباط النحو بالدلالة في صحة التركيب ووضوحه[٦]. وتتضح عنايته بوضوح التركيب من خلال تقسيم الكلام إلى أقسام: منه مستقيمٌ حسنٌ، ومحالٌ، ومستقيمٌ كذِبٌ، ومستقيمٌ قبيحٌ[٧]، وما هو محالٌ كذبٌ. ومثّل للقبيح من الكلام ما كان فيه الفصل بين الجار والمجرور[٨].

---

(١) رشيد بلحبيب، "**أمن اللبس ومراتب الألفاظ في النحو العربي**"، **مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية**، جامعة محمد الأول، وجدة –المغرب، ص٢.

(٢) جلال الدين السيوطي، (ت٩١١هـ/١٥٠٥م)، **همع الهوامع**، (٧ج)، تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٩٨٩، ج٢، ص١٨٤.

(٣) حمد الطاهر عاشور، **التحرير والتنوير**، (ت١٣٩٤هـ/١٩٧٣م)، (٧ج)، دار سحنون، تونس، ١٩٩٧، ج١، ص٤٧٠.

(٤) ابن جني، **الخصائص**، (مرجع سابق)، ج١٩٣/٢.

(٥) أبو الفضل جمال الدين ابن منظور،(ت٧١١هـ/١٣١١م)، **لسان العرب**، (١٥ج)، دار صادر، بيروت، د.ت، ج٦، ص٢٠٢-٢٠٣.

(٦) سيبويه، **الكتاب** (مرجع سابق)، ج١، ص٣٢١.

(٧) (مرجع سابق)، ج١، ص٢٤. القبيح عند سيبويه بمعنى: وضع اللفظ في غير موضعه، أي أن القُبْح مقصور على فساد اللفظ بصرف النظر عن المعنى.

(٨) السابق، ج٢، ص١٢٥.

وما القول لدى النحاة القدامى –كذلك– بالحذف لكثرة الاستعمال إلا دليل على العناية بوضوح التركيب، فما دام التركيب يوضّح المعاني ويحقق الفائدة بين ركني عمليّة الكلام (المتكلم والمخاطب) فلا ضرورة لذكر كلّ العناصر اللغويّة. وقد عقد سيبويه لذلك باباً سماه: "باب ما يحذف لكثرته في كلامهم حتى صار بمنزلة المثل"، ومن ذلك قولك: قولك هذا ولا زَعَماتِك –أي ولا أَتَوَهَّمُ زَعَماتِك– واستشهد على ذلك بقول الشاعر:

ديــارَ ميّةَ إذْ ميٌ مساعِفــةٌ ولا يُرى مثلَها عُجْمٌ ولا عربُ

فنصب (ديار) في البيت بإضمار فعل. قال سيبويه: "كأَنه قال أذْكُرُ ديارَ مَيّة. فحذف الفعل الناصب (أذكر) لكثرة ذلك في كلامهم"[١]. عدم تعرّض ذكر الفعل لأي غموض في التركيب استوجب عدم ذكره عند النحاة. وأمثلة التحليل بهذا المنظور كثيرة في التراث النحوي منها ما يكون على مستوى الحرف أو مستوى الكلمة أو مستوى التركيب بأكمله. وما جعْلهم المحذوف في حكم الملفوظ إلا دليل آخر على عنايتهم بوضوح المعنى، ومثال ذلك ما نجده عند ابن جنّي في قوله: إن حكم المحذوف إذا دلّت الدلالة عليه كان في حكم الملفوظ به إلا أن يعترض هناك من صناعة اللفظ ما يمنع، مثل القرطاسَ واللهِ[٢]. فأدرك ابن جني وغيره من النحاة أنّ غاية التحليل النحوي هي بيان الوظائف التي تتصل بوضوح المعنى في التركيب.

وتوقّف ابن هشام في مغنيه في حديثه عن الجهات التي يدخل الاعتراض على المُعرِب من جهتها، وذكر منها الجهة التاسعة: (ألا يتأمل عند وجود المشتبهات)، ومثّل عليها في مختلف الأبواب النحويّة كأن تكون بين اسم التفضيل والفعل لتشابه البنى، ومنها ما يكون بين الخبر والصفة وغيرها، ومثّل على ذلك بوقوع اللبس بين

(١) ينسب البيت لذي الرمّة، من البحر السريع. ينظر: سيبويه، **الكتاب** (مرجع سابق)، ج١/ص٢٨٠.

(٢) ابن جني، **الخصائص** (مرجع سابق)، ج١/ص٢٨٤.

قولهم: زيدٌ أَحْصَى ذهناً، وعمرٌو أَحْصى مالاً. فإنّ الأول على أنّ (أحصى) اسم تفضيل، والمنصوب تمييز، مثل: أحسنُ وجهاً. والثاني: على أن (أحصى) فعل ماض، والمنصوب مفعول به[١].

وأقام السيوطي في كتابه الأشباه والنظائر فصلاً كاملاً تحدّث فيه عن الغموض التركيبي وأمنه في اللغة العربيّة، سماه: (اللبس محذور)[٢]. وانتهى إلى أنّه لا ينبغي أن يكون الكلام إلا خالياً منه؛ تحقيقاً للمعاني المنشودة. ومثّل لذلك بعلّة ضم حرف المضارعة في الرباعي دون غيره خيفة التباس الرباعي بزيادة الهمزة بالثلاثي نحو: ضرب يَضرب، وأكرم يُكرم، لأن الهمزة في الرباعي تزول مع حرف المضارعة، فلو فتح حرف المضارعة لم يعلم أمضارع الثلاثي هو أم مضارع الرباعي، ثم حمل بقية أبنية الرباعي على ما فيه الهمزة. ومثله ما نقوله في بعض أساليب اللغة نحو قولنا: ما أحسنَنا في التعجّب. وما أحسنّا في النفي. وما أحسنُنا في الاستفهام، فلا ندغم في التعجّب ولا في الاستفهام لئلا يلتبس أحدهما بالآخر والنفي بهما[٣].

وجعل الجاحظ حذق اللغة وتذوّقها شرطًا أساسيًّا في فهم المتلقي رسالة المتكلِّم، فقال: "للعرب أمثال واشتقاقات وأبنية، وموضع كلام يدلّ عندهم على معانيهم وإرادتهم، ولتلك الألفاظ مواضع أُخَرُ، ولها حينئذ دلالات أُخَرُ، فمن لم يعرفها جهل تأويل الكتاب والسّنّة، والشاهد والمثل، فإذا نظر في الكلام وفي ضروب من العلم، وليس هو من أهل هذا الشأن، هلك وأهلك"[٤]. وقد نقل عن ابن المقفع كلاماً طويلاً

---

(١) ابن هشام الأنصاري، **مغني اللبيب** (مرجع سابق)، ج١/ص٧٨١.

(٢) جلال الدين السيوطي، (ت٩١١هـ/١٥٠٥م)، **الأشباه والنظائر في النحو**، (٤ج)، تحقيق عبدالإله نبهان، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٨٥، ج١/ص٥٧٩-٥٨١.

(٣) السيوطي، المرجع السابق، ٥٨٦.

(٤) عمرو بن بحر الجاحظ، (ت٢٥٥هـ/٨٦٨م)، **كتاب الحيوان**، (٧ج)، تحقيق عبدالسلام هارون، (د.ن)، القاهرة، ١٣٧٥هـ، ج١، ص١٠٢.

عن الخطبة وما يليق بكل نوع من الكلام، والاستهلال، والإيجاز، والإطناب[1]. وكلّها توضّح فكرة مدى العناية بوضوح التركيب في التحليل اللغوي لدى النحاة القدامى.

وما مخالفة ابن مالك لمذهب الجمهور في تجويز التعجّب من فعل المفعول إذا أُمِن اللبسُ إلا دليل قاطع على مدى الوعي لديه بالقيمة الحقيقيّة لوضوح التركيب في أداء المعنى، حيث يقول: "إنّ فِعْل المفعول إذا لم يُجْهل معناه ببناء فِعْل التعجّب منه جاز صَوْغ (أفعَل) و(أفعِل) من لفظه، نحو: ما أزهى زيداً"[2].

كما أنّ تركيز النحاة القدامى على العلامة الإعرابية بجميع أشكالها يعدّ شكلاً من أشكال عنايتهم الفائقة بوضوح التراكيب، وإزالة الغموض الذي قد يعتري التراكيب في حالة التقديم والتأخير والحذف والاستبدال. وقالوا في ذلك: "إنما وضع -الإعراب- في الأسماء ليزيل اللبس الحاصل فيها باعتبار المعاني المختلف عليها"[3]. وذلك ما يفسّر لنا اشتراط النحاة الالتزام بنظام الرتب في حال عدم بروز القرينة الدالة على العلامة الإعرابية، نحو: أكرم عيسى موسى، وما شابهها من التراكيب التي لا تبرز فيها علامة أمن اللبس الحركة.

المحور الخامس: التلازم التركيبي

تمرّ عمليّة الكلام -في أي لغة من اللغات- بمستويين اثنين: الأول يكون على مستوى الإفراد، والثاني على مستوى التأليف والتركيب[4]. وبناء على طبيعة اللغة

---

(١) عمرو بن بحر الجاحظ، **البيان والتبيين**، (٣ج)، تحقيق: فوزي عطوي، دار صعب، بيروت، ١٩٦٨، ج١، ص١١٥-١١٧.

(٢) محمد بن عبدالله بن مالك، (٦٧٢هـ/١٢٧٤م)، **شرح الكافية الشافية**، (٥ج)، تحقيق: عبدالمنعم أحمد، دار المأمون للتراث، د.ت، سوريا، ج٢، ص١٠٨٦-١٠٨٧.

(٣) السيوطي، جلال الدين، **الأشباه والنظائر في النحو**، **(مرجع سابق)**، ج١، ص٣٣٧.

(٤) أبو الفتح عثمان بن جني، **سر صناعة الإعراب**، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، ط١، (د.ن)، ١٩٥٤، ج١، ص٦.

البشريّة، فإنّها تتطلّب تآلفاً بين مكوناتها المفردة لتكوّن مفردات ذات دلالة، وتنتظم هذه المفردات لتصير كلاماً، يقول إخوان الصفا: "اعلم أنّ الحروف إذا ألفت صارت ألفاظاً، والألفاظ إذا ضمّنت المعاني صارت أسماء، والأسماء إذا ترادفت صارت كلاماً، والكلمات إذا اتّسقت صارت أقاويل"(١).

فطبيعة العملية الكلامية عند الإنسان، تبدأ عادة بالتعبير عن حاجاته ومراده بالمفردة باعتبارها وحدة صغرى في البنية التركيبيّة قبل أن تلتحم في سياقها وتؤدي معناها الكليّ أو الدلالي؛ لأنّ الكلمات ما هي إلّا وحدات يَبني منها المتكلّم كلامه، ولا يُمكن اعتبار كل منها حدثاً كلامياً مستقلاً قائماً بذاته(٢). ومعنى ما سبق أن الجمل والتراكيب تتحد ضمن نسق لغوي معيّن، فتُشكِّل معنى يتجاوز حدود الكلمات مفردة، وهو المعنى الكلّي للتركيب.

ما سبق ينسجم مع رؤية (تشومسكي) في نظريته التوليدية التحويلية الذي يرى أنّ اللغة جهاز يتكوّن من جمل غير متناهية، كلّ جملة طولها محدود ومؤلفة من مجموعة متناهية من العناصر، وكلّ اللغات الطبيعية –منطوقة أو مكتوبة– هي لغات بهذا المعنى؛ لأنّ كلّ لغة تحتوي على عدد متناهٍ من الفونيمات أو الحروف، ومع هذا فإنّ عدد الجمل غير متناه(٣). وتقوم الجملة عنده على مبدأ رئيس –نال عناية كبيرة في التحليل النحوي عند علماء العربية القدماء– وهو الإسناد(٤). أي أنّ الاسم والفعل يشكلان عنصرين أساسيين في اللغة، أو في أيّ لسان آخر نتكلّم به،

---

(١) إخوان الصفا، **رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا**، تحقيق عارف تامر، منشورات عويدات، ط١، بيروت، ١٩٩٥، ج١، ص٣٩٣.

(٢) أحمد مختار عمر، **علم الدلالة**، عالم الكتب، ط١، القاهرة، ٢٠٠٩، ص٦-١٢.

(٣) أحمد مؤمن، **اللسانيات النشأة والتطور**، المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، ٢٠٠٢، ص٢٠٨.

(٤) مصطفى حركات، **اللسانيات العامة وقضايا العربية**، دار الآفاق، الجزائر، د.ت، ص١٧-٧٢.

حيث ليس هناك كلام في أي لغة إلا وفيه مُحدِّث ومُحدَّث به في أي شكل كان[١]. فالجملة فعليّة كانت أو اسميّة تتشكّل من مسند ومسند إليه، وهما ما اصطلح على تسميتهما بالعمدة أو النواة، أمّا ما زاد عنهما ويمكن حذفه فهو فضلة من حيث التركيب لا من حيث المعنى، أو ما يُعرف عند (مارتيني) بالامتداد[٢].

ويقوم الإسـناد في الدرس الحديث على مبدأ التوزيع الذي يعدّ أحد مقومات المدرسـة التوزيعيّة بزعامة (هاريس)[٣]، وهو في حقيقته لا يفترق من حيث المضـمون عن علاقة التلازم، ذلك أنّ التوزيع يقوم على أنّ المورفيم يقتضـي المورفيم الذي يليه في الجملة الواحدة، فيحدده ويأخذه، بعد أن ينطق المتكلّم بالمورفيم الأول.

والحقيقة أنَّ فكرة تلازم التراكيب كانت عماد التحليل اللغوي للتراكيب العربية. وجعل النحاة التلازم على نوعين: نوع يكون الفصل فيه بين المتلازمين جائزاً، نحو الفصـل بين الفعل والفاعل[٤]. والثاني غير جائز، نحو الفصـل بين المضـاف والمضاف إليه[٥].

وتظهر قيمة التلازم التركيبي عند النحاة في أنّه يسـاعد على الحكم على التركيب بأنّه يؤدي الغرض المقصود؛ لتعلّق معاني الكلمات بعضها ببعض، فـ: "لا نظم في الكلام ولا ترتيب، حتّى يُعلَّق بعضـها ببعض، ويُبنى بعضـها على بعض،

---

(١) عبدالرحمن الحاج صالح، "**الجملة في كتاب سيبويه**"، "**مجلة المبرز**"، الجزائر، العدد٢، ١٩٩٣.

(٢) مصطفى حركات، **اللسانيات العامة وقضايا العربية** (مرجع سابق)، ص٧٢.

(٣) خليل عمايرة، **نحو اللغة وتراكيبها** (مرجع سابق)، ص٤٧.

(٤) عبدالرحمن بن محمد الأنباري، (ت٣٠٤هـ/٧٩٠م)، **أسرار العربيّة**، دراسة محمد حسين، دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٩٩٧، ص٧٩.

(٥) ابن جني، **الخصائص** (مرجع سابق)، ج٢/٣٩٥.

وتُجْعَل هذه بسبب من تلك"[1]. ففكرة التلازم تقيس مدى حاجة المفردة إلى مفردات أخرى، لتتحد معها في بناء محكم لتكوين الجملة. فالكلمة لا تؤدي دورها في التركيب إلا من خلال العمل أو التأثير في المضمون المراد من خلال مفهومي الإسناد والعامل؛ لما لهما من أثر واضح في توضيح تآلف الجمل والتراكيب اللغويّة ضمن أنساق متحدة دلالة قد تكون مختلفة شكلاً.

ولذا فقد كان للإسناد نصيب وافر في دراسة بنية الجملة –في التحليل النحوي القديم– بعنصريه: المسند والمسند إليه، وذكرهما سيبويه وعقد لهما باباً في الكتاب سمّاه (باب المسند والمسند إليه) وهما ما لا يستغني واحد منهما عن الآخر ولا يجد المتكلّم منه بُداً[2]. فيكون التلازم بين الكلمتين بعلاقة نحويّة معيّنة ثمّ يرتبط المتلازمان ببؤرة الجملة (الفعل أو المبتدأ)[3].

والجملة لا تقوم إلا بهذين العنصرين (المسند والمسند إليه) لفظاً أو تقديراً؛ حتّى تستقيم بنية الجملة لفظاً ودلالة. فالفعل مثلاً لا بدّ له من فاعل، حتى يستقر (المسند والمسند إليه)، فإذا قلنا: (اكتبْ أو ادرسْ) كان التقدير: (اكتبْ أنتَ أو ادرسْ أنتَ)، فالفاعل مستتر تقديره (أنت). وكذلك الحال بالنسبة للعلاقة بين المبتدأ والخبر، فإذا وجِدَ طرف قُدِّر الآخر، فعلى سبيل المثال في قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (البقرة: ٢٥١). قال النحاة: إن (دفع) مبتدأ والخبر محذوف تقديره (موجودٌ)[4]. فأصبح الإسناد معيناً

---

(١) عبدالقاهر بن عبدالرحمن الجرجاني (ت٤٧١هـ/١٠٧٨م)، **دلائل الإعجاز**، تعليق: محمود محمد شاكر، د.ن، ص٥٥.

(٢) سيبويه، **الكتاب** (مرجع سابق)، ج١/٢٣.

(٣) عمايرة، **نحو اللغة وتراكيبها** (مرجع سابق)، ص١٩٠.

(٤) أبو محمد عبدالله جمال الدين ابن هشام، (ت٧٦١هـ/١٣٥٩م)، (٤ج)، **أوضح المسالك**، تحقيق محمد محيي الدين، المكتبة العصريّة، بيروت، د.ت، ج١، ص٢٢٠-٢٢١.

على تقدير عناصر الجملة في حالة الحذف؛ لأنّ تكامل عناصر الجملة –ظاهرة أو مقدّرة– أمرٌ ضروي لإظهار المعنى.

فالنحاة لم يكن نهجهم في دراسة اللغة قائماً على أساس دراسة باب من أبواب اللغة أو ظاهرة من ظواهرها، وإنما كانوا يستهدفون علم الأصول في محاولة الوصول إلى منهج لاستنباط الأحكام النحويّة، أي أنّهم كانوا يبحثون عن الخصائص العامة التي تميز اللغة مما يهدي إلى وضع قوانينها وضعاً علمياً يطمئن إليه روح البحث، ويرتكز على أساس وجود تلازم بين التراكيب.

أمّا المفهوم الثاني الذي تبرز فيه عناية النحاة بفكرة التلازم بين التراكيب فهو العامل مُحدِث الإعراب؛ لما له في اللغة العربية من أثر بارز في تحليل التركيب الجملي، يقول سيبويه في باب مجاري أواخر الكلم: "إنّما ذكرتُ لكَ ثمانيةَ مجارٍ لأفرقَ بين ما يَدخلهُ ضربٌ من هذه الأربعة لما يُحدِثُ فيه العامل. وليس شيء منها إلا وهو يزول عنهُ. وبين ما يُبنى عليه الحرفُ بناء لا يزول عنهُ لغير شيء أحدث ذلك فيه من العوامل"[١]. فنظرة سيبويه للعامل تقوم على أساس أنّه عنصر بناء وربط للعناصر داخل التركيب النحوي لا على أساس أنّه الجالب للعلامة الإعرابية. وعُدّت سلامته مطلباً من مطالب سلامة النظم؛ يقول الجرجاني: "اعلم أنّ ليس النظم إلّا تضع كلامك الوضعَ الذي يقتضيه علمُ النحو، وتَعْملَ قوانينه وأصوله، وتعرفَ مناهجَهُ التي نُهِجت"[٢].

إذاً كان للعامل أثرٌ واضح في التحليل النحوي لبنية الجملة العربيّة، وعُدّ أساساً من الأسس في تقدير مكونات التراكيب اللغويّة؛ لأن اللغة أصوات يعبّر بها كلّ قوم

(١) سيبويه، **الكتاب**، (مرجع سابق)، ج١، ص١٣.

(٢) الجرجاني، **دلائل الإعجاز** (مرجع سابق)، ص٨١.

عن أغراضهم[١]، ولسيت كلمات مفردة. وما كان عمل النحاة إلّا محاولات لتبرير هذه الحركة، وليس كما يزعم بعض الباحثين من أنّ الحركة من وضع النحاة[٢]. فنظروا إلى الحركة على أنّها هي المرشد إلى الدلالات التي تكمن في الخطاب من حيث التأثّر والتأثير بين عناصر الكلام[٣]، فتتيح للمتكلّم سعة وافرة من حيث التقديم والتأخير في التركيب. وبذلك أدرك النحاة الأوائل دور الإعراب في إعطاء الكلمات داخل التركيب قابليّة الانتقال من مواقعها، حسب ما يقتضي المعنى لدلالة العلامات الإعرابية على الرتبة الأساسيّة. وتكون بين الرتبة النحويّة والظواهر الموقعيّة صلة قويّة، لأنّ الرتبة حفظ الموقع، والظاهرة الموقعيّة هي تحقيق مطالب الموقع على الرغم من قواعد النظام. وكلّ ذلك قيّد عند النحاة بنظام يتناسب مع طبيعة أواخر الكلمات، وهو ما يُسمّى بنظام أمن اللبس[٤]. فأصبح مفهوم العمل النحوي في النظريّة النحويّة عند القدماء يقتضي بالضرورة وجود أطراف ثلاثة فيه، وهي: العامل، والمعمول، والحركة الإعرابيّة (رمز تأثير العامل بالمعمول)[٥]، ظاهرةً أو مقدّرة.

فكانت النظرة إلى العوامل في الدرس النحوي عبارة عن مفسّر لتضام أجزاء الكلام بعضها إلى بعض والتعليق فيما بينها، أو ارتباط الوظائف. وبذلك قدّم العامل تبريراً منطقياً يقبله العقل لدراسة اللغة وتفسير ظواهرها تفسيراً سليماً، لأنّ اللغة في ماهيتها ليست كلمات مفردة –كما أسلفنا– وإنّما هي تراكيب وجمل تتلاحم ضمن أنساق معيّنة، "وليس (الأمر) مجرد قواعد مبنية على شواهد وأمثلة بعيدة عن

---

(١) ابن جني، **الخصائص** (مرجع سابق)، ج١/ص٣٣.

(٢) إبراهيم أنيس، **من أسرار اللغة (مرجع سابق)**، ص١٩٨–١٩٩.

(٣) يحيى مرتضى، "**الفكر النحوي العربي بين النظرية والتطبيق في ضوء اللسانيات الحديثة**"، المؤتمر الدولي للغة العربية، جاكارتا، أندونيسيا، ٢٠١٢، ص٦٠٩.

(٤) تمام حسان، **اللغة العربية معناها ومبناها** (مرجع سابق)، ص٢٠٨.

(٥) علي أبو المكارم، **أصول التفكير النحوي** (مرجع سابق)، ص٢٥٩–٢٦٠.

الواقع اللغوي قريبة من الفلسفة وإعمال الذهن"[١]. فيأتي الإعراب ويفصح عن دلالة التركيب، ويحقق تآلفاً وترابطاً بين أركانه.

المحور السادس: المنهج العقلي في التحليل اللغوي

لقد قام التحليل الألسني الحديث للغة انطلاقاً من وظيفتها الاجتماعيّة التي تؤديها في المجتمع، وهي التواصل والتفاهم بين أبناء المجتمع. وما تفريق (دي سوسير) بين اللغة والكلام إلا إشارة واضحة إلى مدى تأثره ببعض علماء الاجتماع في التفريق بين ما سموه (العقل أو الشعور الجماعي، والعقل والشعور الفردي). ولا يمكن أن تحقق اللغة هذه الوظيفة الاجتماعية إلا من خلال ارتباطها بالعقل البشري. فالإنسان لا يستطيع فصل الصوت عن الفكر كما لا يستطيع فصل الفكر عن الصوت[٢]. ويقصد بالفكر عند علماء الألسنية المحدثين الصورة الذهنيّة التي يستدعيها اللفظ لحظة إطلاقه، فـ"الألفاظ ما وضعت للدلالة على الموجودات الخارجيّة، بل وضعت للدلالة على المعاني الذهنيّة"[٣].

فالدال أو اللفظ هو الذي يستدعي المدلول (الصورة الذهنيّة)، لأنّ سماع الدال هو الذي يثير المدلول في ذهن الســـامع، فالعلاقة بين الاثنين علاقة اعتباطية[٤]. وهذا ما قرره (ســـتيفن أولمان)، إذ يقول: "نلاحظ أنّ هذه العلاقة علاقة متباينة. فليس اللفظ وحده هو الذي يســـتدعي المدلول، بل إنّ المدلول أيضـــاً يمكن أن

---

(١) أحمد سليمان ياقوت، **دراسات نحوية في خصائص ابن جني**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٠م، ص٢٣٧.

(٢) فرديناند، **محاضرات في علم اللغة** (مرجع سابق)، ص١٣٢.

(٣) فخر الدين الرازي، (ت٦٠٦هـ/١٢٠٩م)، (٦ج)، **المحصول في علم أصول الفقه**، تحقيق طه جابر فياض العلواني، منشورات جامعة الإمام محمد بن سعود، ط١، السعودية، ١٤٠٠هـ، ج١، ص٢٦٩.

(٤) علي زوين، **البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث**، دار الشؤون الثقافيّة العامة، ط١، بغداد، ١٩٨٦، ص١٨٠.

يستدعي اللفظ، إنّي حين أفكّر في (منضدة) مثلاً سوف أنطق الكلمة التي تدلّ عليها، وإنّ سماعي لهذه الكلمة يجعلني أفكّر في المنضدة"[1]. فعمليّة الكلام "تتكوّن من جانبين عضوي ونفسي. وحركة الكلام تبدأ من الرباط النفسي أو العقلي الذي سبق الاتفاق عليه في عقول المتكلمين بين دلالة معيّنة ومجموعة من الأصوات ترمز إليها"[2].

واللغة في عرف العلماء نظام لغوي دقيق، وهذا النظام يؤكّد حقيقة العلاقة بين اللغة والعقل، ويكشف عن عمق العلاقة الوثيقة بين الاثنين؛ ولذا قيل إنّ اللغة أداة التفكير، فاللغة تفكير منطوق، والتفكير لغة صامتة. لذا رأت بعض المناهج اللغويّة الحديثة أنّ التأويل والتصوير جزء من نظام اللغة[3]، بل ذهب بعض اللغويين المحدثين أمثال (تشومسكي) إلى أبعد من ذلك حينما قرروا أنّ اللغة البشرية تستطيع أن تُسهم إسهاماً حقيقياً في دراسة العقل البشري ومعرفة طبيعته[4].

بناء على طبيعة الدرس النحوي القديم للغة أو بناء على الطروح والفرضيات التي اعتمدها النحاة؛ نجد أنّهم قد أدركوا في تحليلها منطلقها العقلي، فاللغة بناء على طبيعتها ووظيفتها انعكاس صادق للتصوّر العقلي للمعاني والأفكار. فالمتكلّم قبل أن ينطق بالفكرة (شيئاً يقوله) يعمد إلى توظيف الشكل (الكلام المنطوق) لنقل هذه الفكرة، وهنا تأتي مهمة اللغوي كما يرى (سابير) بأن يتّجه لدراسة الشكل اللغوي

---

(١) ستيفن أولمان، **دور الكلمة في اللغة**، ترجمة كمال محمد بشر، مكتبة الشباب، ط١، بيروت، ١٩٧٥، ص٦٤.

(٢) ماريوباي، **أسس علم اللغة**، ترجمة أحمد مختار عمر، عالم الكتب، ط١، بيروت، ١٩٨٧، ص٤١.

(٣) سمير شريف استيتيّة، **اللسانيات (المجال، والوظيفة، والمنهج)**، عالم الكتب للنشر والتوزيع، ط١، إربد، ٢٠٠٥، ص١٥٩.

(٤) جون ليونز، **نظرية تشومسكي اللغويّة** (مرجع سابق)، ص٢٣٣.

القائم على النظام الذي يتكوّن نتيجة الاستعمال المتكرر لكشف المعاني المضمّنة[1]. إذ إنّ الاكتفاء بالتفسير الوصفي يتنافى مع طبيعة اللغة التي ترتبط بالعقل ارتباطاً وثيقاً؛ وإن كان التركيز في البيان النحوي القديم قائماً على أساس المعنى النحوي (الفاعل، والمفعول، والمضاف...) إلا أنّهم يعدّونه انعكاساً للعامل العقلي؛ فأصبح المنهج النحوي عند علماء اللغة القدماء يتناول اللغة من اتجاهين: الأول: اتجاه المنطوق، والثاني: اتجاه التفكير.

فالأساس في دراسة النحو العربي القديم قام على فكرة دراسة الظواهر اللغوية دراسة تتجاوز الوصف إلى التفسير العقلي، بمعنى تفسير الظاهرة تفسيراً عقلياً يتجاوز إلى ما وراء الاستعمال اللغوي، بمعنى أن المنهج النحوي القديم لم يكن نقلاً محضاً ولم يكن عقلاً محضاً. فهو تفسير تجاوز ظاهر الاستعمال بحثاً عن نظام متكامل، أو محاولة وضع جهاز تفسيري نظري يُنظّم ما قد يبدو فوضوياً[2].

وتمثّل منهجيّة تعامل النحاة مع العلامة الإعرابية وموجبها نموذجاً مفسّراً لطبيعة التصوّر العقلي للغة المنطوقة أو المكتوبة، فتكون بمقتضى هذا المنهج "ذات قيمة دلالية كبيرة، وبها يتم تحويل الجملة التوليدية عن أصل افتراضي كانت عليه للإخبار"[3] ضمن ما يقتضيه العامل النحوي الذي يساعد على قضية انتظام التراكيب ضمن أنساق لغويّة محددة. فنظر النحاة إلى الحركة الإعرابية على أنّ لها قيمةً وأثراً في الإفصاح عما في النفس من معنى مرتبط بالعقل، فيكون تغيرها محققاً لما في نفس المتكلم من معنًى يريد الإبانة والإفصاح عنه. اقتضاء لقياس لغوي جاء به العرب، وقد تتغير الحركة اقتضاء لعنصر من عناصر التحويل، كالزيادة أو الاستبدال

(١) خليل عمايرة، **نحو اللغة وتراكيبها** (مرجع سابق)، ص٤٣-٤٤.

(٢) عبدالقادر المهيري، **نظرات في التراث اللغوي العربي** (مرجع سابق)، ص١٣١

(٣) نعمة رحيم عزاوي، **مناهج البحث اللغوي بين التراث والمعاصرة**، منشورات المجمع العلمي، ط١، العراق، ٢٠٠١، ص٢٢٠.

وغيرهما، فتنتقل معنى الجملة من الخبرية إلى التحذير أو الإغراء أو الاختصاص أو المعية، أو إلى معنى الاستفهام بعد (كم) تفريقاً لها عن الخبرية[١].

ولذا يمكن القول إنّ دراسة النحاة للمادة اللغويّة المصفاة من الاستعمال اللغوي الفصيح التي انتجتها المرحلة السابقة دراسة تتسم بشمول النظر، وتسعى إلى تحقيق الاتساق في القواعد بما يتناسب مع المنطوق والصورة الذهنيّة له. ولا يتمّ هذا الاتساق إلا بملاحظة خصائص التركيب الجوهريّة (الصورة الذهنيّة) لا سماته الخارجيّة وحدها، ومن ثمّ تدرس التراكيب على مستويين: الأول المستوى الأفقي: ويتمّ فيه دراسة التراكيب دراسة أسلوبيّة، أي يحدد الموقف اللغوي وما يتطلّبه من أساليب خاصّة في التقعيد. أمّا الثاني فهو المستوى الرأسي: ويتمّ فيه تحليل التراكيب المختلفة إلى صيغ ومفردات، وتصنيف العلاقات الشكليّة بين الصيغ المختلفة، ثمّ دراسة الصلة بين الأسلوب والصيغة[٢]. يقول سيبويه: "اعلم إنّهم مما يحذفون الكلم –وإن كان أصله في الكلام غير ذلك– ويحذفون ويعوّضون، ويستغنون بالشيء عن الشيء الذي أصله في كلامهم أن يُستعمل حتّى يصير ساقطاً"[٣]. ويُفهم من كلام سيبويه أنّ هناك بنيتين أساسيتين للجملة ينظر إليهما في التحليل: الأولى البنية التركيبية وتهتم بالعلاقات الموجودة بين الوحدات الظاهرة في الملفوظ. والثانية: البنية الدلاليّة وتهدف إلى إيجاد العناصر الخفيّة للبنية الدلالية للجملة. ومن هنا يصبح الحذف والاستتار والتقدير مسالك تستعمل للوصول إلى عناصر البنية الدلالية للجملة[٤].

مما يعني أنّ منهجيّة النحاة في التعامل مع التراكيب اللغويّة تعدّ انتقالة رائعة

---

(١) خليل عمايرة، **نحو اللغة وتراكيبها** (مرجع سابق)، ص١٦١-١٦٢.

(٢) علي أبو المكارم، **تقويم الفكر النحوي** (مرجع سابق)، ص١٥٥.

(٣) سيبويه، **الكتاب** (مرجع سابق)، ج١/٢٤.

(٤) عبدالحميد دباش، "**الجملة العربية والتحليل إلى المؤلفات المباشرة**"، **مجلة الأثر**، جامعة ورقلة، العدد٢، ٢٠٠٣، ص٢٥.

لإدخال الجانب الداخلي للتركيب، الذّي يتضمّن ما يطلق عليه حديثاً "الحدس اللغوي أو الجانب الحدسي"[١]؛ ليساهم في الكشف عن قوانين النظام النحوي للغة العربيّة التي يخضع لها الكلام المتحقق كشفاً يجعلها واضحة من خلال الاعتماد على بناء الجملة الظاهر خاصة في تلك الفئة من الجمل التي انحرفت عن النّمط الأصلي للجملة[٢]. ولذلك فإن محاولة (تشومسكي) في هذا الاتجاه ترفض المبدأ القائم على الملاحظة الشكلية للظاهرة اللغوية، أو النهج الوصفي؛ لقصوره عن إدراك الجانب الخفي في اللغة، أو لقصور المنهج الوصفي عن ربط اللغة بالجانب العقلي؛ لأن التحليل العلمي للحدث اللغوي ليس بوصفه الخارجي لما كان قد تلفظ به المتكلم فحسب، وإنما هو تحليل العمليات الذهنية، التي تمكِّن الإنسان من الكلام بجمل جديدة، ومن هذا المنطلق حولت النظرية التحويلية البحث اللساني من منظور النظر إلى الظاهرة بمعطيات الجانب السلوكي، إلى منهج عقلي يعي الجانب الفكري للإنسان ويسعى من أجل تعليل الآلية الكاملة للغات الإنسانية[٣].

وتتضح هذه المنهجيّة في التعامل مع صورتين من صور اللغة: (المنطوق اللفظي، والمتصوّر العقلي) في دراستهم لأبواب كثيرة في النحو العربي، من ذلك دراستهم لباب التعجّب، أو ما سمّوه باب "ما يعملُ عملَ الفعلِ ولم يجرِ مَجْرى الفعلِ ولم يتمكّنْ تمكُّنَه"، وذلك قولك: ما أحسنَ عبدَاللهِ. زعم الخليل أنه بمنزلة قولك: شيءٌ أحسنَ عبدَالله، ودخله معنى التعجب. وهذا تمثيل ولم يُتكلَّم به"[٤]. وتعدّ عبارة الخليل (وهذا تمثيل ولم يُتكلَّم به) كاشفة لمنهجيّة التعامل مع الطابع

(١) عبده الراجحي، **النحو العربي والدرس الحديث** (مرجع سابق)، ص١٢.

(٢) حسن عبدالغني الأسدي، **مفهوم الجملة عند سيبويه** (مرجع سابق)، ص٢٤٩.

(٣) عبدالسلام المسدي، **التفكير اللساني في الحضارة العربية**، الدار العربية للكتاب، ط٢، طرابلس، ١٩٨٦، ص١٩.

(٤) سيبويه، **الكتاب** (مرجع سابق)، ج٧٢/١.

الافتراضـــي للبناء العقلي (البنية القبليّة) للجملة قدّره: "شـــيءٌ أحســنَ عبدَاللهِ". وهو التحليل ذاته الذي نلمســـه عند تشــومســكي وغيره من أتباع المدرســـة التوليدية في تحليلهم إلى مقيّدة ونواة، وليس للمقيّد أن يظهر، أمّا النواة فهي التي تؤلّف التركيب الأصغر بين عبارة اسميّة وفعليّة[١].

وتتكرر هذه النظرة القائمة على أساس وجود تصورين لكلّ جملة عند سيبويه وشيوخه في غير مكان، منها في حديثه عن المصادر التي تُنصب على إضمار الفعل المتروك إظهاره (الصورة العقليّة) في نحو: سقياً ورعياً وخيبةً، حيث يقول: "ما ينتصب على إضمار الفعل المتروك إظهاره من المصادر في غير الدعاء، من ذلك قولك: حمداً وشكراً لا كفراً وعجباً... فإنما ينتصب هذا على إضمار الفعل. وإنما اختزل الفعل ههنا لأنهم جعلوا هذا بدلاً من اللفظ بالفعل، كما فعلوا ذلك في باب الدعاء. وسمعنا بعض العرب الموثوق به، يقال له: كيف أصبحت؟ فيقول: حمدُ الله وثناءٌ عليه، كأنه يحمله على مضمر في نيته هو المظهر، كأنه يقول: أمري "وشأني" حمد الله وثناء عليه. فهذا تمثيل ولا يُتكلّم به"[٢]. فمن الملاحظ أنّ تكرار سيبويه لعبارة (تمثيل) في نهاية كل تركيب يجب فيه الحذف، ويُقدّر في المحذوف مع عدم إمكانيّة ذكره والإفصاح عنه، بمعنى يُقدّر في عقل السامع.

ومن الأمثلة التي توضّح هذه المنهجيّة المطّردة عند النحاة في التعامل مع التراكيب اللغويّة دراسة أسلوب الاستثناء. فالمستثنى في عُرف النحاة العرب ليس منصوباً عندهم بـ(إلا)، بل هو منصوب بفعل كامن في ذهن المتكلم تقديره (استثني) أو منصوب بـ(أنَّ) مضمرة[٣]. فجملة نحو: (حضر الطلابُ إلا عليّاً)، أصل بنيتها

---

(١) الأسدي، **مفهوم الجملة عند سيبويه** (مرجع سابق)، ص٢٥٢.

(٢) سيبويه، **الكتاب** (مرجع سابق)، ج١/٣١٢- ٣١٣.

(٣) (مرجع سابق)، ج٢/٣٠٩.

العقليّة لدى المتكلّم: (حضر الطلاب أستثني عليّاً) أو (حضر الطلاب إلا أنَّ عليّاً لم يحضر). ومن ذلك تقدير العامل بالمنادى وغيره. وانطلاقاً من هذا المنظور أصبحنا نجد أنّ بعض علماء الألسنية المحدثين أصبح على قناعة بأن الاتجاه العقلي في فهم اللغة ودراستها هو الاتجاه الصحيح، وأن الوقوف عند سطح الظاهرة اللغوية لا يكشف عن جوهر الظاهرة. وهو منهج آمن به اللغويون العرب منذ مئات السنين، في حين نجد أن جذوره ضاربة في التراث النحوي العربي القديم، وربما كانت هذه الجذور أحد الأسس التي أقام عليها التحويليون منهجهم العتيد[١].

المحور السابع: السّياق

تتنوّع السياقات باختلاف مواقف الاتصال بين الناطقين باللغة، فمنها: السياق المكاني، والسياق الزمني، والسياق الموضوعي وغيرها. وما يعنينا في هذا المقام بالدرجة الأولى هو السياق اللغوي. ويقصد به دراسة النّص اللغوي من خلال علاقات ألفاظه بعضها ببعض، والأدوات المستعملة للربط بين هذه الألفاظ، وما يترتّب على تلك العلائق من دلالات جزئيّة وكلّية، وينبغي تحكيم كلّ هذه الأنواع من السياق عند إرادة دراسة النّص اللغوي بمنهج سياقي متكامل[٢]. أو هو الظروف والملابسات التي تكتنف المنطوق بدءاً من نيّة المتكلّم ودور المخاطب في تشكيل بنية الكلام ووظيفته، فيخرج معنى الجملة إلى دلالات كثيرة تقتضيها المواقف المختلفة في الحياة، نحو: الإخبار أو المدح أو الذم أو النداء أو غير ذلك، فيُقال: هذا معنى سياقي، أي أنّ السياق هو الذي يقتضيه[٣].

---

(١) خليل عمايرة، **العامل النحوي بين مؤيديه ومعارضيه ودوره في التحليل النحوي**، د.ن، إربد، ١٩٨٥، ص٨٧.

(٢) عبدالرحمن بودرع، **منهج السياق في فهم النص** (مرجع سابق)، ص١٣-١٤.

(٣) سمير شريف استيتيّة، **اللسانيات (المجال، والوظيفة، والمنهج)**، ص٢٨٨-٢٨٩.

وتنسب الكثير من الدراسات اللغويّة فكرة السياق، أو نظريّة السياق برمتها إلى علماء غربيين، ولعلّ من أبرز الأعلام في هذا الذكر العالم (فيرث)، إلا أننا لا نعدم أصولاً لهذه النظرية في تراثنا العربي، بل "من الدّقة أن نقول: إنّ معظم العلوم العربية والشّرعية تتكئ على السياق بنوعيه"[١]. فعلماء العربية لم يدرسوا العناصر اللغوية المكوّنة للنصوص في النّص فقط، وإنّما بحثوا في كلّ ما يحيط بالنّص، وعدّوا السياق أداة فاعلة في كشف كنه النصوص وفهمها وتفسيرها تفسيراً لغوياً.

لقد أدرك علماء اللغة القدماء –في بدايات دراستهم للغة– الطبيعة الاجتماعية للغة، وهي الهدف الأساسي للغات البشريّة، وأدركوا كذلك أنّ دراسة اللغة يجب ألّا تكون بمعزل عن سياقها الاجتماعي، فـ"لم يقتصروا في النظر في بنية النّص اللغوي كما لو كان منعزلاً عن العوامل الخارجيّة التي تلفُّه وتُحيط به"[٢]. إدراكاً منهم للدور المنوط بالمحلل اللغوي، إذا ما أراد أن يصل إلى المعنى الدقيق للحدث اللغوي، فلا بدّ له من الأخذ بجميع العناصر المحيطة بالعمليّة اللغويّة، وتشمل هذه العناصر: "زمن المحادثة، ومكانها، والعلاقة بين المتحادثين، والقيمة المشتركة بينهما، والكلام السابق للمحادثة"[٣]. ويتبدّى ذلك الأمر بصور جليّة من خلال الإشارة إلى دور المتكلّم وقصده في تحديد العلاقات الإعرابية، وغيرها من الظواهر اللغوية[٤].

ويبدو أن سيبويه من أوائل النحاة الذين أدركوا أهميّة سياق الكلام أو البعد الاجتماعي بالدرس النحوي، وعقد لذلك أبواباً في كتابه في غير وضع، منها: (هذا باب يكون المبتدأ فيه مضمراً ويكون المبنى عليه مظهراً)، ومثّل لذلك بقوله: أنك لو

---

(١) شاذليّة سيد محمد السيد، "**السياق وأثره في بناء الدلالة، دراسة تأصيلية تطبيقية في غريب الحديث**"، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، ص١٠٧.

(٢) كمال بشر، **علم اللغة الاجتماعي "المدخل"**، ط١، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٩٤، ص٦٦.

(٣) محمد علي الخولي، **معجم علم اللغة النظري**، مكتبة لبنان، ط١، بيروت، ١٩٨٢، ص٢٥٩.

(٤) ابن جني، **الخصائص** (مرجع سابق)، ج١/٣٦.

رأيت صورة شخص تصير آية لك على معرفته، فقلت: عبدالله وربي، كأنك قلت: ذاك عبدالله أو هذا عبدالله، أو سمعت صوتاً فعرفت صاحب الصوت فصار آية لك على معرفته، فقلت: زيد وربى، أو مسست جسداً، أو شممت ريحاً: فقلت: زيد أو المسك، أو ذقت طعاماً فقلت: العسل، ولو حدثت عن شمائل رجل فصار آية لك على معرفته، لقلت: عبدالله كأن رجلاً قال مررت برجل راحم للمساكين بارّ بوالديه: فقلت: فلان والله[١].

وتبع سيبويه في بيان أثر السياق في التحليل النحوي بعض النحاة كابن جني، فقد ذكر في كتابه الخصائص الكثير من المصطلحات التي تبيّن أثر حالة المتكلم، ولا سيما لغة الجسد، في توضيح مراد المتكلِّم، وهو أمر لديه يبرر أيّ خروج على القواعد النحويّة، مثل الحال والمشاهدة والهيئة[٢]. ويتضح منهجه اللغوي المرتبط بسياق الموقف في تحليله النحوي لكثير من النصوص اللغويّة في كتابه الخصائص في غير موضع، منها قوله: ألا ترى إلى قوله:

تَقُوْلُ وَصَكَّتْ وَجْهَهَا بِيَمِيْنِها أَبَعْلِيَ هذا بالرَّحَى المُتقاعِسُ

فلو قال حاكياً عنها أبعلي هذا بالرحى المتقاعس من غير أن يذكر صكَّ الوجه لأعلمَنا بذلك أنها كانت متعجِّبة منكِرة، لكنّه لمَّا حكى الحال فقال: "وصكَّت وجهها" عُلِم بذلك قوّة إنكارها وتعاظُم الصورة لها، هذا مع أنك سامع لحكاية الحال غيرُ مشاهِد لها ولو شاهدتها لكنت بها أعرف ولِعظم الحال في نَفْس تلك المرأة أبين، وقد قيل ليس المخبَر كالمعاينِ، ولو لم يَنقل الينا هذا الشاعر حال هذه المرأة بقوله: "وصكّت وجهها" لم نعرف به حقيقة تعاظُم الأمر[٣].

---

(١) سيبويه، **الكتاب** (مرجع سابق)، ج٢/١٣٠.

(٢) سارة الخالدي، "**أثر سياق الكلام في العلاقات النحويّة عند سيبويه**"، رسالة ماجستير، الجامعة الأمريكية، بيروت، ٢٠٠٦، ص٢٥.

(٣) ابن جني، **الخصائص** (مرجع سابق)، ج١/ص ٢٤٥-٢٤٦.

ويتجلى السياق عند ابن جني كذلك في بيان المقصود بجعل النظر إلى وجه المتحدِّث معيناً على الفهم والإدراك بقوله: يا فلان أين أنت، أرِني وجهك، أقبِل عليّ أُحدِّثك... فإذا أقبل عليه وأصغى إليه اندفع يحدّثه أو يأمره أو ينهاه، أو نحو ذلك، فلو كان استماع الأُذُن مغنياً عن مقابلة العين مجزئاً عنه لما تكلّف القائل ولا كلّف صاحبَه الإقبالَ عليهِ والإصغاء إليهِ، وعلى ذلك قال:

العَينُ تُبدِي الّذي في نفسِ صاحِبِها		مــن العَــداوةِ أو ودٍّ إذا كانـــا

أفلا ترى إلى اعتبارِهِ بمشاهدة الوجوه وجعلِها دليلاً على ما في النفوس، وعلى ذلك قالوا: رب إشارةٍ أبلغُ من عبارة... وقال لي بعض مشايخنا –رحمه اللّه– أنا لا أحسِن أن أكلّمِ إنساناً في الظلمة[1].

ويعدّ الجرجاني كذلك من أبرز علماء اللغة اهتماماً بالمعنى في التحليل النحوي، الذي أخرج نظريتهُ (النظم) معتمداً على علم النحو، وبالتالي كان التفاته إلى أثر سياق الموقف أو الحال في التراكيب النحويّة، فقد شبّه نظم الكلام وترتيب الكلمات بنظم اللؤلؤ والجوهر معتمداً على الذوق من جهة وعلى العقل من جهة أخرى[2].

وأشار الرضي كذلك إلى دور سياق الموقف في تحديد المعنى، وخصّ بذلك الرتبة في حال غياب الحركة الإعرابيّة بقوله "إذا انتفى الإعراب اللفظي في الفاعل والمفعول معاً مع انتفاء القرينة الدالة على تمييز أحدهما عن الآخر وجب تقديم الفاعل"[3].

وقد تنبّه ابن يعيش كذلك إلى نوع آخر من أنواع القرائن السياقيّة، وهي القرينة (الحالية)، مبيناً أثرها في إيصـــال المعنى، فيقول: "اعلم أنّ المبتدأ والخبر محلّ

---

(١) ابن جني، **الخصائص** (مرجع سابق)، ج١/ص٢٤٧. ينسب البيت لنعيم بن الحارث بن يزيد السعدي.

(٢) عبدالقاهر الجرجاني، **دلائل الإعجاز** (مرجع سابق)، ص٦٤.

(٣) رضي الدين الأستراباذي (ت٦٨٦هـ/١٢٨٧م)، **شرح الكافية في النحو لابن الحاجب**، ٥ج، دار الكتب العلمية، (د.ت)، بيروت، ج١/ص٧٢.

الفائدة، فلا بدّ منهما إلّا أنّه قد توجد قرينة لفظية أو حاليّة تغني عن النطق بأحدهما فيحذف لدلالتها عليه، لأنّ الألفاظ إنّما جيء بها للدلالة على المعنى"[1]. مما يعني أنّ هناك مقاربات كبيرة يشـــترك بها منهج علماء اللغة القدماء في هذا السياق مع مناهج الدرس النحوي الحديث على أيدي علمائه كـــ(دي سوسير، لنيوفسكي)، وغيرهم، تتصل كلّها بأهميّة البعد الاجتماعي للكلام أو سياق عمليّة الاتصال، ودوره في تحديد معاني العبارات المنطوقة.

وكتب التراث النحوي تعجّ بالكثير من الآراء النحوية والتخريجات اللغوية المختلفة التي تكشف مدى مراعاتهم لفكرة السياق في التحليل اللغوي للتراكيب، فقد كان تقدير مُوجِب العلامة الإعرابية –على سبيل المثال– أمراً مرتبطاً بالسياق الذي يكتنف التراكيب اللغويّة، كما أكّدوا في دراستهم للغة عناصر سياقية –تتجاوز ظاهر اللفظ– منها: النداء، والمدح، والذم. من ذلك على سبيل المثال تخريجهم لنصب (المقيمين) في قوله تعالى: ﴿لكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِما أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَما أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْراً عَظِيماً﴾. (النساء:١٦٢). فسياق المدح استوجب النصب للمقيمين على تقدير الفعل (أمدح)[2]. ومثله أيضاً في سياقات الذم والشتم، ومن ذلك قول ابن خياط العكلي[3]:

الظّاعِنيْنَ ولمّا يَظْعنُوا أَحدا والقائلونَ لمَنْ دارٌ نخليهـا

---

(١) أبو البقاء بن علي بن يعيش (ت٦٤٣هـ/١٢٤٥م)، **شرح المفصّل**، ٦ج، تقديم أميل بديع يعقوب، مكتبة المتنبي، ط١، القاهرة، ٢٠٠١، ج١/ص٩٤.

(٢) يُنظر: أبو حيان التوحيدي (ت٤١٤هـ/١٠٢٣م)، **تفسير البحر المحيط**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٠، ج٣.

(٣) عبدالرحمن بن محمد الأنباري (ت٥٧٧هـ/١١٨١م)، **الإنصاف في مسائل الخلاف**، ٢ج، تحقيق: محمد محيي الدين، مطبعة السعادة، مصر، ١٩٦١، ج٢، ص٤٧٠.

بنصب (الظاعنين) في صدر البيت، فقد جاء عند السيرافي في شرحه: "يريد أنه لم يجعله شتماً من طريق اللفظ، وإنما هو شتم من طريق المعنى، وهو أغلظ كثيراً من الشتم"[1]. وهذا ما ذهب إليه المبرد من حيث إنّ النصب في مثل هذا بفعل تقديره (أعنى) وما أشبهه من الأفعال، وهذا أبلغ في الذم أن يقيم الصفة مقام الاسم[2].

فما سبق ذكره يؤكّد أن النحاة الأوائل لم يلغوا السياق في تحليلاتهم وتعليلاتهم للوجوه الإعرابية، إذ السياق وما يقتضيه هو الموجّه الأساس لعملية التحليل النحوي، بل اعتُمد السياق –كذلك– رافداً في بيان بعض الأحكام الشرعية في الكتاب أو السنة، من ذلك توجيه النحاة لقول الرسول –صلى الله عليه وسلّم– "ذكاة الجنين ذكاة أمّه"[3]، إذ روي برفع (ذكاة) الثانية ونصبها، فمن رَفَعَه جَعَلَه خَبَرَ المبتدأ الذي هو ذكاةُ الجَنينِ، فتكونُ ذكاةُ الأمِّ هي ذكاةُ الجَنين، فلا يحتاجُ إلى ذبْحٍ مُسْتَأْنَفٍ، ومن نَصَبَ كان التقديرُ: ذكاةُ الجنين كذكاةِ أُمِّه، فلما حُذِفَ الجارُّ نُصِبَ، أو على تقدير يُذَكَّى تَذْكِيَةً مِثل ذكاةِ أمه، فحذَفَ المصدر وصفَتَه وأقامَ المضاف إليه مُقامه فلا بُدَّ عنده من ذبْح الجَنين إذا خَرج حيًّا[4].

وكمثال أخير يوضّح أثر السياق في التحليل النحوي وتبيان الإعراب السليم للتراكيب بناء على الموقف الاتصالي تحليل النحاة للبيت الآتي[5]:

---

(١) أبو محمد بن أبي سعيد (ت٣٦٧هـ/٩٧٩م)، **شرح أبيات سيبويه،** (٥ج)، تحقيق محمد علي سلطان، مطبعة الحجاز، مصر، ١٩٦٧، ج١، ص٥٥٥.

(٢) أبو العباس المبرد، **الكامل** (مرجع سابق)، ج٢، ص٤٤.

(٣) أبو السعادات المبارك بن محمد بن الأثير (ت٦٣٠هـ/١٢٣٣م)، **النهاية في غريب الحديث والأثر،** ٥ج، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلميّة، ط١، بيروت، ١٩٧٩م، ج٢/ص٤١١.

(٤) محمد بن يوسف بن أحمد الحلبي (ت٧٧٨هـ/١٣٧٦م)، **شرح التسهيل،** ١١ج، تحقيق علي محمد فاخر وآخرين، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ط١، القاهرة، ١٤٢٨هـ، ج٢/ص٩٥٦.

(٥) يُنسب البيت للمُلبِد بن حرملة من بني أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان، ينظر: **شرح السيرافي** (مرجع سابق)، ج١/ ص٣١.

يشْكُو إليَّ جملي طُوْلَ السُّرى صَبْراً جَميْلاً فكِلانـا مُبتلى

فقد أجاز بعض النحاة وجه الرفع في (صبر)، والتقدير: "أمرُك صبر جميل"[1] على أنّه خبر لمبتدأ محذوف، ونحو ذلك قوله تعالى: ﴿**فَصَبْرٌ جَمِيلٌ** وَاللّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ (سورة يوسف: ١٨).

والفراء لا يقبل رواية الرفع في البيت؛ لأن المعنى في هذا السياق يتضمن الأمر، فيجب النصب، وعلل الرفع في قوله تعالى في الآية السابقة بأن يعقوب عليه السلام كان يُعَزِّي نفسه ولا يأمرها[2]. فسياق خطاب الذات عند الفراء لا يحتمل الأمر، أمّا سياق خطاب الآخر –وإن كان غير عاقل– فيحتمل الأمر وليس التعزية مراده.

المحور الثامن: نحو النّص

لقد قام التصوّر الألسني النحوي الحديث على أساس دراسة اللغة البشريّة على أنّها كتلة لغويّة واحدة، تمثّل حدثاً تواصلياً يلزم لكونه نصّاً أن تتوافر له جملة من الأسس والمعايير حتّى يسمّى نصاً[3]. بمعنى أن اللغة –بناء على طبيعتها ووظيفتها– ليست مفردات منفصلة ولا جملاً منعزلة، وإنّما هي كل متكامل يعبّر عن فكرة أو موقف اتصالي متكامل.

ومن الملاحظات التي ألصقت بالتحليل النحوي القديم عند العرب أنّه قام على أساس نحو الجملة، بمعنى الانطلاق من الجملة في التحليل لا من النّص الذي يعدّ في الدراسات الألسنية الحديثة عماد دراسة النصوص وقراءتها، لأنّ النصّ في

---

(١) الكتاب ج١/٣٢١.

(٢) أبو زكريا يحيى الفراء، (٢٠٧هـ/٨٢٢م)، **معاني القرآن**، ٣ج، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي وآخرين، دار المصرية للتأليف والنشر، مصر، د.ت، ج٢، ١٥٣–١٥٦.

(٣) نادية رمضان النجار، **علم لغة النّص والأسلوب**، مؤسسة حورس الدولية للنشر، ط١، الإسكندرية، ٢٠١٢، ص٣١.

حقيقته "متوالية متماسكة من الجمل"[١]، يمثّل موقفاً اتصالياً متكاملاً، يحتاج إلى وسائل التضام أو السبك "تشتمل على نحويّة للمركبات والتراكيب والجمل، وعلى أمور مثل: التكرار، والألفاظ الكنائيّة، والأدوات، والإحالة المشتركة، والحذف والروابط"[٢].

والتحليل النحوي العربي القديم وإن قام على أساس الانطلاق في التحليل من الجزء إلى الكل، إلا أننا لا نعدم لفتات رائعة لدى النحاة القدماء في التحليل النحوي تقوم على أساس نحو النّص، وتنمّ عن إدراك واع لطبيعة اللغة، وتصوّر لفكرة دراسة النّص اللغوي برمته وإن كان الأساس نحو الجملة، إلا أنّهم لم يغفلوا عن الأسس اللغويّة التي تربط أركان النصوص اللغويّة، "أي أنّه بدون مراعاة الترتيب يصعب في كثير من الأحيان تحقيق الاتساق في التراكيب اللغوية"[٣]، وهذا الاتساق يحقق الوصول إلى المعاني المُضمّنة في النصوص على اختلافها، ولا يمكن أن يتحقق ذلك إلا على مستوى التركيب بأكمله، وهو ما راعاه البلاغيون العرب بصورة جليّة في بيانهم كيفية معالجة التراكيب، مراعين جانب المعنى بشكل كبير. وأبرز من التفت إلى هذا الجانب وأولاه عناية فائقة هو عبدالقاهر الجرجاني، فالنّص اللغوي عنده لا يمكن فيه الفصل بين الشكل والمضمون، ولا يمكن النظر فيه إلى كلّ جزئيّة بصورة منفصلة بذاتها، لكن ينبغي النظر إليه على أنّه جديلة واحدة مضفورة من الألفاظ والمعاني، توصل إلى الآخرين قصديّة المبدع من معان بصورة بلاغيّة بارعة. فقد جاء عنده في تفسير "النظم" وأسراره ودقائقه ما يوحي إلى مذهبه ومقصده من

---

(١) إلهام أبو غزالة، وعلي خليل حمد، **مدخل إلى علم لغة النّص، تطبيقات لنظريّة روبرت دي بوجراند وولفانج دريسلر**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١، القاهرة، ١٩٩٩، ص٢٥.

(٢) روبرت دي بوجراند، **النّص والخطاب والإجراء**، ترجمة تمام حسان، عالم الكتب، ط٢، القاهرة، ٢٠٠٧م، ج١/ص١٠٣.

(٣) علي أبو المكارم، **الظواهر اللغويّة في التراث النحوي**، دار غريب للطباعة والنشر، ط١، القاهرة، ٢٠٠٧، ص٣٣٧.

ذلك بقوله: "واعلم أن ههنا: أسراراً ودقائقَ، لا يُمكن بَيانُها إلّا بَعْد أن تقدم جملةً منَ القول في (النَّظم) وفي تفسيرِهِ والمُراد منه، وأيِّ شيءٍ هو؟ وما محصولُه ومحصولُ الفضيلةِ فيه؟"[١].

ويتضـــح هذا الإدراك الواعي لبعض جوانب نحو النّص –كذلك– من خلال الأحكام النقدية التي كان يصــدرها بعض اللغويين القدامى على النصــوص اللغويّة التي نطق بها العرب، وبالذات الشــعر، ومثال ذلك في قول الخليل بن أحمد: "كان النابغة أعذب على أفواه الملوك، وأبسط قوافي شعر، كأن الشعر ثمرات تدانين من خلده، فهو يجتنيهن اختياراً، له سهولة السبك، وبراعة اللسان"[٢].

ولعلّ عناية النحاة الفائقة بضـــبط أواخر الكلم، وجعل الحركة الإعرابية معياراً من معايير التحليل النحوي، إشارةٌ واضحة –كذلك– إلى مدى عنايتهم بنحو النّص؛ لأنّ الإعراب هو الســبيل إلى انســجام الألفاظ وإبراز المعاني؛ لأنّ "الألفاظ مغلقة على معانيها، حتى يكون الإعراب هو الذي يفتحها، وأن الأغراض كامنة فيها حتّى يكون هو المستخرج لها"[٣]. من ذلك ما نجده عند ابن يعيش في توضـيحه لمفهوم الإعراب، حيث ذهب إلى أنّـه لا يأتي إلا في حال العقد والتركيب، وهذا ما يحقق الترابط بين الكلم، وإذا فُقد هذا الترابط صـــار الكلم في حكم الأصـــوات التي يُنعق بها[٤]. فتوقّف النحاة عند الإعراب في مراحل الدرس اللغوي الأولى لم يكن توقفاً ســـطحياً هدفه بالدرجة الأولى التفرقة بين الفعل والفاعل، والمبتدأ والخبر، وغيرها، بل هدف إلى كشف عناصر الربط بين مكونات التركيب اللغوي.

---

(١) عبدالقاهر الجرجاني، **دلائل الإعجاز** (مرجع سابق)، ص٨٠.

(٢) أبو هلال العسكري (ت٣٩٥هـ/١٠٠٥م)، **ديوان المعاني**، ٢م، تحقيق أحمد حسن نسج، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٩٩٤، ج١/ ص١٨.

(٣) عبدالقاهر الجرجاني، **دلائل الإعجاز** (مرجع سابق)، ج١، ٢٨.

(٤) أبو البقاء بن علي بن يعيش، **شرح المفصّل** (مرجع سابق)، ج١/ ص٨٣.

عند النحاة تختلف من حيث مداها ومجالها، فبعضـــها يقف عند حدود الجملة الواحدة، وبعضـــها يتجاوز الجملة الواحدة إلى ســـائر الجمل في النّص، فيربط بين عناصر منفصلة ومتباعدة من حيث التركيب النحوي، ولكن الواحد منها متصل بما يناسبه أشدّ الاتصال من حيث الدلالة والمعنى[١].

ومن هذه الإحالات النصيّة الضمير. وقد أخذ هذا النوع من المورفيمات في الدرس اللغوي عند العرب بعداً مهما في دراسة النصوص وكشف كنهها؛ وتفسيرها تفسيراً نحوياً بناء على المعنى. فالضمائر سواء أكانت متصلة أم مستترة أم منفصلة بأنواعها، لها دلالات إيحائية تقتضيها طبيعة التراكيب ودلالات النَّص بشكلٍ عام، وهي تتمثل في عودة بعض عناصر الملفوظ على عناصر لفظية أخرى، تقدّرها في داخل النَّص أو في المقام (خارجه)، فالعناصر المُحِيلة لا تكتفي بذاتها إذ لا بدَّ من العودة إلى ما تشير إليه من أجل تأويلها. فالضمائر من العناصر المبهمة التي تحتاج إلى ما يفسرها متقدماً كان أو متأخراً؛ ولذلك لزمها البيان بالصفة عند الإلباس[٢].

ويتضح الاهتمام بنحو النّص عند النحاة القدماء -كذلك- من خلال اشتراطهم ضرورة الربط بين جملة الخبر -التي هي غير المبتدأ في المعنى- بالعائد أو الضمير، ظاهراً أو مقدّراً؛ وذلك لكون الجمل تعدّ كلاماً مستقلاً، فإذا قصد جعلها جزءاً لكلام، فلا بدّ من رابطة تربطها بالجزء الآخر، وتلك الرابطة هي الضمير، إذ هو الموضوع لمثل هذا الغرض[٣]. فعلى الرغم من أنّ حديث الرضي عن الربط جاء في سياق حديثه عن الجملة، إلا أنّه قد يتأتّى بين الجمل؛ ويؤكّد ذلك إشارتهم إلى تعدد جمل الخبر، وتعدد جمل النعت وارتباطها بالمنعوت مهما بَعُد الفاصل بينهما،

---

(١) نادية النجار، **علم لغة النّص والأسلوب** (مرجع سابق)، ص٣٩.

(٢) الأزهر الزناد، **نسيج النّص، بحث في ما يكون به الملفوظ نصاً**، المركز الثقافي العربي، ط١، بيروت، ١٩٩٣، ص١١٧-١١٨.

(٣) رضي الدين الإستراباذي، **شرح الكافية في النحو لابن الحاجب** (مرجع سابق)، ج١/ص٩١.

"وهكذا يتضح انتباه النحاة القدماء إلى هذا المعيار من معايير نحو النّصّ"[١].

ويبرز ذلك الأمر من خلال عنايتهم في غير موضع بالضمائر (الروابط النصيّة) وعائدها، فذكروا أنّه يحيل إلى لفظ المذكور دون معناه، نحو قوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إلا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (فاطر: ١١). فالهاء في (عمره) محيلة إلى معمّر آخر عُلِمَ من لفظ (معمّر) المتقدّم[٢].

ومن الظواهر الأسلوبية –التي نالت عناية كبيرة في الدرس اللغوي الحديث في دراسة نحو النّص– ظاهرة الحذف؛ حيث يميل المتكلِّم إلى إسقاط بعض العناصر من الخطاب؛ اعتماداً على فهم المُخَاطَب تارة، ووضوح السياق تارة أخرى[٣]. وتتأتّى أهمية الحذف من "قدرته على إحداث الأثر الدلالي برغم غياب العنصر اللفظي الذي يمثله"[٤]. والعناية بالحذف مسألة ليست حديثة العهد بل نالت عناية فائقة لدى النحاة الأوائل، وفصّلوا القول فيه، وبيّنوا أنواعه، ولا يوجد كتاب من كتبهم يخلو من الحديث عنه، لأنّه من سمات العرب الإيجاز، وإضمار المعاني بين المفردات، يقول سيبويه: "اعلم أنّهم مما يَحذفون الكلم وإنْ كان أصلُه في الكلام غير ذلك، ويحذفون ويعوِّضون، ويَستغنون بالشيء عن الشيء الذي أصله في كلامهم أن يستعمل حتَّى يصير ساقطاً"[٥]، لذا أجاز النحاة الحذف إذا دلّ عليه في التركيب دليل يعتمد على الخبرة المشتركة بين المُخاطِب والمُخاطَب في عمليّة الاتصال اللغوي، وبيان أثر هذه

---

(١) نادية النجار، **علم لغة النّص والأسلوب** (مرجع سابق)، ص٢٩.

(٢) جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ/١٥٠٥م)، **الإتقان في علوم القرآن**، (٤ج)، تحقيق: محمد أبو الفضل، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٧، ج٢/ص٣٣٥-٣٣٧.

(٣) طاهر سليمان حمودة، **ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي**، الدار الجامعيّة للطباعة، الإسكندريّة، د.ت، ص١٤٥.

(٤) محمد عبدالمطلب، **قراءة ثانية في شعر امرئ القيس**، مكتبة لبنان، ط١، بيروت، ١٩٨٦م، ص٢٦٤.

(٥) سيبويه، **الكتاب** (مرجع سابق)، ج١/٢٥.

الخبرة في تحديد انسجام النصّ. فعندما سئل الخليل بن أحمد عن جواب قوله تعالى: ﴿حتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ (الزمر: ٧١)، فقال: "إنَّ العربَ قد تتركُ في مثلِ هذا الخبر الجوابَ في كلامهم لعلم المُخْبَر لأي شيءٍ وضِع هذا الكلام"[١]. نحو ذلك جواز حذف كان واسمها وخبرها بعد (إنْ) الشرطية، ومنه قول رؤبة بن العجاج:

قالَتْ بَنَاتُ العمّ يا سلمى وإنْ كان فَقِيْـراً مُعْدَمـاً قَالَـتْ: وَإنْ

أي: قالَتْ: وإنْ كان فقيراً فقد رَضِيْتُه[٢].

وحظي الحذف كذلك بعناية البلاغيين، لأنّ فَهْم المعنى بدون اللفظ دالّ على قوة السبك في التركيب؛ فجعلوه باباً من أبواب المعاني "لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، وفيه إفادة أزيد من إفادة الكلام"[٣].

وقد نالت مسألة الحذف –لما لها من أثر في بيان جوانب ترابط المعاني– عناية عند المتأخرين من النحاة، وعلى رأسهم ابن هشام، وفصّل المسألة وبيّن أحوالها وشروطها وضوابطها، وخلص إلى أنّ الحذف قد يكون في أكثر من جملة في الكلام، ومثّل لذلك بقوله تعالى: ﴿أَنَا أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيْلِهِ فَأَرْسِلُوْنِ﴾ (يوسف: ٤٥). والتقدير: "فَأَرْسِلُونِ إلى يوسفَ لأَسْتَعْبِرَهُ الرُّؤْيَا، فَأَرْسَلُوهُ، فَأَتَاهُ، فَقَالَ لَهُ: يا يوسفُ"[٤].

كما يُمكن بيان النظرة الكليّة للنصوص (نحو النّص) في التراث النحوي القديم من خلال توقّف النحاة عند قضية الاتساق النّصي في القرآن الكريم، وذلك في إشارتهم إلى العلاقة الاتساقيّة التي تربط بين استهلال السور القرآنية وختامها. مثال ما سبق ما ذكره السيوطي من مناسبة وضع سورة الكهف بعد سورة الإسراء، حيث

(١) سيبويه، **الكتاب** (مرجع سابق)، ج٣/١٠٣.
(٢) ابن هشام، **مغني اللبيب** (مرجع سابق)، ج٦/٥٣٣.
(٣) عبدالقاهر الجرجاني، **دلائل الإعجاز** (مرجع سابق)، ص١٦٢.
(٤) ابن هشام، المرجع السابق، ج٦/٥٣٥.

يقول: "مناسبة وضعها بعد سورة الإسراء: افتتاح تلك بالتسبيح وهذه بالتحميد، وهما مقترنان في القرآن وسائر الكلام بحيث يسبق التسبيح التحميد، نحو: ﴿فسَبِّح بِحَمْدِ رَبِّك﴾ (طه: ١٣٠، النصر: ٣). قلت: مع اختتام ما قبلها بالتحميد أيضاً، وذلك من وجوه المناسبة[١].

(١) جلال الدين السيوطي، (ت٩١١هـ/١٥٠٥م)، **أسرار ترتيب القرآن**، تحقيق عبدالقادر أحمد ومرزوق علي، دار الاعتصام، ط٢، القاهرة، ١٩٧٨، ص١٢.

الخاتمة:

توقّفت الدراسة عند جملة من المفاهيم الأساسيّة في التحليل النحوي عند النحاة العرب القدماء، وقد خلصت إلى النتائج والتوصيات الآتية:

١- على الرغم من أنّ النحاة قد انطلقوا في تحليلهم النحوي من اللغة العربيّة، إلا أنّهم لم يغفلوا النظرة الشموليّة للغة البشريّة، ويتضح ذلك من خلال منهجهم القائم على التفكير في الكلام من حيث هو تمثل فردي أو جماعي للسان.

٢- لم يكن النحاة العرب القدماء بمعزل عن البعد الوظيفي للنحو (التعليم) –غاية الدرس النحوي الحديث– ويتضّح ذلك من خلال جملة من الأمور، منها: تحديدهم لمفهوم النحو وطرائق الطرح، ومحاولات التقعيد للظواهر اللغويّة في أنساق مطّردة.

٣- لم يخرج علماء الألسنيّة المحدثون في تحديدهم لمفهوم الجملة عمّا نجده عند علماء النحو القدماء، فالجملة عند الطرفين أقل عدد من الكلمات يفيد السامع معنى مستقلاً بنفسه.

٤- إنّ الأساس في دراسة النحو العربي القديم قام على فكرة دراسة الظواهر اللغوية دراسة تتجاوز الوصف إلى التفسير العقلي. فهو تفسير تجاوز ظاهر الاستعمال بحثاً عن نظام متكامل يُفسّر ما قد يبدو خارجاً عن أنظمة اللغة العربية.

٥- تتوافق وجهة نظر المدرسة التوليديّة مع وجهة نظر النحاة القدماء التي تعدّ انتقالة رائعة لإدخال الحدس اللغوي ليساهم في الكشف عن قوانين النظام النحوي للغة من خلال الاعتماد على بناء الجملة العميق خاصة في تلك الفئة من الجمل التي انحرفت –في ظاهرها– عن النّمط الأصلي للجملة، كجملة الإغراء والتحذير والاختصاص.

٦- رفض النحاة المبدأ القائم على الملاحظة الشكلية للظاهرة اللغوية، أو النهج الوصفي لقصوره عن إدراك الجانب الخفي في اللغة؛ لأن التحليل العلمي للحدث اللغوي ليس بوصفه الخارجي لما كان قد تلفظ به المتكلم فحسب، وإنما هو تحليل العمليات الذهنية.

٧- أصبح علماء الألسنية المحدثون على قناعة بأنَّ الاتجاه العقلي في فهم اللغة ودراستها هو الاتجاه الصحيح، وأن الوقوف عند سطح الظاهرة اللغوية لا يكشف عن جوهرها. وهو منهج أخذ به اللغويون العرب القدماء وأقاموا عليه جلّ آرائهم النحويّة.

٨- أدرك النحاة العرب القدماء دور السياق في تحليلاتهم وتعليلاتهم للوجوه الإعرابية، إذ السياق وما يقتضيه هو الموجّه الأساس لعملية التحليل. مثال ذلك تأكيدهم في دراستهم للغة عناصر سياقية –تتجاوز ظاهر اللفظ– منها: النداء، والمدح، والذم.

٩- كانت عناية النحاة منصبّة على الإسناد لما له من دور في الكشف عن مدى تلازم التركيب في أداء المعنى، وهو المقصد ذاته الذي سعى إليه الدرس النحوي الحديث في كشف العلاقة بين الكلمات داخل بنية الجملة.

١٠–على الرغم من أنّ النحاة العرب القدماء قد انطلقوا في تحليلهم اللغوي من نحو الجملة إلا أننا لا نعدم لفتات كثيرة عندهم إلى نحو النّص من خلال دراسات الروابط النصيّة كالإحالات، والحذف، والتوقّف عند العلاقة الاتساقيّة التي تربط استهلال السور القرآنية وختامها.

١١–ضرورة إعادة فهم التراث النحوي القديم المعمّق وفقاً للمناهج اللغوية المعاصرة، والعمل على إيجاد منهج نحوي سليم في تعليم اللغة العربية وتعلّمها –يراعي خصوصيتها– من خلال استثمار ما توصّل إليه علماء النحو قديماً وحديثاً.

قائمة المصادر والمراجع:

- إبراهيم أنيس، **من أسرار اللغة**، مكتبة الأنجلو، ط٥، مصر، ١٩٧٥.
- أبو البقاء بن علي بن يعيش (ت٦٤٣هـ/١٢٤٥م)، **شرح المفصّل**، ٦ج، مكتبة المتنبي، القاهرة، د.ت.
- أحمد بن عبدالرحمن بن مضاء (ت٥٩٢هـ/١١٩٦م)، **الرد على النحاة**، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، ط٢، مصر ١٩٨٢.
- أحمد سليمان ياقوت، **دراسات نحوية في خصائص ابن جني**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٠م.
- أحمد مختار عمر، **علم الدلالة**، عالم الكتب، ط١، القاهرة، ٢٠٠٩.
- أحمد مؤمن، **اللسانيات النشأة والتطور**، المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، ٢٠٠٢.
- إخوان الصفا، **رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا**، تحقيق عارف تامر، منشورات عويدات، ط١، بيروت، ١٩٩٥.
- الأزهر الزناد، نسيج النّص، **بحث في ما يكون به الملفوظ نصاً**، المركز الثقافي العربي، ط١، بيروت، ١٩٩٣.
- إسماعيل عمايرة، **المستشرقون والمناهج اللغويّة**، دار حنين، ط٢، عمّان، ١٩٩٢.
- إلهام أبو غزالة، وعلي خليل حمد، **مدخل إلى علم لغة النّص**، تطبيقات لنظريّة روبرت دي بوجراند وولفانج دريسلر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١، القاهرة، ١٩٩٩.
- باسم يونس البديرات، "**جهود علماء اللغة في تيسير النحو العربي**"، مجلة دار العلوم، القاهرة، ٢٠١٣م، العدد٦٧.

- تمام حسان:
  - **اللغة بين المعياريّة والوصفيّة**، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠١.
  - **اللغة العربية معناها ومبناها**، دار الثقافة، ط٤، الدار البيضاء، ٢٠٠١.
- جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ/١٥٠٥م):
  - **الإتقان في علوم القرآن**، (٤ج)، تحقيق: محمد أبو الفضل، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٧.
  - **أسرار ترتيب القرآن**، تحقيق عبدالقادر أحمد ومرزوق علي، دار الاعتصام، ط٢، القاهرة، ١٩٧٨.
  - **الأشباه والنظائر في النحو**، (٤ج)، تحقيق عبدالإله نبهان، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٨٥.
  - **الاقتراح في علم أصول النحو**، تحقيق: أحمد محمد قاسم، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٧٦.
  - **همع الهوامع**، (٧ج)، تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٩٨٩.
- جون ليونز:
  - **اللغة والمعنى والسياق**، ترجمة: عباس صادق، دار الشؤون، ط١، بغداد، ١٩٨٧.
  - **نظرية تشومسكي اللغويّة**، ترجمة: حلمي خليل، دار المعرفة، الإسكندرية، ١٩٨٥.
- حسن عبدالغني الأسدي، **مفهوم الجملة عند سيبويه**، دار الكتب العلميّة، ط١، بيروت،٢٠٠٧.
- حمد الطاهر عاشور، **التحرير والتنوير**، (ت١٣٩٤هـ/١٩٧٣م)، (٧ج)، دار سحنون، تونس، ١٩٩٧.

- أبو حيان التوحيدي (٤١٤هـ/١٠٢٣م)، **تفسير البحر المحيط**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٠.
- خليل عمايرة:
  - **العامل النحوي بين مؤيديه ومعارضيه ودوره في التحليل النحوي**، د.ن، إربد، ١٩٨٥.
  - **في نحو اللغة وتراكيبها**، مؤسسة علوم القرآن، ط٢، دبي، ١٩٩٠.
- رشيد بلحبيب، "**أمن اللبس ومراتب الألفاظ في النحو العربي**"، **مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية**، جامعة محمد الأول، وجدة –المغرب.
- رضي الدين الأستراباذي (ت٦٨٦هـ/١٢٨٧م)، **شرح الكافية في النحو لابن الحاجب**، ٥ج، دار الكتب العلمية، (د.ت)، بيروت.
- روبرت دي بوجراند، **النّص والخطاب والإجراء**، ترجمة تمام حسان، عالم الكتب، ط٢، القاهرة، ٢٠٠٧م.
- أبو زكريا يحيى الفراء، (٢٠٧هـ/٨٢٢م)، **معاني القرآن**، ٣ج، تحقيق أحمد يوسف نجاتي وآخرين، دار المصرية للتأليف والنشر، مصر، د.ت.
- سارة عبدالله الخالدي، "**أثر سياق الكلام في العلاقات النحويّة عند سيبويه**"، رسالة ماجستير، الجامعة الأمريكية، بيروت، ٢٠٠٦.
- ستيفن أولمان، **دور الكلمة في اللغة**، ترجمة كمال محمد بشر، مكتبة الشباب، ط١، بيروت، ١٩٧٥.
- سمير شريف استيتيّة، **اللسانيات (المجال، والوظيفة، والمنهج)**، عالم الكتب للنشر والتوزيع، ط١، إربد، ٢٠٠٥.
- سيبويه عمرو بن عثمان (ت١٨٠هـ/٧٩٦م)، **الكتاب**، ٥ج، تحقيق عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٨.
- السيد الشريف الجرجاني (ت٨١٦هـ/١٤١٣م)، **التعريفات**، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٩٣٨م.

- شاذليّة سيد محمد السيد، "السياق وأثره في بناء الدلالة، دراسة تأصيلية تطبيقية في غريب الحديث"، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية.
- عبدالحميد دباش، "**الجملة العربية والتحليل إلى المؤلفات المباشرة**"، مجلة الأثر، جامعة ورقلة، العدد٢، ٢٠٠٣.
- عبدالرحمن الحاج صالح، **الجملة في كتاب سيبويه**، مجلة المبرز، الجزائر، العدد٢، ١٩٩٣.
- عبدالرحمن بن محمد الأنباري (ت٥٧٧هـ/١١٨١م)، **الإنصاف في مسائل الخلاف**، ٢ج، تحقيق: محمد محيي الدين، مطبعة السعادة، مصر، ١٩٦١.
- عبدالسلام المسدي، **التفكير اللساني في الحضارة العربية**، الدار العربية للكتاب، ط٢، القاهرة، ١٩٨٦.
- عبدالعزيز عبده أبو عبدالله، **المعنى والإعراب عند النحويين ونظرية العامل**، ج٢، منشورات الكتاب والتوزيع والإعلان والمطابع، طرابلس، ١٩٨٢.
- عبدالقادر الفهري، **اللسانيات واللغة العربية: نماذج تركيبية ودلالية**، منشورات عويدات، ط١، بيروت، ١٩٨٦.
- عبدالقادر مرعي، **أساليب الجملة الإفصاحيّة في النحو العربي**، دراسة تطبيقية في ديوان الشابي، مؤسسة رام للتكنولوجيا، ط١، الأردن، ١٩٩٥.
- عبدالقادر المهيري، **نظرات في التراث اللغوي العربي**، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٣.
- عبدالقاهر بن عبدالرحمن الجرجاني (ت٤٧١هـ/١٠٧٨م)، **دلائل الإعجاز**، تعليق: محمود محمد شاكر، د.ن، د.ت.
- عبده الراجحي، **النحو العربي والدرس الحديث بحث في المنهج**، دار المعرفة الجامعيّة، الإسكندرية، ٢٠٠٨.

- علي أبو المكارم:
  - **تقويم الفكر النحوي**، بيروت، دار الثقافة، ٢٠٠٦.
  - **الظواهر اللغويّة في التراث النحوي**، دار غريب للطباعة والنشر، ط١، القاهرة، ٢٠٠٧م.
- علي زوين، **البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث**، دار الشؤون الثقافيّة العامة، ط١، بغداد، ١٩٨٦.
- عمرو بن بحر الجاحظ، **البيان والتبيين**، (٣ج)، تحقيق: فوزي عطوي، دار صعب، بيروت، ١٩٦٨.
- عمرو بن بحر الجاحظ، (ت٢٥٥هـ/٨٦٨م)، **كتاب الحيوان**، (٧ج)، تحقيق عبدالسلام هارون، (د.ن)، القاهرة، ١٣٧٥هـ.
- أبو الفتح عثمان بن جني (ت٣٩٢هـ/١٠٠٢م):
  - **الخصائص**، ٢ج، تحقيق: عبدالحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، د.ط، بيروت، د.ت.
  - **سر صناعة الإعراب**، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، ط١، (د.ن)، ١٩٥٤.
- فخر الدين الرازي، (ت٦٠٦هـ/١٢٠٩م)، (٦ج)، **المحصول في علم أصول الفقه**، تحقيق طه جابر فياض العلواني، منشورات جامعة الإمام محمد بن سعود، ط١، السعودية، ١٤٠٠هـ.
- فرديناند دي سوسير:
  - **دروس في الألسنية العامة**، ترجمة صالح القرمادي وآخرين، الدار العربية للكتاب، ط١، طرابلس، ١٩٨٥.
  - **محاضرات في علم اللغة**، ترجمة عبدالقادر قنيني، أفريقيا الشرق، المغرب، ١٩٨٧.

- فندريس، اللغة، **تعريب عبدالحميد الدواخلي ومحمد القصّاص**، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، ١٩٥٠.
- فيرستنغ كيس، **عناصر يونانيّة في الفكر اللغوي العربي**، ترجمة: محمود كناكري، وزارة الثقافة، الأردن، ٢٠٠٠.
- أبو القاسم الزجاجي (ت٣٤٠هـ/٩٢٥م)، **الإيضاح في علل النحو**، تحقيق مازن المبارك، دار النفائس، بيروت، ١٩٨٢.
- كمال بشر، **علم اللغة الاجتماعي "المدخل"**، ط١، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٩٤.
- ماريوباي، **أسس علم اللغة**، ترجمة أحمد مختار عمر، عالم الكتب، ط١، بيروت، ١٩٨٧.
- المبرد أبو العباس، (ت٢٨٥هـ/٩٠٠م)، **المقتضب**، (٤ج)، تحقيق: محمد عبدالخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، د.ت.
- المتولي محمود المتولي، "**الغموض والتركيب النحوي في التراث اللغوي**"، مجلة فيلولوجي، مجلة كلية الألسن، جامعة عين شمس، مصر، العدد٤٦، ٢٠٠٦م.
- مجد الدين أبو السعادات المبارك بن الجزري (ت٨٤٤هـ/١٤٢٩م)، **النهاية في غريب الحديث**، ٤ج، تحقيق طاهر أحمد الزاوي وآخر، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٦٣.
- أبو محمد بن أبي سعيد (ت٣٦٧هـ/٩٧٩م)، **شرح أبيات سيبويه**، (٥ج)، تحقيق محمد علي سلطان، مطبعة الحجاز، مصر، ١٩٦٧.
- محمد بن عبدالله بن مالك، (٦٧٢ه/١٢٧٤م)، **شرح الكافية الشافية**، (٥ج)، تحقيق: عبدالمنعم أحمد، دار المأمون للتراث، د.ط، سوريا، د.ت.
- أبو محمد عبدالله بن هشام الأنصاري، (ت٧٦١ه/١٣٥٩م):
  - **أوضح المسالك**، (٤ج)، تحقيق محمد محيي الدين، المكتبة العصريّة، د.ط، بيروت، د.ت.

- **مغني اللبيب**، تحقيق: عبداللطيف محمد الخطيب، دار التراث، د.ط، الكويت، د.ت.

- محمد علي الخولي، **معجم علم اللغة النظري**، مكتبة لبنان، ط١، بيروت، ١٩٨٢.
- محمد عيد، **أصول النحو العربي**، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٨٧.
- محمود فهمي حجازي، **مدخل إلى علم اللغة: المجالات والاتجاهات**، الدار المصريّة السعودية، القاهرة، ٢٠٠٦.
- مصطفى حركات، **اللسانيات العامة وقضايا العربية**، دار الآفاق، د.ط، الجزائر، د.ت.
- موفق الدين بن يعيش، (ت٦٤٣هـ/١٢٤٥م)، (٥ج)، **شرح المفصّل**، إدارة الطباعة المنيرية، د.ط، مصر، د.ت.
- نادية رمضان النجار، **علم لغة النّص والأسلوب**، مؤسسة حورس الدولية للنشر، ط١، الإسكندرية، ٢٠١٢.
- نعمة رحيم عزاوي، **مناهج البحث اللغوي بين التراث والمعاصرة**، منشورات المجمع العلمي، ط١، العراق، ٢٠٠١.
- نهاد الموسى، **نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث**، دار البشير، ط١، عمّان، ١٩٨٧.
- وليد محمد مراد، **نظرية النظم وقيمتها العلمية في الدراسات اللغوية عند عبدالقاهر الجرجاني**، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٣.
- يحيى عبابنة، وآمنة الزعبي، **علم اللغة المعاصر**، دار الكتاب الثقافي، ط١، الأردن، ٢٠٠٥.
- يحيى مرتضى، "**الفكر النحوي العربي بين النظرية والتطبيق في ضوء اللسانيات الحديثة**"، المؤتمر الدولي للغة العربية، جاكارتا، أندونيسيا، ٢٠١٢.
- أبو يعقوب يوسف السكاكي، (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨)، **مفتاح العلوم**، م١، تحقيق: أكرم عثمان، مطبعة دار الرسالة، د.ط، بغداد، د.ت.

Sources and references

- Ḥammād, NāfidhHusayn&Farajallah, Hiba, "The Importance of Comparative Analysis in the Critical Evaluation of Hadīth Narratives and Narrators", (in Arabic), *Majallat al-Dirāsāt al-Islāmiyya*, 2013, vol.25, issue 1, King Saud University, pp.15-57.
- Ibn Rushd, Abū al-WalīdMuḥammad b. Aḥmad al-Qurṭubī, *Fatāwā Ibn Rushd* , (in Arabic), ed. Al-Mukhtār b. Ṭāhir al-Ṭalīlī,(Beirut: Dār al-Gharb al-Islāmī, 1987), 1st ed.
- Anis, Ibrahim. Some Secrets of Language (In Arabic), (Al-Anglo Bookstore), 5th ed. Egypt. 1957.
- b.Ali.b.Yaish, Abu-Albaga.(d.643H/1245G). Sharh Al-Mofassal. (in Arabic). Vol.6. (Al-Motanabi Book store), Cairo. N.D.
- Bin mada, Ahmed b, Abdul-Rahman. (d. 592H/1196G)Arrad ala Alnohah(in Arabic). Ed. ShawqiDaif.(Dar –Amaarif). 2nd ed. Egypt.
- Yagoot, Ahmed Soliman. Grammatical studies of Al-Khasais of Ibn Jinni. (Dar- AlmarrifaaAlgameiayah), Aliskandria. 1990.
- Omae, Ahmed Mokhtar. Semantics. ". (In Arabic)(The World of Books2009). First.ed. Cairo.
- Mo?min, Ahmed. Linguisics: Birth and development. ". (In Arabic)(AlmatbooatAlgameiyah. 2002).Algeria..
- IkhwanAssafa. RasailIkhwanAssafawaKhilanAlwafa. Ed. Arif tamer. Owediat Publications. First Ed. Beirut. 1005.
- Azzannad, Al-AzharTabestery of the text: researching "when the utteredwords is considered as a text.". **(In Arabic)** al-Maarkaz al-Thagafi al-Arabi. First Ed. Beirut, 1993.
- Amayrah, Ismaeil. Orientalists and methods linguistic methods"**. (In Arabic)**. Dar Haneen. Amman, 1992.
- Abu Ghazaleh, Ilham& Hamad, Ali Khalil. Introduction to the linguistics of text:Applications to R. de Beaugrande & W. Dressler (Author) . Al-

Haiah al-Ammahlilkitab. ". **(In Arabic)**First Ed. Cairo, 1999.

- Al-Bdairat, Basem. The efforts of Arab linguists in easing the Arabic grammar. Journal of Dar Al-Oloom. Cairo, 2013. Vol.67
- Hassan, Tammam. Language between standardization and description. AlamAlkotob. Cairo, 2001
- Hassan, Tammam. Language structure and meaning. Dar-Althagafah, Fourth Ed. Casablanca,2001
- Al-Sayooti, Jalal al-Deen, (d.911H,1505G). Al-Itgan fi OloomAlQuran. Edt. Mohamed Abu al-Fadl. AlmaktabahAlassriyah. Beirut, 1997.
- Al-Sayooti, Jalal al-Deen, (d.911H,1505G) Asrartarteeb Al-Quran. Edt. Abdul Qader Ahmed &Marzook Ali. Dar Alistisam. Second edition..Beirut, 1978.
- Al-Sayooti, Jalal al-Deen, (d.911H,1505G).Al-AshbahwaAlnathaier (inArabic). Vol.4. Edt. AbdulillahAlnbhan. Matbooat Majmaa Alughah Alarabiah. Damascus. 1985.
- Al-Sayooti, Jalal al-Deen, (d.911H,1505G). Al-AshbahwaAlnthair. (vo;.4). Edt. Abdulillah al-nabhan. MatbooatMajmaaAlughahAlarabiya. Damascus 1985.
- Al-Sayooti, Jalal al-Deen, (d.911H,1505G). Al-igtirah fi ill osool Al-nahoo. Edt. Ahmed Mohamed Qasem. MatbaatAlsaadah. Cairo.1976.
- Al-Sayooti, Jalal al-Deen, (d.911H,1505G). HamulHawami (Vol.7). Edt. Ahmed ShamsulDeen. Dar AlkutobAlillmiyah. Beirut, 989.
- Lyons,John. Language, meaning and context. Translated by. Abbas Sadiq. Dar Al-Shooan.Edt.1, Baghdd, 1987.
- Chomsyky's language Theory. Translaed by Hilmi Khalil. Dar Almaarifah, Alexamdaria, 1985.
- The concept of sentenceofSebawayh.DarAlkotob Alilmiah.Edtion.1, Beirut, 2007 . **Al-Asadi Abulghani,, Hassan**
- Ashour, Hamad AlTahir. AltahreerWaAltanweer. (d.1973G,1394H). Dar Sahnoon. Tunisia, 1997

- AbuHaian Al-Tawhidi (d.414H,1023G). TafseerAbahrAlmoheet. Dar IhiaAlturath Al-arabi. Beirut, 1990.
- خليل عمايرة: Amairah, Khallil. The Grammatical Amil and between supporters and oppnents and its role in grammatical analysis. N.D. Irbid, 1985.
- The language structures and grammar. MoassatOloomAlQuran. 2nd ed. Dubai, 1990.
- Bilhbeeb, Rasheed. “Safety form Ambiguity and the ranks of utterances in the Arabic Grammar”. (In Arabic), MajallatKoliat Al-adabwaalollom al-insaniyah. Mohammed I University. Wajdah, Morocco.
- SharhAlkafiahfilhahoolibnAlhajib. Vol.5. Dar AlkotobAlilmiyah. (N.D)Beirut..Alistrabathi, Radhi udeen (d.686H,1287G)
- Du Grand, Robert. Text,Discourse and procesure. Translated by Tammamhassan. AlamAlkotob. 2nd ed. Cairo. 2007.
- Alfaraa, Abu Zakariyya, Yhiya.(d.207H, 822G). MaaniAlQuran. Vol.3. Edt. Ahmed Yousef najati et al. Dar Almasriyaliltaleef was alnashr.Egypt. (N.D)
- Alkhaldi, Sara Abdullah. The impact of context on the grammatical relationsbySebawayh. **”. (In Arabic)** (Master thesis. AUB. Beirut. 2006.
- Olman, Steven. The role of the word in language. Translated by Kamal Mohamed Bishr. MaktabatAlShabab. 1st ed. Beirut. 1975.
- Statieh, Samir Shareef. Linguistics (The scope, function and methodology) In Arabic. AlamAlkotoblilnashr. Irbid. 2005.
- Sebawaih, Amro b. Othman (d.180H,796 G). Al-Kitab (in Arabic) Vol.5.Edt. Absalamharoon. MaktabatAlkhanji.Cairo. 1988.
- Algorgani, AlSayed, Alshareef, (d.816H\1413G).kA;taareefat (in Arabic). Matbaat Mostafa AlbabiAlhalabi, Egypt, 1938.
- Alsayed, Shathlia Sayed Mohamed. ‘Context and its impact in building the significance: A study of Application of the strange hadith (in Arabic). MajalatAldirasatalughawiawa al –adabiyah.

- Dabash, Abdul Hameed, “The Arabic sentenceand the analysis to direct aoutherd” MajalatAlaathr, Wargallah University. Issu.2, 2003.
- Saleh, Abdul Rahman Alhaj. “The sentence in the ‘Alkitab” of Sybawayih. (In Arabic) MajalatAlmbaraz. Algireia, issue.2,1993.
- Al-anbari,AbdulRahman b. Mohamed (d.577H\1181G).Alinsaf fi masail Alkhilaf.Vol.2. Edt. Mohamed Mohydieen. matbaatAlsaadah.Egypt, 1961.
- Almassadi, Abdulsalam.The linguistic thought in the Arabic civilization (in Arabic). Aldar AlarabiahLilkitab. Ed.2, Cairo, 1986.
- Abu Abdullah, AbdulAzizAbdoh. “The meaning, Irab of grammarians and the theory of factor’ “in Arabic). Vol.2. manshoorat Alkitab watazeeiwailillanwalmatabi. Tripolli, 1982.
- Alfihri, Abdul Qader, Lignuistics and Arabic language: Semantic and stuructral samples (in Arabic). ManshoratOwaidat, 1st ed. Beirut, 1986.
- Marii, AbdulQader. Styles of explanatory sentence in Arabic grammar: Applied study on Alshabi poetry (in Arabic).Moassasat Ram for Technology,1st ed. Jordan, 1995.
- Almihiri, Abdulqader, Insights in the Arabic linguistic heritage(in Arabic) Beirut, Dar AlgharbAlislami, 1993.
- Aljorjani, Abdulgader(d.471H,1078G). DalailAlIjaz. Commentary by Mahmoud Mohamed Shaker. N.d,n.p.
- Alrajihi, Abdo.Arabicgrammar and modern study:A research in methodology (in Arabic). Dar Almarifahalgamiia, Aliskandaria, 2008.
- Abu Almakarem, Ali.Evaluating the grammatical thought In Arabic). Beirut, Dar Althaqafah.2006.
- Abu Almakarem, Ali, Linguistic features in the grammatical heritage (in Arabic). Dar Ghareebliltibaawa alnashr.1st ed. Cairo, 2007.
- Zwain,Ali. Linguistic research between the heritage and modern Linguistics. Dar AlshoonAlthqafiah alaamah.1st ed. Bagdad, 1986.
- Aljahith, Amro bin bahr.AlbayanWaltabieen, vol. 3 Ed. FawziAtawi, Dar Saab, Beirut, 1986.

- Aljahith, Amro bin bahr (d.255H,868G). KitabAlhaiwa,Vol. 7. Edt. AbulSalamharoon(n.p). Cairo 1375,
- Bin Jinni, Abu Alfath (d.329H/1002G). Alkhsais, Vol.2, Edt. AbdulhameedHindawi.DarAlkotobAlilmiyah.N.P.N.D, Beirut.
- sirruSinaatAlirab.Edt. Mostafa Alsagaaet .al. 1st. ed. (n.p). 1954.
- AlRazi,Fakhrudeen,(d.606h/1209G), Vol.6. Almahsool fiillmOsoolAlfigh. Edt. TahaJaber Al-Alwani. ManshoratjamoatAlimam Mohamed Bin Saud, 1sted.Saudi Arabia, 1400H.

De Sussure,Fernand:

- Course in Linguitics, translated by Saleh Al farmawi et al. Al-Dar Al-ArabiyahLilkitab, 1st ed. Tripoli, 1985.
- Lectures in Linguistics. Translated by AbdulQaderGnini,IfrigiaAlsharq. Morocco, 1987.
- Findress.Language. Translated by AbdulHameedAldawakhili& Mohamed AlQasas.MaktabatAlangloAlmisriyah, Egypt, 1950.
- Cease, Fresting, Greek Elements in the Arabic Linguistic Thought. Translated by Mahmood Kanakri, Ministry of Culture, Jordan, 2000.
- Alzajaji, AbuAlqasem (d. 340 H/925G), Alidah fi IllalAlnahoo. Edt. MazenAlmubarak, Dar Alnfais, Beirut, 1982.
- Bishr, Kamal, Sociolinguistics: Introduction (in Arabic). 1st ed. Dar Althagathah, Cairo, 1994.
- Mariaboi. Foundations of Linguistics. Translated by Ahmed Mokhtar Omar, AlamAlkotob, Beirut (n.d).
- AbuAlabaas,Albbarid, (d.285h/900G). Almugtadab (in Arabic). Vol.4, Edt. Mohamed Abdulkhaligodaimah. AlamAlkutob, Beirut. (n.d).
- Almtwali, Mahmood Almtwali. Ambiguity and the syntactic structure in the linguistic heritage. (in Arabic). Majalatfilology,majalatkuliatalalsin, Ain Shams University, Egypt. Issue 46, 2006.
- Lmobarak Ibn Algazari, MagddinabuAlsaadat, (d.844H/1429G). Alnihaya fi GareebAlhadith, Vol.4, Edt. Tahir Ahmed Alzawi, and associate. Dar

IhiyaAlkotobAlarabiya, Cairo, 1963.

- AbuMohamed bin abi Saeed (d.367H/979G). SharhAbiyatSibawayh, Vol.5, Edt. Mohamed Ali Sultan. MatbaatAlhigaz.Egypt, 1967.
- Bin malik, Mohamed bin Abdullah. (d.672H/1247G). SharhAlkafiyahalshafiyah. Vol.5. Edt. Abdulmoniem Ahmed. Dar Almamoonliltorath. N.D, N.Ed.Syria.
- Alansari, AbuMohamed Abdullah bin Hisham. (d.671H/1359).
- AwdahAlmasalik, Vol.4, Edt. Mohamed Mohyideen. AlmaktabahAlasriay. No.Ed, N.d. Beirut.
- MugniAllabeeb. Edt. Abdullateef Mohamed Alkhateeb, Dar Altorath. N.Ed. Kuwait, N.d.
- Alkholi, Mohamed Ali. Dictionary of Throretical Linguistics (in Arabic). Maktabatlobnan, edt.1, 1982.
- Eid, Mohamed. Foundations of Arabic Grammar. (In Arabic). AlamAlkotob, Cairo, 1987.
- Hijazi, Mahmoud Fahmi, Introduction to Linguistics: Fields and directions (in Arabic). Aldar AlmasriaaAlsoodiayah.Cairo, 2006.
- Harakat, Mostafa, Linguistics and the Arabic issues (inArabic). Dar Alafaq.N.Ed. Algeria,, N.D.
- Bin Yaaesh, Mowafaqudden, (d.634H/1245G), Vol.5, SharhAlmofassal. IdaratAltibaaalmoneeriayah. N.Ed.N.D. Egypt.
- Alnajjar, Nadia Ramadan. Textology and style (in Arabic). Moassat Horas Aldawleeahlilnashr. 1st ed. Aleskandaria, 2012.
- Izzawi, Naima Raheem. Methods of linguistic research between modernity and heritage. Manshoratalmagmaa alilmi.1st ed. Iraq, 2001.
- Almosa, Nihad. Theory of Arabic grammar in the light of modern linguistic methods (in Arabic). Dar Albasheer,1st ed. Amman, 1987.
- Morad, Waleed Mohamed, AbdulgaherAljorjani's theory of Nathm in linguistic studies and its scientific value (in Arabic). Dar Alfikr, Damascus, 1983.

- Ababneh, Yahia and AmnaZoubi, Linguistic (in Arabic). Dar AlkitabAlthagafi, 1st ed. Jordan, 2005.
- Mortada, Yahia. The Arabic grammar thought between theory and practice in the light of modern linguistics (in Arabic). International conference of Arabic language. Jakarta,Indonesia, 2012.
- Alsakkaki, Yousuf Abu Yaqoub. (d. 626H/1228G). MiftahAloloom.Edt. Akram Othman, Matbaatdaralrisalah. (n.p) ,(n.d). Baghdad.